الأخبار الموفقيات

تأليف

الزبير بن بكّار

"ت ٢٥٦ هـ"

تحقيق

الدكتور سامي مكي العاني

عالم الكتب

الأخبار الموفقيات



عالم الكتب

للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب: ٨٧٢٣ ـ ١١، بيروت ـ لبنان

تلفون: ٨١٩٦٨٤ ـ ٣٠٦١٦٦ ـ ٣١٥١٤٢ ـ ٦٠٣٢٠٣

عبر نيويورك ٠٠١٢١٢٤٧٨١٨٣١

برقياً: نابعلبكي ـ تلكس: ALAMKO 23390LE

فاكس: ٠٠/٩٦١/١/٦٠٣٢٠٣

WORLD OF BOOKS

FOR PRINTING, PUBLISHING AND DISTRIBUTION

P.O.BOX: 11 - 8723, BEIRUT, LEBANON

TEL: 819684, 306166, 315142, 603203

VIA NEW YORK 0012124781831

CABLE: NABAALBAKY, TELEX: ALAMKO 23390LE

FAX: 00/961/1/603203

الطبعة الثانية

طبعة جديدة منقحة

١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للدكتور صالح أحمد العلي

للأخبار أهمية كبرى في ثقافة الشعوب بمختلف مستوياتها الحضارية وثقافاتها، فهي تشبع غريزة حب الاستطلاع، وتوسع المعرفة، وتغذي الخيال، وتنقل إلى أبناء الأمة والمجتمع تراث الأقدمين وأعمالهم، فتشد الأبناء إلى آبائها.

وإذا اختيرت الأخبار على أساس فلسفة معينة، فإنها تساعد على رسم مثل عليا للمجتمع والأمة، فنوع الأخبار يعبر عن ثقافة المجتمع واتجاهاته ومثله العليا.

وللأخبار شبه بالقصص، من حيث إنها تتناول جانباً معيناً، وتتركز بالدرجة الأولى حول شخص معين، فالخبر كالقصة القصيرة، غير أنه يختلف عنها، حيث إنه قائم على الواقع، ويتركز حول حادث واحد، وقلما يغرق في العواطف.

أما القصص فليس من اللازم أن تكون واقعية، كما أنها قد تجمع عدة حوادث ترتبط حول شخص واحد، وهي تهتم عادة بالأسلوب وإبراز العواطف.

والأخبار هي المادة الأولية للتاريخ، والمرحلة الأولى من مراحل تطوره، فهي وإن كانت لا تهتم بالزمن، ومجموعها لا يراعي التطور الزمني الذي هو عماد التاريخ إلا أنها تقوم على الواقعية، وتهتم بأحداث الماضي، ومعظمها يدور حول شخصيات بارزة في ميدان من ميادين الحياة، وخاصة الشخصيات السياسية التي تتوجه إليها الأنظار في معظم المجتمعات.

وتتجلى الصلة الوثيقة بين التاريخ والأخبار في أن معظم من ألف في التاريخ

كان يسمى «اخباريا» وأن ابن النديم لم يذكر كلمة «المؤرخون» بل ذكر فصولاً في أخبار النحويين واللغويين، وأخبار الملوك والكتّاب والخطباء، والمرسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين، وأخبار الندماء والجلساء والأدباء والمغنين، وأخبار متكلمي مختلف الفرق، كما أنه خصص مقالة عنوانها «في أخبار الاخباريين والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم» كان يقصد بذلك المؤرخين.

كما أن الكتب التي عنوانها «التاريخ» متأخرة قليلة إذا قورنت بالعدد الكبير من الكتب التي عنوانها «أخبار» والتي تتناول أشخاصاً منوعين.

وقد اهتم العرب منذ أقدم الأزمنة بتداول الأخبار وروايتها نظراً لاهتمامهم بالأمور الإنسانية، ولما للأخبار من أثر في الحياة السياسية والعاطفية والثقافية.

وقد حفظ الإسلام للأخبار مكانتها، فقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من أربعين آية أن الله ـ تعالى ـ هو الخبير العليم، والخبير الحكيم، والخبير اللطيف، وأنه ينبىء عن الأخبار، كما ذكرت آيات كثيرة قصص الأمم الغابرة والأنبياء الماضين وأخبارهم، ودعا الناس إلى أن ينظروا في أخبار الأمم السالفة، ويأخذوا منها العبرة، وبذلك قدم الإسلام دافعاً جديداً للاهتمام بالأخبار، ووجهها وجهة جديدة، فثبت لها أساساً من الصدق، وقرر لها هدفاً إنسانياً خلقياً فكرياً، وغرضاً واقعياً هو أخذ العبرة منها.

وقد اهتم الرسول ـ ﷺ ـ بتتبع أخبار المسلمين ليؤمن رعايتهم والعناية بأحوالهم، كما اهتم بتتبع أخبار المشركين لمعرفة نواياهم، واتخاذ ما يلزم لإيقاف أخطارهم على الإسلام.

وتابع الخلفاء الراشدون تتبع أخبار ولاتهم، وأحوال المسلمين، ولما ولي معاوية الخلافة ذهب إلى أبعد من ذلك، فاهتم ـ بشكل خاص ـ بأخبار الماضين، فيروي المسعودي (ان معاوية كان بعد أن يتم صلاة العشاء يؤذن للخاصة وخاصة الخاصة، والوزراء والحاشية، فيؤامره الوزراء فيما أرادوا صدرا من ليلتهم، ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها، وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم

السالفة . . ويدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك، وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات، ثم يخرج فيصلي الصبح، ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم).

لقد كان عمل الخلفاء والولاة والإداريين يتطلب منهم الاهتمام بالأخبار وتتبعها بالنظر لأهمية هذا التتبع في الأمن والإدارة وتنظيم المجتمع وتقدمه، وقد كان الهدف الرئيسي للبريد الذي عني الخلفاء ـ وخاصة منذ العهد الأموي ـ بتنظيمه لتتبع الأخبار ونقلها إلى المسؤولين. واهتم كثير منهم ـ كما فعل معاوية ـ بأخبار الماضين، ومن مظاهر هذا الاهتمام رعاية الخلفاء لرواة الأخبار وتقريبهم لهم، وإغداق الهبات عليهم، وتشجيعهم على تدوين الأخبار.

ولم يقتصر الاهتمام بالأخبار على الخلفاء والولاة، بل امتد إلى كافة أوساط العرب، يدفعهم إلى ذلك ميل طبيعي لسماع الأخبار التي تشبع غريزة حب الاستطلاع وتوسع المعرفة، وتغني التجربة، وتعبر عن المثل العليا وتنميها، وتزيد من الثقة بالنفس.

ومن المعلوم أن العرب يتميزون باهتمامهم بشؤون الإنسان وما يتصل به من عواطف وأدب وتاريخ، وأنّ وقت الفراغ الواسع الذي أمنه تناقص الفتوح الإسلامية، ودفع العطاء لهم، جعلهم ينصرفون إلى الاهتمام بالشعر والأدب والتاريخ، مما أعان على ازدهار الحركة الفكرية ونموها في ميادين متعددة.

ومن الطبيعي أن تظفر الأخبار بنصيب وافر من العناية، وأن تشمل جوانب كثيرة من حياة العرب الغنية بالأحداث والتجارب، وأن لا تقتصر على فئة محدودة أو طبقة خاصة، بل تعم مختلف الناس لما تراه جديراً بالرواية مما مر بهم من تجارب.

وكانت للمدينة المنورة مكانة خاصة في الحياة في صدر الإسلام، فقد كانت القاعدة التي هاجر إليها الرسول الكريم وصحبه من المهاجرين، فلقي من أهلها ترحيباً ونصرة، فقام بتثبيت دعائم الإسلام فيها، وجعلها قاعدة دولة الإسلام، والمعقل الذي قارع منه المشركين، ونشر الدعوة، ووسع الدولة. وظلت المدينة مركز الدولة

الإسلامية في حياة الرسول ـ ﷺ ـ ومقام الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ كما كان فيها مقام الصحابة من المهاجرين والأنصار، والمنار الذي يتطلع إليه المسلمون في كافة أرجاء الدولة، لمعرفة سيرة الرسول وسننه وأصحابه الأعلام.

وقد احتفظت المدينة بمكانتها المرموقة في الدولة الإسلامية حتى بعد أن انتقل منها مركز الخلافة إلى الشام، وذلك أن المدينة ظلت مركزاً لحياة اقتصادية واجتماعية وفكرية نشيطة، بفضل العطاء الذي كان يوزع بانتظام على السكان، والهبات التي كان يغدقها كثير من الخلفاء الأمويين على رجالات أهل المدينة، هذا فضلاً عن ازدهار التجارة والزراعة والإعمار الذي أعان على نمو الحياة الاجتماعية، وعلى ازدهار الشعر والغناء، والأهم هو أن المدينة المنورة ظلت المركز الروحي والفكري في الإسلام، فقد ظلت مقام أكبر عدد من الصحابة الذين سمعوا تعاليم الإسلام من الرسول، وعاشوا معه فتشبعوا بمبادىء الإسلام وأفكاره، وعرفوا سيرته وسننه، كما عاش فيها أولاد الصحابة من التابعين.

والواقع أن انتقال مركز الخلافة من المدينة ساعدها على أن لا تكون ملتصقة بالأمويين وتنضوي تحت جناحهم، فابتعدت بذلك عما ألصق بالأمويين وما أصابهم من خصومة وعداء. وأصبحت المدينة ذات نظرة «إسلامية» أي أنها لم تنحز إلى فريق معين، بل كان يقيم فيها مختلف رجال الأسر الإسلامية. من أمويين وعلويين وعباسيين، وكانت وثيقة الصلة بالرسول والإسلام، فكانت بذلك «فوق الأحزاب»، ونمت فيها كثير من الدراسات الإسلامية الأولى، فكان منها أول المؤلفين في السيرة، وعدد من كبار الفقهاء والمفسرين والقراء.

وكانت لأسرة الزبير مكانة خاصة في المدينة، فهم يتحدرون من الزبير بن العوام، وهو ابن عمة الرسول وعديله، حيث كان زوج أسماء ابنة أبي بكر وأخت عائشة أم المؤمنين، وقد شارك في معظم الغزوات، وفي الفتوح الإسلامية الأولى، وكان يمتلك ثروة طائلة، وكانت علاقته بالخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين طيبة، ثم شارك مع عائشة وعدد من بني أمية ضد الإمام علي، وقتل في موقعة الجمل. واحتفظ أولاده بمكانة مرموقة في المدينة ومكة.

ومع أن عبد الله بن الزبير أعلن خلافته في أواخر خلافة يزيد، وعاونه أخوه مصعب، إلا أن عدداً من إخوة عبد الله لم يؤيدوه، فانضم بعضهم إلى الأمويين، ووقف بعضهم على الحياد، فلما قضى عبد الملك على حركة ابن الزبير عمل على تحسين علاقته مع آل الزبير، فأخذ يغدق عليهم الهبات والعطايا، ويعمل على تقريبهم، فخلدوا إلى السكينة، وانصرفوا إلى الاهتمام بالحياة الفكرية، وقد أصبح عدد منهم من كبار علماء المسلمين في السيرة والحديث والفقه.

ولما ولي العباسيون الخلافة أدركوا أهمية المكانة المرموقة التي كانت لأهل المدينة، فعملوا على التقرب من أهلها، ولم يؤثر في ذلك الثورة التي أعلنها محمد النفس الزكية، فقد ظل الخلفاء العباسيون الأوائل يعنون بدفع العطاء لأهل المدينة، ويغدقون الهبات والعطايا على أهلها ويتقربون إلى علمائها، واستدعى المهدي عدداً من أهل المدينة إلى بغداد فأقطعهم القطائع عند باب البصرة بالقرب من قطائع أهل بيته، وسماهم الأنصار، كما رحب الخلفاء العباسيون بعلماء أهل المدينة، فعينوا عدداً منهم قضاة في بغداد، كما رحبوا بابن إسحق والواقدي، وهما أعظم كتّاب السيرة النبوية في الإسلام. ولا ريب في أن علماء المدينة كانوا الموجهين الثقافيين والروحيين لبغداد عاصمة الخلافة العباسية.

ولا شك أن مكانة علماء المدينة قد تأثرت بتأييد بعض الخلفاء العباسيين للمعتزلة، إلا أن ترك المتوكل إسناد المعتزلة أدى إلى عودة علماء المدينة إلى مكانتهم في التوجيه الثقافي في بغداد. ولا عجب أن يكون كثير من قضاة بغداد في خلافة المتوكل وبعدها من المالكية، وهو مذهب أهل المدينة في الفقه.

ومن أبرز علماء المدينة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري هو الزبير بن بكار، وهو من أحفاد عبد الله بن الزبير. نشأ في الحجاز واتصل بعلمائها، ونهل منهم، وخاصة عمه المصعب، وألف كتباً عدة في النسب وأخبار العرب، وأخبار عدد من شعرائها، وفي العقيق، وهي كتب ضاع معظمها، ولكن بقيت نقول، تشهد ـ على قلتها ـ بسعة علمه ودقة ملاحظاته، وحسن تعبيره. وقد روى عنه كثير من الرواة، وامتدحه كثير من المؤرخين والنقاد.

وقد أولاه المتوكل رعاية خاصة، فعينه قاضياً على مكة، واستدعاه إلى بغداد، وأغدق عليه العطايا والهبات، فألف الزبير لابنه كتاباً في الأخبار، سماه (الموفقيات) باسم الأمير الموفق، وهو مظهر لوفائه للخليفة.

وقد ضاع معظم كتاب الموفقيات، ولم يبق منه إلا أجزاء من مخطوطتين، إحداهما أطول من الأخرى، وتشمل ما ورد فيها، ومقتطفات غير قليلة منثورة في عدد من الكتب. ويدل ما وصل إلينا من المخطوطات والمقتطفات على ضخم الكتاب وسعته، كما أنه يمكن الحكم منها على طبيعة مادة الكتاب.

والموفقيات مجموعة أخبار تتناول مواضيع متعددة، بعضها يتعلق بالشعر والشعراء، ولكن أكثرها يتعلق بأحداث تاريخية سياسية وحربية وإدارية واجتماعية، حدث بعضها قبل الإسلام، ولكن غالبيتها المطلقة مما حدث بعد الإسلام. وكل خبر يدور عادة حول شخص، والأشخاص منوعون، منهم الخلفاء والولاة والقواد والفرسان والشعراء والأدباء والعلماء، من مختلف الحقب والأزمنة والاتجاهات.

وتختلف هذه الأخبار في طولها، فبعضها قصير لا يتجاوز بضعة أسطر، وبعضها يبلغ عدة صفحات.

وبالرغم من كثرة هذه الأخبار، وسعة حجم الكتاب، وتقسيم المؤلف له إلى أبواب، فإن معلوماته تخلو من التعليقات الشخصية والاستنتاجات العقلية والأحكام النظرية، وإذا كان هذا الأسلوب من التأليف قد يتعب الباحث المتخصص إلا أنه مصدر متعة فكرية كبيرة، فإن هذا التنوع يبعد السأم، ويروح النفس.

وكل خبر مكتوب بأسلوب رصين واضح خال من التكلف، يتناول موضوعاً له قيمته في الحياة.

وقد عنى المؤلف باختيار الصحيح من هذه الأخبار، وذكر رواته ورجال سنده لتعزيز صحة الرواية.

والأخبار التي وردت في الكتاب عفة تنسجم مع المثل الأخلاقية للمجتمع، وبعضها يثبت ما نعرفه، كما أن عدداً منها يكشف جوانب من الحياة كانت مجهولة.

لقد يسر الدكتور سامي مكي العاني هذا الكتاب للقراء والباحثين، وإن جهده الكبير في مقارنة المخطوطات، وجمع المقتطفات، وتثبيت النصوص، وتوضيح غير المألوف منها، جدير بكل تقدير وثناء، بارك الله له جهده في خدمة التراث العربي والإسلامي، ووفقه في عمله، وجزاه خير الجزاء.

الدكتور صالح أحمد العلي
أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب
ورئيس المجمع العلمي العراقي

مقدمة التحقيق

(١)

المؤلف[١]:

هو الإمام أبو عبد الله الزُّبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوّام القرشي الأسديّ[٢].

عُرف بالفضل منذ نعومة أظفاره، قال عمّه مصعب الزبيري: إن بلغ أحد منا فسيبلغ[٣]. يعني الزبير بن بكّار. وقد بلغ فعلاً مبلغاً عظيماً فيما بعد، فصار من أعيان عصره وعلماء زمانه.

---

(١) انظر ترجمة الزبير في:
١ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٤.
٢ ـ تأريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٤٦٧.
٣ ـ التحفة اللطيفة للسخاوي ٢/ ٨٥.
٤ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/ ٣١٢.
٥ ـ شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ١٣٣.
٦ ـ الفهرست لابن النديم ص ١٦٦.
٧ ـ مرآة الجنان لليافعي ٢/ ١٦٧.
٨ ـ معجم الأدباء لياقوت ٤/ ٢١٨.
٩ ـ ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٦٦.
١٠ ـ وفيات أعيان لابن خلكان ٢/ ٦٨.
١١ ـ نور القبس ص ٣٢١.

(٢) ابن خلكان والخطيب البغدادي.

(٣) الخطيب البغدادي.

وصفه ياقوت فقال: أخباري، أحد النسابين، وكان شاعراً، صدوقاً راوية، نبيل القدر[١].

وقال الخطيب البغدادي: كان ثقة ثبتاً، عالماً بالنسب، عارفاً بأخبار المتقدمين وسائر الماضين. ووصفه الشاعر فقال:

ما قال (لا) قطّ إلاّ في تشهُّده ... ولا جرى لفظه إلا على (نعم)
بين الحواري والصديق نِسبتُه ... وقد جرى ورسول الله في رحم[٢]

سكن المدينة مع أهله بني الزُّبير، ورحل إلى بغداد عدة مرات آخرها سنة ثلاث وخمسين ومائتين[٣].

وعرف المتوكل فضله، فأكرمه واختاره لتأديب ولده، روى الخطيب البغدادي عن جحظة قال[٤]: كنتُ بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر فاستؤذن عليه للزبير بن بكار حين قدم من الحجاز، فلما دخل أكرمه وعظمه وقال له: لئن باعدت بيننا الأنساب، لقد قربت بيننا الآداب، وإن أمير المؤمنين ذكرك فاختارك لتأديب ولده، وأمر لك بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت من الثياب، وعشرة أبغل تحمل عليها رحلك إلى حضرته بسُرَّ من رأى، فشكره على ذلك وقبله.

ويخبرنا السخاوي عن كيفية ولايته قضاء مكة فيروي عن الزبير نفسه[٥]: أتيت الفتح بن خاقان ليستأذن لي على المتوكل في الحج، فوعدني، فأنشدته:

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما ... نجح الأمور بقوة الأسباب
فاليوم حاجتنا إليك وإنما ... يدعى الطبيب لساعة الأوصاب

فاستأذن لي على المتوكل، فودعته ثم خرجت، وخرج الفتح فقال: جائزتك تلحقك، وكتاب عهد بالقضاء على مكة لاحق بك. فلما صرت إلى منزلي، إذا خادم

---

(١) معجم الأدباء.
(٢) تاريخ بغداد.
(٣) معجم الأدباء.
(٤) تاريخ بغداد.
(٥) التحفة اللطيفة.

معه ثلاثون ألف درهم، فخرجت، فلما وافيت مكة إذا رسول معه عهد لي، فدخلتها والياً عليها.

أما مسألة توثيقه، وصدق روايته، فقد أجمع مترجموه على ذلك. فقال الدارقطني: الزبير بن بكار ثقة[١]. وقال البغوي: كان ثبتاً عالماً ثقة[٢]. وقال الخطيب: كان ثقة ثبتاً[٣]. وقال الذهبي: كان ثقة من أوعية العلم[٤].

وقد انفرد أحمد بن عليّ السليماني في كتاب الضعفاء، بالقول: بأنه كان منكر الحديث[٥].

وقد ردّ علماء الحديث هذا الاتهام فقال ابن حجر: وهذا جرح مردود، ولعله استنكر إكثاره عن الضعفاء[٦]. وقال الذهبي: لا يلتفت إلى قول أحمد بن علي السليماني حيث ذكره في عداد من يضع الحديث، وقال مرة: منكر الحديث[٧].

وأجمع من ترجموا له على الإشادة بعلمه في نسب قريش. قال ابن حجر: أعلم الناس بنسب قريش الزبير بن بكار[٨].

وقرن اسمه بكتاب (نسب قريش وأخبارها) الذي وصف بأنه عليه اعتماد الناس في معرفة أنساب القرشيين[٩].

وقد أخذ الزبير علمَه وأخبارَه عن أكبر شيوخ عصره علماً وفضلاً وقد قاربوا الأربعين شيخاً[١٠].

---

(١) التحفة اللطيفة، والبداية والنهاية، وشذرات الذهب.

(٢) تهذيب التهذيب.

(٣) تاريخ بغداد.

(٤) تهذيب التهذيب.

(٥) تهذيب التهذيب

(٦) المصدر السابق.

(٧) معجم الأدباء وشذرات الذهب.

(٨) الإصابة ٤/١٩٥.

(٩) ياقوت وابن خلكان ومرآة الجنان.

(١٠) انظر مقدمة جمهرة نسب قريش وأخبارها، حيث أورد المحقق الفاضل الأستاذ محمود محمد شاكر ثبتاً مفصلاً بهم

وكما أفاد من شيوخ عصره فقد أفاض على طلاب العلم في زمانه علماً وأدباً وأخباراً. فرووا عنه، وحملوا إلى الناس علمه ومصنفاته[1]، وهي كثيرة ومتنوعة، وإن غلب عليها الاتجاه الأخباري والأدبي.

وأكمل ثبت لمصنفاته ما ذكره ابن النديم قال: وللزبير بن بكار من التصانيف:

١ ـ كتاب نسب قريش وأخبارها. (نشر الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول منه بمصر).

٢ ـ كتاب أخبار العرب وأيّامها.

٣ ـ كتاب نوادر أخبار النسب.

٤ ـ كتاب الموفقيات في الأخبار، ألّفه للموفّق بالله.

٥ ـ كتاب مِزاح النبيّ، ﷺ.

٦ ـ كتاب وفود النعمان على كسرى.

٧ ـ كتاب أخبار الأوس والخزرج.

٨ ـ كتاب النحل، قال ابن النديم: رأيته بخط ابن السُّكري.

٩ ـ كتاب نوادر المدنيين.

١٠ ـ كتاب الاختلاف (الأحلاف).

١١ ـ كتاب العَقيق وأخباره.

١٢ ـ كتاب إغارة كثيّر على الشعراء.

١٣ ـ أخبار ابن ميّادة.

١٤ ـ أخبار ابن الدمينة.

١٥ ـ أخبار عبيد الله بن قيس الرقيّات.

١٦ ـ أخبار أبي دهبل الجمحي (نشره كرنكو في مجلة جمعية الاستشراق الإسلامية

---

(١) المصدر السابق.

الملكية بلندن عام ١٩١٠) بعنوان (شعر أبي دهبل الجمحي وأخباره) برواية أحمد بن سعيد الدمشقي.

١٧ ـ أخبار أبي السائب.

١٨ ـ أخبار الأشعث.

١٩ ـ أخبار الأحوص.

٢٠ ـ أخبار ابن هرمة.

٢١ ـ أخبار توبة وليلى.

٢٢ ـ أخبار أميّة بن أبي الصلت.

٢٣ ـ أخبار حاتم (يبدو أنه القسم الخاص بحاتم الطائي في الموفقيات).

٢٤ ـ أخبار حسّان.

٢٥ ـ أخبار جميل.

٢٦ ـ أخبار عبد الرحمٰن بن حسّان (لعله القسم الخاص بمهاجاة عبد الرحمٰن بن حسان والنجاشي في الموفقيات).

٢٧ ـ أخبار العَرجي.

٢٨ ـ أخبار عمر بن أبي ربيعة.

٢٩ ـ أخبار كُثيّر.

٣٠ ـ أخبار المجنون.

٣١ ـ أخبار نُصيب.

٣٢ ـ أخبار هدبة وزيادة.

٣٣ ـ أخبار القاري.

ومما لم يذكره ابن النديم في مصنفاته:

٣٤ ـ المفاخرات[١].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٥/٤٥٨.

٣٥ ـ أخبار المدينة[١].

وتوفي الزبير بمكة، وهو قاضٍ عليها، ودُفن بها ليلة الأحد لتسع بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين، وبلغ من السنّ أربعاً وثمانين سنة.

وكان سبب وفاته أنه سقط من سطح له، فانكسرت ترقوته ووركه وصلى عليه ابنه مصعب، وحضر جنازته محمد بن عيسى بن المنصور، ودُفن إلى جانب عليّ بن عيسى الهاشميّ في مقبرة الحجون[٢].

(٢)

قيمة الكتاب ومنهجه:

الموفقيات كتاب أخبار وقصص تأريخية، ولم أر كتاباً قبله يشبهه في موضوعه ولا في كبر حجمه.

ويمكن تصنيف أخباره إلى ثلاثة أصناف:

١ ـ أخبار انفرد في روايتها، ولم نجدها في المصادر الأخرى.

٢ ـ أخبار اتّفق في روايتها معه مؤلّفون آخرون كالطبريّ في تأريخه وابن قتيبة في عيون الأخبار والبيهقيّ في المحاسن والمساوىء والأصفهاني في الأغاني، مما يحتمل أنهم أخذوها عنه.

٣ ـ أخبار وردت في مصنفات أخرى مختصرة أو مفصلة أو مختلفة الرواية عمّا جاء في الموفقيات.

وفي الموفقيات أشعار كثيرة انفرد في رواية كثير منها ولم نجدها في دواوين أصحابها ولا في أيّ مصدر آخر.

وقد أشار بروكلمان في (تأريخ الأدب العربيّ)[٣] إلى أن كتاب (مثالب العرب)

---

(١) الإصابة ٢/٢٨ و ٢٩، وشرح شواهد المغني ١٧٨.
(٢) الفهرست ص ١٦٦.
(٣) تاريخ الأدب العربي بروكلمان ٣/ ٣٢. ترجمة عبد الحليم النجار.

لابن الكلبيّ، يبدو أنه من كتاب الموفقيات للزبير بن بكار. وحين رجعت إلى نسختي المثالب المخطوطتين في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب ببغداد، لم أجد ما يؤيّد هذا الرأي إذ ليس في المثالب أيّة إشارة أو دليل يدعم رأي بروكلمان. كما لم أجد ما يؤيّد رأيه في ثنايا الموفقيات أيضاً.

ومما يلاحظ على أخبار الكتاب أنّ أغلب أخباره تدور حول الخلفاء ورجال البلاط، وهي غير مختصّة ببيئة جغرافية معينة، وإنما تشمل العراق والحجاز والجزيرة والشام. وإن كانت أخبار العراق تزيد على ما سواها من البلاد الأخرى، ولذلك نراه يعتمد كثيراً على الرواة العراقيين. ويُظهر الزبير ميلاً واضحاً إلى العلويين، مع اتجاهه المعروف مع آل الزبير، وصلته الوثيقة بالمتوكل وابنه الموفق.

(٢)

مصادر الموفقيات:

لم نجد في ثنايا كتاب الموفّقيات ما يشير إلى أيّ كتاب قد رجع إليه الزبير أو استمدّ منه أخباره، وكل ما فيه من أخبار مرويّ عمّن حدَّثه، بأسانيد متّصلة كاملة.

وقد حاولتُ استقصاء رواته الذين أورد عنهم أخبار الموفّقيات فكانوا أكثر من ستين راوية. في طليعتهم:

١ ـ عمّه مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيريّ، روى عنه أكثر من مائة وعشرين خبراً.

٢ ـ أبو الحسن عليّ بن محمد المدائني، روى عنه أكثر من أربعين خبراً.

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، روى عنه أكثر من عشرين خبراً.

٤ ـ عمر بن أبي بكر المؤمّلي، روى عنه أكثر من عشرين خبراً أيضاً.

٥ ـ محمد بن الحسن المخزومي، روى عنه ثلاثة عشر خبراً.

٦ ـ علي بن صالح، روى عنه اثني عشر خبراً.

٧ ـ مبارك الطبري، روى عنه أحد عشر خبراً.

٨ ـ أبو عبد الرحمٰن محمد بن عبد الله العتبي، روى عنه عشرة أخبار.

٩ ـ أبو الحسن الأثرم، روى عنه تسعة أخبار.

١٠ ـ إسحاق بن إبراهيم التميميّ، روى عنه سبعة أخبار.

أمّا الرواة الآخرون فتتراوحُ رواياتهم في الكتاب ما بين ثلاث روايات ورواية واحدة فقط.

ولا يخلو الكتاب من روايات لحوادث شهدها بنفسه، أو أخبار وقعت له، فأوردها بدون سند الرواية طبعاً.

(٤)

توثيق النص:

ذكر ابن النديم ـ ت ٣٨٥ ـ في ترجمته للزُّبير بن بكّار أنه صنّف «كتاباً ألّفه للموفّق، وهو الموفّقيات في الأخبار».

وتوالى بعده غير واحد ممن ترجموا للزبير يذكرونه في مصنفاته.

ويذكره ابن خير الإشبيلي ـ ت ٥٧٥ ـ فيما حُدّث به عن القاضي أبي بكر بن العربي فيقول: الموفّقيات في الأخبار والأشعار تأليف الزبير بن بكار ـ رحمه ـ حدّثني بها القاضي أبو بكر بن العربيّ قال: حدّثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، ويعرف بابن الطيوري قال: هذه ثمانية عشر جزءاً، أروي من الأول إلى العاشر عن الأمير أبي الحسن أحمد بن الحسن بن الفضل الكاتب، عن أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن خالد الكاتب عن أبي الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير. والثمانية الأجزاء الباقية أخبرني بها الأمير أبو منصور الكاتب بالإسناد المتقدم[١].

وفي ثنايا النص شهادات قاطعة بأنه للزبير بن بكار. ففي نسخة جوتنجن

(١) فهرسة ابن خير الإشبيلي ص ٣٧٦.

صُدّرت كل الأخبار بعبارة (حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير).

وفي نسخة باش أعيان صُدرت الأخبار بعبارة (حدّثني الزبير). بالإضافة إلى ذِكْرِهِ كتابه (جمهرة نسب قريش) في أكثر من موضع ونصّه على روايته عن عمّه مصعب.

وقد توارد كثيرٌ من المؤلفين على الموفّقيات، فأفادوا من أخبارها، واقتبسوا من الحوادث التي ذكرتها. وقد ذكروا ذلك حيث أفادوا أو اقتبسوا فأضافوا برهاناً جديداً على توثيق النصّ. وممن أخذ عنه المسعوديّ في (مروج الذهب)[١] وابن عبد البر الأندلسي في (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)[٢] والسُّهيلي في (الروض الأنف)[٣] والتجاني في (تحفة العروس)[٤] وابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)[٥] وابن حجر العسقلاني في (الإصابة في تمييز الصحابة)[٦] والسيوطي في (شرح شواهد المغني)[٧]. والبغداديّ في (خزانة الأدب)[٨].

أمّا الموفّق الذي سمّى الزبير كتابه باسمه فهو أبو أحمد طلحة الموفّق ابن الخليفة المتوكل بن المعتصم بن الرشيد. ولاّه أخوه المعتمد على الله العهد، وحارب الزنج سنين كثيرة، وصابرهم، ولما ظفر بهم لقّبه المعتمد (الناصر لدين الله) فكان يُخطب له بلقبين على المنابر، يقال: اللهمّ أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد طلحة الموفّق بالله، ولي عهد المسلمين، أخا أمير المؤمنين.

وتوفي أبو أحمد الموفّق هذا في يوم الخميس ثاني رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين، ولم ينَلْ الخلافة[٩].

---

(١) انظر مروج الذهب ٥/ ١٦٣.

(٢) انظر الاستيعاب ٢/ ٢٦٥.

(٣) انظر الروض الأنف ٢/ ١٤٢.

(٤) انظر تحفة العروس ١٠٧ ومواضع عدة.

(٥) انظر شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٧٦ و ٢٧١ و ٤٦٧ و ٣/ ٧٨٤ و ٨٠٥ و ٤/ ٨١٤ و ٥/ ٧١.

(٦) انظر الإصابة ١/ ٧٩ و ١٦٦ و ١٦٧ و ٢٩١ و ٢/ ١٦٠ و ١٨٠ و ٢٧٨ و ٣/ ٣٦٠ و ٣/ و ٤/ ١٣٠.

(٧) انظر شرح شواهد المغني ص ١٣٤ و ٢٤٥ و ٢٩٣ و ٤١٠ و ٧٣٤ و ٨٧٦.

(٨) انظر الخزانة ٣/ ٣٤٢.

(٩) مختصر التاريخ لابن الكازروني ١٦١.

ويظهر أنّ الموفّق هذا كان معنياً باللغة والنحو والأخبار، فبالإضافة إلى الموفّقيات ألّف له ابن كيسان النحويّ كتاب (الموفّقي في النحو) قال: طلب الموفّق شيئاً من مختصرات النحو، فعُمل له غير كتاب. قال أبو الحسن (أحمد بن محمد كيسان): فعملتُ أنا عند ذلك هذا الكتاب[1].

(٥)

وصف نسخ المخطوطة:

ليس بين أيدينا نسخة كاملة من مخطوطات الموفّقيات، وإنما وصلت إلينا نسختان ناقصتان هما:

١ ـ النسخة المحفوظة بمكتبة جوتنجن بألمانيا، ومصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٤٤٣ ـ أ.

وتكوّن هذه النسخة القسم السادس عشر إلى التاسع عشر، من أصل تسعة عشر قسماً، وهي برواية أحمد بن سعيد الدمشقي[2] ت ٣٠٦ هـ.

وتقع هذه النسخة في (١٥٢) ورقة، وعدد أسطر صفحاتها في حدود (١٥) سطراً. وفي السطر الواحد ما بين (١١) كلمة إلى (١٤) كلمة، بخط نسخي دقيق، مضبوط بالشكل أحياناً، ولكنه خال من النقط في كثير من الكلمات.

وفي ورقتها الأخيرة كتب تاريخ نسخها وهو: أواخر سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

وكتب عنوان الكتاب في الصفحة الأولى هكذا:

الموفّقيات لأبي عبد الله الكاتب الدمشقي.

---

(١) عن مقدمة مخطوطة الموفقي المصورة لدى الدكتور عبد الحسين الفتلي وصف بالفضل والعلم والمعرفة توفي سنة ٥٦٧. إنباه الرواة ٢/ ٩٩.

(٢) في تاريخ بغداد ٤/ ١٧١ وروى (أحمد بن سعيد) عن الزبير بن بكار الأخبار الموفقيات وغير ذلك من مصنفاته.

وهو بخط ضعيف يختلف عن خط النسخة.

وقد قوبلت هذه النسخة بنسخة وقفها الشيخ الإمام أبو محمد ابن الخشّاب[1].

ولم تخلُ هذه النسخة من بعض العيوب، فقد أثّرت الرطوبة في كثير من أوراقها، فطمست بعض سطورها، ولولا نسخة باش أعيان لما استطعنا قراءة تلك السطور. ووقع اضطراب في ترتيب بعض أوراقها.

٢ ـ النسخة المحفوظة في المكتبة العباسية، لأسرة آل باش أعيان العباسيين بالبصرة.

وهذه النسخة غير مقسمة كالنسخة السابقة، ولكنها تزيد عليها بما يقارب ربع صفحاتها، إذ تقع في (٣٧٩) صفحة وتبدأ نسخة جوتنجن من الصفحة رقم (٨٥) ولذلك أرجّح أنها تكوّن القسم الخامس عشر إلى التاسع عشر، أي بزيادة قسم واحد فقط.

وهذا نص ما جاء على صفحتها الأولى:

الأخبار الموفقيات للزبير بن بكّار المتوفى سنة ٢٥٦ رحمه الله تعالى آمين.

وهي ليست برواية أحمد بن سعيد، ولم يُعرف اسم راويها، وقد بدأت أخبارها بعبارة (حدثني الزبير قال:).

وليس فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، إلا أنه ظهر عليها تملُّك في الصفحة الأولى كما يأتي:

دخل في نوبة الفقير أضعف عباده إليه السيد رجب بن السيد مصطفى الرفاعي. غفر الله له ولوالديه، وللمؤمنين كافة.

وكان في بغداد سنة ١٢١٤. وختمت الصفحة الأخيرة بالنص الآتي: تمت الأخبار الموفّقيات، والحمد لله رب العالمين وصلواته.

(١) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي البغدادي، كان أديباً فاضلاً عالماً له معرفة جيدة بالنحو واللغة، وصف بالفضل والعلم والمعرفة توفي سنة ٥٦٧: إنباه الرواة ٢/ ٩٩ والخريدة ١/ ٨٢.

وهي مكتوبة بخط نسخ واضح جميل إلا أنه خال تماماً من الشكل، قليل التنقيط.

وهذه النسخة كثيرة الخطأ، وناسخها كثير السهو، فقد أسقط عشرات السطور من ثنايا صفحاتها، وربما أسقط أحياناً صفحة كاملة. بالإضافة إلى التصحيف والتحريف اللذين وقع فيهما أثناء النسخ. وقد يترك بياضاً في خلال السطور ونجد ذلك كثيراً في الصفحات الأخيرة من النسخة. ومع كل هذا فقد أفدنا منها في المقابلة.

٣ ـ وثمة قسم صغير نشر في المجلد الثالث والعشرين من بحوث الجمعية الملكية للعلوم في جوتنجن سنة ١٨٧٨ من قبل ف. فوستنفيلد عن النسخة المحفوظة في جوتنجن والتي اعتمدتها أفدت منه، وقابلت به في مكانه من النسخة الأمّ.

وقد ألحقت بهذه الأقسام ما وجدته متناثراً في الكتب، منقولاً عن الموفّقيات، ولم يوجد في الأقسام المخطوطة.

(٦)

منهج التحقيق:

لقد بذلت كل ما أستطيع من جهد للوصول إلى مخطوطات الكتاب، فلم يتيسر لي منها إلا النسختان اللتان وصفتهما من قبل والقسم المنشور في المجلة.

ولما كانت نسخة جوتنجن مذيلة بتاريخ نسخها، ومقابلة على نسخة ابن الخشاب، وأوضح خطًّا وأقل سقطاً وتحريفاً من النسخة الأخرى جعلتها الأصل، وقابلت بها نسخة باش أعيان التي رمزت لها بالحرف (ب).

أما القسم الأول الذي انفردت به نسخة (ب) فقد أثبتُّه قبل نسخة الأصل. ثم اتبعت الخطوات الآتية في تحقيق النص:

١ ـ حاولتُ إثبات النصّ الصحيح نثراً وشعراً، مستعيناً في تقويمه بجميع الأصول الأخرى.

٢ ـ أثبت الروايات المختلفة، وأبرز التصحيفات والتحريفات في سائر الأصول التي اعتمدتها في تحقيق النص بالمقابلة وترجيح الأحسن.

٣ ـ شرحت في الهوامش، الغريب الوارد في النصوص النثرية والشعرية، وما فيهما من أعلام ونحو ذلك مما يحتاج إلى إيضاح.

٤ ـ قمت بتخريج الآيات والأحاديث والأمثال والأشعار والخطب والرسائل والأخبار الواردة في ثنايا النص.

٥ ـ استعنت ببعض الرموز التي قد تساعد القارىء على فهم النص وهي:

● وضعت هذه العلامة قبل كل خبر منفصل عن غيره لئلا تتداخل الأخبار والروايات جاعلاً لكل خبر رقماً.

﴿ ﴾ وضعت بين هذين القوسين الهلاليين الآيات القرآنية.

[ ] وضعت بين هاتين الحاصرتين ما أضفته من الأصول الأخرى، ولم يوجد في الأصل الذي اعتمدته.

، وتدل هذه العلامة على بدء الصفحة التالية في المخطوطة، وتوضع بعد رقمها.

و وجه الورقة المخطوطة وتتبع رقمها.

ظ ظهر الورقة المخطوطة وتتبع رقمها أيضاً.

وقبل أن أنهي مقدمتي أودّ أنْ أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الدكتور صالح أحمد العلي، لما حباني من توجيهات سديدة بصفته الخبير الذي قوّم عملي، والسيد عبد الواحد آل باش أعيان الذي تفضل فسمح لي بتصوير النسخة المحفوظة في مكتبة أسرته العامرة. والمحقق الأديب الأستاذ محمود محمد شاكر الذي تفضل فزودني بالقسم المنشور في سلسلة بحوث الجمعية الملكية للعلوم في جوتنجن.

ولا يفوتني أن أسجل أوفر الشكر إلى كل أخ عزيز، مدّ لي يد العون، أو أشار علي بفائدة، فإني قليل بغيرهم، كثير بهم إن شاء الله. وفي مقدمتهم الأخوة الأحبة

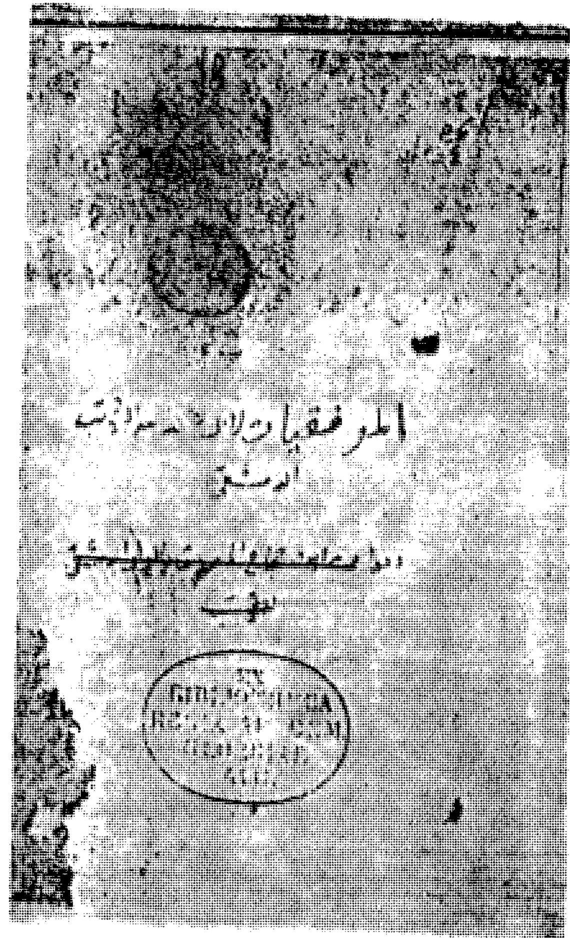
الدكاترة والأساتذة أحمد ناجي القيسي ونوري القيسي وعبد الله الجبوري وهلال ناجي.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وأن يوفق العاملين على إحياء تراث أمتنا المجيدة، وأستميح القارىء عذراً إذا ما وجد في عملي نقصاً فالكمال لله وحده، وهو حسبي ونعم الوكيل.

بغداد في: ١٦ ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ

١ حزيران ١٩٧٢ م

المحقق



الصفحة الأولى من نسخة جوتنجن

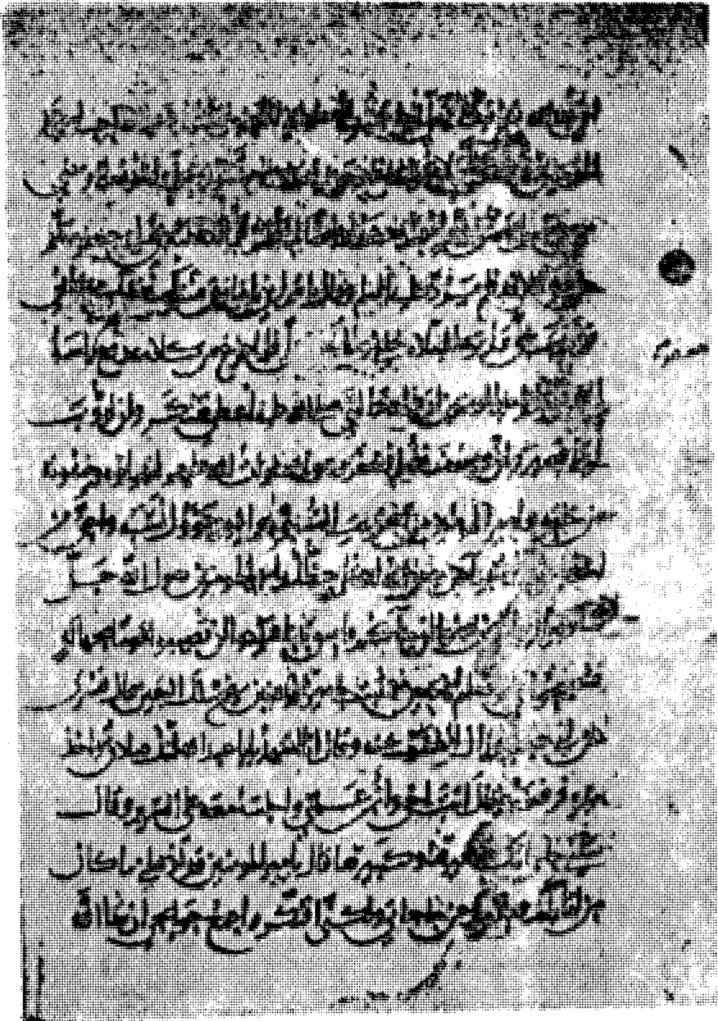
(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على خير خلقه محمد مسك الختام صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه الكرام أما بعد
فهذه أخبار من فكاهات النفس التي
يتأسى بها فيغفر معاصيها ويتأدب
على حسن آدابه فيها وهي مجموعة من
لطائف وأخبار وأشعار ونكات
من كلام الزبير بأسانيدها
رضي الله تعالى عنهم أجمعين
فنفتتحه من الزبير قال حدثني
الزبير قال حدثني علي بن محمد ابن
عبد الله بن محمد عن أبي الحسن
عن سالم بن زياد عن مصعب

الصفحة الثانية من نسخة باش أعيان

الصفحتان ٢ ، ٣ من نسخة جوتنجن



من الصفحات المطموسة في نسخة جوتنجن

الصفحة ٣٧٣ من نسخة باش أعيان

الصفحة الأخيرة من نسخة باش أعيان

الصفحة الأخيرة من نسخة جوتنجن

الأخبار الموفقيات

تأليف

الزبير بن بكار

"ت ٢٥٦هـ"

تحقيق

الدكتور سامي مكي العاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمدٍ بدر التمام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام.

أمّا بعد:

فهذه أخبار موفّقات للسِيَر الذي يتأمّل بها فيفهمُ معانيها، ويتأدّبُ على حُسن أظرافها، وهي مجموعة من لطائف وأخبار وأشعار ونكتات من كلام الزبير بأسانيدها ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فقد ورد عن الزبير قال:

● ١ ـ حدثني علي بن محمد بن عبد الله بن محمد، عن أبي الحسن عن سالم بن زياد، عن معن بن زائدة[١]: (٢ و /) [كنا في مجلس ننتظر الإذنَ فيه على المنصور، فتذاكرنا الحجّاج فمنّا مَنْ حمده، ومنّا مَنْ ذمّه، فكان ممن حمده معن بن زائدة][٢] وممّن ذمَّه الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ[٣] ـ عليهم السلام ـ وأذنَ لنا فدخلنا على أبي جعفر، فابتدأ الحسن بن زيد فقال:

يا أمير المؤمنين، ما كنتُ أحسبُني أبقى حتى يُذكر الحجّاجُ في دارك وعلى بساطك، فيُثنى عليه.

فقال أبو جعفر: وما تُنكرُ[٤] من ذلك؟ رجلٌ استكفاه

---

(١) الخبر في الطبري ٨/٦٩، وإسناده فيه: وذكر عن أحمد بن يوسف بن القاسم قال: سمعت إبراهيم بن صالح يقول:

(٢) ما بين الحاصرتين تكملة من الطبري يقتضيها السياق.

(٣) هو أبو محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٤) في الطبري: وما استنكرت.

قومُه[1] فكفاهم. والله لَوددتُ أني وجدت مثل الحجّاج حتى استكفيهِ امري، وأنزله الحرمين حتى يأتيني أجلي[2].

قال: فقال له معن (٢ ظ /) بن زائدة[3]:

يا أمير المؤمنين، إنّ لك مثل الحجّاج عدداً من أصحابك. لو استكفيتَهم كفَوْك. قال: ومَنْ هم؟ كأنك تريدُ نفسك؟

قال: وإنْ أردتُها فمه؟

قال: كلاّ لستَ هناك. إنّ الحجّاج ائتمنه القومُ فأدّى إليهم الأمانةَ، وائتمناك فخُنتنا.

● ٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن محمد بن عبد الله قال:

قدِمَ على مزْيد[4] مخنّثٌ من مكة، فقال له: بأبي وأمّي، دلّني على بعض مخنّثي المدينة أتخنّث معه.

فأتى به دار خُثَيْم[5]، وهو شُرط المدينة.

قال: دونكَ صاحبَ هذه الدار. فدخل وخُثَيْم يُصلّي. فقام في وجهه. فقال له خُثيمٌ: سبحان الله. فقال: سبّحت بأمّ الزّنا في جامعة، قملة انصرفي. الجامعة: القيد؛ والقمل: أنْ يطول حبسُه فيقمل قدّه؛حتى أتحدث معك ساعة،فلما أطال خثيم، قال: تتنسكين زيادة[6]، فانصرف (٢ / ظ) من صَلاته، فأمر به فجُلد مائة جلدة. وقال: ما

---

(١) في الطبري: قوم.

(٢) في الطبري: وأنزله أحد الحرمين.

(٣) هو معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيباني، أحد فرسان العرب، ومن أشهر أجوادهم، أدرك العصرين الأموي والعباسي، وكان في آخر أيامه من خواص المنصور. قتل في سجستان إذ كان والياً عليها سنة اثنتين أو ثمان وخمسين ومائة. (تاريخ بغداد ١٧٢٧ والشذرات ١/ ٢٣١).

(٤) يظهر من الحادثة أنه مزيد المديني، من مشهوري أصحاب النوادر والفكاهة، ويقع التحريف في اسمه كثيراً. فيقال: مزبد بالباء أيضاً.
انظر المشتبه للذهبي ٤٧٥ والحيوان ٥/ ١٨٤ ومعجم الأدباء ٦/ ٧٠.

(٥) انظر ميزان الاعتدال ١/ ٦٥٠ حيث أورد أكثر من شخص بهذا الاسم.

(٦) كذا في المخطوطة. وفي هذه العبارة اضطراب لم أستطع الاهتداء إلى صوابه.

شأنك؟ فأخبره الخبرَ، ووصف له مَنْ دلّه. فعرف أنه مِزْيَد، فطلبه فلم يقدر عليه.

● ٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني قال[١]:

كان المغيرة بن عبد الله بن أبي عَقيل[٢] عاملاً للحجّاج على الكوفة، وكان يُلقَّب (أبا صفية) ويغضبُ منها، فاستعدَت امرأةٌ على زوجها، فأتاه صاحب الدعوى عند المساء[٣].

قال: نعم أغدو معك[٤]. فبات الرجل يقول لامرأته:

لو قد أتيتُ الأميرَ لقلتُ: يا أبا صفيّة، إنها تفعل كذا وكذا، فيأمر بكِ مَن يوجعكِ ضرباً. وجعل يكرّر عليها: يا أبا صفيّة. فحفظت المرأة الكنيّةَ، وظنّت أنها كنية الأمير. فلما تقدّمت إليه قالت: أصلحكَ الله يا أبا صفيّة.

فقال: أبو عبد الله [عافاكِ الله][٥] فأعادت عليه. فقال: أبو عبد الله.

قال: فأعادت. فقال لزوجها: خذ بيدها فإني أظنُّها ظالمة[٦].

● ٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني قال: قال سَلَمٌ بن زياد[٧] لطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعيّ[٨]:

---

(١) الحادثة في المحاسن والمساوىء للبيهقي ص ٥٩٧ برواية أبي عبّاد الكاتب.

(٢) هو المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، استخلفه الحجاج على الكوفة سنة ٧٧، وشارك في حرب خوارزم. واستعمله قتيبة على نيسابور. (انظر الطبري ٦/٣١٩ و ٤٨٠).

(٣) في المحاسن والمساوىء: فأعلمه.

(٤) في المحاسن: معها.

(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن والمساوىء.

(٦) في المحاسن: وحكم للزوج عليها.

(٧) في الأصل: سالم. وسلم هذا ابن زياد بن أبي سفيان، وكان أجود بني زياد، ولاه يزيد خراسان وسجستان سنة ٦١ وفيه يقول الشاعر ابن عرّادة:

عتبت على سلم فلما هجرته وخالطت أقواماً بكيت على سلم

ومات بالبصرة. قيل لم يحب أهل خراسان أميراً قطّ حبهم سلم بن زياد. (المعارف ٣٤٨ والطبري ٥/٤٧١).

(٨) يلقب طلحة الطلحات لجوده، قيل إنه وهب في عام واحد ألف جارية فكانت كل جارية إذا ولدت=

أريد أنْ أصِلَ رجلاً له حقٌّ عليَّ وصحبة بألف ألف درهم، فما ترى؟

قال: أرى أنْ تجعل هذه العشرة[1]. قال: فأصِله بخمس مائة ألف. قال: كثيرٌ.

فلم يزل به حتى وقف على مائة ألف. قال: أفترى مائة ألف يُقضى بها ذمامُ رجلٍ له انقطاعٌ (٣ / ظ) وصحبةٌ ومودّةٌ وحقٌّ واجبٌ؟

قال: نعم [قال:][2] هي لك وما أردتُ غيرَك.

قال: أقلني. قال: لا أفعل والله.

● ٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مصعب بن عبد الله عن جدّي عبد الله بن مصعب قال[3]:

هوى محمد بن عيسى الجعدي[4] بصيص[5] جارية نَفيس، صاحب قصر نفيس بالمدينة[6].

فبلغه عنها شيءٌ أنكره، فغاب عنها زماناً، ثم أتاها فقال لها: تغنّين:

وكنتُ أحبّكم فسلوتُ عنكم   عليكم في دياركم السلامُ

فقالت: نعم. وأغنّي:

= سمّت مولودها طلحة، على اسم سيّدها. (المعارف ٢٢٨ وخزانة الأدب ٣/ ٣٩٤).

(١) هكذا وردت في المخطوطة.

(٢) ما بين الحاصرتين تكملة للسياق.

(٣) وردت هذه الحادثة مختصرة في الأغاني ١٣/ ١١٨ وبرواية الزبير عن عمه أيضاً.

(٤) في الأغاني: الجعفري مكان الجعدي.

(٥) بصيص: جارية مولدة من مولدات المدينة، حسنة الغناء، وكان يحيى بن نفيس مولاها. قيل: إن المهدي اشتراها وهو ولي العهد فولدت له علية بنت المهدي، وفي ذلك خلاف. (انظر ترجمتها في الأغاني ١٣/ ١١٤).

(٦) قصر نفيس: على ميلين من المدينة ينسب إلى نفيس بن محمد، رجل من موالي الأنصار. وقيل منسوب إلى محمد بن زيد بن عبيد بن معلى بن لوذان من حلفاء بني زريق بن عبد بن حارثة بن الخزرج، وهو بحرّة وأقم بالمدينة. (المغانم المطابة في معالم طابة ٣٤٦).

تحمّلَ أهلها عنها فبانوا ... على آثار من ذهب العِفاء[1]

قال: فازداد بها شغفاً وكلَفًا، وأقام مليّاً يديمُ النظر إليها. ثم قال: تغنين.

وأخضع للعتبى إذا كنت ظالماً ... وإن ظلمت كنت الذي أتنصل[2]

قال: نعم، وأغنّي:

فإن تقبلوا نقبل عليكم بودنا ... ونُنزلكم منا برحب المنازل[3]

قال: فتقاطعا في بيتين، وتواصلا في بيتين. ولم يفطن من القوم غيري.

● ٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني قال: قال بسيل التُرجمان[4]:

كنت مع الرشيد في بلاد الروم، فلما افتتح أنقرة فإذا بحجَر عظيم منصوب على باب الحُصن فيه كتاب باليونانية، وهي الروميّة القديمة، وكان ذو القرنين[5] من ولد يونن بن يونان. فجعلتُ أقرأه (٤ و /) وأنقله إلى العربية، والرشيد ينظرُ فإذا فيه:

بسم الله الملِك الحقّ المبين. يا ابن آدم غافِصْ[6] الفرصة عند إمكانها، وكِلْ الأمور إلى واليها، ولا يحملنّك إفراط السرور على مأتم، ولا تحملنّ على نفسك همَّ يوم لم يأتك، فإنه إن يكن من أجلِك يأت الله فيه برزقك.

لا تكن أسوأ المغرورين في جمع المال، فكم قد رأينا من جامع جمع مالاً لبعل

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٥٨.
العفاء: بالكسر بمعنى الهلاك.

(٢) في الأغاني:
... بالعتبىٰ إذا كنت مذنباً ... وإن أذنبت ...
العتبى: اللوم.

(٣) روايته في الأغاني:
فإن تقبلوا بالود نقبل بمثله ... وننزلكم منّا بأقرب منزل

(٤) هو بسيل الرومي الترجمان، انظر الطبري ٩/ ٦٩ و ٧٠.

(٥) ذو القرنين: لقب أطلق على كثيرين كالاسكندر المقدوني وأفريدون بن يافث وغيرهما.

(٦) غافص: فاجىء، وخذ على غرة.

حَليلته، على أنّ تقتير المرء على نفسه توفيرٌ منه على خِزانة غيره.

ينبغي لحكماء اليونانية أن ينظروا في هذا الكتاب كلَّ يوم.

قال: فنظرتُ فإذا تأريخه أكثر من ألفي سنة.

● ٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إسحق بن إبراهيم قال[١]: كنت عند المأمون بدمشق، وكان قد قلّ المالُ عنده حتى ضاق، وشكا ذاك إلى أبي إسحق المعتصم. فقال له: يا أمير المؤمنين، كأنّك بالمال وقد وافاك بعد جُمعة. قال: وكان قد حَمل إليه ثلاثين ألف ألف درهم[٢] من خراج ما كان يتولاّه أبو إسحق له.

فلما ورد عليه ذلك المال، قال المأمون ليحيى بن أكثم[٣]: أخرجْ بنا ننظر هذا المال.

فخرجا حتى أصحرا ووقفا ينظران إليه، وكان قد هُـيّيء بأحسن هيئة، وحُـلّـيَت أباعره، وألبست الاحلاس[٤] الموشاة، والجِلال المصبوغة، وقُلّدت العِهَن[٥]، وجُعلت البدور من الحرير الأحمر والأخضر والأصفر[٦]، وأُبديت رؤوسُها.

قال: فنظر المأمون (٤ ظ /) إلى شيء حسَن، واستكثر ذلك المالَ، وعظُم في عينه، واستشرفه الناسُ ينظرون إليه، ويعجبون منه.

قال: فقال المأمون ليحيى:

---

(١) وردت هذه الحادثة في الطبري ٨/ ٦٥٢ برواية العيشي صاحب إسحق بن إبراهيم.

(٢) سقطت كلمة درهم، من الطبري.

(٣) هو يحيى بن أكثم بن قطن التميمي المروزي، القاضي المعروف، ولد بمرو واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، تولى القضاء في البصرة سنة ٢٠٢، وتوفي بالمدينة سنة ٢٤٠. (أخبار القضاة ٢/ ١٦٠ وشذرات الذهب ٢/ ١٠١).

(٤) الإحلاس: واحدها حلس (بالكسر) وهو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج.

(٥) العهن: القطن المصبوغ الواناً.

(٦) في الطبري: البدر بالحرير الصيني.
والبدور والبدر: واحدها بدرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

يا أبا محمد، ينصرفُ أصحابنا هؤلاء الذين تراهم إلى منازلهم خائبين[١]، وننصرف نحن بهذه الأموال قد ملكناها دونهم! إنّا إذا لَلئامٌ. ثم دعا محمد بن يزداد[٢] فقال:

وقع لفلان بألف ألف، ولفلان بمثلها، ولفلان بثلاثمائة ألف، ولفلان بمثلها[٣].

قال: فوالله إنْ زال كذلك حتى فرّق أربعة وعشرين ألف ألف درهم، ورجلُه في ركابه[٤].

ثم [قال][٥]: ادفع الباقي إلى المعلّى لعطاء جندنا[٦] قال: فقال العيشي: فجئت حتى قمت نصب عينيه فلم أردَّ طرفي عنه[٧]، فجعل لا يلحظني إلا رآني بتلك الحال.

فقال: يا أبا محمد، وقع لهذا بخمسين ألف درهم من الستة الآلاف ألف درهم [لا يختلس ناظري][٨].

قال: فلم يأتِ عليّ ليلتان حتى أخذت المال.

● ٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إسحق بن إبراهيم قال:

لما سار المأمون إلى دمشق ذكروا له أبا مِسهر الدمشقيّ[٩] ووصفوه بالعلم والفقه، فوجّه مَنْ جاء به فقال:

---

(١) في الطبري: الذين تراهم الساعة خائبين إلى منازلهم.

(٢) هو محمد بن يزداد بن سويد المروزي من كتاب الإنشاء في الدولة العباسية، استوزره المأمون، وتوفي المأمون وهو على وزارته، وله شعر جيد. (الاعلام ٨/ ١٤ ط ٢).

(٣) في الطبري: لآل فلان . . ولآل فلان بمثلها ولآل فلان بمثلها. ولآل فلان بمثلها.

(٤) في الطبري: ورجله في الركاب.

(٥) تكملة من الطبري.

(٦) في الطبري: يعطي جندنا.

(٧) في الطبري: طرفي عنها.

(٨) ما بين الحاصرتين تكملة من الطبري.

(٩) أبو مسهر هذا هو عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى المأمون فامتحنه في خلق القرآن ثم حبسه حتى مات سنة ٢١٨. وكان علامة بالمغازي والأثر، كثير العلم، رفيع الذكر. (تاريخ بغداد ٥٧٥٠ وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٦ وشذرات الذهب ٢/ ٤٤).

ما تقول في القرآن؟ قال: كما قال الله عز وجلّ: ﴿وإنْ أَحَدٌ منَ المُشرِكينَ استجاركَ فأجِرْهُ حتى يَسمَعَ كلامَ الله﴾[1].

قال: أمخلوق، أم غير مخلوق؟

قال: ما يقول أميرُ المؤمنين؟

قال: يقولُ أمير المؤمنين: إنّه مخلوق[2].

قال: بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو (٥ و /) عن الصحابة أو عن التابعين، أو عن أحد من الفقهاء؟

قال: بالنظر. واحتجّ عليه.

قال: يا أمير المؤمنين، نحن مع الجمهور الأعظم، أقولُ بقولهم والقرآن كلام الله غير مخلوق.

قال: يا شيخ، أخبرني عن النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ أكان يُشهد إذا تزوّج؟

قال: لا أدري.

قال: اخرجْ، قبّحكَ الله، وقبّحَ مَنْ قلّدك دينه وجعلك قدوةً.

● ٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن جعفر الأنماطي، وكان أحد الفقهاء العشرة قال[3]:

تغدّينا في يوم عيدٍ مع المأمون. فأظنُّه[4] قد وضع على المائدة بين يديه أكثر من ثلاثمائة لونٍ.

---

(١) سورة التوبة آية ٦.

(٢) ذكر الطبري في سنة ٢١٨ وهي سنة فتنة ومناظرات خلق القرآن: رسالة المأمون إلى إسحق بن إبراهيم. ومنها:
وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، فجمجم عنها ولجلج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف. فأقرّ ذميماً، فأنصصه عن إقراره، فإن كان مقيماً عليه فأشهر ذلك، وأظهره إن شاء الله.

(٣) النص في عصر المأمون ١/ ٣٦٠.

(٤) في المصدر السابق: فتغدينا يوماً عنده فظننته.

قال: فكلّما وُضعَ لون، نظر إليه المأمون وقال: هذا نافع [لكذا][1] ضار من كذا[2]. فمن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا، ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرضْ لهذا. ومن أحبّ الزيادة في لحمه فليأكل من هذا، ومن قصده[3] قِلّةُ الغِذاء فليقتصرْ على هذا.

قال: فوالله إن تلك[4] حاله في كلّ لون يقدَّمُ، حتى رُفعت الموائد.

قال: فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين، إن خُضنا في الطب كنت جالينوس[5] في معرفته، أو في النجوم كنت هِرمِس[6] في حسابه، أو في الفقه كنت عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في عِلمه، أو في السخاء[7] فأنت حاتِم[8] طيء في جوده، أو صِدق الحديث فأنت أبو ذر في [صدق][9] لهجته[10]. أو الكرم، فأنت كعب بن مامة في إيثاره[11] على نفسه.

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من عصر المأمون.

(٢) في المصدر السابق: هذا يصلح لكذا، وهذا نافع لكذا، فمن كان منكم صاحب بلغم ورطوبة فليتجنب هذا. ومن كان صاحب صفراء.

(٣) في المصدر السابق: ومن كان قصده.

(٤) في المصدر نفسه: إن زالت تلك حاله.

(٥) كان جالينوس إمام الأطباء في عصره، وكان بعد المسيح بنحو مائتي عام، وبعد بقراط بنحو ستمائة سنة. وكان يفد إلى روما كثيراً لمعالجة ملكها المجذوم. وكان يغزو مع الملوك لتدبير الجرحى. (الفهرست والبيان والتبيين ٣/ ٢٧).

(٦) في الأصل: هرمسا. وهرمس هو هرمز المعروف بعلم التنجيم وكان يقال: أكفر من هرمز. (البيان والتبيين ٤/ ١٤).

(٧) في عصر المأمون: أو ذكرنا السخاء.

(٨) في المصدر السابق: فأنت فوق حاتم.

(٩) ما بين الحاصرتين تكملة من عصر المأمون.

(١٠) في المصدر السابق: أو ذكرنا صدق الحديث كنت أبا ذر . . . وأبو ذر هو الصحابي الجليل جندب بن جنادة الغفاري، المعروف بصدق لهجته. قال فيه رسول الله ﷺ: ما أقلّت الغبراء ولا أظلّت الخضراء، أصدق لهجة من أبي ذر. (الاستيعاب ٤/ ٦٢ والإصابة ٤/ ٦٣).

(١١) جاهلي تضرب به العرب المثل في حسن الجوار والإيثار، وقصته مشهورة في هذا الشأن. (انظر الميداني ١/ ١٧٠ والمضاف والمنسوب ١٠٠).

قال: فسُرَّ بذلك المأمون، وقال: يا أبا محمد، إن الإنسان إنما فُضِّل على غيره من الهوام بفعله وعقله وتمييزه، ولولا ذلك لم يكن لحمٌ أطيب من لحم ولا دمٌ أطيب من دم.

● ١٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله[١]: كان المأمون قد همّ بلعن معاوية بن أبي سفيان. قال: ففثأه[٢] عن ذلك يحيى بن أكثم. قال: يا أمير المؤمنين، إنّ العامة لا تحتمل هذا، وسيّما[٣] أهل خراسان، ولا تأمن أن تكون لهم نفرة، وإذا كانت لم تدر ما عاقبتها[٤]، والرأي أن تدع الناس على ما هم عليه، ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفِرق، فإن ذلك أصلحُ في السياسة، وأحرى في التدبير. قال: فركنَ المأمون إلى قوله، فلما دخل عليه ثمامة[٥] قال:

يا ثُمامة، قد علمت ما كنّا دبّرناه في معاوية، وقد عارضَنا رأيٌ أصلح في تدبير المملكة، وأبقى ذكراً في العامّة.

ثم أخبره أن يحيى بن أكثم خوّفه إياها، وأخبره بنفورها عن هذا الرأي، فقال ثمامة:

يا أمير المؤمنين، والعامة في هذا الموضع الذي وضعها يحيى، والله لو وجّهت إنساناً على عاتقه سوادٌ لساق[٦] إليك بعصاه عشرة آلاف منها.

والله يا أمير المؤمنين ما رضي الله ـ جل ثناؤه ـ أنْ سوّاها بالأنعام حتى جعلهم أضلّ[٧] منها سبيلاً[٨].

---

(١) النص في المحاسن والمساوىء ١٤١. برواية ثمامة صاحب الكلام.
(٢) فثأه: كفه.
(٣) في المحاسن والمساوىء: ولا سيما.
(٤) في المحاسن والمساوىء: نفرة ونبوة لا تستقال، ولا يدري ما تكون عاقبتها.
(٥) هو ثمامة بن أشرس النميري، زعيم القدرية في عصر المأمون. (انظر الفرق بين الفرق ١٥٧).
(٦) في المحاسن والمساوىء: ومعه عصا لساق إليك بعصاه.
(٧) في النص: منه.
(٨) في المحاسن والمساوىء: حتى أضلّ سبيلاً. فقال تعالى: أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون. إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

والله يا أمير المؤمنين، لقد مررت منذ أيام في شارع الخُلد[١] وأنا أريدُ الدار، فإذا إنسان (٦ و /) قد بسط كساءه وألقى عليه أدوية، وهو قائم ينادي عليها[٢]:

هـذا الـدواء لبياض العيـن والغشـاوة[٣] وضعـف البصـر. وإنّ إحـدى عينيـه لمَطموسة، والأخرى لموشِكة[٤].

والناسُ قد انثالوا عليه، وأجفلوا إليه يستوصفونه فنزلتُ عن دابتي، ودخلتُ في غمار تلك الجماعة فقلتُ: يا هذا، عيناك أحوج[٥] من هذه الأعين[٦] إلى العلاج، وأنت تصفُ هذا الدواء، وتخبرُ أنه شفاء لوجع الأعين، فلِمَ لا تستعمله[٧]؟

فقال: أنا في هذا الموضع منذ عشرين[٨] سنة، ما مرَّ بي شيخٌ أجهل منك. قلت: وكيف ذاك[٩]؟

قال: يا جاهل، أتدري أين اشتكت عيني؟

قلت: لا.

قال: بمصرَ. قال: فأقبلت عليّ الجماعة فقالوا: صدق الرجل، أنت جاهل، وهمّوا بي. فقلتُ: لا والله ما علمت أن عينه اشتكت بمصر.

قال: فما تخلّصتُ منهم إلاّ بهذه الحُجّة. قال: فضحك المأمون وقال: ماذا لقيت العامّة منك؟

قلتُ: الذي لقيتُ من الله من سوء الثناء وقبح الذكر أكثر. قال: أجل.

---

(١) شارع الخلد: في بغداد بالجانب الغربي. بنى فيه المنصور قصراً بهذا الاسم. (ياقوت).

(٢) القصة في مروج الذهب ٥/ ٨١.

(٣) في المحاسن والمساوىء: والعشا والغشاوة والظلمة وضعف البصر.

(٤) في المصدر السابق: والأخرى مؤلمة.

(٥) في المصدر السابق: أرى عينك أحوج الأعين.

(٦) في المصدر نفسه: العين.

(٧) في المصدر نفسه: فما بالك يا هذا لا تستعمل.

(٨) في المصدر نفسه: عشر سنين.

(٩) في المصدر نفسه: ما رأيت شيخاً قط أجهل منك ولا أحمق.

● ١١ ـ حدّثني الزبير قال[١]: حدّثني بعض أصحابنا عن الهيثم بن عديّ عن السريّ بنْ إسماعيل عن الشعبيّ قال:

قال لي شُريح القاضي[٢] ما غلبني في الجواب أحدٌ قطّ كرجل أتاني يوماً في مجلس القضاء حين صلّيتُ الغداةَ ومعه خصمٌ له. وعلى الفتى جُمّة[٣] له كأنها قتَادة[٤] قدر رطلها، فتكاد تقطر، فلما رأيت ذلك غاظني فقلت له: أما كان لك همّةٌ منذُ أصبحتَ (٦ ظ /) إلاّ شَعرُك هذا ترطله[٥]؟ فقال لي الفتى: ليس لهذا جلسنا بين يديك. إنما جلسنا نتخاصمُ إليك. فأمّا أنْ تكون محتسِباً على الشَّعر فلا، فأغضبني.

فقلت له: أراكَ معجَباً بنفسك؟

قال: أنا إذا زهدتُ في نفسي، فمَن يُعجب فيها؟

قال شريح: فقلت له: أراك تكثر الكلام!

فقال الفتى: فمَنْ يعبّر حجّتي إذا لم أتكلّم؟

قال شريح: قلت له: إني أراك ظالماً.

قال الفتى: ليس على ظنّك تقضي بيننا، إنما ينبغي أن تقضي بالحقّ الواضح، وتدَع الظنّ.

قال شريح: فأقبلتُ عليه أمازحه بعد هذا الكلام فقلت له: أيسرّك أنك في مجلسي هذا على القضاء؟

فقال: أمّا وأنا آخذُ عليه الكراء مثلك فلا، ولكنْ محتسباً للمسلمين.

---

(١) النص في تحفة العروس ١٠٧ نقلاً عن الموفقيات.

(٢) هو القاضي شريح بن الحارث الكندي، ولي قضاء الكوفة لعمر رضي الله عنه وعثمان ثم علي، وولاّه زياد قضاء البصرة، توفي سنة ٧٨ بعد أن بلغ مائة وعشرين عاماً. (أخبار القضاة ٢/ ١٨٩ وصفة الصفوة ٣/ ٢٠).

(٣) الجمة: بالضم، مجتمع شعر الرأس.

(٤) القتادة: شجرة صلبة لها شوكة.

(٥) رطل: ترطيل الشعر تليينه بالدهن وتكسيره وإرخاؤه وإرساله.

قال شريح: فأخجلني والله، فقلت له[1]: أغربيٌ أنت مزوّجها؟

فقال: أطلب.

قال: من مظانه، يعني من قبيل النساء.

قال شريح: فتركتُ مجلسي ذلك وقمتُ، حتى انتهيت إلى باب دارهم، فناديتُ فخرجتْ إليّ الجارية فكلّمتني من وراء الباب فقالت: من أنتَ؟

قلتُ: أنا شريح.

فقالت: القاضي؟

قلتُ: نعم.

قالت: حيّاك الله يا أبا أميّة، حاجتُك؟

قلتُ: أردتُ فلانةَ ـ أعني أمّها ـ.

قالت: هي غائبة، وأنا خليفتها في المنزل.

قلتُ: أتيتُها خاطباً فلانة ابنتَها، فاستحيّتْ مني وتسترّت مني. فبعثتُ إلى أمّها وأهلها فجمعتُهم وتزوّجتُها، وبعثتُ المال، ونقدتُهم من ساعتي.

وقلت لهم: أقسمتُ عليكم إنْ باتت إلاّ عندي.

فقالوا: (٧ و/) اللهمّ اغفر، أنصنعها لك؟

قلتُ: حسبي ما رأيتُ فهيّؤها ثم زَفّوها إليّ من ليلتهم، فأقبلت تهديها النساء، فلما وقفتْ بباب الحجرة سلّمتْ فاستجفىٰ ذلك النساء منها.

ثم دخلتْ البيتَ فقمتُ إليها، فقلت: أيتها المرأة، إنّ السُّنّة[2] إذا دخلت المرأة على زوجها قام فصلّى وتصلّي خلفه، ويسألان الله خيرَ ليلتهما، ويتعوّذان بالله من شرّها.

---

(١) قصة زواج شريح في الأغاني ١٦/٣٧ برواية الشعبي واسم المرأة زينب بنت حدير التميمية. هكذا في الأصل.

(٢) في الأغاني والتحفة: إن من السنة.

قال: فتقدمتُ للصلاة[1]، فإذا هي خلفي، فصلّيتُ، فلما انفلتُّ[2] إذا هي قاعدة على فراشها، فأخذتُ بناصيتها فدعوت وبركت، ثم مددتُ يدي فقالت: على رِسْلِك. فقلت: [إحدى الدواهي مُنيت بها][3] والله. فقالت: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأؤمنُ به وأتوكّل عليه، وصلى الله على محمد، أمّا بعد:

فإني امرأة غريبة، لا والله، ما سرتُ مسيراً قطُّ هو أشقُّ عليّ من مَسيري إليكَ، وأنت رجل لا أعرف أخلاقك، فحدِّثني بما تحبُّ فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه. أقول قولي هذا وأستغفر الله.

قال: فقلت: الحمد لله، وصلى الله على محمد، أمّا بعدُ: فقدمتِ خيرَ مقدم على أهل زوجكِ، سيّد رجالهم، وأنتِ ـ إن شاء الله ـ سيّدةُ نسائهم. أحبُّ كذا، وأكره كذا.

قالت: فأخبرني عن أختانك[4]. أتحبُّ أن يزوروك؟

فقلت: إني رجل قاضٍ، وأكره أنْ يملّوني.

قال: فبتُّ بأعيش ليلةٍ، ثم أقمتُ عندها ثلاثاً، ثم خرجت إلى مجلس القضاء، فلبثت فيه حَولاً لا أرى فيه يوماً إلاّ وهو أحبُّ إليّ من الذي قبله، فلما كان عند (٧ ظ /) رأس السنة[5] انصرفتُ من مجلس القضاء إلى منزلي، فإذا عجوزٌ تأمر وتنهى، فقالت: كيف أنت يا أبا أميّة؟ قلت: يا زينب مَنْ هذه؟

قالت: ختنتك فلانةٌ، تعني أمّها[6].

قلت: حيّاك الله بالسلام، كيف أنت يرحمك الله؟

قالت: كيف رأيت صاحبتكَ؟

---

(١) في الأصل: الصلاة. وفي الأغاني: فقمت أصلي.

(٢) في الأغاني: التفت. وفي التحفة: انفتلت.

(٣) في الأصل: أحدثهن. ويظهر أنها تحريف إحداهن. وما بين الحاصرتين من الأغاني أتم للمعنى.

(٤) الختن: بالتحريك الصهر، أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ.

(٥) في الأغاني: رأس الحول.

(٦) في الأغاني: قالت أمي فلانة.

قلت: كخير امرأةٍ[١].

قالت: إنَّ المرأة لا تكون في حالٍ أسوأ خُلقاً منها في حالين:

إذا حَظيت عند زوجها، وإذا ولَدت غلاماً. فإذا رابكَ من أهلك شيءٌ فالسوْط[٢]، فإنّ الرجال ـ والله ـ ما حازت إلى بيوتها شيئاً شرّاً من الورهاء الحمقاء المدلّلة[٣].

قلت: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتنا الرياضة، وأحسنتِ الأدب.

قال: وكانت تأتي في كل سنة توصيني بهذه الوصيّة ثم تنصرف[٤]. فذلك حيث أقولُ[٥]:

إذا زينبت زارها أهلها حشدتُ وأكرمت زوّارها
وإنْ هي زارتهمُ زرتُها وإن لم يكن لي هويٌ دارها[٦]

قال: فأقامت عندي عشرين سنة، فما غضبتُ عليها يوماً، ولا ليلةً إلاّ يوماً كنتُ لها ظالماً، كنت إمام قومي، فصلّيتُ ركعتي الفجر فأبصرت عقرباً في المسجد الذي ركعتُ فيه، وأقام المؤذن فعجلت عن قتلها، فأكفأت عليها إناءً[٧]، فلما كنتُ عند الباب قلتُ: يا زينب، إيّاكِ والإناء حتى أرجعَ[٨].

فعجلتْ فحرّكته، فجئت وقد ضربتها العقربُ، فلو رأيتَني وأنا أمرسُ أصبعها[٩]، وأقرأ عليها فاتحة الكتاب والمعوّذتين.

---

(١) في الأصل: كالخير.
(٢) في الأغاني: فإن رابك منها ريب فالسوط.
(٣) في الأغاني: من الورهاء المتدللة. والورهاء: الحمقاء.
(٤) في الأغاني: قال فكانت في كل حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف.
(٥) البيتان في الأغاني ١٦/ ٢١٤.
(٦) في التحفة: أرى دارها.
(٧) في الأغاني: الإناء.
(٨) في الأغاني: يا زينب لا تحركي الإناء حتى أجيء.
(٩) في الأغاني: فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعرك أصبعها بالماء والملح.

وكان لي جار (٨ و /) من كِندة يقال له: ميسرة[١]، لا يزال يقرع امرأته، فذلك حين أقول:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم ... فشلَّت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جُرم أتت به ... إليّ فما عذري إذا كنت مذنبا
فتاة تزين الحليَ إنْ هي زُيّنت ... كأنّ بفيها المسكُ خالط محلبا[٢]
فلو كنتَ يا شعبيّ صادفتَ مثلها ... لعشتَ زماناً ناعم البال مُخصبا[٣]

وكانت أقامت معي يا شعبي[٤] عشرين سنة لم أغضب عليها، فأفسدت عليّ النساءَ، لم أتزوّج بعدها. ووددت يا شعبيّ أني تبعتها، فقد أبغضتُ العيش بعدها، فعليك يا شعبيّ بنساء بني تميم.

● ١٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عليٌ بن صالح عن عامر بن صالح: أنّ عبد الملك بن مروان جمع بنيه ذات يوم: الوليد وسليمان ومسلمة، فاستقرأهم، فقرؤا، واستشهدهم فأنشدوا لكل شاعر غير الأعشى. فقال لهم: قرأتم فأحسنتم، وأنشدتم فأحسنتم لكل شاعر غير الأعشى، فما لكم تهجرونه؟ فقد أخذ في كلّ فن فأحسن، وما امتدح رجلاً قطّ إلاّ جعله مذكوراً.

هذا عامر بن الطُفيل وعَلقمة بن علاثة[٥]، وهما من بيت واحد، هجا علقمة فأخمله وكان شريفاً مذكوراً، ومدح عامر بن الطفيل فرفعه[٦]. ثم قال عبد الملك:

---

(١) في الأغاني: وكان لي يا شعبي جار يقال له ميسرة بن عرير من الحي. ولم يسمه في تحفة العروس.

(٢) في الأغاني: إن هي حليّت.

(٣) البيت غير موجود في الأغاني.

(٤) شعبي: هو عامر بن عبد الله وقيل: شراحيل الشعبي الحميري نسبة إلى شعب بطن من همدان، ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً شاعراً توفي في سنة ١٠٣ بالكوفة. (صفة الصفوة ٣/ ٤٠ وتذكرة الحفاظ ١/ ٧٤).

(٥) شاعران جاهليان كانت بينهما منافرات في الجاهلية، ذكرها الأصفهاني مفصلة في الأغاني ١٥/ ١٢.

(٦) قال الأعشى في ذلك:

علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتر =

لينشدني كلٌّ رجل منكم أرقّ بيت قالته العرب، ولا يفحشُ ولا يستحينّ من إنشاد. هات يا وليد. فقال الوليد:

ما مركب وركوبُ الخيل يُعجبني كمركبٍ بين دملوجٍ وخلخال[1]

قال عبد الملك (٨ ظ /): وهل يكون في الشعر أرفث من هذا؟

هاتِ يا سليمان. فقال:

حبّذا رَجعُها إليها يديها في ذُرا درعها تحلُّ الإزارا

قال: لم تُصب. هات يا مسلمة.

قال مسلمة:

وما ذرفت عيناك إلاّ لتضربي بسهمَيْك في أعشار قلب مقتّل

قال: كدتَ ولم تُصب. إذا ذرفت عيناها بالوجد فما بقي إلاّ اللقاء. إنما ينبغي للعاشق أن يقتضي منها الجفاء ويكسوها المودة. أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام، على أنْ لا تسألوا عنه أحداً. فمن أتاني به فله حكمه.

فنهضوا وخرجوا عنه. فبينا سليمان في موكب له إذا هو بأعرابيّ يسوق إبلاً وهو يقول:

لو حزّ بالسيف رأسي في مودّتها لمال يهوي سريعاً نحوها راسي

فقال سليمان: عليّ بالأعرابي. فأُتي به، فوكّل به ثم انصرف إلى عبد الملك فدخل عليه. فقال عبد الملك: ما وراءك يا سليمان؟

= إن تسد الحوص فلم تعدهم وعامر ساد بني عامر
عهدي بها في الحي قد درعت صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم الثديّ على نحرها في مشرق ذي بهجة ناضر

والأعشى هذا شاعر من فحول الجاهلية اسمه أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل. (انظر ترجمته في المرزباني ٣٢٥ والأغاني ٨/٧٧).

(١) الدملوج: حلى يلبس في المعصم.

قال: قد أجبتُك إلى ما سألت عنه، وجئتك بالبيت.

قال: هاته. فأنشده، فقال له عبد الملك: أحسنتَ. أنّى لك هذا؟ فقصّ عليه خبر الأعرابي. فقال: حاجتك ولا تنسَ حظّ صاحبك؟

قال: حاجتي يا أمير المؤمنين إنّ عهد العهد ليس بمقرّب أجلاً. ولا تركه بمباعِد حتفاً، وقد عهد أمير المؤمنين إلى الوليد، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أنْ يعهد إليّ بعده فعل.

قال: نعم. فأقام (٩ و /) الحجّ للناس بمكة ووصله بمائة ألف درهم، فجعلها للأعرابيّ، وهي سنة إحدى وثمانين.

● ١٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني الحسن بن عبد الجبار قال:

بينما المأمون في بعض مغازيه يسير منفرداً عن أصحابه ومعه عُجيف بن عَنبسَة إذ طلع رجلٌ متخبّطٌ متكفّنٌ، فلما عاينه المأمون وقف. ثم التفت إلى عُجيف فقال: ويحكَ، أما ترى صاحب الكفن مقبلاً يريدني؟

فقال عُجيف: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين. فما كذب الرجل أن وقف على المأمون. فقال له المأمون:

يا صاحب الكفن مَنْ أنت؟ وإلى مَنْ قصدتَ؟

قال: إيّاك أردتُ. قال: وعرفتني؟ قال: لو لم أعرفك ما قصدتُك. قال: أفلا سَلّمتَ عليّ؟

قال: لا أرى السلام عليك.

قال: ولِمَ؟

قال: لإفسادك الغزاة علينا.

قال عُجيف: وأنا الّيّن مَتن سيفي لئلا يبطىء ضرب رقبته. إذ التفتَ المأمون فقال: يا عُجيف إني جائع ولا رأي للجائع، فخذه إليك حتى أتغدّى وأدعو به.

فتناوله عُجيف، فوضعه بين يديه، فلما صار المأمون إلى رَحلِه دعا بالطعام،

فلما وضِعَ بين يديه، أمر برفعه وقال: والله ما أسيغه حتى أناظر خصمي. يا عُجيف عليّ بصاحب الكفَن.

قال: فلما جلس بين يديه قال: هيه يا صاحب الكفن، ماذا قلتَ؟

قال: قلتُ لا أرى السلام عليك لإفسادك الغزاة علينا.

قال: بماذا أفسدتها؟

قال: بإطلاقك الخمر يُباع في عسكرك، وقد حرّمها الله، فابدأ بعسكرك (٩ ظ /) فنظفه، ثم اقصد الغزو. وبمَ استحللتَ أنْ تبيح شيئاً حرّمه الله كهيئة ما أحلّ الله؟

[قال:](١) أوَقد عرفتَ الخمر أنها تُباع ظاهراً ورأيتَها؟

قال: لو لم أرها وتصحّ عندي ما وقفتُ هذا الموقفَ.

قال: فشيء سوى الخمر أنكرتَه؟

قال: نعم. إظهارُك الجواري العمّاريات، وكشفهن الشعور منهنّ بين أيدينا كأنهنّ الأقمار.

يخرجُ الرجل منّا يريدُ أنْ يُهراق دمه في سبيل الله، ويعقر جواده، قاصداً أعداء الله، فإذا نظر إليهنّ أفسدن قلبه وركن إلى الدنيا، وانصاع إليها. فبمَ استحللتَ ذلك؟

قال المأمون: نعم. صدقتَ، قد فعلتُ ذاك، وسأُخبرك بالعذر فيه، فإنْ كان صواباً، وإلاّ رجعت إلى رأيك. فشيءٌ سوى هذا أنكرته؟

قال: نعم. شيءٌ آمرُ وأحثُّ عليه، خرج ناهيك ينهانا عنه.

قال: وما هو؟

قال: الأمر بالمعروف والنهيُّ عن المنكر. فبمَ استحللتَ أن تنهى عمّا أمر الله به؟

قال: أمّا الذي يدخل الأمرَ بالمعروف في المنكر، فإني أنهاه وقد نهيتُه، وأمّا

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة لتمام المعنى.

الذي يأمر بالمعروف بالمعرفة، فإني أحثّه على ذلك وأحدوه عليه.

فشيء سوى هذه الثلاث؟

قال: لا.

قال: يا صاحب الكفن، أمّا الخمرُ لعمري لقد حرّمها الله، ولكنْ لا تُعرفُ إلاّ بثلاث جوارحَ: بالنظر والشمّ والشرب. أفتشترينها أنت؟

قال: معاذ الله أن أنكر ما أشرب.

قال: فيمكن في وقتك هذا أن توقفنا على بيعها حتى نوجِّه معك مَنْ يشتري منها؟

قال: ومَنْ يظهرها ويبيعنيها، وعليّ هذا الكفن؟ (١٠ و /).

قال: صدقتَ.

قال: فكأنك إنما عرفتها بهاتين الجارحتين؟

يا عُجيف عليَّ بقوارير فيها شراب.

فانطلق عُجيف فأتاه بعشرين قارورة، فوضعها بين يديه مع عشرين وصيفاً.

ثم قال: يا صاحب الكفن، نُفيتُ من آبائي الراشدين المهديين إنْ لم يكن الخمر فيها. فأيّها الخمر؟ فإنك تعلم أنّ الخمر من سنن الله على عباده، ولا يجوز لي أنْ أحدَّ أحداً من الناس إلا بعلامة، أو شاهدي عدلٍ، أو إقرار.

فنظر صاحب الكفَن إلى القوارير. وقال عُجيف: أيّها الرجل - والله - لو كنتَ خمّاراً ما عرفتَ موضع الخمر بعينها من هذه القوارير.

فوضع نظره على قارورةٍ، فقال له: هذه الخمرُ.

فدعا المأمونُ بالقارورة، فأُتي بها، فذاقها فقطبَ، ثم التفتَ إليه فقال: يا صاحب الكفَن، انظر هذه الخمر.

قال: فتناول الرجل القارورة فذاقها، فإذا خلٌّ ذابح[1].

---

(١) هكذا في الأصل. ويظهر أنه أحمر اللون.

فقال: قد خرجتْ هذه من حدّ الخمر.

قال المأمون: صدقتَ. إن الخلَّ المصنوع من الخمر لا يكون خلاً حتى يكون خمراً أولاً. والله ما كانت هذه خمراً قطّ، وما هو إلاّ ماءُ رمّان حامض يُعصَر لي فأصطبح[1] به.

ساعته قد سقطت جارحتان وبقي الشمُّ. يا عُجيف صيِّرها في رصاصيّات واثتِ بها.

قال: ففعل. فعُرضت على صاحب الكفن، فشمّها، فوقع مشمُّه على قارورة مبختج[2]. فقال: هذه.

فأخذها المأمون فصبّها بين يديه. وقال: انظر إليها، قد عقدَتها النار كأنها طُلاء[3] الإبل يُقطع بالسكين.

وقد سقطت (١٠ ظ /) إحدى الثلاث التي أنكرتَ يا صاحب الكفن.

ثم رفع المأمون رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بنهيٍّ هذا ونظرائه عن الأمر بالمعروف في أعظم المنكر. شنّعت على قومٍ باعوا من هذا الخمر ومن هذا المبنختج التي شممتَ، فبمَ تسلم فيما بينك وبين الله؟ أستغفر الله ذنبك هذا العظيم، وتُب إليه.

ما الثاني الذي أنكرته؟

قال: الجواري.

قال: صدقت، أخرجتهنّ إبقاءً عليك وعلى المسلمين كراهة[4] أن يَراهُنَّ العدوّ والعيون والجواسيس في العماريات والقباب، والسجوف[5] عليهنّ، فيتوهم أنهنّ

---

(١) في الأصل: فأصطبغ.

(٢) في الأصل «يخته»، وهو من الأنبذة المثلثة، معرب «ميخته».

(٣) طلاء: من طلاء الدم، أي قشرته.

(٤) في الأصل: كراهت.

(٥) السجوف: واحدها السجف، وهو الستر.

بناتٌ وأخواتٌ فيجدوا في قتالنا، ويحرصوا على الطلبة على ما في أيدينا إلى أن يتبيّن لهم أنهنّ إماءٌ نَقي بهنّ حوافر دوابنا، لا قَدْرَ لهنّ عندنا.

هذا تدبيرٌ دبّرته لي وللمسلمين عامّة، ويعزُّ عليّ أن ترى لي حُرمة. فدَعْ فليس هو شأنك وقد صحّ عندك أني مصيبٌ في هذا، وأنك أنكرت باطلاً.

أيّ شيء الثالثة؟ ما التي أنكرتَ؟

قال: الأمر بالمعروف.

قال: هذا إنك قد أمرت بالمعروف فدخلتَ في عمل المنكر، فدَعْ دينك هذا، ونسألك عن مسألة، إنْ أجبتَ فيها عفونا عنك.

تُبصرُ الأمرَ بالمعروف؟

قال: نعم أبصره.

قال: رأيتك لو أنك أصبت فتاةً مع فتى في هذا الفجِّ، قد خضعا على حديثٍ لهما. ما كنتَ صانعاً لهما؟

قال: كنتُ أسألهما: مَنْ أنتما؟

قال: كُنتَ تسأل الرجلَ، فيقول: امرأتي، وتسأل المرأة فتقول: زوجي. ما كنتَ صانعاً بهما؟

قال: (١١ و /) كنتُ أحولُ بينهما وأحبسهما.

قال: حتى يكون ماذا؟

قال: حتى أسأل عنهما.

قال: ومَنْ تسأل؟

قال: كنت أسألهما من أين أنتما؟

قال: أحسنتَ، سألت الرجل من أين أنت؟ قال: من أسبيجاب[1] وسألتَ

---

(١) أسبيجاب: وأسفيجاب، اسم بلدة كبيرة من أعيان ما وراء النهر في حدود تركستان، ولها ولاية واسعة وقرى كالمدن كثيرة. (ياقوت).

المرأة قالت: من أسبيجاب، ابن عمي تزوّجنا وجئنا. أكنتَ حابساً الرجل والمرأة بسوء ظنّك الرديء وتوهمك الكاذب، إلى أن يرجع الرسول من أسبيجاب. مات الرسولُ، أو ماتا إلى أن يعود رسولك؟

قال: كنتُ أسأل في عسكرك.

قال: فلعلك لا تصادف في عسكري من أهل أسبيجاب إلاّ رجلاً أو رجلين، فيقولان لك: لا نعرف.

على هذا لبستَ الكفن يا صاحب الكفن؟ ما أحسبك إلاّ أحد رجالٍ: إمّا رجلٌ مديون، وإمّا رجلٌ مظلومٌ وإمّا رجل تأوّلتَ في حديث أبي سعيد الخُدري في خطبة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: وروى له الحديث عن هُشيم وغيره، ونحن نسمع الخطبة إلى مُغيربان الشمس، إلى أن بلغ إلى قوله: ألا إنّ أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطانٍ جائر[1].

فجعلتَني جائراً وأنت الجائرُ، وجعلت نفسك تقومُ مقامَ الآمر بالمعروف، وقد ركبت من المنكر ما هو أعظم عليك. لا والله لا ضربتُك سوطاً، ولا زدتُ على تخريق كفنك. ونُفيتُ من آبائي الراشدين المهديين لئن قام أحدٌ مقامك، لا يقوم فيه بالحجّة لا نقصته من ألف سوطٍ، وأمرتُ بصلبه في الموضع الذي يقوم فيه. قال: فنظرتُ إلى عُجيف يخرق كفن الرجل، ويُلقي عليه ثياباً بيضاً (١١ ظ /).

● ١٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

كنّا يوماً عند المأمون والشعراء عنده، والناسُ إذ ذاك يأتونه فيُكثرون، فأنشدوه وقام رجل بعدما فرغوا، مشوّه الخلْق، مخضوب اللحية فقال: والله ما قلتم ولا بلغتم الذي المأمون أهلُه، ولكنّي قلت:

مـــا بلـــغ المـــدَّاح مـــا فيـــك كلَّـــه ... ولا العشرَ من عُشر العشير المعشَّر

ثم التفت إلى إبراهيم الحاسب فقال له: يا إبراهيم احسب هذا، فانظر كم هو؟ ثم انغمس في الناس فذهب.

---

(١) الحديث في الجامع الصغير ٤٢.

● ١٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

لقي الفضلُ بن الربيع[١] طاهرَ بن الحسين[٢] فثنى عنانه معه، فقال له الفضل: يا أبا الطيّب، ما ثنيتُ عناني مع أحدٍ قطُّ إلاّ مع خليفة، ولي حاجة.

قال: وما هي؟

قال: تكلِّمُ أمير المؤمنين في الرضا عني، وتعجّل ذاك.

فمضى أبو الطيب من فوره ذاك، فكلّم أميرَ المؤمنين فيه، فأمره بإدخال الفضل عليه. وقال أبو الطيب: أدخلتُ الفضلَ على المأمون حاسراً لا سيفَ عليه ولا طيلسان ولا قُلنسوة.

فلما رآه المأمون وثب على فرشه، فصلّى ركعتين ثم التفتَ إليه قبل أن يسلّم عليه فقال: أتدري لِمَ صلّيتُ يا فضل؟

قال: لا يا أمير المؤمنين.

قال: شكراً لله إذ رزقني العفو عنك. قد كلّمني أبو الطيّب فيك، وقد عفوتُ عنك.

فقال الفضل: لي حاجةٌ يا أمير المؤمنين. قال: وما هي؟

قال: تجعلُ لي مرتبةً في الدار (١٢ و /) قال: عجلتَ يا فضل أخرجْ. فخرج.

● ١٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال[٣]:

قيل للمأمون: إنّ بني علي بن صالح[٤]، صاحب المصلّى مجّانٌ سفهاء، وقد

---

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس، حاجب الرشيد وابن حاجب المنصور، وهو الذي قام بأعباء خلافة الأمين ثم اختفى مدة بعد قتله. توفي في سنة ١٠٨. (شذرات الذهب ٢/ ٢٠).

(٢) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي الملقب بذي اليمينين. عرف بالشجاعة والحكمة والأدب. وكان ساعد المأمون الأيمن، وهو الذي قتل الأمين. (الطبري ٨/ ٥٩٣ وشذرات الذهب ٢/ ١٦).

(٣) النص في المحاسن والمساوىء ٥٥٤ برواية يحيى بن الحسن عن أبيه.

(٤) هو علي بن صالح الكاتب، ولاّه الأمين ديوان رسائله سنة ١٩٤. (انظر أخباره ورواياته في =

نقش كلٌّ واحدٍ منهم على خاتمه ما يدل على مَجانَة. فقال له المأمون: يا عليُّ أحضرني أولادك الأكابر والأصاغر فإني أريد أنْ أرتّبهم وأرشّحهم للأمر الذي يصلحون له.

فانصرف فأخبر بنيه بذلك، وأمرهم بالتهيّؤ للركوب إلى الدار. فاستعدّوا لذلك بأحسن هيئة وأتمّ أمرٍ، واستأذن لهم فدخلوا فسلّموا قياماً. وأمر المأمون بأخذ خواتيمهم.

فأُخذت جميعاً، فإذا في بعضها: أأس مكنسة اسه[١].

وعلى الآخر: أبي يغلب أبوكم بسيفه ورماحه[٢].

وعلى الآخر: تعِس الهَنُ وانتكس، دخل الهنَة واحتبس.

وعلى الآخر: (. . . . . .) من قيام يضعف الركبتين، فلا تستعمله في الصيف.

فقال المأمون: يا سفهاء، يا مُجّان، قبّحكم الله صغاراً وكباراً. تركتم الأدب، وطرحتموه وآثرتم المجون والسَّفه. هذا أبوكم أحدُ الفقهاء والعلماء، يُستضاء برأيه ويُحمَدُ هَديه[٣].

ثم أقبل على عليّ فقال: أمّا عليٌّ ذاك، فما الذنب إلاّ لك إذ أهملتهم في المجون، وتركوا ما كان أولى بك وبهم أنْ تأخذهم به. فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين، لا والله إنْ لي بهم قوّة ولا يد. سيّما هذا الأكبر[٤] فإنه الذي أفسدهم وهتّكهم، وزيّن لهم سوء أعمالهم، فصدّهم عن السبيل.

فأطرق الأكبر ما يتزمزم[٥]. (١٢ ظ /).

فقال له المأمون: تكلّمْ.

= الطبري ٨/ ٧٢ و ٢١٥ و ٣٨٧).

(١) هكذا كتبت في المخطوطة. وهذه العبارة وما يليها مما كتب على الخواتيم لا يوجد في المحاسن.

(٢) كذا في الأصل. والعبارة عامية.

(٣) في المحاسن: مذهبه.

(٤) في المحاسن: هذا الكبير فإنه باقعة.

(٥) في الأصل: فأطرق الأمير. وفي المحاسن: لا يترمرم. ويتزمزم: يتكلم.

فقال: يا سيدي بلساني كلّه؟ أو كما يتكلّم العبد الذليل بين يدي سيّده[١] حتى يترك حجّته[٢] ويسكت عن إيضاح جوابه مهابةً لمولاه[٣]؟

فقال: تكلّم بما عندك.

فقال: يا أمير المؤمنين ـ جعلني الله فداك ـ هل أحمدتَ رأيَ أبينا إذ حمدتَ[٤] فقهه وعلمَه؟

قال: نعم.

قال: فأعتقَ ما يملكُ، وطلّق ما يطأ طلاق الحرج[٥]، وصدّق بما يحوي[٦]، وعليه ثلاثون حجّة مع ثلاثين نذراً، يبلغ بها الكعبة إنْ لم يكن أبوه على طلب سُكَّر طبَرزدَ[٧]، فلم يوجد في خزانته منه شيء، ولم يكن وقتاً يوجد فيه السُّكَّر ولا يُباع[٨].

فقال له قيّم الخزانة: ما عندنا سُكَّر[٩].

فقال: الحمد لله ربّ العالمين. ولا أقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون وإن كانت المصيبةُ، لأنّ ذلك إنما يقال عند المصائب في الأنفس. ولكنْ أحمده على السرَّاء والضرَّاء، فإنه حدَّثنا أصحابنا عن أبي إسحق عن عليّ قال: الحامدون الذين يحمدون الله على السرّاء والضرّاء والشدّة والرخاء. وأنا أرجو أن أكون منهم ومعهم إن شاء الله.

---

(١) في المحاسن: مولاه.
(٢) في الأصل: حاجته. وما أثبتناه عن المحاسن أحسن.
(٣) في المحاسن: لسيّده.
(٤) في المحاسن: وحمدت مذهبه.
(٥) في المحاسن: الحرج والسنّة.
(٦) في المحاسن: بما حوى.
(٧) هو السكر الأبيض الصلب. انظر المعرّب ٢٢٨.
(٨) في المحاسن: سكر ولا يقدر على ابتياع شيء منه.
(٩) في المحاسن: فقال فيم يصلح للخزانة التي ليس فيها سكر؟

ثم أقبل على الخازن فقال: ادعُ لي الوكيل. فدعاه. فقال: ما منعك إذ فُني السكّر أنْ تشتري سكّراً؟

فقال: لم يعلمني الخازن. فقال للخازن: ما منعك أنْ تُعلمه؟

قال: كنتُ على إعلامه[1].

فقال: ما هنا شيءٌ أبلغ من عقوبتكما من أنْ أقوم على إحدى قدميّ[2] فلا أضع الأخرى، ولا أراوحُ بينهما حتى يحضراني[3] ألف مَنّ سكر طبرزد. ليس بمضرّس ولا وسخ ولا ليّن الكسَر، ولا معوّج القالب[4].

ثم وثب فقال: ﴿يُوفُونَ بالنّذرْ ويَخافونَ يوماً كانَ شَرُّه مُستَطِيراً﴾[5] (١٣و /) والله مؤكّدةً، لا أزال قائماً حتى أفيَ[6] بنَذْري، فتبادرَ غلمانه ومواليه وبعض ولده وعجائزه نحو السوق، فواحدٌ ينبّه حارساً، وآخرُ يفتح درباً، وآخر يحلُّ شريجةً[7]، وآخر يوقظ نائماً، وآخرُ يدعو بائعاً، وآخر يرمي كلباً. والغلمان والجواري والجيران والحرّاس والسوقة والباعة في مثل صيحة يوم القيامة.

ثم قال: يا قومي أما لي من أهلي مساعد؟ أين البنات العواتقُ والأبكار، اللواتي كنتُ أغذوهنّ بليّن الطعام وليّن اللباس، ويسرحن فيما أرعْنَ[8] من خفض العيش وغضارة الدهر[9]. أين أمّهات الأولاد اللواتي اعتقدن العُقَدَ النفيسةَ، وملكن الرغائب بعد الحال الخسيسة؟

أين الأولادُ الذكور الذين لهم نسعى ونحفِد[10]، ونقوم ونقعد، ولهم نروح ونغدو؟

---

(١) في المحاسن: كنت على أن أعلمه.
(٢) في المحاسن: رجليّ.
(٣) في المحاسن: تحضروني.
(٤) في المحاسن: ولا بمحدث الصنعة ولا معوّج القالب.
(٥) سورة الإنسان آية ٧.
(٦) في المحاسن: أوفي.
(٧) الشريجة: شيء من سعف يحمل فيه البطيخ ونحوه.
(٨) في المحاسن: ادعين.
(٩) في المحاسن: الزهر.
(١٠) نحفد: نخفّ ونسرع. أو نخدم.

فبادر إليه بنوه وبناتُه وأمّهات أولاده.

قال: فقام كلٌّ واحدٍ منهم على فرد رجل.

فقال: أحسنتم والله، أحسنَ الله إليكم وجزاكم خيراً، لمثلها كنتُ أحسب الحسنى[1].

قال: ولاحظ الكبرى من بناته، وآخر من بنيه، وهما يراوحان بين قدميهما[2] فقال: يا فلان تراوح ولا أراوح[3]، يا فلانة تراوحين ولا أراوح. صدق الله [وبلّغ][4] رسولهُ حين يقول جلّ ثناؤه: ﴿إنّ مِن أزواجِكمْ وأولادِكم عَدُوّاً لكم فاحذَرُوهمْ﴾[5]. حذارِ حذارِ منكَ حَذارِ.

ثم قال عليّ بن صالح: ليس في خزانته سُكّر طبرزد، وجائزته من أمير المؤمنين ـ أعزّه الله ـ[6] ألف ألف درهم، وله ضَيعة بالنهروان[7]، تغلُّ ثلاثمائة ألف درهم إذا كان (١٣ ظ /) السعر بين الغالي والرخيص، وضَيعة بالزاب تغلُّ مائة ألف ألف[8]. وضَيعة بالكوفة المعروفة بالعربة[9] من أنبل ضيعة ملكها أحد[10]. وضيعة بطسوج الدسكرة[11]. ولولا أنّ سعيداً السعديّ ـ أراح الله منه ـ قطع شربها وعوّر[12] مجرى مياهها حتى اندفنت أنهارها، وقلّت عمارتها إضراراً بنا، وتعدّياً علينا ما كان لأحد مثلها، وعلى أنّ أكرَتها ومزارعها من أخابث خلق الله، ولو أمكنهم أن يقطعوا

---

(١) في المحاسن: لمثل هذا أردتكن. وفي الأصل: أحسبك.
(٢) في المحاسن: بين أقدامكما.
(٣) سقطت هذه الجملة من المحاسن.
(٤) سقطت هذه الكلمة من الأصل وأضفتها لتمام المعنى.
(٥) سورة التغابن آية ١٤.
(٦) سقطت من المحاسن.
(٧) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. (ياقوت).
(٨) في المحاسن: وضيعة بالنهروان تغل ثلاثمائة درهم. وضيعته بالكوفة.
(٩) في المحاسن: بالمغيرة.
(١٠) في المحاسن: من أنبل ضيعة ما ملك مثلها أحد.
(١١) في المحاسن: بطسوج. والدسكرة كل أرض مستوية، وهي قرية كبيرة غربي بغداد أيضاً.
(١٢) عوّر: أتلف.

الحاصل وحاصل الحاصل ما أعطوا شيئاً[1]. ومَنْ أخبرك أنّ الضيعة لربّ الضيعة فقل له: كذبت لا أمّ لك. الضيعة ثلاثة أثلاث: فثلث للسلطان، وثلث للوكيل، وثلث للأكّار. وإنما يأتي ربّ الضيعة من ضيعته[2] صُبابةٌ كصُبابة الإناء، ومخّةٌ كمخةِ عُرقوب. يجيء [الأكار][3] وقت الدياس فيمرّ بهم الأبرتد[4]، فهذا يذْبحُ له، وهذا يخبز له، وهذا يسقيه، وما نبيذهم إلاّ العكرُ الأسود. ووضَر الدبس[5]، وماء الأكشوث[6]. قبّح الله ذلك شراباً، ما أثقله للجوف[7]، وأضرّه بالأعلاق النفيسة، ثم يأتي وقت الكيل، فمن بين رقّام - رقم الله جلبابه بالمذلّة والهوان[8] - ومن بين كيّال - جعل الله له الويل - لقوله [جلّ وعزّ][9]: ﴿وَيلٌ للمُطففين﴾[10] ما يبالي أحدهم على ماذا يقدم.

ولقد سمعت أمير المؤمنين وهو يسأل قضاته [وكلّهم بالحضرة][11] هل عدّلتم كيّالاً قطّ؟ فكلّهم قال: لا.

فإنْ أطعموا الجداء الرضَّع ونقيَ الخبزُ من دسْتُميسان[12] ووهبت لهم الدراهم ظفر المكيلُ بحاجته[13].

---

(١) في المحاسن: ما أعطونا من ذلك شيئاً.
(٢) في المحاسن: وإنما يأتي رب الضيعة صبابة. والأكّار: الذي يحفر الأرض. والصبابة: البقية من الماء واللبن ونحوهما.
(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن.
(٤) في المحاسن: الابرمذ. وهو مصطلح لوظيفة لم أهتد لمعناه.
(٥) في الأصل: وضرّ الدبس.
(٦) في الأصل: الأشرب. تحريف والأكشوث: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.
(٧) في المحاسن: ما أفعله.
(٨) في المحاسن: وأعد له الهوان. رقم الثوب: خطّطه.
(٩) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن.
(١٠) سورة المطففين الآية ١.
(١١) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن.
(١٢) دستميسان: كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب. (ياقوت).
(١٣) في المحاسن: ظفر الأكّار بحاجته.

وويل يومئذٍ لقُبّة السلطان مما يُحمل إليها (١٤ و /) من القِشب والقصر، ويُحشى من التِّبن والدوسر[١].

ثم قال: يا قوم، لِمَ أسهبت[٢] في ذكر هؤلاء، وما الذي هاج هذا في هذه الساعةِ حتى خُضتُ فيه؟ أما كفاني أني قائم على إحدى رجليّ[٣].

فقالوا: هذا من أجل السُّكّر الذي لم يوجد في خزانتك[٤].

قال: أجل. والله إذا كان وكيلي يتشاغل بزوجته وبناته[٥]، ومصالح حالهم، متى يفرغ النظر إلى مصالح خزانتي؟ والله لقد حُدّثتُ أنه حلّى بناته بألوف الدنانير، وأنه قال لزوجته: أخرجي الأعياد، وادخلي الأعراسَ، وسلي عن الرجال المذكورين، واطلبي المراضع[٦] المعروفة بالأنساب الرضيّة، والأخلاق الجميلة لبناتك، وأخرجهنّ في الجُمعات[٧] يتفحّصن مجالس العزاب[٨] ويخترن أولي الأنساب. ألم يُروَ عن الثقات أنهم كرهوا خروج الأبكار في الجمعات[٩] التي فرض الله فيهن السعي إلى ذكره؟ فنبغ قوم من البدعية[١٠] خارجة خرجت، ومارقة مرقت ورافضة رفضت الدِّين وأهل الدِّين، فتركوا فرض الله ﴿قاتَلَهُمْ اللَّهُ أنَّىٰ يُؤفَكونَ، اتخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً من دُونِ اللَّهِ﴾[١١]. وقد رُوينا عن النبيّ - صلى الله عليه وآله - من غير وجه، ولا اثنين، أنه خطب الناس فقال في خطبته[١٢]: «إنّ الله قد

(١) في المحاسن: من القشب والقصل والمدر والزوان ويحشى فيها التبن.
(٢) في المحاسن: أطنبت.
(٣) في المحاسن: على رجلي على أحد جناحي.
(٤) في المحاسن: الذي ليس في خزانتك منه شيء.
(٥) في المحاسن: مشتغلاً.
(٦) في الأصل: المواضع.
(٧) في الأصل: الجماعات. تحريف.
(٨) في المحاسن: محاسن الغرّات.
(٩) في الأصل: الجماعات تحريف.
(١٠) في المحاسن: من هؤلاء المبتدعة.
(١١) سورة التوبة آية ٣٠، ٣١.
(١٢) الخطبة في أعجاز القرآن ص ١١٠.

افترضَ عليكم الجُمعةَ في مقامي هذا، في يومي هذا من عامي هذا [إلى يوم القيامة][1]. فمَنْ تركها استخفافاً بحقّها وجحوداً لها فلا جمعَ الله شملَه، ولا بارك له في أهله، ولا حجَّ له، ولا جهادَ حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه»[2]. ثم قال: يا قومُ ما الذي حرّكنا على هذه العصابة[3] (١٤ ظ /) في جوف الليل[4]؟

قالوا: السُّكّر الطبرزد.

قال: أجل. والله ما أحضرتموني ألفَ مَنّ سكّرٍ إلى هذه الغاية. أيا صُبح، أيا فتحُ، أيا نصر، أيا نجح، بادروا إلى مولاكم[5] فإنه قد تعب ونصب ولغب[6] من طول القيام.

والله إني لأحسبُ أنّ الثريّا مقابلةٌ سَمْتَ رأسي، ذهب ـ والله ـ الليلُ وجاء الويل، ويلكم أدركوني فإني أريغ نومةً، ولا بد من البكور نحو الدار.

قال: فبادر خصمُه الخاصّة[7]، ففتحوا أبواب[8] دكاكين الباعة، ونبّهوا السوقة، وأخذوا ما عندهم على غير سَوْم وجاءوا به فقال: ما هذا؟ قالوا: ما أمرتَ به.

قال: هل أخذتموه على الصفة التي وصفته[9]؟ قالوا: نعم.

قال: فهل ورثتموه على الباعة، واستوجبتموه[10]؟ قالوا: لا.

قال: يا أعداء الله أردتم أنْ توتغوا ديني[11]. لا والله ما طمع مني

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن وأعجاز القرآن.

(٢) في المحاسن: حتى يتوب إلى الله جل وعز.
وفي أعجاز القرآن: ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة.

(٣) في المحاسن: هذه الفصيلة.

(٤) في المحاسن: في جوف هذه الليلة.

(٥) في المحاسن: تبادروا مولاكم.

(٦) سقطت كلمة (لغب) من المحاسن.

(٧) في المحاسن: فبادرت حرمه الخاصة.

(٨) في الأصل: باب. تحريف.

(٩) في المحاسن: التي وصفت لكم.

(١٠) في المحاسن: فهل ورثتموه واستوجبتموه.

(١١) في المحاسن: تفسدوا ديني. والايتاغ: فساد الدين.

مضمضمة[١]، والله لا تزال هذه حالي حتى تأخذوه بيعاً صحيحاً، لا شرط فيه ولا خيار ولا مثنويّة ولا حدّ[٢] التلجئة. هيهات يأبى الله ذاك[٣].

فرجعوا فساوموا به الباعة، وقطعوا ثمنه وأخبروه.

فقال: يوزن بحضرتي. فجاءوا[٤] بالقَبّان فقال: مَنْ فيكم يزنُ؟ قالوا: مَنْ أمرته. قال: زن أنت يا نصحُ، فقد دنا الصبح. زن فأرجح فإنّ النبيَّ ـ صلى الله عليه وآله وصحبه ـ اشترى يوماً فقال للوازن: «زن فأرجح»[٥] والله لو لم يكن في الرجحان إلاّ تحلّة القسَم كان في ذلك ما يدعو العلماء بالله، الفقهاء[٦] في دين الله إلى العمل به.

قال: فجعل الغلامُ يزنه[٧] ويقول: ويلك عجّل ـ فداك أهلك ـ قد (١٥ و /) دنا الصبح، وذهبت نفسي[٨] أو كادت.

فلما استوفى الوزنَ خرّ مغشيّاً عليه، لا يدري أرضاً توسّد أم وساداً. وكذلك حال منْ كان في مثل حاله من ولده وعياله. فما انتبه واحدٌ منهم لفريضةٍ أو نافلةٍ إلاّ بحرِّ الشمس[٩].

فهذه يا أمير المؤمنين حالُ منْ أحمدت فقهه وعدله ورأيه[١٠].

فقال المأمون: قاتلك اللّهُ، ما أعجب حالك على كل حال، والله لئن كنت كذبتَ على أبيك في مقامك هذا فما لك في الأرض نظيرٌ، ولا في الدنيا شبيه. ولئن

---

(١) في المحاسن: في هضيمة.
(٢) في المحاسن: على حد تلجئة.
(٣) سقطت (ذاك) من المحاسن.
(٤) في المحاسن: فأتوه بالقبان.
(٥) الحديث في الجامع الصغير ٢/ ٢٢ ولفظه فيه: زن وارجح. وهو في سنن ابن ماجه ٢/ ٧٤٧.
(٦) في المحاسن: العلماء والفقهاء في دين الله.
(٧) في المحاسن: يزن ويرجح.
(٨) في المحاسن: أوه خرجت نفسي.
(٩) سقطت من المحاسن قوله (من ولده .. الشمس).
(١٠) في المحاسن: علمه وفهمه ورأيه.

كنتَ حكيتَ عنه عياناً أو كفافاً فلقد أجدتَ الحكاية وأحسنت العبارة، وما لأبيك شبيه[1]، وإنك لتغمر مساويك بمحاسنك، فلا تذكرنَّ شيئاً بعد هذا المجلس، فإنّ عيبه فينا أقدحُ منه في أبيك.

قال: فذهب عليٌّ ليتكلم. فقال له: لا تعضَّ على لسانك[2].

قال أبو عبد الله: سألت عمّي مصعباً[3]: هل كنت حاضراً لهذا المجلس، فإنّ الصنعة عليه بيّنة؟

قال: لا. ولكن أخبرني مَنْ كان حاضراً بعد موت المأمون بسنتين.

● ١٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله عن جدي عبد الله بن مصعب[4]:

إنَّ ملك الروم بعث رسولاً داهية منكراً إلى أمير المؤمنين أبي جعفر فدخل عليه، فسأله عن أشياء وأتاه بهدايا كثيرة وألطافٍ وطرائف، فأمر عُمارة بن حمزة[5] أن يركبَ معه إلى المهديّ بالرصافة، فخرج، حتى إذا كان على الجسر نظر الروميُّ إلى زمْنَى[6] على الجسر يتصدّقون، فقال لترجمانه: قل (١٥ ظ /) لهذا ـ يعني عمارة ـ: الذي عندكم زمْنى يتصدّقون[7]، وكان ينبغي لصاحبك أنْ يرحم هؤلاء من زمانتهم، ويكفيهم مؤونة أنفسهم وعيالاتهم[8]، ولا يحملُ عليهم الفقر والحاجة مع الزمانة.

فقال عمارة: قل له: إنّ الأموال لا تسعُهم.

---

(١) في المحاسن: في الدنيا شبيه.
(٢) في المحاسن: لا تبضن لسانك بحرف واحد.
(٣) في الأصل: مصعب.
(٤) الخبر في الوزراء والكتاب ١٣٣.
(٥) هو عمارة بن حمزة بن ميمون من ولد أبي لبابة، مولى عبد الله بن العباس. ولاّه السفاح ضياع مروان وآل مروان. وكان سخياً جليل القدر، رفيع النفس وقلّده المنصور خراج البصرة ونواحيها. (معجم الأدباء ٦/ ٣).
(٦) زمني: واحدها زمن، وهو ذو العاهة.
(٧) في الوزراء: إني أرى عندكم قوماً يسألون.
(٨) في الوزراء: ويكفيهم مؤنهم وعيالاتهم. والعيالات: جمع عيال وهي جمع عيّل.

ومضى إلى المهدي فأخبره[1] بما قال له الروميّ، وردّه عليه. فقال: كذبتَ ليس الأمر كما ذكرت. الأموال واسعةٌ لهم، ولكنَّ عذرَ أمير المؤمنين غير ما وصفت[2].

ثم أقبل على الرومي فقال: قد بلغني مقالتُك لرسولي، وردّه عليك، وكذب. الأموال واسعة تسعهم، ولكنْ كره أمير المؤمنين أنْ يَستأثر على أحدٍ من رعيّته وأهل سلطانه بشيء من الفضل في الدنيا والآخرة[3]. وأحبّ أنْ يشركوه في أجور الزمنى والمساكين[4]، وأنْ يُنيلوهم[5] من ذات أيديهم وما أعطاهم الله من الرزق، ليكون [ذلك][6] نجاةً لهم في آخرتهم، وسَعَةً عليهم في دنياهم، وتمحيصاً لذنوبهم.

فقال الروميّ بيده، وعقد ثلاثين[7]، وطأطأ الأرض رأسه قال: وإنّ هذا ـ أي جيّد ـ هذا هو الحقّ[8].

● ١٩ ـ حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

لمّا مات محمد بن يحيى العلوي[9] صلّى عليه المأمون، وكنتُ قريباً منه، ودخل قبرَه، وعليه سيفه وقلنسوته وطيلسانه، وأخذ برأسه، فأعانوه حتى وضعه في لحده. ورأيتُ دموعه تسيلُ على خدّه، وكان معه في القبر داود بن أبي الكرام

---

(١) في الوزراء: ومضى إلى المهدي وعاد إلى أبي جعفر فخبّره عمارة بذلك فقال له أبو جعفر: كذبت.

(٢) في الوزراء: ولكن العذر ما أنا ذاكره له فأحضرنيه فأحضره.

(٣) في الوزراء: بشيء من حظ أو فضل في دينا أو آخرة.

(٤) في الوزراء: في ثواب السؤال والزمني.

(٥) في الوزراء: وأن يسألوهم.

(٦) ما بين الحاصرتين تكملة من الوزراء.

(٧) وهو أن يضم الرجل إبهام يده إلى إصبع التشهد كالقابض على الإبرة.

(٨) في الوزراء: فقال الرومي: الحق ما قاله أمير المؤمنين.

(٩) هو محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. أخذ جميع حقوق فاطمة رضي الله عنها سنة ٢١٠ بأمر المأمون. (فتوح البلدان ٣٨/١ وانظر الأغاني ٢٨/١٥).

الجعفي، فكلّمه لما رأى من رقّته (١٦ و /) وذكر حاجتَهم، فغضب المأمون وقال: هذا موضع ذا! وانقطع بكاؤه فقال: هاهنا ولد الرشيد وولد الهادي وولد المهديّ وولد المنصور، فإذا نظرتُ في أمرهم، وأصلحتُ شأنهم فأنت رجلٌ من المسلمين، وهم أولى بهذا منك.

● ٢٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو عبد الرحمٰن[١] العتبي قال:

جاءني رجلٌ من أصحاب الصنعة فقال: اذكرني لأمير المؤمنين في يومٍ وبعض يوم آخر. فقلتُ: يا هذا، أرحْ نفسك العناء، واجلس في بيتك، ولا تَعزَّ أمير المؤمنين منك. قال: فالحِلُّ عليه حرام ـ يعني به الطلاق ـ وما له من قليل أو كثير صدقة لوجه الله، وكلّ مملوك له حُرٌّ إن كان كذبك فيما قال لك. والله ما أخذ منكم شيئاً عاجلاً، وقد ادّعيتُ أمراً فامتحنوني فيه، فإنْ جاء كما ادّعيت، كان الأمر فيّ لكم، وإنْ وقع بخلاف ذلك انصرفتُ إلى منزلي، فأخبرتُ المأمون بما قال: فتمثل ببيت الفرزدق[٢]:

وقبلك ما أعييتُ كاسر عينه   زياداً فلم تقدرْ عليّ حبائله

ثم قال: لعلّ هذا أراد أنْ يصل إلينا فاحتال بهذه، وليس الرأيُ أنْ يعرض علينا أحدٌ عَلماً فتُظهرَ الزهد فيه فأحضره.

قال: فجئتُ بالرجل، وقعد له المأمون، فأحضرتُ أداة العمل، فإذا هو بحلِّ الطلق أجهل مني بما في السماء السابعة. فنظر إليّ المأمون وقال: أتزعم أنه حلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما كان يملك؟ (١٦ ظ /) قلتُ: بلى. قال: فقد حَنث. فقلت للرجل، والمأمون يسمع: ألم تحلف بالطلاق والعِتاق وصدقة ما تملك؟

قال: بلى. قال: فقد حنثت. قال: ليست لي امرأة.

قلتُ: فالعتاق؟ قال: ما أملك خيطاً ولا مخيَطاً.

---

(١) في الأصل: أبو عبد الله. تحريف. وهو محمد بن عبد الله العتبي الأخباري كامل سيداً فصيحاً شاعراً أديباً. توفي سنة ٢٢٨. (انظر ابن النديم ١٧٦).

(٢) البيت من قصيدة للفرزدق في هجاء جرير في الديوان ص ٨٧.

قلتُ: كذب، يا أمير المؤمنين، له غلام ودابّة.

قالَ: هما ـ وحقّ رأس أمير المؤمنين ـ عارية.

قال: فتبسّم المأمون، وقال: هذا رجل بحلِّ الدراهم أعلمُ منه بحل الطلق. ثم أمر أنْ يُعطى خمسة آلاف درهم.

قال: فلما خرج قال للعتبي: ردّهُ فردَّه. فقال: زيدوه فإنه لا يجد في كلّ وقت مَنْ يمخرقُ[1] عليه.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندي باب من الحملان ليس في الدنيا مثله.

قال: احمله علّي هذه الدراهم، فإنْ كنت صادقاً صرتَ مِلكاً في أقلّ من شهر.

● ٢١ ـ حدّثني الزبير قال: وحدّثني أبو عبد الرحمٰن قال:

سأل المأمون أحمد بن أبي دؤاد[2] عن أخلاق أبي عبّاد[3] فقال: إنه أحدُّ من سيف سعيد بن العاص، وأنزقُ من مجنون البكَرَات[4].

قال: ما أتبيّن ذلك فيه.

قال: لموضع الخلافة يا أمير المؤمنين، وعلى ذاك فإنْ حرّكته تحرّك. فأراد المأمون أن يمتحنه، فدخل عليه يوماً فعرض ما معه من الحوائج، فأمر أن يوقّع فيها، ثم خرج، فلما صار بالباب قال: ردُّوه، فرجع، فقال له المأمون: افعلْ في أمر الأهواز بحسب ما قلتُ لك، ولا تعرض به مؤامرة. قال: نعم. ثم خرج، فلما صار بالباب قال: ردّوه، فرجع، فقال: قل لعمرو بن مسعدة[5]: (١٧ و /) أخّر أمرَ أبي

---

(١) يمخرق: يخلق الكذب.

(٢) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير الإيادي، قاضي معتزلي مشهور، ورأس فتنة القول بخلق القرآن توفي سنة ٢٠٤ هـ. (الشذرات ٢/ ٩٣).

(٣) أبو عبّاد: هو ثابت بن يحيى كاتب المأمون، ومن مضحكيه في مجالسه. (الطبري ٨/ ٢١٨ ومعجم البلدان ٤/ ١٨١).

(٤) هو الفلوشكي البكراوي، أموي كان أجنّ الناس وأعيا الخلق لساناً شديد اللعب بالودع فضرب به المثل في النزق. (البيان والتبيين ٢/ ٢٤٨).

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول من أب تركي. وكان كاتباً معروفاً في عصر المأمون، =

دُلف[1] حتى آمرك فيه بما أريد. قال: نعم. ثم خرج، فلما صار بالباب قال: ردّوه. فجاء الرسول فقال: ارجع فتناول الدواة من غلامه وقال: الساعةَ أضرب وجهك القبيحَ يا ابن الخبيثة. فقال الغلام: وما ذنبي أبقاك الله؟ قال: ذاك ينبغي أن تقول قد ذهب إلى النار. فرجع فقال: ارفع غداً رقعةَ الهاشميين. قال: نعم. وضحك ثم قال: والله لا أرجع بعدها حتى أستطير.

قال: امضِ راشداً. وله يقول دعبل[2]:

أولى الأمور بضيعةٍ وفساد ... أمرٌ يدبّره أبو عبّاد
خرق على جلسائه بدواته ... فمرمّل ومخضّب بمداد[3]
وكأنّه من دير هِزقلَ مفلتٌ ... حردٌ يجرُّ سلاسل الأقياد[4]
فاشددْ أمير المؤمنين وثاقه ... فأصحُّ منه بغية الحدّاد

● ٢٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو عبد الرحمٰن العتبي قال[5]:

حججنا سنةً فنزلنا ضريّة[6] في يوم جمعة، فسألنا عن الوالي، فقيل لنا: أعرابيٌّ عمّا قليل يخرج إليكم. فلما زالت الشمس خرج علينا وعلى رأسه عمامةٌ كأنها رحاً، متنكّباً قوساً عربيّة، فصعد على كثيب له من رمل ثم استقبلنا بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[7]:

= وتوفي في سنة ٢١٧. (تاريخ بغداد ٦٦٦٢ ومعجم الأدباء ٦/٨٨).

(١) أبو دلف: الأمير قاسم بن عيسى العجلي، أحد الأبطال المذكورين الممدوحين والأجواد المشهورين والشعراء المجيدين كان قائداً للمأمون فالمعتصم وتوفي سنة ٢٢٥ ببغداد. (ابن خلكان وتاريخ بغداد ٦٨٦٩).

(٢) هو الشاعر العباسي المعروف دعبل بن علي الخزاعي ١٤٨ ـ ٢٤٨ والقطعة من قصيدة يهجو فيها أبا عبّاد في ديوانه ص ٩٩.

(٣) في الديوان: ومضمخ ومرمل بمداد.

(٤) في الأصل: مفلتا . . . حردا. تحريف. ودير هزقل دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم، يضرب به المثل لمجتمع المجانين. (ياقوت ٢/٧٠٦ والمضاف والمنسوب ص ٥٢٨).

(٥) الخبر في معجم البلدان ٣/ ٤٧٢ والمتحدث فيه الأصمعي.

(٦) ضريّة: قرية عامرة قديمة في طريق مكة من البصرة من نجد.

(٧) الخطبة في جمهرة خطب العرب ٣/ ٢٤٤ وفيه مصادرها.

أمّا بعد: فإنّ الدنيا دار ممرٍ، والآخرة دار مقرّ، فخذوا لمقركم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند مَنْ يعلم أسراركم. أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أنْ تخرج (١٧ ظ /) منها أبدانكم، ففي الدنيا حييتم، وللآخرة خُلقتم، وإنما الدنيا بمنزلة السُّمِّ الناقع، يأكله من لا يعرفه، أقول قولي هذا وأستغفر الله، والمدعو له الخليفة، ثم الأمير جعفر[١]، قوموا لصلاتكم، بارك الله فيكم.

● ٢٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أحمد بن سليمان عن عبد الملك بن قريب قال:

كنتُ في مجلس أمير المؤمنين الرشيد، وكان فيه أبو البَختري[٢] وسليمان بن الأصمّ وغيرهما من الصحابة، فضغطني البول، فلم أدرِ كيف أصنع.

فالتفتُ[٣] إلى سليمان بن الأصم فأخبرته، فقال لي: بي مثل الذي بك. قال: فإني لكذلك إذ بصرني أمير المؤمنين فقال: يا أصمعيّ. قال: قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين. قال: أبك بول؟ قلت: أي هاء الله. قال: يا رجل، قم معه حتى يبول. فقمتُ فبلتُ ورجعت، فلما رآني قال: يا أصمعيّ هات بيتاً أنظرُ في معناه فقلتُ:

فــلا غــزو إلاّ جــارتــي وســؤالهــا ... ألا هــل لنــا أهــل سُئلــت كــذلكــا

فجعل يفكّر فيه، وهمّ أن يقول، فقلت: يا أمير المؤمنين أعِدْ نظراً، فقال: وكيف علمتَ؟ قلت: رأيت ناظريك يجولان، وقد استقرا، كان أوضح لإصابتك، فضحك حتى انثنى ثم قال فأصاب. فقلت: أصبتَ ـ والله ـ يا أمير المؤمنين وأحسنتَ.

قال: فسُـرَّ بإصابته وارتاح لها، وأمر لي بصلة ثم قال: قم يا أصمعيّ ننظر إلى الهلال لشهر رمضان. فأخذ بيدي (١٨ و /) وصعد باب درجه، فجعلت أتكىء عليه،

---

(١) في أكثر المصادر: الأمير جعفر بن سليمان.
(٢) أبو البختري: وهب بن وهب بن وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله ولاه الرشيد القضاء بعسكر المهدي ثم عزله فولاه المدينة وجعل له حربها مع القضاء. توفي ببغداد سنة مائتين. (المعارف ص ٥١٦ وأخبار القضاة ١/ ٢٤٣).
(٣) في الأصل: فأصغيت.

فقال لي الخادم: أتتكيء على أمير المؤمنين؟ فقلت[1]: لا. فصعدنا فرأيناه.

● ٢٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال: سمعت أبا عبيد يقول:

إنّ أبا جعفر المنصور لمّا بويع بالخلافة دخل عليه أهل بيته وجماعة من القوّاد فهنؤه. فحمد الله ـ سبحانه ـ وأثنى عليه ثم قال: إني ـ والله ـ ما أنا بأرغب الناس فيها، ولا أحرصهم عليها، ولكني أحبُّ أن لا يكون بيني وبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ سترٌ، وأنْ أتقرّب إليه بالعمل بطاعته وبثّ سُنّة رسوله ـ صلى الله عليه وآله ـ راجياً العدل وإماتة الجور، والأخذ لفيئكم من حقّه، ووضعه في مواضعه التي جرت بها السُنّة، ونزل بها الكتاب، ومنعه من باطله، ليقرّبني الله بذلك، ويزيدني فضله لديه، وكرامةً عنده مع قرابتي من نبيّه ـ صلى الله عليه وآله ـ وربّنا المستعان على ما تصفون، وأعوذ بالله أنْ أكون ممّن خالف قولَه فعلُه، وعِظتَه عملُه.

● ٢٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن عبد الله القرشي قال:

حدّثني سليمان بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأمّ علي بن عبد الله بن جعفر أم جعفر[2] زينب بنت علي بن أبي طالب. وأمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهم، قال: حدّثنا محمد بن يحيى الربعي قال:

قال ابن شُبرمة[3]: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد بن علي[4]، فسلّمتُ (١٨ ظ /) وكنتُ له صديقاً، ثم أقبلتُ على جعفر فقلت له: أمتع الله بك، هذا رجل من أهل العراق، له فقهٌ وعِلم. فقال لي جعفر: لعلّه الذي يقيسُ الدِّين

---

(١) في الأصل: فقال.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) ابن شبرمة: هو القاضي عبد الله بن شبرمة، كان على قضاء الكوفة سنة ١٢٠، ويروى كثيراً عن القاضي شريح. (انظر الطبري ٧/ ٥٩ ووكيع ٢/ ١٩٣ و ٢٢٤).

(٤) هو جعفر الصادق، سادس الأئمة الاثني عشر، توفي بالمدينة سنة ١٤٨. (ابن خلكان والشذرات ١/ ٢٢٠).

برأيه. ثم أقبل عليّ فقال: هو النعمان بن ثابت؟ قال: ولم أعرف اسمه إلاّ ذلك اليوم. قال: فقال له أبو حنيفة[1]: نعم أصلحك الله. فقال له جعفر: اتّقِ الله ولا تقِسْ الدِّين برأيك، فإنّ أول مَن قاس إبليس، إذ أمره الله ـ تعالى ـ بالسجود لآدمَ، فقال: ﴿أنا خيرٌ منهُ خَلَقتَني مِن نارٍ وخلَقْتَه من طينٍ﴾[2].

ثم قال له جعفر: هل تُحسن أنْ تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا. فقال: أخبرني عن الملوحة في العينين، وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين، وعن العذوبة في الشّفتين لأيّ شيء جُعل ذلك؟

قال: لا أدري.

قال له جعفر: إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيهما مَنّاً منه على ابن آدم، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا. وجعل المرارة في الأذنين مَنّاً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدوابُ فأكلت دماغَه.

وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النَفَسُ وينزل، ويجد منه الريح الطيّبة من الريح الرديّة.

وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابنُ آدم لذّة مطعمه ومشربه.

ثم قال لأبي حنيفة: أخبرني عن كلمة أوّلها شِركٌ وآخرها إيمان ما هي؟

قال: لا أدري.

قال: قول الرجل «لا إله إلاّ الله» فلو قال: لا إله. ثم أمسك كان مشركاً، فهذه كلمةٌ أوّلها شِركٌ وآخرها إيمان.

ثم قال: ويحكَ (١٩ و /) أيّما أعظم عند الله ـ تعالى ـ قتل النفس التي حرّم الله أم الزّنا؟

قال: لا بل قتلُ النفس.

قال له جعفر: إنّ الله ـ تبارك اسمه ـ قد رضي وقبلَ في قتل النفس بشاهدين،

---

(١) نص المحاورة في الاحتجاج للطبرسي ١/ ٢٠٤ والآيات الساطعة النافعة ١/ ٩١.
(٢) سورة الأعراف آية ١٢.

ولم يقبل في الزنا إلاّ أربعةً. فكيف يقوم لك قياس؟

ثم قال: أيّما أعظم عند الله، الصومُ أم الصلاة؟

قال: لا بل الصلاة.

قال: فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ اتقِ الله يا عبد الله ولا تقسْ. نقف نحن غداً وأنت ومَنْ خالفنا بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ فنقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه ـ، قال الله ـ عز وجل ـ وتقول أنت وأصحابك: سمعنا ورأينا. فيعمل بنا وبكم ما يشاء.

● ٢٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلاّم قال: حدّثني رجل من قريش قال[(١)]:

خرج خالد بن عبد الله القَسْريّ يوماً يتصيّد وهو أميرُ العراق قد تفرّد من أصحابه، فإذا هو بأعرابيّ على أتانٍ له هزيل ومعه عجوز له. فقال له خالد: ممّن الرجل؟ قال: من أهل المآثر والحسَب. قال: أفأنتَ إذاً من مضر، فمن أيّها أنت؟

قال: من المطاعنين على الخيول، المعانقين عند النزول.

قال: فأنت إذاً من عامرٍ، فمن أيّها أنت؟

قال: من الطالبين الثار، والمانعين الجار.

قال: فأنت إذاً من كلاب. فمن أيّها أنت؟

قال: من أهل الوفادة والرياسة.

قال: فأنت إذاً من جعفر. فمن أيّها أنت؟

قال: من بدرها وشمسها، وليوثها وخِيسها[(٢)].

قال: فأنت إذاً من الحوص[(٣)]. فما أقدمك هذه البلاد؟

---

(١) الخبر برواية مقاربة في العفو والاعتذار ١/ ٢٤٥ وقد تولى خالد القسري العراق من قبل هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥.

(٢) الخيس: موضع الأسد.

(٣) يريد بني الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. (جمهرة أنساب العرب ٢٦١).

قال: تتابع السنين (١٩ و /) وقلّة رفد الرافد[١].

قال: فمن أردت بها؟

قال: أميركم الذي رفعته إمرتُه، وحطّته أسرته.

قال: فما أردتَ منه؟

قال: كثرة دراهمه لا كرم آبائه.

قال: ما أراك إلاّ قلتَ فيه شعراً[٢].

قال: فقال لامرأته: أنشديه.

قالت: كم تجشّمنا مدح اللئيم منذ اليوم، إنّ مدح اللئيم ذلٌّ.

قال: فأنشديه. فأنشدت تقول:

إليكَ ابن عبد الله بالحمد أرقلت ... بنا البيدَعيسٌ كالقسيّ سواهمُ
عليها كرامٌ من ذؤابة عامرٍ ... أضرَّ بهم جدبُ السنين العوارمُ
يردن امرءاً يعطي على الحمد مالَه ... وهانت عليه في الثناء الدراهمُ
فإن تعطِ بما نهوى فهذا ثناؤنا ... وإنْ تكن الأخرى فما لام لائمُ

فقال له خالد: يا عبد الله، ما أعجبك وشعركَ، جئت على أتانٍ هزيل وتزعم أنكَ جئتَ على عِيس، وقد ذكرتَ الرجل في شعرك بخلاف ما ذكرتَه في كلامك.

قال: يا ابن أخي ما تجشّمنا من مدح اللئيم كان أشدَّ من الكذب في شعرنا.

فقال له خالد: أتعرفُ خالداً؟ قال: لا.

فقال خالد: أنا خالدٌ وأنا مُعطيك وغير مكافيك[٣].

فقال: يا أمَّ جحش، اصرفي وجه أتانك. ومضى.

فقال له خالد: لا تفعل، وقم فإني محسن إليك.

---

(١) الرفد: بكسر الراء، العطاء والصلة.

(٢) في النص: شعر.

(٣) أي غير مكافىء اساءتك بمثلها.

فقال: والله لا رزأت[1] لأمري درهماً أسمعته. وضرب وجه أتانه ومضى.

فقال خالد: بمثل هذا الصبر نال هذا وأبوه[2] من الشرف ما نالوه. (٢٠ و /).

● ٢٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني عن حفص التميمي عن حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية قال[3]:

انصرفَ أعرابيٌ عن الموسم متوجّهاً إلى المدينة، فسقط بعيره في الطريق، فأقبل برَحله يحمله حتى أتى باب أبان بن عثمان بن عفّان[4]، وهو يومئذ على المدينة فسأله فحرَمه. فأتى عبد الله بن جعفر[5]، فقال لأذنه: إنّ معي هديّة فأعلمه. فدخل إلى ابن جعفر فأعلمه، فقال قل له: أنت تحمل هديتك أم يحملها غيرك؟

قال: بل أحملها أنا. قال: أدخله. فلما دخل قال: هاتِ فأنشده:

أبو جعفر من أهل بيت نبوّةٍ ... صلاتهمُ للمسلمين طَهور
أبا جعفر إنّ الجياد تواكلت ... فأدركَها عند الحضار فتور
أبا جعفر يا ابن الشهيد الذي له ... جناحان في أعلى الجنان يطير
أبا جعفر ضنَّ الأميرُ بماله ... وأنت على ما في يديك أمير
أبا جعفر إنّ الحجيج ترحلوا ... وليس لرحلي فاعلمنّ بعير

فقال له: انطلق إلى إبلي فاختر أفضل ناقة فيها أو جمل فخذه.

فمضى الأعرابي إلى الإبل، وكان بها بصيراً، فأخذ ناقة لابن جعفر تعدل رَحْلَه، فأبى غلامُ ابن جعفر أنْ يدفعها إليه، فرجع الأعرابيّ إلى ابن جعفر فأعلمه. فأرسل معه رسولاً وقال له: أعطه الذي طلب، والعبد الذي منعه فاعطِه إيّاه أيضاً.

---

(١) رزأت: يقال رزأه ماله أي أصاب منه شيئاً.

(٢) في النص: وأباه.

(٣) الخبر في الأغاني (دار) ١٢/ ٢١٧.

(٤) هو أبو سعيد وقيل أبو عبد الله. ثقة من كبار التابعين. أصابه الفالج قبل وفاته بسنة فترك ولاية المدينة، وكانت وفاته سنة ٨١. (المعارف ٢٠١ وشذرات الذهب ١/ ١٣١).

(٥) أبو جعفر وقيل أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من أجواد العرب حتى قيل له (قطب السخاء) وكان أحد أمراء عليّ يوم صفين وتوفي بعد سنة الثمانين. (الإصابة ٢/ ٢٨٠).

فدفعهما إليه. وأخذهما الأعرابيّ، ورجع إلى ابن جعفر يتشكَّرُ له (٢٠ ظ /) فقال العبد لابن جعفر: جعلني الله فداك: صحبتي؟ فقال للأعرابي: أتبيعه؟ قال: نعم. قال: بكم؟ قال: بثلاثمائة دينار. قال: هي لك. فأعطاه ثلاثمائة دينار، وأعطاه سيفاً، وقال له: لا تخدعنّ عنه، فإني أخذته بأربعمائة دينار. وقال للعبد: إنّ لك حقاً، وإنك لطويل الصحبة. فأعتقه وأهلَه وولده.

فأنشأ الأعرابيّ يقول:

سأثني بما أوليتني يا ابن جعفرٍ ... وما شاكر عُرفاً كمن هو كافره
فيا خير خلق الله نفساً ووالداً ... وأكرمهم للجارحينَ يجاوره[1]

● ٢٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال:

أشار أبو عبد الله على المهدي أنْ ينزل الرافقة[2]، وأراد أنْ يُبعده عن أبي جعفر، فكتب أبو دُلامة[3] إلى أبي جعفر:

إنّ الخليفة والمهديّ إنْ قربا فنحن في حنث، لا ماء ولا شجر ولا نهار ولا ليلٌ يطيب لنا. ولا يطيب لنا شمس ولا قمر، الله يعلم أني ناصح لكم فيما أقول، وإني حيّة ذكَرٌ أرى وأسمع ما لا تسمعان به من الحسود، وفي في الحاسد الحجر.

فردّ أبو جعفر المهديَّ إليه، ولم يأذن له في نزول الرافقة، ولم يباعده عنه.

● ٢٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني قال:

حجّ سليمان بن عبد الملك فوافى طاووس[4] بمكة. فقيل لطاووس: حدِّثْ أمير المؤمنين. فقال طاووس:

---

(١) في الأصل: للخارجين. تصحيف والقصة مختصرة في الجليس الصالح ٢/ ٢٣٧.

(٢) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة على ضفة الفرات بناها المنصور سنة ١٥٥ هـ. (ياقوت).

(٣) أبو دلامة: هو زند بن الجون، شاعر كوفي أسود مولى لبني أسد. كان أبوه عبداً لرجل منهم، نبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي. فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره. (الأغاني ٩/ ١٢٠ وابن المعتز ٥٤).

(٤) هو طاووس بن كيسان اليمانيّ الخولاني، الإمام الزاهد. كان مولى لبحير بن ريسان الحميري، توفي بمكة سنة ١٠٦ هـ. (الطبري ٧/ ٢٩ والشذرات ١/ ١٣٣).

إنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال[1]: أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة مَنْ أشركه اللّهُ في سلطانه فجارَ في حُكمه. (٢١ و /)، قال الفضل بن سليمان: فرأيت سليمان بن عبد الملك قد تغيَّر وجهه.

● ٣٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني عن عَوانة قال:

قال عبد الملك بن مروان لعمرو بن حريث[2]: إني أراك ظاهرَ اللون ليّن البشرة، فليت شعري ما طعامُك؟

قال: لُباب الحنطة، وصغار المعز، وأدّهن بخام البنفسج، وألبس الكتّان.

● ٣١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

جاء إبراهيم بن بريهة إلى غسّان بن عبّاد[3] يشكو إليه غَلبة الدَّين وضيقَ الحال، ويسأله أنْ يرفع له رقعةً إلى المأمون في إدرار أرزاقه وقضاء دَّينه.

فقال: وكم دَينك؟

قال: ثلاثون ومائة ألف درهم.

قال: هاتِ رقعتك. فأخرجها من خُفِّه وذهب ليقوم.

فقال: مكانَك، ثم دعا بالغداء، ودعا بوكيله، فقال: ادنُ مني. فساره وقال: احملْ الساعة إلى منزل بريهة مائة وثلاثين ألف درهم. فحُملت قبل أن يتغدّى، فلما انصرف وجدها في منزله، وركب غسّانُ من الغد، فكلّم أمير المؤمنين في دينه وعرض رقعته. فقال له المأمون: قد بلغني ما فعلتَ أمس، فوصلك الله بصلتك، فأنت ـ والله ـ ممّن إذا تكلّم نفع كلامُه، وإذا سكت حسُن سكوته. ثم قال: نعم وكرامةٌ، قد أمرنا بقضاء دَينه والزيادة في أرزاقه، وأدررناها عليه.

---

(١) مشكاة المصابيح حديث رقم ٣٧١٩ والجامع الصغير ١/ ٣٥ مع اختلاف بسيط.

(٢) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي. كان جواداً شجاعاً توفي سنة ٨٥ هـ. (المعارف ٢٩٣ والشذرات ١/ ٥).

(٣) من رجال المأمون، ولي خراسان ثم السند، وتوفي ببغداد سنة ٤١٦ هـ. (المعارف ٣٩٠ والأعلام ٥/ ٣١١).

فدعا له غسّان وانصرف، فلما ولّى أتبعه بصره.

فقال: لا تزال الخلافة ذات بهجة ما حضر مجلسنا مثلُ هذا، ما اغتاب عندي أحداً قطّ، ولا اعترض في (٢١ ظ /) كلامه ولا سأل حاجة لنفسه، ولا جرّبنا عليه كذباً ولا خيانةً، ولا سبقه لسانُه بلفظة اعتذر منها.

ثم كان أوّل توقيع بعد هذا خرج ثلاثة آلاف درهم لغسان بن عبّاد النازل ما لا يعنيه[١].

● ٣٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال: سمعت أبا عبد الله يقول:

قال أبو جعفر يوماً لابن خريم، وكان آنساً به: إني واثقٌ بعنايتك وحفظك وأمانتك ونصيحتك لأمانتك، وليس كلُّ ذي عَقلٍ ناصحٍ يجتمع هذا فيه. فأخبرني عمّا يَعيبُ الناس من أمري، ويكرهون من سيرتي.

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما أصبح الناس يُنكرون من سيرتك منكراً، ولا يستبطون خبراً، إلاّ أنّ أهل النصيحة لك والإبقاء عليك قد غاظهم مباشرتُك أمورك، وتوليك النظر فيما لو وكلته إلى غيرك كفاكه، وشغله من ذلك الصغير من الأمر، حتى أنحلَ جسمك من التهنّي بما أنعم الله عليك، فلو باشرت جلائل الأمور، ووكلت خسائسها إلى أعوانك انتظمت الأمرين جميعاً. ثم قلتُ له: إنّ موسى ـ عليه السلام ـ شكا إلى ربِّه ـ عزّ وجلّ ـ قلةَ أعوانه، فأوحى الله إليه: أنْ تكتب سبعين عهداً وتترك مواضعَ أسماء الرجال ليعلّمه الله إيّاهم فيسميهم فيها.

قال المنصور: هذا موسى دلّه الله عليهم، وأوحى إليه فيهم، وأخبار السماء ليس يعلمها إلاّ ملَكٌ مقرّبٌ ونبيٌّ مرسَل، فأنا مَنْ يُخبّرني والناس كما قد علمتَ في مساوئهم وخُبث نيّاتهم.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، فأين (٢٢ و /) أنتَ عن الربيع وعبد الملك؟ فوالله ما رأيت من خدم الملوك مثلهما، وكان الذي بيني وبينهما حسَناً، فأحببتُ أنْ يعلما

---

(١) كذا في المخطوطة.

كلامي إيّاه. وكانا خلف الفسطاط، فرأى ظلّهما فقال: الفاسقين المخنّثين، ليسا لذلك بأهلٍ وإن كانا يسمعان قولي الآن. ثم أصغى إليّ فقال: مع أنهما قد ضغطهما أميرُ المؤمنين فقد صلحا، وعبدُ الملك أمين مُجزٍ، والربيع ظريف ناصح.

قال [ابن][1] خريم: فحدّثني عبد الملك بعد ذلك أنه دعاهما فقال: ما سمعت مثل كلام ابن خريم أو قوله، وأوقع على قلبي مع النصيحة وشدّة الرأي.

قال: فأتيت أنا والربيع عليه فقال: تتقارضان الثناء عندي كذبتما، وكذب فيكما، أخرجا عني.

● ٣٣ - حدّثني الزبير قال: حدّثني أحمد بن سليمان عن عبد الملك بن قُريب، قال:

خرجتُ ذات يوم في البادية، فإذا أنا بامرأة إلى جانب قبر، وهي تستر جيدَها، فقلت: ينبغي أنْ تكون هذه المرأة تندب أو ترثي. فدنوتُ منها وهي لا تدري، حتى قربتُ منها فإذا هي تقول[2]:

هــل خبّــرَ القبــرُ ســائليــه ... أم قــرَّ عينــاً بــزائــريــه[3]
أم هــل تــراه أحــاط عِلمــاً ... بــالجســد المستكــنّ فيــه[4]
لــو يعلــمُ القبــرُ مــنْ يــواري ... تــاه علــى كــلّ مــنْ يليــه[5]
يــا مــوت لــو تقبــل افتــداءً ... كنــتُ بنفســي ســأفتــديــه
أنعَــى يــزيــداً لمجتــديــه ... أنعــى يــزيــداً لمعتفيــه[6]

---

(١) ما بين الحاصرتين لإكمال المعنى.

(٢) القصيدة في شاعرات العرب ص ٤٠٧، وهي مصدرة بقوله: روى الأصمعي أن امرأة من أجمل الناس كانت تندب زوجها واسمه (بريد) على قبره بهذه الأبيات، ونور القبس ص ١٦٢ وأخبار النساء ٣٣٦ وأمالي القالي ٢/ ٣٢١ والجليس الصالح ٢/ ٢٥٠.

(٣) في نور القبس: هل أخبر.

(٤) في نور القبس: أو هل.
وفي شاعرات العرب: المسكين. تحريف.

(٥) في المصدر السابق: ما يليه.

(٦) في شاعرات العرب والجليس:
أنــعــى بــريــداً لــمــعــتــفيــه ... أنــعــى بــريــداً لــمــجــتــديــه

أنعَى يزيداً إلى حروبٍ   بوصفه ندب نادبيه
يا جبلاً كان ذا امتناعٍ   وركن عز لآمليه
يا نخلةً طلعُها نضيد   يقربُ من كفّ مجتنيه
تحلو (نعمٌ) عنده سَماحاً   ولم يقل قطّ (لا) بفيه[1]
أيا صبوراً على بلاء   كان به اللّهُ يبتليه

قال عبد الملك بن قريب: فحفظت ما قالت، ثم دنوت إليها.

فقلت لها: أعيدي لفظك رحمك الله.

قالت: أما ـ والله ـ لو علمتُ أنّكَ تسمعني ما قلت شيئاً منها.

قال: فقلت لها: فاسمعي مني ما قلتِ. قالت: قلْ.

فأنشدتُها ما قالت حتى أتيتُ على آخره.

قالت: ما كنتُ أحسبُ أنّ أحداً له مثل حفظك، فإن كان في بلاد الأصمعي فأنت هو.

● ٣٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أحمد بن سليمان عن عبد الملك بن قريب قال: حدّثني منْ أثقُ به[2]:

إنّ رجلاً من العرب خرج في طلب إبل له ندّت[3]، فورد منهلاً من مناهلِ العرب، فإذا هو بامرأةٍ حسناءَ جميلة، لها لسانٌ وبيان، فدنا منها فسلّمَ عليها، فردّت السلام، ثم قالت له: ممّنْ الرجل؟ فانتسبَ لها. فقالت له: ما أقدمكَ هذه البلادَ؟ فقال الرجل: خرجتُ في طلب إبلٍ لي ندّت عني، فخرجتُ في طلبها، فهل أحسستِ منها شيئاً؟

قالت: لا والله ولكني أدلّكَ على مَنْ يردّها عليك.

---

(١) في الجليس:
. . . .   وطيبها راتب بفيه
(٢) الخبر في بلاغات النساء ص ٥٣ برواية الأصمعي عن أبان بن تغلب. وانظر شاعرات العرب ٩٥.
(٣) ندّ البعير: شرد ونفر.

قال: افعلي[١].

قالت: سَلْ الذي أعطاكها، بنيّة صادقة، أنْ يردّها عليكَ (٢٣ و /) فإنه مالك [كل][٢] شيء[٣].

قال: ممّنْ المرأةُ؟

قالت: من بني عامر.

قال: ألكِ زوجٌ، وتأمنين بوائقه؟

فترقرقت عيناها، وأنشأت تقول:

كنا كغصنين في أصلٍ غذاؤهما[٤] ... ماءُ الجداول في روضات جنّاتِ
فاجتثَّ خيرَهما عن أصل صاحبه ... دهرٌ يكرُّ بعولاتٍ وترحاتِ[٥]
وكان عاهدني إنْ رامني زمن[٦] ... أنْ لا يضاجعَ أنثى بعد مثواتي
وكنتُ عاهدتُه أيضاً فغادره ... رَيبُ الزمان قريباً مُذْ سُنيّاتِ[٧]
فاكففْ لسانكَ عمّن ليس يردعه[٨] ... عن الوفاء خلابٌ بالنحيات

● ٣٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عبد الله بن معاوية بن ميسرة بن شريح الكنديّ قال[٩]: حدّثني أبي معاويةُ بن ميسرة عن أبيه ميسرة عن شُريح[١٠] قال:

---

(١) في بلاغات النساء: فقالت أدلك على من علمها عنده. قلت إذاً تستوجبي الأجر وتكتسبي الحمد والشكر.
(٢) ما بين الحاصرتين تكملة لإتمام المعنى.
(٣) في المصدر السابق: سل الذي أعطاكهن، فهو الذي أخذهن منك من طريق اليقين لا من طريق الاختبار، فإنه إن شاء فعل.
(٤) في المصدر السابق: في ساق غذاؤهما.
(٥) في المصدر نفسه: بفرحات وترحات.
(٦) في الأصل: وكان عاقدني. وما أثبتناه عن بلاغات النساء أحسن.
(٧) في بلاغات النساء: ريب المنون.
(٨) في المصدر نفسه: ليس يردعها.
(٩) الخبر في أخبار القضاة ١٩٧/٢ برواية علي بن عبد الله عن أبيه عن معاوية عن ميسرة عن شريح.
(١٠) في النص (بن) والمثبت عن أخبار القضاة وهو الصحيح.

تقدّمتْ إليّ امرأةٌ فقالت: أيّها القاضي، إني جئتك مخاصمةً.

قال: وأين خصمُكِ[1]؟ قالت: أنت أيّها القاضي.

فأخلى المجلسَ، وقال لها: تكلّمي.

قالت: إني امرأةٌ ولي إحليل[2]، ولي فرْجٌ.

فقال لها: قد كان لأمير المؤمنين عليّ ـ عليه السلام ـ في هذه قضيةٌ ورّثَ من حيث جاء البول.

فقالت: إنه يجيء منهما.

فقال لها: فمن أين سابق البول[3]؟

قالت: ليس منهما. يستوجبان في وقتٍ واحد، وينقطعان في وقت واحد.

فقال لها: إنّك لتخبريني بعجبٍ. (٢٣ ظ /).

قالت: وأخبرك بما هو أعجب من هذا. تزوّجني ابنُ عمٍّ لي، وأخدمني خادماً [فوطئتها فأولجتها، وإنما جئتك لما ولد لي لتفرّق بيني وبين زوجي. فقام من مجلس القضاء، فدخل عليّ ـ عليه السلام ـ فأخبره. فقال عليٌّ: عليَّ بالمرأة. فأدخلت، فقال: أحقٌّ ما يقول القاضي؟ قالت: هو كما قال.

قال: فدعا بزوجها فقال: هذه امرأتك وابنة عمك؟

قال: نعم. قال: فعلمتَ ما كانَ؟ قال: نعم. قال: أخدمتها خادماً فوطئتْها فأولدتْها، ثم وطئتَها أنت بعدُ؟ قال: نعم. قال: لأنت أحسن من خاصي أسد. عليّ بدينار الخادم وامرأتين، فجيء بهم، فقال: خذوا هذه المرأة، إنْ كانت امرأةً، فأدخلوها بيتاً وألبسوها ثياباً، وعدّوا أضلاع جنبيْها. ففعلوا. فقال: عددُ الأيمن أحدَ عشر، وعددُ الأيسر اثنا عشر.

---

(١) سقطت كلمة (واين) من الأصل وأكملتها عن أخبار القضاة.

(٢) الإحليل: مخرج البول من ذكر الإنسان.

(٣) في أخبار القضاة: فانظري من أين يسبق؟ قالت: ليس شيء منهما يسبق صاحبه، إنما يجيئان في وقت واحد.

فقال عليٌّ: اللّهُ أكبر.

فأمر لها برداءٍ وحذاء، وألحقها بالرجال.

فقال زوجها: يا أمير المؤمنين، زوجتي وابنةُ عمي، فرّقت بيني وبينها، فألحقتَها بالرجال، عمّنْ أخذت هذه القصّة؟ قال: إني أخذتها عن أبي آدم - ﷺ - إنّ الله - عز وجل - خلق حواء، ضلعاً من أضلاع آدم، فأضلاع الرجال أقلُّ من أضلاع النساء بضلع.

ثم أمر بهم فأخرجوا][1] .....

(٢٤ و/) ومن[2] عندنا انثبت، فردّوا الأمرَ إلى أهله يصدروه كما أورده.

قال ثم رجع - والله - إلى خطبته كأنما يقرؤها من كفّه - وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسولُه.

● ٣٦ - حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني قال:

كان يوسف بن عمر[3] يقول في خطبته[4]: اتّقوا الله، عبادَ الله، فكم مؤمِّل ما لا يبلغه[5]، وطاعمٍ[6] ما لا يأكله، ومانعٍ عمّا سوف يتركه، ولعلّه من باطلٍ جمعَه، ومن حقٍّ منعه، أصابه حراماً، وأورثه عدوّاً، فاحتمل إصرَه[7]، وباءَ بوزره، وورد على ربِّه آسفاً لاهفاً[8]، قد خسِر الدنيا والآخرةَ، ذلك هو الخسران المبين.

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من النسخة التي اعتمدتها، إذ فيها صفحة بيضاء ليس فيها غير سطر واحد. وقد أكملته عن أخبار القضاة ١٩٧/٢. حيث وردت القصة كاملة. مع ترجمة وافية للقاضي شريح.

(٢) ورد هذا النص بعد البياض، ويظهر أنه تكملة لخبر سقط صدره.

(٣) هو يوسف بن عمر الثقفي، ولي العراق لهشام بن عبد الملك سنة ١٢٠ هـ وقتل في سجن يزيد بن الوليد بدمشق سنة ١٢٧ هـ. (المعارف ٣٦٥ والشذرات ١/ ١٧٢).

(٤) النص في العقد الفريد ١٥٨/٢ والبيان والتبيين ٢/ ٧١ ونهاية الارب ٧/ ٢٥٥.

(٥) في المصادر الأخرى: أملاً لا يبلغه.

(٦) في المصادر الأخرى: وجامع.

(٧) إصره: ذنبه.

(٨) في الأصول الأخرى: بوزره على ربه آسفاً قد .

● ٣٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله عن عَوانة بن الحكم قال[1]:

لمّا اشتدّت شوكةُ أهل العراق، وطال توثُّبهم بالولاة، يحصبونَهم[2] ويقصرون بهم، أمر عبد الملك منادياً فنادى: الصلاةُ جامعة، فاجتمع الناسُ فخطبهم فقال:

أيّها الناسُ، إنّ العراقَ قدْ علا لهبُها، وسطَع وميضُها، وعظم الخطْبُ.

فجمرُها ذكيٌّ، وشهابها وريٌّ، فهل من رجلٍ يُنتدَبُ لهم، ذي سلاحٍ عتيدٍ، وقلبٍ شديدٍ، فيخمد نيرانَها ويُبيد شبّانها؟ فسكتَ الناسُ جميعاً، ووثَب الحجّاجُ بن يوسف فقال: أنا يا أمير المؤمنين.

قال: ومَن أنتَ؟

قال: أنا الحجّاجُ بن يوسف بن الحكم بن عامر بن عروة بن مسعود، صاحبِ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم ـ وعظيم القريتين.

قال له: اجلسْ، فلستَ هناك.

ثم سأل عبد الملك: مَن للعراق؟ فسكت الناس، ووثب الحجّاجُ.

فقال: أنا يا أمير المؤمنين. (٢٤ ظ /).

قال: ومَن أنت؟

قال: أنا من قومٍ رغِبت في مناكحتهم قريشٌ ولم ييأسوا[3] منهم. وإعادةُ الكلام مما يَنسب صاحبَه إلى العيّ، ولولا ذلك لأعدتُ الكلامَ الأول.

فقال عبد الملك: اجلس فلستَ هناك. ثم أطرق عبد الملك مليّاً، ثم رفع رأسه، وقال: مَنْ للعراق؟ فسكت الناسُ. فقال عبد الملك: مالي أرى الليوثَ قد أطرقت، ولا أرى أسداً[4] يزأرْ نحو فريسته؟ فسكتَ الناسُ، ووثب الحجّاج وقال: أنا للعراق يا أمير المؤمنين.

---

(١) بعض هذه المحادثة في مروج الذهب ٥/ ٢٩١.

(٢) يحصبونهم: يرمونهم بالحصبة وهي الحجارة.

(٣) في المخطوطة: ييئسوا.

(٤) في النص: أسد.

قال: وما الذي أعددتَ لأهل العراق؟

قال: ألبسُ جِلدَ النّمر، ثم أخوض الغمَرات، وأتّبعُ الهلكاتِ، فمَن نازعني طلبتُه، ومَن لحقته قتلتُه بشدّة، وعجلٍ وريثٍ، وتبرٍّ[1] وازورارٍ، وطلاقة واكفهرار، ورِفق وجفاءٍ، وصِلةٍ وحِرمانٍ، فإن استقاموا كنتُ لهم والياً حَفيّاً[2]، وإنْ خالفوا لم أبقِ منهم طويّاً، فهذا ما أعددتُ لهم يا أمير المؤمنين، ولا عليكَ أنْ تجرّبني، فإنْ كنتُ للطُلى[3] قطّاعاً، وللأرواح نزّاعاً، وللأموال جمّاعاً، وإلاّ فاستبدل بي، فإنّ الرجال كثيرٌ.

فقال عبد الملك: أنت لها. ثم التفتَ إلى كاتبه فقال: اكتبْ عهدَه ولا تؤخّره، وأعطه من الرجال والكراع والأموال.

قال عبد الملك بن عُمير: فبينا نحن جلوسٌ في المسجد الأعظم إذ أتانا آتٍ فقال: هذا الحجّاج بن يوسف قد قدم أميراً على العراق، فاشرأبَّ الناسُ نحوه، ثم افراجوا إفراجة عن صحن المسجد، فإذا نحن به يتبهنسُ[4] في مشيته، عليه عمامةٌ حمراء متلثّماً بها، متنكّباً قوساً عربيّة، يؤمّ المنبر (٢٥ و /) فما زلتُ أرمقه ببصري حتى صعد المنبر، فجلس عليه ما يحدرُ اللثامَ، وأهل الكوفة يومئذ لهم حال حسَنٌ، وهيئة جميلة وعزٌّ ومنَعةٌ ويَسار، يدخل الرجل منهم المسجد ومعه عشرة أو عشرون رجلاً من مواليه وأتباعه، عليهم الخزون والقوهيّة[5] وفي المسجد رجل يقال له: عُمير بن ضابيء البُرجميّ[6]. فقال لمحمد بن عمير بن عطارد التميميّ[7] :

---

(١) في الأصل كلمة غير واضحة تشبه ما أثبتناه.

(٢) حفيّاً: مبالغاً في إكرامهم.

(٣) الطلى: الأعناق أو أصولها، وأحدها طلية أو طلاة.

(٤) يتبهنس: يتشبه بالأسد في ثقله وضخمه.

(٥) القوهية: ثياب بيض.

(٦) هو عمير بن ضابيء الحارث البرجمي، شاعر من سكان الكوفة توفي سنة ٧٥ هـ مات أبوه في سجن عثمان رضي الله عنه. (انظر الطبري ٦/ ٢٠٧ والأعلام ٥/ ٢٦٥).

(٧) هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي الدارمي. من أشراف أهل الكوفة وأجوادهم، شاعر وأحد أمراء الجند في صفين مع الإمام علي رضي الله عنه وله أخبار مع =

هل لكَ أنْ أحصبه لكَ؟

قال: لا، حتى أسمع كلامه.

فقال: لعن الله بني أميّة حيث يستعملون علينا مثل هذا، ولقد ضيَّع الله العراق حيث يكون عليها مثل هذا أميراً، والله لو كان هذا كلّه كلاماً لم يكن شيئاً. والحجّاج ساكت ينظر يمنةً ويسرة، حتى غصَّ المسجد بأهله فقال[1]: يا أهل العراق، إني لأعرف قدْر اجتماعكم. اجتمعتم؟

فقال رجلٌ: قد اجتمعنا أصلحك الله. فسكتَ هُنيهةً لا يتكلّم. فقالوا: ما يمنعه من الكلام إلاّ العيُّ والحصْرُ.

فقام الحجّاج، فحدرَ لثامَه ثم قال: يا أهل العراق، أنا الحجّاج بن يوسف بن عامر بن عروة بن مسعود.

أنـا ابـن جَـلا وطـلاّع الثنـايـا ... متـى أضـع العمـامـة تعـرفـونـي[2]
صليـبُ العُـود مـن سَلَفـي تـرانِ ... كنصـل السيـف وضّـاح الجبيـن[3]
ومـاذا يـدّري الشعـراءُ منّـي ... وقـد جـاوزت حـدَّ الأربعيـن[4]
أخـو خمسيـن مجتمعـاً أشُـدي ... ونجّـذَنـي مُـداورة السنيـن[5]

= الحجاج. (الأغاني ١٣/ ٤٦ والإصابة ٣/ ٢٢٧).

(١) الخطبة في جمهرة خطب العرب ٢/ ٢٨٨ وهي مشهورة، أوردها أكثر مؤلفي كتب الأدب والتاريخ.

(٢) انفرد الزبير في الموفقيات بذكر استشهاد الحجاج بهذه الأبيات جميعاً. وجميع مصادر خطبته تذكر البيت الأول فقط.
والأبيات للشاعر المخضرم سحيم بن وثيل الرياحي من بني حمير. وهي الأصمعية الأولى في الأصمعيات ط مصر. وفي الأصمعيات مصادر تخريجها فلتنظر هناك. وابن جلا: الواضح المكشوف. والثنايا جمع ثنية وهي الطريق في الجبل.

(٣) في الأصمعيات: كريم الخال من سلفي رياح.

(٤) في الأصمعيات: رأس الأربعين. ويدّرى: يختل.

(٥) في الأصمعيات: مداورة الشؤون.
نجذني: حنّكني وعرّفني الأشياء. في شرح الأصمعي.

وإنـــي لا أعـــود إلـــى مـــربّـــي غـــداةَ الغـــب إلاّ أي حيـــن[1]

(٢٥ ظ /) والله يا أهل العراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافُها، وإني لَصاحبها، والله إني لأنظرُ إلى الدماءِ بين العمائم واللّحى.

هــذا أوان الشــدِّ فــاشتــدي زِيَــمْ قــد لفّهــا الليــلُ بســواق حُطَــمْ[2]

ليــس بــراعــي إبــل ولا غنــمْ ولا بجــزّارٍ علــى ظهــرِ وضَــمْ[3]

[ثم قال:][4]

قــد لفّهـــا الليـــل بعصلبـــيّ وشمّـــرت عـــن ســـاقٍ شمـــري[5]

أروعَ خـــرّاج مـــن الـــدويّ مهـــاجـــرٍ ليـــس بـــأعـــرابـــيّ

[ثم قال:][6]

مـــا علّتـــي وأنـــا شيـــخٌ إدُّ والقـــوس فيهـــا وتَـــرٌ عُـــرُدُّ[7]

---

(١) في الأصمعيات:

وإنـــي لا يعـــود إلـــيّ قـــرنـــي غـــداة الغـــب إلاّ فـــي قـــريـــن

وشرح الأصمعي الغب بقوله: أن تشرب الإبل يوماً ثم تترك يوماً.

(٢) الرجز في حواشي الكامل للمبرد ١/ ٣٣٤ منسوب لرويشد بن رميض العنبري. وكذا في اللسان (حطم). وفي الأغاني: ١٤/ ٤٥ منسوب لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم، وهو شريح بن ضبيعة.

زيم: اسم فرسه أو ناقته. وقيل اسم للحرب.

(٣) في الأغاني: لست براعي.

والوضم: كل ما قطع عليه اللحم كالخشبة ونحوها.

(٤) ما بين الحاصرتين تكملة من جمهرة خطب العرب.

(٥) في الجمهرة ومصادرها الأخرى روى الرجز هكذا:

قـــد لفّهـــا الليـــل بعصلبـــي أروع خـــرّاج مـــن الـــدوي

مهـــاجـــر ليـــس بـــأعـــرابـــي

والعصلبي: الرجل الشديد القوي البنية. والدوي: الغماء الشديدة.

(٦) ما بين الحاصرتين تكملة من الجمهرة.

(٧) في الجمهرة ومصادرها الأخرى روى الرجز هكذا:

قـــد شمّـــرت عـــن ســـاقهـــا فشـــدّوا والقـــوس فيهـــا وتـــر عـــرد =

مثـــل ذراع البَكـــر أو أشـــدُّ

والله يا أهل العراق، لا يُغمَز جانبي كتغماز التين، ولا يُقعفعُ لي بالشّنان[١].

ولقد فُررتُ عن ذكاءٍ[٢]، وفُتّشتُ عن تجربة، وأجريتُ عن الغاية[٣]. وإنّ أمير المؤمنين نثَر كنانته بين يديه، فعجمَ عيدانها فوجدني أمرَّها سَهماً، وأشدّها مكسِراً، فوجّهني إليكم، ورماكم بي.

يا أهل العراق، ويا أهل الشّقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق لأنكم طالما اضطجعتم في منام الضلال، وأوضعتم[٤] في أودية الفتنة، وسننتم سنن الغيّ.

وأيّم الله لألحونكم لحوَ العُود[٥]، ولأقرعنّكم قرْعَ المرْوَة[٦]، ولأعصبنّكم عَصب السَّلَمةِ[٧]، ولأضربنّكم ضربَ غريبة الإبل.

فإياي وهذه الزّرافات والجماعات، وقالَ وما يقولُ، وكانَ وما يكونُ، ما أنتم وذاك؟

يا أهل العراق، إنما أنتم (٢٦ و /) لكأهل[٨] قريةٍ﴿كانت آمِنَةً مُطمئنّةً يأتيها رزقُها رغَداً من كلِّ مكانٍ فكفرَتْ بأنعم الله فأذَاقَها الله لِبَاسَ الجُوعِ والخَوفِ﴾[٩].

فاستوسِقوا واعتدِلوا ولا تميلوا، واسمَعوا وأطيعوا، وشايعوا وبايعوا، واعلموا

= وجـــدّت الحـــرب بكـــم فجـــدوا مثـــل ذراع البكـــر أو أشـــد

لا بـــدّ ممـــا ليـــس منـــه بـــد

الأد: العجيب. والعردّ: الشديد.

(١) الشنان: واحدها الشن وهو القربة البالية، تحرك إذ أريد حث الإبل على السير لتفزع.

(٢) فررت عن ذكاء: فسرها المبرد بقوله: يعني تمام السن.

(٣) في المصادر الأخرى: وجريت إلى الغاية القصوى.

(٤) أوضعتم أسرعتم في سيركم.

(٥) في الجمهرة: لحو العصا. ولحا العصا: قشرها.

(٦) المروة: حجارة بيض توري النار.

(٧) السلمة: شجر كثير الشوك.

(٨) في الأصل: أهل قرية. وما أثبتناه عن مصادر الخطبة أحسن.

(٩) سورة النحل آية ١١٢.

أنّه ليس منّي الإكثارُ ولا الاهذارُ، ولا مع ذلك الفِرار والنِفار، إنما هو انتضائي هذا السيف، ثم لا يُغمد الشتاء ولا الصيف، حتى يَظهرَ أمرُ الله، وحتى يذلَّ صعبكم، ويقيم من أودكم وصعركم.

ثم إني وجدتُ الصدقَ مع البِرِّ، ووجدتُ البِرَّ في الجنّة. ووجدتُ الكذبَ مع الفجور، ووجدت الفجور في النار، وإنّ أمير المؤمنين أمرني بأعطياتكم وإشخاصكم لمجاهدة عدوّكم، وقد أمرتُ لكم بذلك، وأجّلتكم ثلاثاً، وأعطيتُ الله عهداً يأخذني به، ويستوفيه منّي، ليس يخلفُ أحدٌ منكم بعد قبض عطائه يوماً واحداً لأضربنَّ عنقه، ولأهبنّ مالَه[1].

يا غلام اقرأ كتابَ أمير المؤمنين. فقال الكاتب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم: من عبد الله عبد الملك أميرِ المؤمنين إلى مَنْ بالعراق من المسلمين والمؤمنين.

سلامٌ عليكم. فلم يردّ أحدٌ السلامَ. فقال الحجّاج من المنبر: اسكتْ يا غلام. يا أهل الفُرقة، سَلَّمَ عليكم أميرُ المؤمنين فلم تردّوا عليه[2]. أما ـ والله ـ لئن بقيتُ لكم لأؤدبنّكم أدباً سوى أدب ابن أُذينة[3]، أو لتستقيمنَّ لي، ولأجعلنَّ لكلّ امرىء منكم شغلاً في نفسه[4].

يا غلام: اقرأ كتابَ أمير المؤمنين (٢٦ ظ /).

فقال الكاتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم. فلما بلغ السلام قال مَنْ في المسجد: وعلى أمير المؤمنين السلامُ، ورحمة الله وبركاته. ثم نزل فدخل دار الإمارة، فحُجب

---

(١) في الجمهرة: وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه، وأنهبت ماله وهدمت منزله.

(٢) في الكامل: أسلّم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً؟

(٣) في الكامل: ابن أنهية. وفي هامشه: زعم أبو العباس أن ابن أنهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج.

(٤) في الطبري: والله لتستقيمن على سبل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً من جسده.
وفي الكامل: أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن.

الناسُ ثلاثة أيام. فلما كان اليومُ الرابع أذن للناس فدخلوا عليه، ودخل عليه عُميرٌ بن ضابىء[1] فيمن دخل فقال: أصلحك الله، إني شيخٌ كبيرٌ، وقد خرج اسمي في هذا البعث، ولي ابنٌ، هو على الحرب والأسفار أقوى مني وأشجع عند اللقاء. فإن رأى الأمير أن يجعله مكاني فعلَ.

فقال الحجّاجُ: أيّها الشيخ، راشداً، وابعث ابنك بديلاً.

فلمّا ولّى قال له عنبسةُ بن سعيد بن العاص[2]: أيّها الأمير، أتعرف هذا؟

قال: لا والله. قال: هذا عُمير بن ضابىء الذي أراد أبوه أنْ يفتكَ بأمير المؤمنين عثمان، ولم يزل محبوساً في حبس أمير المؤمنين حتى أصابته الدُبيلةُ[3]، ثم جاء هذا فوطىء أمير المؤمنين وهو مقتولٌ، وكسر ضلعاً من أضلاعه. وأبوه الذي يقول[4]:

هممتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتني ... فعلتُ وكان المعولات حلائله[5]

فقال الحجّاج: ردّوا عليّ الشيخَ.

فلما أدخل عليه قال: أمّا يوم الدار فتشهدُ بنفسك، وأمّا في قتال الخوارج فتبعث بديلاً. أما والله أيّها الشيخ إنّ في قتلك لَصلاحٌ لأهل المصريْن بأحسن شيء. اضربا عنقه.

وسمع الحجّاج صوتاً، فقالوا: هذه البراجم[6] تنتظر عميراً (٢٧ و /). قال: ارموا إليهم برأسه. فرُمي به إليهم، فولّوا هاربين.

(١) مرت ترجمته في ص ٨٩.

(٢) هو عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي، كان يرافق الحجاج، ويجلس في مجلسه، وعندما سمع بأنه يلحن في القرآن أخرجه الحجاج من العراق ورجع إلى خراسان سنة ٨٥ هـ. (جمهرة أنساب قريش ص ٨١).

(٣) الدبيلة: داء في الجوف.

(٤) البيت في ابن سلام ص ١٤٥ والكامل ١/ ٣٣٥ من مقطوعة في سبعة أبيات.

(٥) في المصدرين السابقين: تركت على عثمان تبكي حلائله.

(٦) البراجم: قبيلة عمير بن ضابىء.

قال: وكان ابن عمٍّ لعبد الله بن الزبير الأسدي[1] قد سأل أن يُشفّع له إلى الحجاج ليتخلف عن الجيش. فلما قتل عميراً بادر بالخروج، ولم ينتظر الإذن. فقال عبد الله بن الزَّبير[2]:

أقــول لإبــراهيــمَ يــومَ لقيتُــه ... أرى الأمـر أمسىٰ مُفضعـاً متصعبـا[3]
تجهّـزْ فـإمّـا أنْ تـزور ابـن ضـابـىءٍ ... عُميـراً وإمّـا أنْ تـزور المهلّبـا[4]
همـا خطّتـا سـوءٍ نجـاؤك منهمـا ... ركـوبـك حـوليّـاً مـن الثلـج أشهبـا[5]
وإلاّ فمـا الحجّـاج مُغمِـد سيفـه ... يدَ الدهر حتى يترك الطفل أشيبا[6]
فأضحىٰ ولو كانت خراسانُ دونه ... رآهـا مكـان السـوق أو هـيَ أقـربـا[7]

● ٣٨ ـ قال أبو عبد الله: قال مالك بن دينار[8]:

لقد سمعت من الحجاج كلماتٍ وقَذَتني[9]، فقيل: يا أبا يحيى، إنّ كلامَ الحجّاج ليقذُكَ؟

---

(١) هو عبد الله بن الزَّبير (بفتح الزاي) بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة، من شعراء الدولة الأموية المتعصبين لهم. انقطع آخر أيامه إلى مدح مصعب بن الزبير. توفي بعد أن عمي في خلافة عبد الملك بن مروان. (ترجمته في الأغاني ١٣/ ٣١ وخزانة الأدب ١/ ٣٤٥).

(٢) الأبيات في الطبري ٦/ ٨٣ والمسعودي ٥/ ٣٠١. وفي شعره ٥٣.
و ٢ ـ ٤ في الكامل ١/ ٣٣٦.

(٣) في الطبري والمسعودي: لمّا لقيته.
وفي الطبري: منصباً متشعباً.

(٤) في الطبري:
تجهـز وأسـرع والحـق الجيـش لا أرى ... سوى الجيش إلا في المهالك مذهبا

(٥) في الكامل: هما خطتا خسف.
وحوليّا: المهر الذي مر عليه حول.

(٦) سقط البيت من الطبري.

(٧) في الطبري: فحال ولو كانت.

(٨) هو مالك بن دينار أبو يحيى البصري، كان مولى لامرأة من بني سامة بن لؤي، وكان زاهداً كثير الورع محدثاً، ويكتب المصاحف. توفي سنة ١٣٠ هـ. (ابن خلكان وصفة الصفوة ٣/ ١٩٧).

(٩) وقذه: ضربه على استرخاء وأشرف على الموت.

قال: نعم. سمعتُه على هذه الأعواد يقولُ[1]: إن امرءاً ذهبت ساعةٌ من عمره على غيرِ ما خُلق له لحريٌّ أنْ تطول حسرتُه. وسمعته يقول: امرؤ زوّر[2] نفسه، امرؤ لم يأتمن نفسه على نفسه، امرؤٌ حاسبَ نفسَه[3] قبل أنْ تصيرَ المحاسبة إلى غيره، امرؤٌ جعل لنفسه زِماماً ولِجاماً، فقادها بالزِّمام إلى طاعة الله، وكبحها باللّجام عن معصية الله.

● ٣٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلّام قال: قال خالد بن صفوان[4]: دخلت المسجدَ وإذا الحجّاج على المنبر يخطب (٢٧ ظ /) فسمعته يقول[5]:

يا أهل العراق، ويا أهل الشِّقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق، يا عبيدَ العصا، وألأمَ البشر، كالفَقْع بالقرقر[6].

ألستم أصحاب دُمشقا[7]، يا ذوو أصحاب الزاوية[8] ومسكن[9] ودير الجماجم[10] حين حاكمناكم إلى الله فقضى لنا عليكم.

تزعمون أني أعلمُ الغيب، وقد قال الله ـ جل ثناؤه ـ ﴿عالِمُ الغيبِ فلا يُظهرُ على غيبه أحداً﴾[11].

---

(١) النص في جمهرة خطب العرب ٢/٣٠٢.
(٢) زوّر: حسّن.
(٣) في الجمهرة: امرؤ حاسب نفسه، امرؤ راقب ربه . . .
(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم التميمي المنقري، من فصحاء العرب المشهورين، وخطبائهم المعدودين، وفد إلى هشام وسامر السفّاح. (المعارف ص ٣٣).
(٥) انظر جمهرة خطب العرب ٢/٢٨٨.
(٦) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة. والقرقر: الأرض المطمئنة.
(٧) كذا في المخطوطة.
(٨) وقعة بين الحجاج وابن الأشعث في موضع قرب البصرة سنة ٨٢ هـ.
(٩) موضع على نهر دجيل من أرض الكوفة وقعت عنده معركة بين الحجاج وابن الأشعث.
(١٠) وقعة بين الحجاج وبين ابن الأشعث في موضع قرب الكوفة سنة ٨٣ هـ.
(١١) سورة الجن آية ٢٦.

وتزعمون أني ساحرٌ فبئس الدِّين دينٌ ظهرَ عليه السحر، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ولا يُفلحُ الساحِرُ حَيثُ أتىٰ﴾[1].

وتزعمون أني بقيّة ثمودَ فوالله ما نجا مع صالح إلاّ خيارهم، وهلكَ الآخرون، وقد قال الله عز وجلّ ﴿وثمودَ فما أبْقىٰ﴾[2]. ثم تمثّل بقول سويد بن أبي كاهل[3]:

رُبَّ مَــن أنضجــتُ غيظــاً صــدرَه ... قــد تمنّــى لــي مــوتــاً لــم يُطــع[4]
ويــرانــي كــالشجــا فــي حَلْقِــه ... عَسِــراً مخــرجُــه لا يُنتَــزع
ويحيّيــنــي إذا لاقيتُــه ... وإذا يخلــو لــه لحمــي رتَــع
كيــف تــرجــون سقــاطــي بعــدمــا ... شمــل الــرأسَ مشيــبٌ وصلــع
وإبــاءً للــدنيّــات إذا ... ضغــط المكــروبَ ضيــمٌ فقبــع
وبنــاءً للمعــالــي إنمــا ... يــرفــع الله ومَــن شــاء وضــع

● ٤٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني عن مجاهد عن الشعبي عن عبد الملك بن عُمير قال[5]:

خطبنا الحجّاج بن يوسف ذات يوم، وخرج بالهاجرة، فما زال يفتنُّ مرّةً في أهل (٢٨ و /) الشام، ومرّة في أهل العراق، يقول: يا أهل الشام، إنما أنتم كما قال النابغة الذبياني[6]:

هــمُ درعــي التــي استــلأمــتُ فيهــا ... إلــى أهــل النِّســار وهــم مِجَنــي[7]

---

(١) سورة طه آية ٦٩.
(٢) سورة النجم آية ٥١.
(٣) هو سويد بن أبي كاهل عطيف اليشكري ويقال الغطفاني شاعر مخضرم عاش إلى ما بعد الستين. (الأغاني ١١/ ١٦٥ والإصابة ٢/ ١١٧).
(٤) كانت العرب تسمي هذه العينية اليتيمة لما اشتملت عليه من الأمثال كما في الإصابة، وهي مفضلية. (انظر المفضليات ٣٨١).
(٥) جمهرة خطب العرب ٢/ ٢٩٥.
(٦) الديوان ١٢٣.
(٧) في الديوان: إلى يوم النسار. والنسار ماء لبني عامر له يوم. والمجن: الترس.

وهـــمْ وردوا الجفـــار علـــى تميـــمٍ وهـــم أصحـــاب يـــوم عكـــاظ إنـــي[1]
شهـــدتُ لهـــم مـــواطـــن صـــادقـــاتٍ أتيتهـــمُ بـــــودٍّ الصـــــدر منـــــي

ثم التفتَ إلى أهل الكوفة فقال: هذه المدرةُ[2] الخبيثةُ يجلسون على الكراسي ثم يقولون: ما الهبرُ ما الهبرُ[3].

والله لئن تحرّك فيها متحرّكٌ لأتركنّها كأمس الدابر، فلم يزل يفتن مرّة في أهل الشام، ومرّة في أهل العراق حتى لا يُرى من الشمس إلاّ حُمرةً على شُرَفِ المسجد. ثم أمر المؤذّن فأذّن، فصلّى بنا الجمعة، ثم أذّن فصلّى بنا المغرب فجمع بين الصلوات يومئذٍ.

● ٤١ ـ قال أبو عبد الله:

لمّا مات الحجّاج قال الحسن[4]:

اللهمّ أنتَ أمتّه[5] فاقطعْ عنا سُنّته، فإنه أتانا أخيفش أعيمشَ، يمدّ بيدٍ قصيرة البَنان[6]، والله ما عرق فيها عنانٌ في سبيل الله، يُرجِّلُ جُمّتَه، ويخطو في مشيته، ويصعد المنبر فيهذر حتى تفوته الصلاة.

لا من الله يتّقي، ولا من الناس يستحي، فوقه الله، وتحته مائةُ ألف أو يزيدون.

ألا يقول له قائلٌ: الصلاة أيّها الرجل. ثم يقول الحسن: هيهات، والله حال دون ذلك السيف والسَّوْط.

● ٤٢ ـ قال أبو عبد الله:

وخطب الحجّاج ذات يومٍ بالكوفة فقال:

---

(١) الجفار: ماء لبني تميم.

(٢) المدرة: السيد الزعيم.

(٣) الهبر: القطع والضرب.

(٤) هو الإمام الحسن بن يسار البصري، والنص في وفيات الأعيان ١/١٢٦ وابن عساكر ١/٨٢ وأمالي المرتضى ١/٨.

(٥) في ابن عساكر: اللهم هذا عقيرك وأنت قتلته.

(٦) في أمالي المرتضى: وأخر إلينا بناناً قصارا.

يا أهل العراق، أتيتكم وأنا أرقلُ في لمّتي، فما زال بي شقاقكم حتى أنحصَّ شعري. (٢٨ ظ /) ثم كشف عن رأس له أقرع، ثم أنشأ يقول:

مــن يــكُ ذا لمّــةٍ يكفّفهــا ... فـإنني غيـرُ ضـائـري زعِـري[١]
لا يمنــع المــرءَ أنْ يســودَ وأنْ ... يضــرب بـالسيـف قلّـة الشعــر

● ٤٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم التميمي قال:

كنتُ مع الواثق[٢] بالصالحيّة[٣] فقلت[٤]: أصلح الله أميرَ المؤمنين حضرني بيتان فقال: أنشدهما: فأنشدته:

طُـربـتَ إلـى الأصيبيّـة الصغـار ... وشـاقَـك منهـم قـرب المـزار[٥]
وكـل مسـافـر يـزدادُ شـوقـاً ... إذا دنـتِ الـديـارُ مـن الـديـار[٦]

وأنشدني في الواثق[٧]:

أشكـو إلـى الله بُعـدي عـن خليفتـه ... ومـا أعـالـج مـن سُقـم ومـن كِبـر
لا أستطيـع رحيـلاً إن هممـتُ بـه ... يـومـاً إليـه ولا أقـوى علـى السفـر
أنـوي الـرحيـلَ إليـه ثـم يمنعنـي ... ما أحدثَ الدهرُ والأيام في بصري

● ٤٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني عن عوانة بن الحكم قال:

مرض عبد الله بن الأهتم[٨]، فأتاه رجلان من أصحاب الحسن البصري

---

(١) ويقال: زعر الشعر أي قلّ وتفرّق.
(٢) الواثق: هو الخليفة العباسي الواثق بالله هارون بن المعتصم، كان أديباً وشاعراً، تولى الخلافة سنة ٢٢٧ هـ وتوفي سنة ٢٣٢ هـ. (العبر ١/ ٤١٢).
(٣) الصالحية: محلة ببغداد تنسب إلى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين. (ياقوت).
(٤) الخبر في الأغاني ٥/ ٩٤ برواية حماد بن إسحق عن أبيه.
(٥) في الأغاني: حننت إلى.
(٦) في الأغاني: وأبرح ما يكون الشوق يوماً.
(٧) الأغاني ٥/ ١١٧.
(٨) هو عبد الله بن الأهتم المنقري، كان خطيباً ذا مقامات ووفادات. (البيان والتبيين ١/ ٣٥٥).

يعودانه، فلما أنْ دخلا عليه قالا[1]: كيف تجدك يا أبا معمر؟ قال: أخذني ـ والله ـ وجعٌ[2]، وما أظنني إلاّ لما بي. ولكنْ ما تقولان في مائة ألف درهم في الصندوق لم تؤدَّ منها زكاةٌ، ولم توصَل رحِمٌ؟

فقالا له: ثكلتك أمُّك، لمن كنت تجمعها؟

قال: كنت ـ والله ـ أجمعها لروعة الزمان، وجفوة السلطان (٢٩ و /) ومكابرة العشيرة.

فخرجا من عنده فأتيا الحسن بن أبي الحسن البصري، فأخبراه بذلك، فقال: البائسُ إنما أتاه شيطانه فذكّره روعةَ زمانه، وجفوة سلطانه، فخرج ـ والله ـ من ماله جريباً سليباً ذميماً مَلوماً. فلما أنْ مات دعا ابنه فمسح يده على رأسه ثم قال له: إيهاً عنك أيها الوارث لا تُخدَع كما خُدع صويحبك أمامك، فقد أتاك هذا المالُ حلالاً، فإيّاك أن يكون عليك وبالاً، أتاك ممن كان له جموعاً مَنوعاً، يدأبُ فيه الليلَ والنهار، ويقطع فيه لُجَج البحار والمفاوز والقِفار، ومن باطل جمعه ومن حقّ منعه، جمعه فأوعاه، وشدّه فأوكاه[3] لم يؤدّ منه زكاة، ولم يصل منه رحماً، إنّ أعظم الحسرات يوم القيامة أنْ يرى الرجلُ[4] مالَه في ميزان غيره، فيا لها حسرةٌ لا تُقال، وتوبةٌ لا تُنال[5].

● ٤٥ ـ قال أبو عبد الله:

كتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر[6] إلى صديقٍ له:

---

(١) الخبر في شرح نهج البلاغة ٥/ ٤٨٠ وفيه أن الحسن البصري عاد عبد الله بن الأهتم في مرضه الذي مات فيه فأقبل عبد الله يصرّف بصره إلى صندوق في جانب البيت ثم قال للحسن: يا أبا سعيد فيه مائة ألف لم يؤد منها زكاة، ولم توصل بها رحم... الخ مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

(٢) في الأصل: وجعاً. تحريف.

(٣) أوكاه: أحكم رباطه، من الوكاء، وهو رباط القربة ونحوها.

(٤) في شرح نهج البلاغة: أن ترى مالك.

(٥) في شرح نهج البلاغة: ورحمة لا تنال، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٦) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من شجعان الطالبيين وأجوادهم =

أمّا بعد[1]: فقد بدأتني بلطفٍ عن غير خبرة[2]، ثم أعقبتني جفاءً من غير ذنب، فأطمعني أوّلُك في إخائك، وأيأسني آخرُك في وفائك، فلا أنا في غير الرجاء مزمعٌ لك اطّراحاً، ولا في غدٍ وانتظاره منك على ثقة. فسبحان مَن لو يشاءُ كشف بإيضاح الرأي عن عزيمة الشكّ فيك، فأقمنا على ائتلاف، وافترقنا على اختلاف.

● ٤٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن (٢٩ ظ /) عبد الله عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال:

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[3]: مَنْ تعرّض للتهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ به الظنَّ، ومَن كتم سرَّه كان الخيار إليه[4]، ومَن أفشاه كان الخيار عليه.

وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك فيه ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها من الخير محملاً، وكن في اكتساب الإخوان على التقوى. وشاور في أمرك الذين يخافون الله[5].

● ٤٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني عن عوانة بن الحكم قال: قال الشعبيّ[6]:

سمعتُ الحجّاج يتكلّم بكلام ما سبقه إليه أحدٌ، سمعته يقول: أمّا بعد: فإنّ الله كتب على الدنيا الفَناءَ، وعلى الآخرة البقاء. فلا فناءَ لما كتبَ عليه البقاء، ولا بقاء لما كتبَ عليه الفناء، فلا يغرّنكم شاهدُ الدنيا[7] عن غائب الآخرة. واقهروا طول الأمل بقصَر الأجل.

= وشعرائهم، طلب الخلافة في أواخر دولة الأمويين وقتل في سنة ١٢٩ هـ. (المعارف ٢٠٧ والطبري ٧/ ٨٠٢).

(١) الرسالة في جمهرة رسائل العرب ٢/ ٥٧١ وفيها مصادرها.

(٢) في الجمهرة: فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك، وذلك أنك ابتدأتني . . .

(٣) نص أقوال عمر رضي الله عنه في شرح نهج البلاغة ٣/ ٧٥٧ ومناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ١٧٩.

(٤) في شرح نهج البلاغة: كانت الخيرة بيده.

(٥) في شرح نهج البلاغة: واستشر في أمرك أهل التقوى.

(٦) جمهرة خطب العرب ٢/ ٣٠٣ ومصادرها فيها.

(٧) شاهد الدنيا: حاضرها.

● ٤٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني سعد بن طريف عن عكرمة عن ابن عبّاس قال:

لا تهتكوا ستراً فإنّه كان رجلٌ من بني إسرائيل، وكانت له امرأةٌ تقول: هتك الله ستر امرأةٍ تخونُ زوجها بالغيب، فبعث إليها يوماً سمكة، ثم قامت على رأسه فقالت: هتك الله ستر امرأةٍ تخونُ زوجَها بالغيب فقهقهت السمكة واضطربت حتى سقطت من (٣٠ و /) الخوان فأعادها في القصعة ثم قال لها: أعيدي كلامك.

فأعادت، فقهقهت السمكة حتى سقطت من القصعة، فعلت ذلك ثلاث مرّات، كلّ ذلك تقهقه السمكة وتضطرب حتى تسقط من الخوان. فأتى عالِم بني إسرائيل، فأخبره. فقال: انطلقْ فاذكر ربَّك، وكلْ طعامك، واخسَأ الشيطان عنك.

فقال له أخفاء الناس: انطلقْ إلى ابنه، فإنّه أعلمُ منه، فانطلقَ فأخبره، فقال: ائتني بكلِّ مَن في دارك ممّن لم ترَ عورتَه. فأتاه بهم، فنظر في وجوههم ثم قال: اكشف عن هذه الحبشيّة، قال: فكشف عنها فإذا معها ذراع البكر، فقال: من هذا أتيت، فمات أبو الفتى العالِم، وهُتك بهتكه ذلك الستر، واحتاج إليه الناسُ، فأتاه بنو إسرائيل فقالوا: ويحكَ أنتَ كنت أعلمنا وأملنا.

فلما كثروا عليه هرب منهم إلى أقصى موضع بني إسرائيل، موضعٍ يقال له: الرَّبّة، وهي من أرض البلقاء، فأُتيح له امرأةٌ جميلة تستفتيه. فقال لها: هل لكِ أنْ تمكنيني من نفسكِ، وأهب لك مائتي دينار؟

قالت: وخيرٌ من ذلك تجيء إلى أهلي فتزوجني، وأكون لك حلالاً أبداً.

قال: فأين منزلكِ؟ فوصفت له. فطالت عليه تلك الليلةُ، فمضىٰ فإذا هو بكلبةٍ تنبحُ، في بطنها جِراؤها، فقال: ما أعجب هذا!

قيل له: امضِ، لا تكوننَ مكلّفاً، فسوف يأتيك خبرُ هذا.

فمضى، فإذا هو برجل يحمل حِجارة، كلما ثقلت عليه، وسقطت منه (٣٠ ظ /) زاد عليها.

فقال له: أنت لا تستطيع تحمُّلَ هذا، تزيد عليه!

قال: امضِ لا تكوننّ مكلّفاً، سوف يأتيك خبر هذا. فمضى، فإذا هو برجلٍ يستقي من بئرٍ، ويصبّه في حوضٍ إلى جانب البئر، وفي الحوض نَقبٌ، فالماءُ يرجع في البئر. قال له: لو سددتَ الجُحر استمسك لك الماء.

امضِ لا تكوننّ مكلّفاً، سوف يأتيك خبرُ هذا. فمضىٰ فإذا هو بظبيةٍ ورجل راكب عليها، وآخرُ يحلبها، وآخر يُمسك بقرنيها، وآخرُ يُمسك بذنَبها، وآخرون يمسكون بقوائمها. قال: ما أعجبَ هذا! فقيل له: امضِ لا تكونن مكلّفاً، سوف يأتيك خبرُ هذا. فمضىٰ، فإذا هو برجل يبذر بذاراً، فلا يقعُ في الأرض حتى ينبت[1]. قال: ثم مضى فإذا هو برجل معه مِنجلٌ يحصد ما بلغ وما لم يبلغ، قال له: لو حصدت ما قد بلغ وتركت ما لم يبلغ. قال له: امضِ لا تكوننّ مكلّفاً سوف يأتيك خبرُ هذا، فمضى فإذا هو بالقصر الذي وعدته، وإذا دونه نهرٌ، وإذا رجلٌ جالسٌ على سريرٍ، فقال له: كيف الطريق إلى هذا القصر، وقد رأيت في ليلتي أعاجيب؟

قال: رأيتُ كلبةً تنبحُ، في بطنها جراؤها.

قال: يأتي على الناس زمانٌ يثبُ الصغيرُ على الكبير، والوضيع على الشريف، والسفيهُ على الحليم.

قال: فإني مررتُ برجلٍ يحملِ حِجارةً، فإذا لم يُطقها وسقطت منه زاد عليها.

قال: يأتي على الناس زمانٌ يكون عند الرجل الأمانةُ (٣١ و/) فلا يقدر يؤدّيها، فيزيد عليها.

قال: فإني مررتُ برجلٍ يستقي من بئرٍ، ويصبّه في حوضٍ إلى جنب البئر، وفي الحوض جُحرٌ، فالماء يرجعُ إلى البئر.

قال: يأتي على الناس زمانٌ يتزوّج الرجلُ المرأةَ لا يتزوّجها لدينٍ، ولا حَسَبٍ ولا جمالٍ، إنما يريد مالَها، وتكون ممّن لا تلِدُ، فيكون كلُّ شيء منها يرجع فيها.

قال: فإني مررت بظبيةٍ، فقصّ قِصّتها.

فقال: أمّا الظبية، فالدنيا، وأمّا الراكب عليها، فالملِك، وأمّا الذي يحلبها فمن

(١) يظهر أن بعد هذه العبارة سقط قصير.

أطيب الناس عيشاً، وأمّا الذي يمسك بقرنها فمن أبأس الناس عيشاً، وأمّا الذي يمسك بذَنَبها، فالذي لا يأتيه رزقه إلاّ قُوتاً، والذين يمسكون بقوائمها فسفَلَة الناس.

قال: فإني مررتُ برجل يبذر بذاراً فلا يقع في الأرض حتى ينبت.

قال: يأتي على الناس زمانٌ لا يدري متى يتزوّج الرجل، ومتى يولد المولود، ومتى يبلغ.

قال: فإني مررتُ برجل يحصد ما قد بلغ وما لم يبلغ.

قال: ذلك ملَكُ الموت يحصد الصغير والكبير، وأنا هو، بعثني الله إليك لأقبضَ روحَك على أسوأ أحوالك.

● ٤٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمّار بن ياسر عن أبي الحسن، رجلٍ من قيس عيلان:

إنّ رجلاً استقرض من ابنه مالاً فحبسه، فأطال حبسَه، فاستعدى عليه الابنُ إلى عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ فقال:

هــــذا والـــــدي حقّـــــا ... ومـــــا كنـــــتُ بـــــه عقّـــــا
بـــذلـــتُ المـــال فـــي رفـــقٍ ... ومـــــا كنـــــتُ بـــــه نـــزْقـــا

(٣١ ظ /)

فلمّـــا خـــفّ مـــن مـــالـــي ... وقـــــد ولّيتـــــه رفقـــــا
تـــولّـــى معـــرضـــاً عنـــي ... ولمـــــا يعطنـــــي حقّـــــا[1]

فقال عليٌّ ـ عليه السلام ـ للشيخ: قد قال ابنُك فماذا تقول؟ قال:

قـــال بُنـــيّ مـــا تـــرى فصـــدِّقـــهْ
ربّيتـــــه فـــــي صغـــــرٍ أفيّقـــــهْ
طـــوراً أفـــدّيـــه وطـــوراً أونقـــه
حتـــى إذا شـــبّ وســـوّى مفـــرقـــه
أقـــرضنـــي مـــالاً لـــه لأنفقـــه

(١) في الأصل: ولم يعطني. ولا يستقيم بها الوزن.

ولـــم أكـــن بمـــالـــه لأسبقـــه
لـــولا الصبـــا منـــه ولـــولا رهقـــه
لـــم يخشنـــي بمـــالـــه أنْ أسبقـــه
فـــاقـــضِ القضـــا والله ربـــي يـــرزقـــه

فقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام:

قـد سمـع القـاضـي ومـن ربّـي فهـمْ
المـــالُ للشيـــخ جـــزاءً بـــالنعـــمْ
وقـــد تسلّفـــتُ بتفضيـــل القِـــدمْ
يـــأكلـــه بـــرغـــم أنـــف مَـــنْ رَغـــمْ
مَـــنْ قـــال قـــولاً غيـــرَ ذا فقـــد ظلـــمْ
وجـــارَ فـــي الحُكـــم وبئـــس مـــا صـــرَمْ

● ٥٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلّام الجُمحي قال: شتم رجلٌ من باهلةَ رجلاً[١] من تميم، فقال التميميّ:

يـــالَ تميـــمٍ دعـــوةً غيـــر أمـــمْ[٢]
مـــن بـــاهلـــيٍّ سَبّنـــي ثمّـــت لـــمْ
يقتـل ولـم يحصـر ولـم يخضـب بـدمْ

قال أبو عبد الله: وإلى هذا تذهب.

● ٥١ ـ حدّثني سفيان بن عُيينة عن أبي المنكدر قال[٣]:

جاء رجلٌ إلى النبيّ ـ ﷺ ـ فقال: إنّ لي مالاً، ولي عيالٌ ولأبي مالٌ (٣٢ و /) ويريدُ أبي أنْ يأخذ مالي.

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنتَ ومالك لأبيك.

---

(١) في الأصل: رجل.
(٢) أمم: الدعوة الأمم هي الدعوة القصد.
(٣) الحادثة والحديث في المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٠٠ وفيه مصادر تخريج الحديث.

● ٥٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن عليّ بن محمد بن عليّ عن عوانة بن الحكم:

إنّ معاوية بن أبي سفيان استعمل عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد المخزومي[(١)] على الصائفة[(٢)]، ثم قال له: ما تصنعُ بعهدي يا عبد الرحمٰن؟

قال: أتّخذه إماماً، ولا أعصيه.

قال: اردُدْ عليّ عهدي.

قال: تعزلني بعد أنْ استعملتني عن غير حدَثٍ؟ أمَا[(٣)] والله لو إنّا بمكة على السَّواء لانتصفتُ منك[(٤)].

قال: ويحكَ لو كنّا بمكة على السواء لكنتَ معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة، ولكنتُ عبدَ الرحمٰن بن خالد بن الوليد، ولكان منزلي بالأبطح[(٥)] ينشَقُّ عنه الوادي، وكان منزلك أجياداً[(٦)] أسفله عذِرةٌ وأعلاه مَدَرَةٌ.

ثم قال معاوية: عليَّ بسفيان بن عوف الغامديّ[(٧)]، فكتب له عهده ثم قال: يا سفيان ما تصنع بعهدي؟

قال: أتّخذهُ إماماً ما أمّ الحرَمَ، فإذا خالفَه خالفتُه.

قال معاوية: هذا ـ والله ـ الذي لا يكفكفُ عن عجلة، ولا يُدفع في ظهره من

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أدرك النبي ﷺ وكان من فرسان قريش وشجعانها وشهد صفين مع معاوية وتوفي بحمص سنة ٤٦ هـ. (الاستيعاب ٢/ ٤٠٠).

(٢) الخبر مختصر في الإصابة نقلاً عن الموفقيات ٢/ ٣٦٠.

(٣) من هنا إلى نهاية عبارة (عبد الرحمٰن) في البيان والتبيين ٢/ ٢٦٤ وعيون الأخبار ١/ ٢٢٠.

(٤) في المصدرين السابقين: . . على السواء لعلمت.

(٥) في المصدرين السابقين: إذا كنت.

(٦) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا.

(٧) سفيان بن عوف الغامدي صحابي، كان له بأس ونجدة وسخاء، شهد فتح الشام ومات بعد الخمسين بقليل. (الإصابة ٢/ ٥٤).

بطاء، ولا يُضرب على الأمور ضربَ الجمل الثفال[1]. سِرْ على بركة الله. فسار فهلك بأرض الروم. واستعمل على الناس عبد الله بن مسعود الفزاريّ[2]. وقال له: إنّ ظفراً عظيماً وغنماً كبيراً أنْ يُرجَع بالمسلمين سالمين لم يُنكبوا. وكانت أوّل ولاية وليها ابنُ مسعود. فأقدم بالمسلمين فنُكبوا، فقال الشاعر (٣٢ ظ /) لعبد الله بن مسعود:

أقم يا ابن مسعود قناةً قويمةً كما كان سفيانُ بن عوف يقيمُها
وسِمْ يا ابن مسعود مدائن قيصرٍ كما كان سفيانُ بن عوف يسومُها

فلما دخل عبد الله بن مسعود على معاوية قال:

أقم يا ابن مسعودٍ قناةً قويمةً

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الشاعر ضمّني إلى رجلٍ لا تُضمُّ إليه الرجال[3].

فقال معاوية: والله إنّ من فضيلتك عندي معرفتك بفضلك.

● ٥٣ ـ وحدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال: حدّثني الفضل بن الربيع عن عيسى بن موسى[4] قال:

أرسل إليّ المنصور ونحن في طريق مكة عشيةً من ذلك، فأتيته والناسُ يسيرون بين يديه وخلفه، فسايرته ساعةً، وحادثته ثم قال لي: أتذكرُ أنيسة بنت زياد ونزولنا بها؟

قلتُ: نعم.

قال: أتذكر يوم عشّتْنا بلبنٍ، فقلتُ لها: تُعشّينا بلبنٍ وقد ذبحتِ اليومَ شاةً؟

---

(١) الثفال: البطيء.

(٢) في الإصابة اسم أبيه مسعدة. وفي الاستيعاب: مسعود أو مسعدة. وكان عبد الله في سبي فزارة فوهبه النبي ﷺ لفاطمة فأعتقته، وكان صغيراً، فتربّى عندها، ثم كان عند علي رضي الله عنه ثم معاوية، ثم كان على جند دمشق بعد الحرة وبقي إلى خلافة مروان. (الاستيعاب ٢/٣١٩ والإصابة ٢/٣٥٩).

(٣) في الإصابة: فقال إن الشاعر ضمنى إلى من لست له بكفء.

(٤) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي، ولي عهد السفاح بعد أخيه المنصور وهو ابن أخي السفاح، توفي سنة ١٦٨ هـ. (العبر ١/٢٥٣ وانظر الأغاني ١٥/٣٤).

فقالت: أتأكلون اللحمَ في اليوم مرتين!

قلتُ: نعم، أذكرُ ما تقول يا أمير المؤمنين.

قال: فإني ذكرتها وأنا أنظرُ إلى حالي، فأرسلت إليك لتحمدَ الله ـ تعالى ـ وتشكره على ما نحن فيه.

قال: فما زلنا نحمده وندعوه عَشيتنا.

● ٥٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ عن أبي عمرو المدائني قال:

عرضت لي إلى سَلَم بن قتيبة[١] حاجةٌ، وهو والي البصرة، فلقيتُ بعض أصحابه فسألته القيام بها فضمنها، ومكثتُ (٣٣ و/) أختلفُ إلى باب سَلَم أياماً، والرجل يمطلني ويذكر أنّ الكلام في حاجتي لم يمكنه بعدُ، فبينا أنا في الباب ذات يوم إذ خرج سَلَمٌ راكباً، فوقعت عينُه عليّ، وقد كانت بيني وبينه مودّة متقدّمة فدعاني فقال: أتطالب قِبَلنا شيئاً يا أبا عمرو؟

فقلتُ: نعم، حاجةٌ حمّلتُها فلاناً منذُ أيام.

فقال: إنْ كنتُ لأظن يا أبا عمرو أنّك أحزم مما أرى، إذا كانت لك إلى رجلٍ حاجةٌ فلا تُحمّلنها من له طعمة، فإنه لن يؤثِرك على طعمته، ولا تحمّلنها كذّاباً، فإنّ الكذاب يقرِّبُ لكَ البعيد، ويُبعّد لك القريب، ولا تحمّلنها أحمق فإنّه يُجهد لك نفسه، ثم لا يصنع شيئاً.

ثم أمر بقضاء حاجتي.

● ٥٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن ياسر عن أبيه أبي عبيدة قال: قال عبد الله بن عبّاس:

---

(١) هو مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي، ولاه هشام على خراسان وولاه المنصور البصرة، توفي سنة ١٥٩ هـ. (تهذيب التهذيب وانظر الطبري ٧/١٥٤ و ١٩٤).

خرجتُ مع عبد الله بن أبي سَرح[1] في غزوة أفريقية، فلما دنا من جُرْجير[2] ـ ملك الغرب ـ وهو رجلٌ من الروم نصرانيّ، وكان يُذكر بعقل، قلتُ لعبد الله بن سعد: لو بعثتَ إليه مَنْ يكلّمه، فبعثني وبعث عبد الله بن الزُّبير، ومروان بن الحكم[3]، وعبد الله بن عامر بن ربيعة[4].

قال عبد الله بن عبّاس: وأنا أسنُّ القوم، فلما جئنا وضِعت لنا وسائد، وإذا الصُلب حولها، فجاء القوم وليس هنالك جُرجير، فجلسوا دون الصُلب، وأبوْا أنْ يجلسوا وهي حولهم، فجئت وجلستُ (٣٣ ظ /) على تلك الوسائد والصُلب حولي، وجُرجير ينظر إلينا من منظر لا نراه. فمكثنا ساعةً ثم أذن لنا جماعة، فجعلوا يزاحموني[5] على المدخل فتأخرتُ عنهم، حتى كنتُ وراءهم، فلما دخلوا عليه ودخلنا، ولي جمالٌ ليس لهم، نظرَ إليّ فرماني بطرفه فلم يبرح يتطرّح بنظره إليّ حين جلستُ دونهم، وهم أقرب إليه، فرأوا نظره، فرابهم بذلك في أمره، فانتحى ابن الزُّبير فبدأ بالكلام، والترجمان وجرجير يفهمُ من ذلك كثيراً، وهو على ذلك ينظر إليّ ويرمقني، فلما فرغ ابن الزبير تكلّم مروان بن الحكم، ثم أقبل عليّ عبد الله بن عامر فقال: أأتكلّمُ؟

فقلت: تكلّم ما بدا لك.

فتكلّم ثم أقبل عليّ الترجمان فقال: ما تقول أنت يا عربيّ؟

قلتُ: ما أقولُ إلاّ ما قالوا، فليُجب صاحبُك ما بدا له، وقد دعوه.

فقال: أخبروني عن هذا الرجل الذي أراه أسنّكم وأجملكم، وأراكم تقدّمونه، أمولاكم هو؟

---

(١) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، فاتح أفريقيا، صحابي من كتّاب الوحي توفي في عسقلان سنة ٣٧ هـ. (الإصابة ٢/٣٠٩).

(٢) انظر خبر مفاوضته مع عبد الله بن سعد في الطبري ٤/ ٢٥٦.

(٣) هو الخليفة الأموي المعروف توفي سنة ٦٥ هـ. (الشذرات ١/ ٧٣).

(٤) هو عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي وقيل العتري، روى عن النبي ﷺ وتوفي سنة ٨٦ هـ. (الإصابة ٢/ ٣٢١ والعبر ١/ ١٠٠).

(٥) في الأصل: فجعل يزاحموني.

قالوا: لا والله بل هو منّا من أنفسنا.

قال: فضعيفٌ هو فلا تثقون بعقله؟ فلم أرسله ملككم؟

قالوا: لا والله بل هو عاقلٌ.

قال: فما أنتم بحلماء، هو أحدكم، وله عقل مثلُ عقولكم، وهو أجملكم وأسنّكم، وملِككم الذي أرسلكم أضعف منكم. وهو يعرف هذا منكم.

فسكتوا، فقلت للترجمان: قل لصاحبك أجبنا بما تريدُ فنحن أعلمُ بأمرنا، وبما نصنع بيننا.

قال: يقول الملك: حلمُك هذا يزيدني بصيرةً في حمق أصحابك. فرطن الملك، فأقبل علينا الترجمان (٣٤ و /) فقال: الملك يقول ما يمنعني من جوابكم إلاّ أنّا لا نضعُ جوابنا إلاّ في موضعه، أخبروني: أيّكم أقرب بالملِك الأكبر؟

قالوا: هذا، لمروان.

قال: ثم مَنْ؟

قالوا: هذا لابن الزبير.

قال: فأيّكم أقرب بنبيّكم وأسنكم وأجملكم؟

قالوا: هذا.

قال: يقول الملك: هو أقربكم بنبيّكم وأسنكم وأجملكم، وجلستم فوقه، وتقدّمتم قبله! لا تلبثون إلاّ قليلاً حتى يتفرّق أمرُكم، لا أراجعكم بشيء حتى يتقدّم إليّ ويتكلّم وتتكلّمون بعده.

فقال لي القوم: تقدّم يا أبا العبّاس، وتكلّمْ حتى ننظر ما يُرجع إلينا ويقول لنا.

فقلتُ للترجمان: أجب صاحبَك إني لا أقوم من مجلسي، ولا أعيه كلامي، ولا أبتدي أصحابي.

قال: فلا أكلّمكم كلمةً. قد-قلت: لا أفعل. فهل أنت يا رجل معتزلي حتى ألقاكم، فإني لا أحب أصيبك.

قال: قلت ما يحلُّ لي أنْ أعتزلك.

قال: أتتقبّل كرامتي من بينهم؟

قال: قلت: لا، إلاّ أنْ تكرمهم مثلي.

قال: هل أحدٌ أقرب بنبيّك منك؟

قلت: نعم. ففرح بذلك وقال: منْ؟

قلت: أبي.

قال: وحيٌّ هو أبوك؟

قلت: نعم.

قال: ما هو من نبيّكم؟

قلت: عمّه. ففسّر له الترجمان كيف العمّ ومنْ ابنُه.

قال: فما شأن الملك غيره؟

قلت: كان هذا الملك واللذان قبله خرجوا مع النبيّ - صلى الله عليه وآله - حين خرج من أرضه، ولم يخرج أبي. ونحن نرى لذلك فضلاً، وتقدّم من كان كذلك.

قال: بئسما صنعتم، ولا يصح أمركم أبداً، حتى يخرج إلى أهل بيت النبيّ - صلى الله عليه وآله - (٣٤ ظ /) قوموا ولا أراجعكم بكلمة ممّا تريدون، إلاّ أنْ تخبروني ما شأنك، جلست بين الصُّلب من بين أصحابك وأنت عدوٌّ لها، واجتنبها أصحابك؟

قلتُ: لم يسيئوا بما صنعوا، ولم أسيء أيضاً، أمّا هم فتأذّوا بها، وأمّا أنا فعلمتُ مجلسي لا يضرُّ ديني، ولست منها، وليست مني. قال: ما ينبغي إلاّ أن تكون حبْر العرب[1]. فسُمّي عبد الله من ذلك اليوم الحبر.

● ٥٦ - حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال: سمعت المسيّب بن زهير[2] يقول:

(١) انظر الإصابة ٢/٣٢٢ حيث أورد خبر تسمية [illegible] له الحبر

(٢) انظر ترجمته في المعارف ٤١٣

خرجنا مع المنصور في السنة التي توفي فيها[1]، فلما صار إلى بعض المنازل قال: يا مسيّب إني والله أعلم أني آتي إلى مصرعي.

قلت: فلو أقمتَ.

قال أمير المؤمنين: أعلم بالله، وأثق[2] برحمته، وبما يرجو منها من أن يتخلّف عن جُرمه وأمنه ما يتخوّف من قدره، ولكن أمير المؤمنين رضي بما رضي الله، وهو يعلم أنّه لا يصيبه إلاّ ما كُتب له. وأنه عند الله وفي قبضته، فإنْ كان كتبَ عليّ موتاً، فإلى رحمة الله ورضوانه، وإنْ تأخّر عن ذلك الوقت، فإني أعلمُ أني ميّت ومبعوثٌ، وصائر إلى الله ـ جلّ ثناؤه ـ وراجِ رحمته، وأثق بعفوه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، فبماذا عرفتَ أنّك تأتي مصرعك؟

قال: إني رأيتُ في منامي أنّ رجلاً أتاني، وأنا يومئذٍ بالشام في أيام وباءٍ بها، وقد أصابني، وقد تخوّفتُ على نفسي، فقال لي: إنّك لا تموتُ في مرضِك هذا (٣٥ و /) فإنْ أحببتَ أنْ أريك التربة التي تُدفن فيها.

فقلت: أرنيها. فأخرج تربةً حمراء وفيها نبذٌ من حصى، فإذا هي كأنها تربة الحرَم، فلستُ أشكُّ أني ذاهب في سفري هذا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وأستخلف الله عليكم بحسن خلافته. فمضى فتوفي في وجهه ذلك في بئر ميمون، ودُفن بالأبطح أسفل من عقبة المدنيين.

● ٥٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمّي مصعب بن عبد الله عن جدي عبد الله بن مصعب قال: حدّثني جليسٌ لأبي العبّاس أمير المؤمنين[3]:

إنه جلس ذاتَ ليلة، وعنده جماعة من مُضَر، فيهم خالد بن صفوان المنقري[4]، وأناسٌ من اليمن، فيهم إبراهيم بن مَخرمة الكنديّ، فمال بهم الحديث

---

(١) كانت وفاة المنصور سنة ١٥٨ هـ وقد أكثر من رؤاه لوفاته قبيل وفاته. انظر الطبري ٨/ ١٠٢.

(٢) في النص: وأوثق.

(٣) المفاخرة في المحاسن والمساوىء ص ٩٤.

(٤) في المحاسن: خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي.

إلى أنْ قال ابن مخرمة الكنديّ: إنّ أخوالك[١] هم الناسُ، وهم العربُ الأولى[٢]، وهم الذين دانت لهم الدنيا، وكانت لهم اليدُ العليا[٣].

توارثوا الرياسةَ كابراً عن كابر، وآخراً عن أول، يلبس[٤] آخرهم سرابيل أوّلهم، يُعرفون ببيت المجد[٥]، ومآثر الحمد.

منهم النعمانان والمنذران والقابوسان[٦]. ومنهم عياض صاحب البحر، ومنهم مَنْ كان يأخذُ كلَّ سفينةٍ غصبا[٧]، ويحوز في كلِّ نائبةٍ نهبا.

ومنهم ملوك التيجان[٨]، وكماة الفرسان. ليس من بطلٍ عظيم خطبُه[٩]، ولا طرفٍ كريمٍ أثره، ولا من فرسٍ رائع، أو سيف قاطع، أو درّةٍ مكنونةٍ، أو درع حصينةٍ، إلاّ وهم أربابها وأصحابها.

إنْ حلّ ضيفٌ أكرموا، وإن سُئلوا أنعموا[١٠] (٣٥ ظ /) فمَن ذا يا أمير المؤمنين مثلهم إنْ عُدّت المآثر أو فخرَ مفاخر، أو نفر مُنافر[١١].

فهم العرب العاربةُ، وسائر الناس المتعرّبة[١٢].

فقال أبو العبّاس، ودخله من قوله ما غمّه: ما أظنُ خالداً يرضى بما تقول.

---

(١) في المحاسن: إن أخوالكم.

(٢) في المحاسن: الأول.

(٣) أضاف في المحاسن: ما زالوا ملوكاً أرباباً.

(٤) في الأصل: فليس. تحريف.

(٥) في المحاسن: بيت.

(٦) في المحاسن: النعمانات والمنذرات والقابوسات.

(٧) في المحاسن: ومنهم غسيل الملائكة، ومنهم من اهتزّ لموته العرش، ومنهم مكلّم الذئب، ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصباً.

(٨) في المحاسن: أصحاب التيجان.

(٩) في المحاسن: ليس من شيء وإن عظم خطره وعرف أثره.

(١٠) في المحاسن: إن حل ضيف أقروه، وإن سألهم سائل أعطوه.

(١١) أضاف في المحاسن: لا يبلغهم مكاثر، ولا يطاولهم مطاول ولا مفاخر. فمن مثلهم يا أمير المؤمنين. البيت يمان والحجر يمان والركن يمان والسيف يمان.

(١٢) سقط هذا المقطع من المحاسن.

فقال ابن مَخرمة: وهل يقدرُ يا أمير المؤمنين أنْ يردّ قولي، أو يفخر مثل مفاخري[1]؟

فقال أبو العبّاس: ما تقول يا خالد؟

قال: إنْ أذن أمير المؤمنين، وأمِنتُ الموْجِدَة تكلّمتُ.

فقال: تكلّم ولا تهبْ أحداً.

فقال خالد: خاب المتكلّم، وأخطأ المتقحّم، ولقد قال بغير علم، ونطق بغير صوابٍ. إذ فخر على مُضَر ومنهم[2] رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ والخلفاءُ من أهل بيته، وما أهلُ اليمن ـ أصلح الله أميرَ المؤمنين ـ إلاّ دابغ جلدٍ، أو سائس قِردٍ أو حائك بُرْدٍ[3].

غلبهم الهدهدُ، وغرّقهم الجرذ، وملكتهم أمٌّ ولد. قومٌ[4] ـ والله يا أمير المؤمنين ـ ما لهم ألسنةٌ فصيحةٌ، ولا لغةٌ صحيحةٌ، ولا حجّةٌ تدل على كتابٍ، ولا يُعرف بها الصواب.

وإنهم منّا لبين إحدىٰ [الخلّتين][5]، إن جازوا قصدَنا أكلوا[6]، وإنْ حادوا [عن][7] حُكمنا قُتلوا.

ثم التفتَ إلى الكندي فقال: أتفخر بالفرس الرائع، والسيف القاطع، والدرع الحصينة، والدرّة المكنونة؟

ألا وإني أفخر بمحمد ـ صلى الله عليه وآله ـ خير الأنام، جهدك من ذكرتَ ممّن افتخرت به، فالمِنّة من الله عليكم إن كنتم أتباعه وأشياعه فمنا نبي الله المصطفى

---

(١) سقط كلام ابن مخرمة من المحاسن.
(٢) في المحاسن: أو يفخر على مضر ومنها النبي.
(٣) في المحاسن: ألا دابغ جلداً، أو سائس قرداً، أو حائك برداً.
(٤) في المحاسن: من قوم.
(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن والمساوىء.
(٦) في المحاسن: إن حازوا ما قصدوا.
(٧) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن والمساوىء.

وخليفة الله المرتضى، ولنا السؤدد والعلى، وفينا الحلم والحِجا، ولنا الشرف القديمُ، والحسَبُ الصميم، والجناب الأخضر والعدد الأكثر، والعز الأكبر، (٣٦ و /) ولنا البيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور. ولنا زمزم وبطحاؤها وصحراؤها، وغياضها وأعلامها، ومنابرها وسقايتها وحجابتها وسدانة بيتها، فهل يعدلنا عادلٌ، أو يبلغ مِدحتنا قائل.

ومنّا ابن عبّاس، عالم الناس، الطيّبةُ أخباره، المتبوعة آثاره. ومنا أسَدُ الله، ومنّا سيفُ الله، ومنّا فرسان الله، ومنّا الوصيّ وذو النور والصدِّيق، ومنّا الفاروق، ومنّا العلماء الفقهاء.

بنا عُرف الدِّين، ومنّا أتاكم اليقينُ.

مَنْ زاحمنا زحمناه، ومَنْ فاخرَنا فخرناه، ومَنْ بدّل سُنتنا قتلناه. ثم التفتَ إلى الكنديّ فقال: كيف علمك بلغات قومِك؟

قال: إني بها عالِم.

قال: فأخبرني عن الشناتر.

قال: الأصابع[١].

قال: فأخبرني عن الصنارتين.

قال: الأذنان[٢].

قال: فأخبرني عن الجحمتين.

قال: العينان.

قال: فأخبرني عن الميزم.

قال: السِّنّ.

قال: فأخبرني عن الزبّ.

---

(١) في المحاسن: الأصبع.

(٢) في المحاسن: قال: فالصنانير. قال: الآذان.

قال: اللحية.

قال: فأخبرني عن الفقحة.

قال: الراحة[1].

قال: فأخبرني عن الكتع.

قال: الذئب[2].

قال: أفتؤمن بكتاب الله[3]؟

قال: نعم.

قال: فكيف تزعمُ أنكم العربُ الأولى، وأنّا المتعرّبة، والله ـ جلّ ثناؤه ـ يقولُ في كتابه﴿بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ﴾[4] وقال تعالى﴿وما أرسلنا مِن رسولٍ إلاّ بلسان قوْمِه﴾[5] وقال عزَّ ذكره ﴿جَعَلوا أصابِعَهُم في آذانِهم﴾[6] ولم يقل: جعلوا شناترهم في صنانيرهم. وقال جلّ ثناؤه: ﴿العَيْنُ بالعَين﴾[7] ولم يقل: الجحمة بالجحمة[8]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿السِّنُّ بالسِّنِّ﴾[9] ولم يقل: الميزم بالميزم. وقال تبارك اسمه: ﴿يا ابنَ أُمَّ لا تأخذْني بلحيتي ولا برأسي﴾[10] ولم يقل: لا تأخذني (٣٦ ظ /) بزبي ولا بفقحتي[11]. وقال تعالى ذكره: ﴿فأكلَهُ الذئبُ﴾[12] ولم يقل: فأكله

---

(١) سقط هذا السؤال من المحاسن.

(٢) في المحاسن: فما القلوب؟ قال الذئب. وهو سقط واضح من الناسخ.

(٣) في المحاسن: أفتقرأ كتاب الله.

(٤) سورة الشعراء آية ١٩٥.

(٥) سورة إبراهيم آية ٤.

(٦) سورة نوح آية ٧.

(٧) سورة المائدة آية ٤٥.

(٨) في الأصل: الحجة بالحجة. تحريف.

(٩) سورة المائدة آية ٤٥.

(١٠) سورة طه آية ٩٤.

(١١) سقطت (ولا بفقتحتي) من المحاسن.

(١٢) سورة يوسف آية ١٨.

الكتع[١].

لكنّي سائلك يا أخا اليمن عن أربع خِصالٍ، إنْ أقررتَ بها قهرتَ، وإنْ أنكرتها قُتلت.

قال: وما هنّ؟

[قال:][٢] عن نبيّ الله المصطفى ـ صلى الله عليه وآله ـ أمنّا أم منكم؟

قال: بل منكم.

قال: أخبرني عن خليفة الله المرتضى، أمنا أم منكم؟

قال: بل منكم.

قال: فأخبرني عن كتاب الله المنزّل علينا أم عليكم؟

قال: بل عليكم.

قال: فأخبرني عن كتاب الله المستقبل، ألنا أم لكم؟

قال: بل لكم.

قال: فأيّ شيء تعدلُ هذه الخِصال[٣]؟!

فقال أبو العباس: والله يا خالد، ما فرغتَ من كلامك حتى ظننتُ أنّه سيُعرَج بسريري إلى السماء. ما لك يا يمانيّ ورجال مُضر، تفاخر هاشماً[٤]؟ ثم أمر لخالد بمائة ألف درهم، وأقطعه سبعين جريباً في أرض العرب بالبصرة[٥].

---

(١) زاد في المحاسن: ولم يقل القلوب.

(٢) ما بين الحاصرتين تكملة من المحاسن.

(٣) ورد ذلك مختصراً في المحاسن والمساوىء، ولم أدرك معنى كتاب الله المستقبل ولا يوجد في المحاسن.

(٤) في الأصل: تفاخر هاشم.

(٥) في المحاسن: فقال أبو العباس أكفف عنه فوالله ما رأيت غلبة أنكر منها والله ما فرغت من كلامك يا أخا مضر حتى ظننت أنه سيعرج بسريري إلى السماء. ثم أمر لخالد بمائة ألف درهم.

● ٥٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن المخزومي عن أبي النضاح بن حبيب بن بديل التميمي قال:

وفد عبد الملك بن حنظلة التميميّ على هشام بن عبد الملك فأقام ببابه أياماً، ثم دعا به هشام ليلاً فسائله عمّا قدم له، وعن خراسان. فأعجبه ما رأى من عقله وبصره بأمر خراسان، ثم قال له: إني أراك رجلاً عاقلاً عالماً بخراسان، فسمِّ لي رجالها، ومَنْ ترى أنّ منهم يصلح لها(١).

قال: يا أمير المؤمنين بها عبد السلام بن مزاحم السُّلمي(٢)، وهو شيخ خراسان وسيّدها في سِنه وفضله وعقله، من رجل فيه خِصلة.

قال: ما هي؟ (٣٧ و /).

قال: بخلٌ لا ينادي وليده.

فقال هشام: لا يستقيم لخراسان رجل يوصَف بالبخل.

سمِّ لي غيره.

قال: يحيى بن الحصين بن المنذر الذهليّ، فتى خراسان سخيّ وبأساً، من رجل فيه خِصلة.

قال: ما هي؟

قال: يشرب بالليل(٣).

قال: ليس هذا من أصحابها. سمِّ غيره.

قال: قَطن بن قتيبة بن مسلم الباهليّ، رجل خراسان عفافاً وعقلاً وحِلماً وسخاءً وكمالاً.

قال: فيه شيء؟

(١) في الطبري ٧/ ١٥٤ إن وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى هشام بن عبد الملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان، فأشاروا عليه بأقوام وكتبوا له أسماءهم.
(٢) في الطبري: المجشّر بن مزاحم السلمي أحد بني حرام. وليس لعبد السلام ذكر.
(٣) في الطبرى: رجل فيه تيه وعظمة.

قال: نعم، موتورٌ. وتره قومُه.

قال: سمِّ غيره.

قال: فَثمَّ أخوه سَلَم بن قتيبة[1]. وليس بدون مَنْ سمّيتُ لك سخاءً وحلماً وسؤدداً، ما رأينا شيخاً في نُسك شاب غيره.

قال: فسَمِّ لنا غيره.

قال: نصر بن سيّار[2]، رجل خراسان بأساً وحزماً وتجربةً وشدّة رأيٍ، من رجل لا عشيرة له بها.

قال: وممّن هو؟

قال: من بني ليث بن بكر بن كنانة. قال: فأنا عشيرتُه، ولن يذل مَن كنتُ عشيرته.

قال: فقال له رجل من أخواله من بني مخزوم: هو - يا أمير المؤمنين - صاحبها، ومن كنتَ عشيرتَه فهو عزيز[3].

قال: فأمر هشام بالعهد أنْ يُكتب لنصر بن سيّار على خراسان، ويُدفع إلى عبد الملك. وقال له: دعني وسِرْ إليه بعهده.

قال عبد الملك: فخرجتُ والعهدُ معي حتى انتهيت إلى سرخس وبها [حفص بن][4] عمر بن عبّاد الذهليّ[5].

---

(١) سمّى الطبري مكانه: عثمان عبد الله بن الشخير.

(٢) هو نصر بن سيار الليثي، أحد بني ليث بن بكر، من الدهاة الشجعان ولاّه هشام خراسان سنة ١٢٠ وكان يعد في أصحاب الولايات والحروب في التدبير وفي العقل وشدّة الرأي. (الطبري ٧/ ١٤٥ والبيان والتبيين ١/ ٤٧).

(٣) في الطبري: فقلت: نصر بن سيار الليثي. قال: هو لها. قلت: إن اغتفرت واحدة، فإنه عفيف مجرب عاقل. قال: ما هي؟ قلت: عشيرته بها قليلة. قال: لا أباً لك أتريد عشيرة أكثر مني. أنا عشيرته.

(٤) ما بين الحاصرتين تكملة من الطبري.

(٥) في الطبري: التيمي.

قال: فأكرمني واحتبسني عنده أياماً وأعطاني جاريتين نفيستين، ولم يدَعْ من الكرامة إلاّ حيّاني بها. فلما رأيتُ ذلك منه قلت: يا هذا قد ـ والله ـ صنعتَ بي صنعاً ما أقدرُ على مكافأته لك، إلاّ أنّ معي (٣٧ ظ /) شيئاً ما علمَ به خَلْقٌ وهو عهد نصر بن سيّار على خراسان. فوجّه إليه مَن يُعلمه فتكون البشارة لك، ويكافئك عني.

قال: فجزاه خيراً، ودعا ابنيْ عمٍ له، وكتب معهما إلى نصر بن سيّار.

قال: فمضيا إليه فأعلماه، وهو في عسكر جعفر بن حنظلة البهراني[١]، خليفة أسد بن عبد الله[٢]، فقال لهما: أكتما أمرَكما.

قال: وقدمتُ عليه بالعهد، وبعث إلى عبد السلام بن مزاحم السلميّ يدعوه، وإنما أراد أنْ يتقوّى به لكثرة تبع عبد السلام، فلما أتاه الرسولُ قال عبد السلام: ولي ـ والله ـ خراسان، وما كان ليدعوني إلاّ وقد ولي.

قال: فركب وأتاه، فسلَّم عليه بالأمرة.

قال: علمتُ أنك لم تبعث إليّ إلاّ وقد وليت.

قال: نعم.

قال: فاركب بنا، فركب معه في جماعة، فمضى نصر فدخل على جعفر بن حنظلة وهو في مجلسه على فرشه، ثم أخذ بيد نصر فأجلسه عليها. فدخل الناس عليه يهنونه، فدعا بصلتان مولى خالد بن عبد الله، فأمر به فجُرِّدَ، فضربه خمسمائة سوطٍ، ثم دعا بملك مرو الروذَ[٣]، فأمر به فجرِّد فضُرب خمسمائة سوطٍ. ثم التفت إلى مَنْ حوله فقال:

أظنّكم أنكرتم ما فعلتُ بهذين؟

---

(١) جعفر بن حنظلة البهراني، أحد قادة أسد بن عبد الله في بلاد الترك، واستخلف على خراسان بعد وفاة أسد سنة ١١٩ هـ. (الطبري ٧/ ١٢٤ و ١٣٨).

(٢) هو أسد بن عبد الله القسري، أخو خالد، وقد ولاه أخوه خراسان توفي سنة ١١٩ هـ بعد أن أصيب بالمدبيلة وهو ببلخ. (الطبري ٧/ ١٣٨).

(٣) مرو الروذ: من نواحي هراة بينها وبين بلخ. (ياقوت).

أخبركم عني وعنهما. أمّا صلتان فإنّ أسد بن عبد الله تعصَّب علينا وأساء إلينا، وعهد إلى أربعة عشر رجلاً من مشيخة مضر، فضربهم بالسياط، وحلق رؤوسهم ولِحاهم، أنا أحدهم، ثم وجّه بنا مع صلتان إلى خالد بن عبد الله بالعراق. فما وصلنا إليها حتى عَفت (٣٨ و /) رؤوسُنا ولحانا، فلمّا رأى ذلك صلتان، دعا بحجّام، فقال: احلقْ ما نبت من رؤوسهم ولحاهم، فناشدناه الله، فأبى وقال: لا تدخلون على الأمير هكذا، فجعلتُ الله علي إنْ أنا ظفرتُ به أنْ أضربَه خمسمائة سوط، وأما هذا الآخرُ، فإني غزوتُ مع والي خُراسان، فبعث العسكر في بعض العشيّات، فأتيتُه ليلاً، وقد نزل الناس، ومعي خمسون[1] رجلاً من أصحابي فتجنبتُ العسكرَ والزّحامَ، فنزلنا غيرَ بعيد منه قربَ أرضٍ وزرعٍ لهذا الدهقان، ففلتَ بعض دوابنا فأفسدوا في زرعه، فعمدَ إلى دوابنا كلّها، فقطعَ أذنابَها من الأصول، فأصبحنا شهرةً لأهل ذلك العسكر، فآليتُ إنْ أمكنني الله منه أنْ أضربَه خمسمائةَ سوط.

● ٥٩ ـ حدّثني الزبير قال: حُدِّثتُ عن ابن دأب عن موسى بن عقبة عن ذكوان مولى أمّ سلَمَة، عن زينب بنت أبي سَلمة[2] قالت:

كنتُ يوماً عند عائشة ابنة أبي بكر الصديق زوج النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ فإني لعندها إذ دخل رجلٌ مُعتّمٌ، عليه أثرُ السَفَر فقال: قُتل عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فقالت عائشة:

إنْ تـــكُ نـــاعيـــاً فلقـــد نعـــاه نَعـــيٌ ليـــس فـــي فيـــه التـــراب

ثم قالت: مَنْ قتله؟ قالوا: رجلٌ من مراد. قالت:

رُبَّ قتيلِ الله بيدَي رجلٍ من مراد.

قالت زينب: فقلتُ سبحان الله يا أمَّ المؤمنين، أتقولين مثلَ هذا لَعليٍّ في سابقتِه وفضلِه؟ فضحكت وقالت: بسم الله (٣٨ ظ /) إذا نسيتُ فذكّريني.

---

(١) في الأصل: خمسين. تحريف.

(٢) هي زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، زوجة عبد الله بن زمعة بن الأسود. (تهذيب التهذيب والمعارف ١٣٦).

● ٦٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي عن الواقدي[١] قال:

رفعتُ رقعةً إلى المأمون أشكو غَلَبة الدَّيْن. فوقّعَ بخطّه فيها[٢].

فيك خلّتان[٣]: السّخاءُ والحياء، فأمّا السّخاءُ فهو الذي أطلقَ يديك بما ملكت، وأمّا الحياءُ فهو الذي حَملَك على ذكر بعض دَيْنك[٤]، وقد أمرنا لك بضعف ما ذكرتَ، فإن كنّا قصّرْنا عن بلوغِ حاجتكِ فجنايتُك على نفسك، وإنْ كنا بلَغنا بغيَتك، فزد في بَسطِ يدكَ، فإنّ خزائنَ الله مفتوحة، ويده بالخير مبسوطة.

● ٦١ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني أحمد بن أبي داؤد قال[٥]:

قال لي المأمونُ: لا يستطيعُ الناسُ أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحُماتهم وكُفاتهم، ولا بين صنائعهم وبطانتهم، وذاك أنّهم يروْن ظاهر حُرمةٍ وخدمةٍ واجتهادٍ ونصيحةٍ، ثم يرون إيقاع الملوك بهم مع هذه الصفات ظاهراً، لا يزالُ الرجلُ يقول: ما أوقعَ بهم إلاّ رغبةً في أموالِهم أو رغبةً في بعض ما لا تجودُ النفسُ به. ولعلّ الحسدَ والملالَةَ وشهوةَ الاستبدال، اشتركت في ذاك منه، وهناك جنايات في صُلب الملك، وفي بعض الحُرم فلا يستطيعُ الملِك أنْ يَكشفَ للعامّة موضع العورة في المُلك أنْ يحتجَّ لتلك العقوبة بما يستحقُّ ذلك الذنبَ، ولما يستطيع الملك ترك عقوبة، لِما في ذلك من الفساد على عمله، بأن عُذرَه غير (٣٩ و /) مبسوط عند العامّة، ولا معروفٌ عند أكثر الخاصّة.

● ٦٢ ـ حدّثني الزبيرُ قال:

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي، من أهل المدينة. انتقل إلى بغداد وولي القضاء بها للمأمون، وكان عالماً بالمغازي والسير والأخبار توفي سنة ٢٠٧. (الفهرست ٩٨ وتاريخ بغداد ٣/ ٣).

(٢) جمهرة رسائل العرب ٤/ ٤٤١.

(٣) في الجمهرة: خصلتان.

(٤) في الجمهرة: على أن ذكرت بعض دينك دون كله.

(٥) في الأصل: داود.

سألتُ أبا محمد يحيى بن أكثم[1] عن المأمون: أكان حليماً؟ فقال: لا والله ما حدَّثت عن أحلم منه، لا ملِكٌ ولا سوقة، ولا رأيت أكرم منه قطُّ.

ثم أنشأ يحدّثني قال[2]: بتُّ عنده ليلةً فعطشَ، فظنَّ أني نائمٌ، وأنا منتبهٌ أرى كلّ ما يصنعُ، فكرِهَ أنْ يدعو الغلام فأنتَبهُ، فمضى إلى برّادةٍ بينه وبينها أكثر من ثلثمائة ذراع، فأخذ كوزاً منها فشربَ ماءَه، ثم أقبل مسرعاً، فلما دنا من فراشي خطا خُطى لصٍّ خائف لكي لا أنتبه، ثم رمى بنفسه على فراشه، وبتّ عنده ليلةً بعد ذلك، ونحن بالشام، وما معي أحدٌ. قال: فجعلتُ أبائته وأتفقَّدُ ما يصنعُ، وهو يظنُّ أني قد نمت. قال فعرضَ له سُعالٌ فرأيتُه وقد أخذَ كمَّ قميصه فجمعه، ثم حشا به فمَه، فردّ فيه سُعاله لئلا ينبهني. قال: ثم جعل يرعى حركتي وقد طلع الفجر، وهمّ بالنهوض للصلاة، وأخّرَ ذلك إلى أنْ أسفرَ شديداً، فلما علمتُ أنّ الوقت قد ضاق عليه، تحرّكتُ. فقال: اللّهُ أكبرُ، يا غلام، نبّهْ أبا محمد. ثم قال: كيف رأيتَ مبيتَك؟ قلت: بخيرٍ يا سيّدي. قال: إنّ الشيعةَ أشدُّ رعايةً لأوقات الصلاة من المرجئة. مذ كم تراني أتقلّبُ وأتحرّكُ للصلاة فيمنعني من النهوض نحوها نومُك. وكرهتُ [أن][3] أوقظكَ وفي عينيك باقٍ من سِنتِك فأقطِعها عنك. فقلت: فلذلك جعلكم الله (٣٩ ظ /) أرباباً وجعلَنا لكم عَبيداً. إذ كانت هذه أخلاقُكم. ثم نهض للصلاة.

وقال لي أيضاً[4]: ومن كريمِ أخلاقِه، أني كنتُ أماشِيه في بستانِ[5] موسى، والشمسُ على يساري، والمأمونُ في الظِّلّ، وقد وضع يَده على عاتِقي، ونحنُ نتحدّثُ إذ أرادَ أنْ يرجِعَ في الطريق الذي ذهب فيه، فلمّا انتهى إلى الموضع الذي قصده، قال لي: يا أبا محمّد، إنّك جئت وعلى يسارك الشمسُ، وقد أخذتْ منكَ،

---

(١) وهم الناسخ فأضاف (أبا الصواب) قبل كلمة (محمد).

(٢) الحادثة في عصر المأمون ١/ ٤٤٥ ولم يذكر مصدره فيها.

(٣) ما بين الحاصرتين تكملة للسياق.

(٤) الحادثة في عصر المأمون أيضاً ١/ ٤٤٥ ولم يذكر مصدره فيها.

(٥) بستان موسى: ذكر في عدة مواضع من تاريخ الطبري ففي خلافة الأمين ذكر بأنه من مواضع لهوه وأنسه. وفي خلافة المأمون ذكر أنه لم يزل مقيماً ببغداد في الرصافة حتى بنى منازل على شط دجلة عند قصره الأول وفي بستان موسى. (انظر الطبري ٨/ ٤٨٢ و ٥٧٥).

فكنْ أنت في مُنصرفنا حيثُ كنتُ، وأكونُ حيث كنتَ. قلتُ: والله يا أميرَ المؤمنين لو أمكنني أنْ أقيك بنفسي من هَول المطلعِ لفعلتُ فيك، لا أصبرُ على أذى الشمسِ لحظة. قال: والله لا بدّ منها. آخذُ منها كما أخذتْ منك. قال: فصار المأمون في موضعي، وصرتُ في موضعه، وتماشينا، وأخذ بيدي فوضعها على عاتقه، وقال: إنّ أولَ العدلِ أنْ يعدلَ الرجلُ على بطانتِه، ثم الذين يَلونهم، حتى يبلغَ ذاك إلى الطبقة السفلى.

● ٦٣ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني عمي مصعبٌ بن عبد الله قال[١]:

قال المأمون يومَ خميسٍ، ونحن حضور مع الناسِ في الدار، لعليٍّ بن صالح[٢]: عليَّ بإسماعيل. قال: فخرجَ، فإذا إسماعيلُ بن جعفر، وأراد المأمونُ إسماعيلَ بن موسى[٣]، فلما بَصُر به من بعيدٍ، وكان أشدَّ الناس به بُغضاً، رفع يدَيه مادّاً إلى السماء، ثم قال: اللهمّ بدّلني بعليّ بن صالح مُطيعاً ناصحاً، فإنّه بصداقته لهذا آثرَ هواه على هوايَ، فلما دنا إسماعيلُ بن جعفر[٤]، فسَلّمَ (٤٠ و /) فردّ عليه السلامَ، ثم دنا فقبّل يدَه، ثم قال: هاتِ حَوائجك. قال: ضَيْعتي بالمغيثة[٥] غُصبتها وقُهرتُ عليها. قال: نأمر بردّها عليك. قال: حاجتُك؟ قال: دَيْنٌ كثيرٌ عليّ في جفوة أمير المؤمنين لي[٦].

قال: نقضي دَيْنَك. ثم قال: حاجتُك؟ قال: تأذنُ لي في الحجّ. قال: قد أذنتُ لك. ثم قال: حاجتُك؟ قال: وَقْفُ أبي كنتُ إليه[٧]، فأُخرجَ من يدي وصار إلى قُثَم

---

(١) الحادثة في المحاسن والمساوىء ١٦١ برواية ثمامة. وعصر المأمون ١/٣٥٢.
(٢) في عصر المأمون: قال المأمون في يوم الخميس وقد حضر الناس الدار لعليّ بن صالح.
(٣) هو إسماعيل بن موسى الهادي.
(٤) هو إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. (المعارف ٣٧٥).
(٥) في الأصل: بالمفتية. وفي المحاسن: بالفتنة. وما أثبتناه عن عصر المأمون: وهي منزل بطريق مكة بعد العذيب نحو مكة. وقال: الأزهري ركية بين القادسية والعذيب. (ياقوت).
(٦) في المحاسن: إيّاي.
(٧) في المحاسن: كان في يدي.

والقاسم، ابني أبي جعفر[١]. قال: فتريدُ ماذا؟ قال: يُرَدُّ إليّ. قال: أمّا ما كان يُمكننا في أمرِكَ فقد جُدنا لك به. وأمّا وقْفُ أبيك فذاك إلى ورثته ومواليه، فإنْ رَضُوا بك والِياً عليهم وقيّماً لهم رددناه إليك، وإلاّ أقررناه في يدِ مَنْ هوَ في يده. ثم خرج. فقال المأمونُ لعليّ بن صالح: ما لي ولكَ - عافاك الله - متى رأيتَني نشطتُ لإسماعيل بن جعفر، وعُنيتُ به، وهو صاحبي بالأمس بالبصرة. فقال: ذهبَ فكري يا أميرَ المؤمنين عن إسماعيل بن موسى. قال: صدقتَ، ذهب عن فكرك ما كان يجِبُ عليك حفظُه، وحفِظَ فكرُك ما كان يجب عليك أن لا يخطرَ به. أمّا إذْ أخطأتَ فلا تُعلمْ إسماعيلَ ما دار بيني وبينك في أمره. فظنّ عليٌّ أنّه يعني بقوله [إسماعيل بن موسى، فأخبر][٢] إسماعيل بن جعفر بالقصّة حرفاً حرفاً. فأذاعها إسماعيل بن جعفر، وبلغ الخبرُ المأمونَ، فقال: الحمدُ لله الذي وهبَ لي هذه الأخلاقَ التي أصبحتُ أحتمل بها عليّ بن صالح، وابنَ عمران وابن الطوسيّ[٣] حُميد بن عبد الحميد، ومنصور بن النعمان وزعامش[٤].

● ٦٤ - حدّثني الزبيرُ قال:

سمعت أبا (٤٠ ظ /) عبّاد، ذُكر المأمون فقال: والله أحدُ ملوك الأرض، الذي يجب له هذا الاسمُ بالحقيقة، ثم أنشأ يحدِّثُ قال: كان يلزمُ بابي رجلٌ لا أعرفُه، فلمّا طالت ملازمتُه قلتُ له بسوء لقائي: يا هذا ما لزومُك بابي؟ قال: طالبُ حاجةٍ. قلتُ: وما هي؟ قال: توصلني إلى أمير المؤمنين، أو توصِلُ لي رقعةً. قلتُ: ما يمكنني في أمرك ما تريدُ. فانصرفَ، ولم يردَّ عليّ شيئاً، وجعل يلزمُ الباب، فما يفارقه، فإذا انصرفتُ فرآني نشيطاً تصدّى لي فأراني وجهَه فقط. وإنْ رآني بغير تلك الحال، كرَّ ناحيةً. فما زالت تلك حالُه، صابراً عليها حتى رفقتُ عليه. فقلت له يوماً وقد

---

(١) في عصر المأمون: ابني جعفر.

(٢) وهم الناسخ فكرّر إسماعيل بن جعفر بالقصة. ولكنه أسقط ما بين الحاصرتين، وأكملته عن المحاسن وعصر المأمون.

(٣) في الأصل: وابن الطوسي وحميد بن عبد الحميد. وما أثبتناه هو الصحيح. وحميد بن عبد الحميد الطوسيّ. قائد المأمون المعروف.

(٤) في عصر المأمون: رعامش. وسقط من المحاسن.

انصرفتُ من الدار: مكانك. فأقام. فقلت للغلام: أدخلْ هذا الرجلَ. فأدخلَه. فقلتُ: يا هذا إني أرى لك مطالبةً جميلةً، وأظنّك ترجعُ إلى محتدٍ كريمٍ، وأدبٍ بارعٍ. فقال: أمّا المحتِدُ فرجلٌ من الأعاجم. وأمّا الأدبُ فأرجو أنْ تجدَه إنْ طلبتَه. قلتُ: أمّا إنّ عندي منه علماً. قال: وما هو أدام الله بقاءك؟ قلتُ: صبرُك على المطالبة الجميلة. قال: ذاك أقلُّ أحوالي ـ أعزك الله ـ قال: فدخلتني له جلالةٌ. فقلتُ: حاجتُك؟ قال: ضَيْعةٌ صارت لأمير المؤمنين ـ أيّده الله ـ كانت لسعد بن جابر، وكنا شركاءَ فيها، فجاء وكيلُه فضربَ منارةً على حدودنا وحدوده، وهذه ضيعةٌ، كنا نعودُ بفضلها على الغريب، الصديق والجارِ والأخِ. فقلتُ: فمعك رقعةٌ؟ قال: نعم. فأخرج رقعةً من خُفِّهِ فيها (٤١ و /) مَظلمتُه. فلما قرأتها ووضعتُها قام فانصرفَ. فخفَّ على قلبي، وأحببتُ نفعَه، فأدخلتُه على المأمون مع جُميعةٍ من أصحاب الحوائج. فاتّفقَ أنْ كان أوّلَ مَنْ كلّمَ منهم.

فاستنطق رجلاً فصيحاً حَسنَ العبارة لَسِناً. فقال: تكلَّمْ بحاجتك. فتكلّمَ. فقال: يا ثابت، وقِّعْ بقضائها. ثم قال: ألك حاجةٌ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. أرضي غلبني عليها ابنُ البختكان بالأهواز بقوّة السُّلطان، فأخرجها من يدي ودعاني إلى أخذِ بعضِ ثمنها. فقال: يا ثابت، وقّعْ له بالكتاب إلى ابن البختكان وإلى القاضي هناك بأمرِه بإنصافه، وإخراج ابن البختكان من حقّه، أو أخذها من الرجل بالحكمة. قال: ألك حاجةٌ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قطيعةٌ كان المنصورُ أقطعها أبي، فأُخذَت من أيدينا بسبب البرامكةِ. قال: وقِّعْ، تُردُّ عليه هذه موفورة، ويُنظر ما أخرجت منذ قبضت عنهم إلى هذه الغاية، فليُدفَع إليهم حاصلُ غلّاتهم. ثم قال: ألك حاجةٌ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، عليّ دَيْن، قد أبهظني وأذلّني ذكرُه، وقوّى عليّ أربابَه. قال: وكم دَيْنُك؟ قال: أربعةُ آلاف دينارٍ. قال: وقّعْ يا ثابت بقضاء دَينِه. قال: فسأل سبعَ حوائج، قيمتها ألفُ ألف درهم، فوالله إنْ زالت قدمُه عن مقرِّها حتى قُضيت، فامتلأتُ غيظاً، وفرتُ فور المِرجَل. حتى لو أمكنتُ من لحمه لأكلته. ثم دعا للمأمون وخرج. فقال: يا ثابت، تعرفُ هذا الرجل؟ قلتُ: فعلَ الله به. ما رأيتُ (٤١ ظ /) والله رجلاً أجهلَ منه، ولا أوقحَ وجهاً منه. قال: لا تقل ذاك فتظلمه، فما أدري متى خاطبتُ رجلاً هو أعقلُ منه، ولا أعرفُ بما يخرجُ من رأسِه، قال:

فقصصتُ عليه قصّتَه، أولَها وآخرَها. فقال: هذا من الذي قلتُ لكَ. ثم قال: وأزيدك أخرى، لا أحسَبُك فهمتَها. قلتُ: وما هي ـ جعلني الله فداكَ ـ يا أميرَ المؤمنين. قال: أوَ مَا رأيتَ خاتمَه في أصبعه اليمنى؟ قلتُ: ﴿ولتعرفنَّهمْ في لَحْنِ القولِ﴾[1].

● ٦٥ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني مبارك الطبري قال: سمعتُ أبا عبيد الله يقول:

خلا أبو جعفر يوماً مع يزيد بن أسيد[2]، فقال له: يا يزيد ما ترى في قتل أبي مسلم؟ فقال: أرى يا أميرَ المؤمنين أنْ تقتلَهُ وتقرّبَ إلى الله بدمِه، فوالله لا يصفو مُلكُكَ، ولا تهنأ بعيشٍ ما بقي. قال يزيد: فنفر مني نفرةً ظننتُه سيأتي عليّ. ثم قال: قطع الله لسانَك، وأشمتَ بك عدوّكَ، أتشيرُ عليّ بقتل أنصح الناس لنا، وأثقله على عدوّنا. أما والله لولا حفظي ما سلف منك، وإني أعدُّها هفوةً من رأيك لضربتُ عنقَك. قمْ ـ لا أقامَ الله رجليك ـ قال يزيد: فقمتُ وقد أظلم بصري، وتمنّيتُ أنْ تَسيخَ الأرض بي. فلمّا كان بعد قتله إياه بدهرٍ قال لي: يا يزيد: تذكرُ يومَ شاورتُك في قتل العبدِ؟ قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين. وما رأيتُني قطُّ أقربَ إلى الموت مني يومئذٍ.

قال: فوالله لكان ذلك رأيي، وما لا أشكُّ فيه، ولكني خشيتُ أنْ (٤٢ و /) يظهرَ منك فتُفسدَ عليّ مكيدتي.

● ٦٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إسحٰق بن إبراهيم التميميّ قال: حُدّثت عن علي بن أبي سعيد أنّه قال: لمّا قُتل المخلوع[3] جيء برأسِه إلى المأمون بعد ورود الكتاب بسبعةَ عشرَ يوماً، فقام الفضلُ بن سهل بالجونة، وأنا معه، حتى دخل على

---

(١) سورة محمد آية ٣٠.

(٢) في الأصل: يزيد بن أبي أسيد. والمثبت عن الطبري وياقوت والأغاني. وهو قائد أبي العباس وواليه على أرمينية سنة ١٣٤ وقائد المنصور من بعده. (انظر الطبري ٧/ ٤٦٥ وياقوت ٣/ ٣٢٢ والأغاني ١٥/ ٣٨).

(٣) المخلوع: هو الخليفة العباسي الأمين، محمد بن هارون الرشيد، ظفر به قائد المأمون طاهر بن الحسين فقتله في المحرم من سنة ١٩٨. (انظر في تفصيل مقتله مروج الذهب ٦/ ٤٨٠ والمعارف ٣٨٤).

المأمون فقال[1]: فُض الخاتَمَ. ففعلتُ، ثم أفضيتُ إلى الخاتم على منديل مُخمَّل فيه الرأسُ، ففضضتُ الخاتمَ، وإذا على وجهه قُطنٌ، فلما رآه المأمونُ نظر إليه بمؤخَّر عينيه، وكلّح، وأعرض بوجهه، فقال ذو الرياستين[2]: يا أمير المؤمنين هذا موضعُ شكرٍ فاحمدَ الله الذي أراكَ به ما كان يحبُّ أن يراك به.

قال ابن أبي سعيد: فأمرني فكشفتُ عن الرأس، فتأمَّـلَهُ[3]، ثم أمرَ به فنُصِبَ على قناةٍ[4]، ووضِعَ العَطاءُ للناس، فكلّما أعطى رجلٌ أمرَ أنْ يلعن المخلوع. ففعلَ، حتى قيل لرجلٍ من العجم، وقد أخذ عطاءه: العنْ المخلوعَ. قال: [لعَن][5] الله المخلوعَ ولُعنتَ، ولُعنَ أمير المؤمنين، ومَنْ ولده. ثم أمر بترك لَعْن المخلوع بعد ذلك[6].

● ٦٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو عبد الرحمٰن العُتبي قال:

قال لي أبي وهو يوصيني: يا بُنيَّ إني أتركك مع مَنْ لا يتركك، فأكحِلْ عيونَهم بحسنٍ منك تقطعْ ألسنتهم عنك، وكن لنفسك تكنْ لك، وخذْ من كلِّ زمانٍ محاسنَ ما فيه. وأنت قليلٌ فاتقِّ تكن به كثيراً، واعلم بأنك تخرج بموتي من سَعَةِ عذرٍ إلى ضِيق مُداراةٍ، فضع الأمور مواضعَها تضعْكَ موضعَكَ. واجعل (٤٢ ظ /) دنياكَ صِلَةً لآخرتك، ولا ترض لها بها عوضاً من الآخرة، فإنّ الله لم يَرضَها عقاباً لمن سخِطَ عليه، ولا ثواباً لمن رضي عنه، وانظر بناتي، فوصيّتي فيهنَّ بما أوصى سعيد بن العاص في بناته حين قال: يا عمرو، أنظر بناتي فاجعل البيوتَ لهنَّ قبوراً حتى يأتيهنَّ الموتُ أو يأتيكَ الأكفاءُ. وانظرْ غِلماني، فلا تحبس منهم مَنْ رآك منهم صغيراً، فإنّه

---

(١) الحادثة في مروج الذهب ٦/ ٤٨٣.

(٢) ذو الرياستين: وزير المأمون المعروف الفضل بن سهل، لقب بذلك لأنه دبّر أمر السيف والقلم. (انظر معجم ألقاب الشعراء ٩٦).

(٣) في الأصل: فتأملته. تحريف.

(٤) في مروج الذهب: فأمر المأمون بنصب الرأس في صحن الدار على خشبة.

(٥) تكملة من مروج الذهب.

(٦) في مروج الذهب: فقال: لعن الله هذا، ولعن والديه، وما ولدا، وأدخلهم في كذا وكذا من أمهاتهم.

لا يُسِرُّ لكَ هيبةً، وانظر إلى مالي، فإنْ كرهتَ منه شيئاً، ورأيتَ الاستبدال به خيراً من حبسه فلا تحبسه، فإنه ليست بينك وبينه قرابةٌ وانظر أهلَك فإنهم لن يصلحوا وأنت فاسدٌ، وليكن لك في منزلكَ طعامٌ، وإنْ قلَّ يأتك مَنْ في منزله أطيب منه وأكثر، أنظرْ بني زيادٍ أخوالك، فكنْ لهم ابنَ أختٍ ما كانوا لك أخوالاً. فإنْ أرادوك على غيرها فأوسعهم الجفاء، وإنْ حملوك على الذي حملوني عليها، فاركبْ غيرَ هائبٍ لهم، فإنّ الذي قدّمته لك مُعينٌ لك عليهم، ولن يدَعُوك حتى يخبروك، فلا تدعهم حتى يعرفوك.

● ٦٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال:

دخل عمرو بن عُبيد[١] على عبد الله بن محمد، أبي جعفر المنصور فقال له المنصور: يا عمرو، عِظني وأوجز. قال[٢]: يا أمير المؤمنين إنّ الدنيا بحذافيرها في يديك، فاشتر نفسَك من ربِّك ببعضها، واعلم أنَّ الله سائلُك عن مثاقيل الذَرِّ من الشرِّ والخير، واعلم أنّ الله لا يرضى منك إلا بالعذر ممّن استرعاك وفوّضَ أمورهم إليك. وقال (٤٣ و /) النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلّم: كلكم راعٍ [وكلكم][٣] مسؤولٌ عن رعيته[٤].

يا أميرَ المؤمنين فكِّرْ في نفسِك، واعلمْ أنك من آدمَ خُلقت وآدمُ قبلك خُلِقَ من ترابٍ. يا أميرَ المؤمنين إنّ من وراء بابك ناراً من الجَوْر والظلم، فاتقِ الله في نفسك، واشترِ نفسَك من هول المَطْلع.

قال: فأقبل عليه رجلٌ من القوم فقال: حسبُك من عِظةِ أميرِ المؤمنين، فقد شقّقتَ عليه. فقال عمرو بن عُبيد: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له: هذا أخوك

---

(١) أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري، كان زاهداً عابداً، صحب الحسن البصري ثم خالفه واعتزله هو وأصحاب له فسموا المعتزلة. مات في طريق مكة سنة ١٤٢ وصلى عليه سليمان بن علي ورثاه المنصور ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه. (المعارف ٤٨٢ وتاريخ بغداد ٦٦٥٢).

(٢) ورد بعض هذه الموعظة في عيون الأخبار ٣٣٧/٢ وشرح نهج البلاغة ٣٠٦/٥.

(٣) تكملة من كتب الحديث.

(٤) جزء من حديث طويل ورد في الجامع الصغير ٧٩.

سليمان بن مجالد[1]. قال: فأقبل عليه عمرو فقال: إنَّ أمير المؤمنين يموتُ غداً، وإنّ كلّ ما ترى ينقطعُ كأنْ لم يكن، وأنت غداً جيفةٌ ملقىً قد استحضر في بدنك الدودُ، يقذّرُك القريبُ والبعيد، لا ينفعُك إلاّ عملُك الصالح، ولهذا الجدارُ خيرٌ لأمير المؤمنين منك إذا طويت النصيحة عنه، وأقبلتَ تزجرُ مَنْ ينصحه. ثم أقبل على أمير المؤمنين، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، إنّ هؤلاء اتخذوكَ سُلَّماً لشهواتِهم ودنياهم، فإنْ استطعت أنْ تستعمل في كلِّ يومٍ مائة عاملٍ، فإنْ رابك من واحدٍ منهم رَيْبٌ عزلتَه واستعملتَ غيره، فوالله لئن لم ترضَ منهم إلاّ بالعدل، ليتقرّبَنَّ إليك بالهدي والأعمال الزاكيّة مَنْ ولايته له فيه.

يا أمير المؤمنين، ألم تَسمعْ قول الله ـ عزّ وجلّ[2] ـ: ﴿ألمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ ربُّكَ بِعَادٍ، إرَمَ ذاتِ العِمَادِ، التي لمْ يُخلَقْ مِثلُها في البِلادِ، وثمودَ الذينَ جَابوا الصَخرَ بالوادِ (٤٣ ظ /) وفِرعَونَ ذي الأوتَادِ الّذينَ طَغَوْا في البِلادِ، فأكثروا فيها الفَسَادَ، فَصَبَّ عليهم ربُّكَ سَوطَ عَذَابٍ، إنَّ ربَّك لَبالمِرْصادِ﴾لمن عمِلَ بمثلِ عملِهم، إنّ الدنيا لولا أنها مضت على من كان قبلك لم يصل منها شيءٌ. فأنت وارثٌ مَنْ مَضى، وموروثٌ غداً، وقادمٌ على ربّك، ومجزيٌّ بعملك، فاتقِ الله يا أمير المؤمنين ليلةً تمخّضُ عن يومٍ لا ليلَ فيه، وليلٍ لا يومَ له، والسَّلام.

قال: فبكى أبو جعفر حتى مسح عينيه من دموعه بكُمِّه. قال: وأراد أبو جعفر أن [يكتب][3] شيئاً، والدواةُ على جنب عمرو، فقال له: يا عمرو ناولني الدواة، فلم يناولْه. فقال له: أقسمتُ عليكَ إلاّ ناولتني. فقال عمرو: أقسمتُ، لا أناولك. فقال له المهديُّ: أميرُ المؤمنين يُقسمُ عليك يا عمرو أنْ تناولَه الدواة، وتُقسم أنت ألاّ تناولَه!! فقال: أميرُ المؤمنين أقوى على كفّارة يمينهِ مِنّي. فسأله أصحابه: ما منعك أنْ تناولَه الدواة؟ قال: لم آمنْ أنْ يكتبَ في عطَبِ[4] مسلمٍ فأكون قد شاركتُه في قتله

---

(١) سليمان بن مجالد، من رواة الأخبار، وأصحاب المنصور المقربين، وقد بعثه مع الرواد حين أراد بناء بغداد، وله في ذلك روايات كثيرة. (انظر الطبري ٧/ ٦١٥ ـ ٦١٩).

(٢) سورة الفجر آية ٦ ـ ١٤.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة لسياق المعنى.

(٤) عطب: هلاك.

بمناولتِهِ الدواة. فإذا كان يومُ القيامة، نادى منادٍ: أين الظَّلَمةُ وأعوانُ الظلمة؟ فأكون ممّن أعانه.

● ٦٩ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبيرُ قال[١]: حدّثني محمد بن الحسن المخزومي عن ابن أبي فُديك قال[٢]:

قدِم هارون الرشيد، أميرُ المؤمنين، المدينةَ، فأُخلي له المسجدُ، فوقفَ على قبر رسول الله ـ ﷺ ـ[٣] واعتنق إسطوانةَ التوبةِ ثمّ قال: قفوا بي على أهل الصُّـفّةِ. فلما أتاهم كان أبو نصر نائماً، فأيقظوه، وقيل: هذا (٤٤ و /) أميرُ المؤمنين. فرفعَ رأسَه فقال: أيّها الرجل إنّه ليس بين عِبادِ الله، وأمّةِ نبيِّه ـ ﷺ ـ وبين الله ـ جلّ ثناؤه ـ خَلْقٌ غَيرُك، وإنّ الله سائلك عنهم، فأعِد للمسألة جواباً. فقد قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لو ضاعت سَخلةٌ على شاطىء الفرات لَخافَ عمرُ أنْ يسألَه الله عنها[٤]. قال: فبكى هارون، ثم قال: يا أبا نصر، إنّ رعيّتي ودهري غيرُ[٥] رعيّةِ عمر ودهره. قال: يقول له أبو نصر: والله إنّ هذا غيرُ مغنٍ عنك، فانظر لنفسك، فإنك وعمر تُسألان عمّا خوّلكما الله. قال: فدعا هارون بصُرّةِ مائةِ دينار[٦]، وقال: ادفعوها إلى أبي نصرٍ. فقال أبو نصر: ما أنا إلاّ رجلٌ من أهل الصُّـفّةِ، ادفعوها إلى فلانٍ يُفرّقها بينهم، واجعلني رجلاً منهم.

---

(١) تبدأ نسخة جوتنجن من هذا الخبر. وهي النسخة التي رواها أحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير، ولذلك يبدأ كل خبر بقوله: حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني الزبير . . وقد أشرت إلى ذلك في المقدمة. ولذلك أكتفي بتلك الإشارة عن إعادة ذكر الاختلاف في السند عند كل خبر.

(٢) الحادثة في صفة الصفوة ٢/ ١١٢ في ترجمة أبي نصر وسماه (المصاب).

(٣) في ب: صلى الله عليه وآله وسلم. يتكرر هذا الاختلاف في كل مواضع الصلاة على الرسول ولذلك أكتفي بهذه الإشارة.

(٤) في الطبري ٥/ ١٨ وشرح ابن أبي الحديد ٣/ ٧٩٢ والذي بعث محمداً بالحق لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات، خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب، قال أبو زيد: آل الخطاب، يعني نفسه ما يعني غيرها.

(٥) في صفة الصفوة: على غير.

(٦) في المصدر السابق: فيها ثلاث مائة دينار.

● ٧٠ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني محمد بن الحسن عن ابن أبي فُديك قال:

أجدَبت المدينةُ، واختلَّ أهلُها، وساءت حالُهم، وتكشّف قومٌ مستورون، وخرج أهلُ المدينة يدعونَ ربَّهم، فمررتُ بسوق الطعام، وما فيها حبَّةُ حنطة، ولا شعير، وإذا أبو نصر جالسٌ منكّس الرأس فقلتُ له: يا أبا نصر ما ترى فيه أهل حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: بلى. قلتُ: أفلا تدعو الله لعلّهُ يفرِّجُ ما هم فيه؟ قال: بلى . . وحولَ وجهَه إلى القبلة، وقال لي: اجلس عن يميني، فجلستُ. قال: فانكبَّ فعفَّرَ وجهه في التراب، ثم رفع رأسَه فقال: اللهمَّ فارجَ الهمِّ[1] وكاشفَ الغَمِّ، مُجيبَ دعوة المضطرين، رحمان الدنيا والآخرة، ورحيمَهما، صلِّ على محمد (٤٤ ظ /) وآلِ محمدٍ، وفرِّج ما أصبح فيه أهلُ حرَم نبيّك ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثمَّ غلبَ فذهب، وقمتُ من عنده. قال: فوالله ما خرجتُ من السُّوقِ حتى رأيتُ الشمسَ قد تغطّت، فرفعتُ رأسي، فإذا رِجْلُ جرادٍ[2] أرى سوادها في الهَوي، فما زلنَ يَسْفلنَ، وأنا واقفٌ أنظرُ حتى امتلأت المدينةُ، فاستغنى كلُّ قومٍ بما في دارهم من جرادٍ فحشوا الأجوافَ. قال: فطبخَ[3] الناسُ، وملّحوا، وقلا مَنْ قَدَر على الزيت، وملأ الناسُ الحِبابَ والجِرارَ والقواسرَ[4] وألقوه في جانب بيوتهم. ثم نهضَ بعد ثالثةٍ فانتشر في أعراض المدينة، ولم يخرج عنها إلى غيرها، ثم ما مرّت بنا ثلاثٌ حتى جاءنا عشرُ سَفائن دخلت الجارَ[5]، فإذا هي قد دخلت في الوقت الذي دعا فيه أبو نصرٍ، فرجعَ السعرُ إلى أرخص ما كان، ورجعت حالُ الناسِ إلى أحسَن ما كانت. قال: فأتيتُ أبا نصر، وهو في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ فقلتُ يا أبا نصرٍ، أما ترى إلى بركةِ دعائك؟ فقال: لا إله إلاّ الله، هذه رحمة الله التي وسِعت كلَّ شيء.

---

(١) سقطت كلمة (الهمّ) من ب.

(٢) رجل جراد: قطعة عظيمة من الجراد.

(٣) في ب: فطبخوا الناس. تحريف.

(٤) في ب: والقواصر. والقوصرّة والقوسرّة. شيء واحد. الإناء الكبير.

(٥) الجار: موضع على ساحل بحر القلزم، بينها وبين المدينة يوم وليلة، ترفىء إليها السفن من أرض الحبشة وغيرها. (ياقوت).

● ٧١ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال:

أصابَ الناسَ مجاعةٌ شديدةٌ على عهد هشام بن عبد الملك، فأذنَ هشامٌ للناس فدخل في غمارهم درواس بن دروان العجليّ، وعليه جُبّةُ صوفٍ، متفضّلٌ عليها بشملة، فلما نظرَ إليه هشامٌ أنكرَ دخولَه، ثم نظر إلى حاجبِه فقال: أتدخلُ (٤٥ و /) عليّ مَنْ شاءَ بغير إذنٍ؟

فعرف درواس أنه إنما عناه. فقال[١]: يا أمير المؤمنين، ما أخلَّ بك دخولي عليكَ، ولا وضع من قَدرِك، ولكنّه شرّفني، ورفع من قَدري، وقد رأيتُ الناس قد دخلوا لأمرٍ، وأحجموا عنه، فإنْ أذنتَ لي تكلّمتُ. فقال هشام: تكلّم، فإني أظنّك صاحبَهم. قال: يا أمير المؤمنين، توالت علينا سنون ثلاثٌ، فأمّا أولاهنّ فأذابت[٢] الشحمَ، وأمّا الثانية فأكلت اللحمَ، وأمّا الثالثةُ فهاضت[٣] العظم ونقّت[٤] المخَّ، وعندك أموالٌ، فإن تكن لله فعُدْ بها على عبادِ الله[٥]، وإنْ تكنْ لعباد الله فعلامَ تحبسونها عنهم[٦]؟ وإنْ تكنْ لكَ فتصدّقْ إنّ الله يجزي المتَصدِّقين[٧]. قال هشام: والله ما تركتَ لنا واحدةً من ثلاثٍ، وأمر بمائة ألف دينار، فقُسّمت في الناس، وأمرَ له بمائة ألف درهم. فقال: يا أمير المؤمنين لكل رجلٍ منّا مثلُها؟ قال: لا. فقال: لا حاجة لي فيما تبعث عليّ مذمّةً. فلما صار إلى منزله بعث إليه بالمائة الألف الدرهم ففرّقَ درواس في تسعة أبطنٍ من بطون العرب. عشرة آلاف عشرة آلاف، وأخذ لنفسه

---

(١) كلام درواس في جمهرة خطب العرب ٣/ ٢٦٠ عن عيون الأخبار والعقد الفريد. وصاحب الكلام في هذه المصادر أعرابي بين يدي هشام.

(٢) في الجمهرة: فلحّت اللحم وأما الثانية فأكلت الشحم.

(٣) هاضت: كسرت.

(٤) نقّت: أي وصلت إلى مخ العظم.

(٥) في الجمهرة: وعندكم فضول أموال فإن كانت لله فاقسموها بين عباد الله.

(٦) في المصدر نفسه: وإن كانت لهم ففيم تحظر عنهم.

(٧) في المصدر نفسه: وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها .

حول عشرة آلاف درهم[١]. فقال هشام: إن الصنيعة عند دروس لتُضاعَف على الصنائع.

● ٧٢ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

سُئل أبو حازم المدينيّ[٢]، فقيل له: ما مالكَ؟ قال: الكثير الطيّبُ. قيل: ما هو؟ قال: الثِّقةُ بالله واليأسُ ممّا (٤٥ ظ /) في أيدي الناس[٣]، فإن أعطاني رَضيتُ، وإن منعني قنعت[٤]. قال: فما ترى فيما نحن فيه؟ قال: إنْ كنتَ أخذته من حِلِّه، فوضعتَه في حَقِّهِ فأنتَ أنتَ. وإلاّ فإنما تجمعُه لأحَدِ رَجلين: لرجلٍ سعيدٍ بما شقيتَ به، أو لرجلٍ شقيٍّ مثل ما شقيتَ به. أمّا مَنْ مضى من ولدك فارجٌ لهم رحمةَ الله، وأمّا مَنْ بقي منهم فقد تكفّلَ الله برزقِهِ. فعلامَ تُهلكُ نفسَك؟!

● ٧٣ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح قال:

سمعت الفضل بن الربيع يُحدِّثُ عن أبيه الربيع قال[٥]: قدم المنصور المدينةَ فأتاه قومٌ فوشوا بجعفر بن محمد[٦].

وقالوا: إنه لا يرى الصلاةَ خلفك، وينتقصُكَ، ولا يرى التسليم عليك. فقال لهم: وكيف أقفُ على صِدقِ ما تقولون؟ قالوا: تمضي ثلاثُ ليالٍ فلا يصيرُ إليك مسلّماً. قال: إن في ذلك لدليلاً[٧]. فلما كان في اليوم الرابع قال: يا ربيع إيتني

---

(١) سقطت كلمة (حول) من ب.

(٢) أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج المدني القاص، كان ثقة كثير الحديث. من وجوه التابعين توفي في سنة ١٤٠. (تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ٢/ ٨٨ والأغاني ١٧/ ١٢١).

(٣) صفة الصفوة: ٢/ ٨٨ وعيون الأخبار ٢/ ٣٦٠ وفيه: الثقة بما في يد الله. (البيان والتبيين ٣/ ١٩٣).

(٤) في البيان والتبيين: وإن زوى عني منها شيئاً رضيت.

(٥) الخبر في نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ١٤٦.

(٦) في ب: عليه السلام.

(٧) في أ: إن كان في ذلك . .

بجعفر بن محمد. فقتلني الله إنْ لم أقتلْه. قال الربيع: فأخذني ما قدُم وما حدَث، فدافعتُ بإحضاره يومي ذلك. فلما كان من غدٍ قال: يا ربيعُ أمرتُك بإحضار جعفر بن محمد فوريت عن ذلك. آتني به. فقتلني الله إنْ لم أقتله، وقتلني الله إنْ لم أبدأ بك[1] إنْ أنت لم تأتني به.

قال الربيع: فمضيت إلى أبي عبد الله، فوافيتُهُ يصلي إلى جنب إسطوانة التوبة. فقلتُ: يا أبا عبد الله، أجبْ أميرَ المؤمنين لِلّتي لا شوى[2] لها، فأوجز في صلاته، وتشهَّد وسلَّم، وأخذ نعله ومضى معي[3]، وجعل يهمسُ بشيء أفهمُ بعضه، وبعضاً (٤٦ و /) لم أفهم، فلما أدخلتُه على أبي جعفر سلّم عليه بالخلافة، فلم يردّ عليه السلام.

وقال: يا مُرائي، يا مارق، منّتك نفسُك مكاني فوريت عليّ، ولم ترَ الصلاةَ خلفي، والتسليم عليّ. فلما فرغ من كلامه، رفع جعفر رأسَه إليه فقال:

يا أمير المؤمنين، إن داودَ النبيّ ـ ﷺ ـ أُعطي فشكرَ، وإنَّ أيوبَ ابتُلي فصبَرَ، وإنَّ يوسفَ ظُلمَ فغفرَ، وهؤلاء ـ صلوات الله عليهم ـ أنبياؤه، وصَفوتُه من خَلقِه، وأميرُ المؤمنين من أهل بيت النبوّةِ، وإليهم يؤولُ نسبُه، وأحقُّ مَنْ أخذَ بآداب الأنبياء، مَنْ جعلَ الله له مثلَ حظِّك يا أمير المؤمنين؟

يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فتبيَّنُوا أنْ تُصِيبوا قوماً بجهالةٍ فَتُصبِحُوا على ما فَعَلْتُمْ نادمينَ﴾[4]. فتثبّتْ يا أميرَ المؤمنين يصحُّ لك اليقين. قال: فسُـرِّيَ عن أبي جعفر، وزال الغضبُ عنه.

وقال: أنا لَشهدُ أبا عبد الله أنك صادق.

وأخذ بيده فرفعه وقال: أنت أخي وابنُ عمّي، وأجلسَه معه على السَرير وقال: سَلْني حاجتك، صغيرها وكبيرها.

---

(١) سقطت كلمة (بك) من ب.

(٢) الشوى: الأمر الهين.

(٣) سقطت كلمة (معي) من ب.

(٤) الحجرات آية ٦.

قال: يا أمير المؤمنين، قد أذهلني ما كان من لقائك وكلامِك عن حاجاتي[1]. ولكنّي أفكّرُ وأجمعُ حوائجي إن شاء الله. قال الربيع: فلما خرج قلتُ له: يا أبا عبد الله، سمعتُك همستَ بكلام أحبُّ أنْ أعرفَه. قال: نعم إن[2] جَدّي علي بن الحسين - عليهم السلام أجمعين - يقولُ: مَنْ خاف من سلطانٍ ظلامةً أو تغطرساً فليقل: اللهم أحرسني بعينك التي لا تنامُ، واكنفني بركنك الذي لا يُرام، واغفرْ بقدرتك[3] عليَّ. فلا أهلكنّ وأنت رجائي، فكم من نعمة قد (٤٦ ظ /) أنعمتَ عليَّ قلَّ عندها شكري، وكم من بَليّةٍ ابتليتني بها قلَّ لك عندها صبري. فيا مَنْ قلَّ عند نعمته شكري، فلم يحرمني، ويا مَنْ قلَّ عند نِقمته صبري فلم يخذلْني، ويا مَنْ رآني على الخطايا فلم يَفضحني، وياذا النَّعماء التي لا تُحصى، وياذا الأيادي التي لا تنقضي، بك أستدفعُ مكروهَ ما أنا فيه، وأعوذُ بكَ من شرّه يا أرحمَ الراحمين. قال الربيعُ: فكتبتُ بالدعاءِ، ولم يلتقِ مع أمير المؤمنين المنصور، ولا سألَه حاجةً حتى فارقَ الدنيا.

● ٧٤ - حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن محمد بن عبد الله المدائني قال:

قال عبد الملك بن مروان لثابتٍ بن عبد الله بن الزبير[4]: أبوك كان أعلمَ بك حيثُ كان يشتمُك. قال: يا أمير المؤمنين، أتدري لِمَ كان يشتمني؟ قال: لا والله. قال: إني كنتُ نهيتُه أنْ يقاتلَ بأهل مكةَ، وأهلِ المدينةِ، فإنّ الله لا ينصُرُ بهما، أمّا أهلُ مكة، فأخرجوا رسولَ الله - ﷺ - وأخافوه، ثم جاؤا إلى المدينة، فأخرجهم منها رسولُ الله - ﷺ - فسيَّرهم. - يعرّض في قوله هذا بالحكم بن أبي العاص حيث نفاه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم -[5] وأما أهل المدينة، فخذلوا عثمان، حتى قُتل

---

(١) في ب: حاجتي.

(٢) سقط سطر من ب ابتداء من (فلما) إلى (نعم إن).

(٣) في نور الأبصار: وارحمني بقدرتك.

(٤) كان ثابت بن عبد الله بن الزبير لسان آل الزبير جلداً وفصاحةً وبياناً شهد القتال مع أبيه، وبارز بين يديه، وكان سليمان بن عبد الملك له مكرماً، ورد عليه وعلى أخوته أشياء لم يكن ردها له غير سليمان. (جمهرة نسب قريش ١/ ٨٠ وابن عساكر ٣/٣٦٦).

(٥) الحكم بن أبي العاصي، أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة، فكان فيما قيل يفشي سر رسول الله ﷺ =

بينهم، لم يرَوا أن يدفعوا عنه. فقال له عبد الملك: عليكَ لعنةُ الله. قال: يستحقُّها الظالمون. كما قال الله ـ عز وجلّ ـ ﴿ألا لعنةُ الله على الظالِمينَ﴾[1].

فأمسك عنه[2].

● ٧٥ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي عن خالد بن عطيّة قال (٤٧ و /):

استعمل يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص[3] على المدينة، فأساء السيرة فيهم، فشكوه إلى يزيد بن معاوية فعزله، واستعمل عثمان بن محمد بن أبي سفيان[4]، فلما قربَ من المدينة فرقى المنبرَ، فخطبهم ومنّاهم ووعدهم الإحسانَ، ونال من عمرو، وذمّه، ثم قال: ما كان قرشيٌّ يفعل هذا بقرشيٍّ فقال عمرو من تحت المنبر: مهلاً يا عثمان، فوالله ما أنا بحلو المذاق، وإني لقمِنُ المضرَّة، وقد ضرّسَتني الأمور[5]، وجرَّسَتني الدهور، فزَعاً مرةً، وأمناً أخرى، وإن قريشاً تعلمُ أني ساكن الليل، داهية النهار لا أتبعُ الضلال، ولا أنمصُ[6] حاجبي، ولا يستنكر شبهي، ولا أدعا لغير أبي.

● ٧٦ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عليّ بن سُليم قال:

حضر قومٌ من قريش مجلسَ معاويةَ بن أبي سفيان، فيهم عمرو بن العاص، وعبد الله بن صفوان بن أميّة بن خلف[7]، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن

= فنفاه إلى الطائف. توفي سنة ٣٢. (انظر الإصابة ٢/ ٢٨ ونكت الهميان ١٢٦).

(١) سورة هود آية ١٨.

(٢) نص هذه المحادثة في ابن عساكر ٣/ ٣٦٦.

(٣) انظر ترجمته في الإصابة ٣/ ١٧٤.

(٤) وفي المعارف ٣٤٥ وكان عاملاً بالمدينة ليزيد بن معاوية، فنحس به أهلها، ففي سببه كانت وقعة الحرّة. وحج بالناس سنة ٥٩.

(٥) ضرّسته الأمور: جرّبته وأحكمته وكذا جرّسته.

(٦) النمص: نتف الشعر.

(٧) قتل مع ابن الزبير في مكة سنة ٧٣. انظر ترجمته في العبر ١/ ٨٢ والشذرات ١/ ٨٠.

هشام[1]، فقال عمرو بن العاص[2]: احمدوا الله يا معشرَ قريش، إذ جعلَ والي أمورِكم مَنْ يُغضي على القذى، ويتصامّ على العوراء، ويجرُّ ذيلَه على الخدائع، فقال عبد الله بن صفوان: لو لم يكن كذلك لمشينا إليه الضرّاء، ودببنا[3] له الخمر، وقلبنا له ظهرَ المِجَن، ورجونا أن يقوم بأمرنا أمر، ولا يطعمك مال مضر، فقال معاوية: يا معشر قريش حتى متى لا تنصَفون من أنفسكم. فقال عبد الرحمٰن: إن عمراً وذويه أفسدوك علينا، وأفسدونا عليك، ما كان عليك لو أغضيتَ على هذا؟ قال: إنّ عمراً ناصحٌ لي. قال عبد الرحمٰن (٤٧ ظ /) أطعِمنَا مثلَ ما أطعمتَه، ثم خذنا بمثل نصيحته، إنّا يا معاوية رأيناك تضرب عوامَ قريش بأياديك في خواصِّها، كأنك ترى كرامها[4] حازوك دون لئامها، وأيّم الله أنك تفرغ من وعاءٍ فم في إناءٍ ضخمٍ، ولكأنك بالحرب قد حُلَّ عقالُها عليك، ثم لا ينظر لك. قال معاوية: يا ابن أخي ما أحوجَ أهلَك إليك، يقول: لو فعلتُ ذلك قُتلت[5].

ثم أنشد معاوية:

أغـرَّ رجـالاً مـن قـريـش تتـابعـوا علـى سفـهٍ منّـي الحيـا والتكـرُّمُ

● ٧٧ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني محمدٌ بن سَـلّام الجمحي، عن عبد الرحمٰن الهمداني، قال[6]:

دخل أبو الطُفيل عامر بن واثلة الكناني[7] على معاويةَ، فقال له معاوية: أبو

---

(١) أحد الأربعة الذين عهد لهم عثمان بكتابة المصاحف، وأحد الفقهاء السبعة توفي سنة ٧٤. انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٦/ ١٥٦ والعبر ١/ ١١١.
(٢) انظر النص في العقد الفريد ٤/ ٢١.
(٣) الدبي: المشي الرويد.
(٤) في ب: كرامك.
(٥) في ب: لقتلت.
(٦) انظر الخبر في العقد الفريد ٤/ ٢٩ ومروج الذهب ٣/ ٢٥ ووقعة صفين ٥٥٤ وبعضه في الأغاني ١٥/ ١٤٩.
(٧) أبو الطفيل شاعر كنانة وأحد فرسانها ومن ذوي السيادة، خرج مع المختار الثقفي مطالباً بدم الحسين رضي الله عنه وعاش إلى أيام عمر بن عبد العزيز، توفي سنة مائة، وقيل عشر ومائة، وهو=

الطفيل. قال: نعم. قال: ألستَ من قَتَلَةِ عثمان؟ قال: لا، ولكني ممّن حضرهُ فلم ينصرْه. قال: وما منعك من نَصره؟ قال: لم ينصرْه المهاجرون والأنصارُ.

قال معاويةُ: أما لقد كان حقّه واجباً، وكان عليهم أنْ ينصروه. قال: فما منعك يا أميرَ المؤمنين من نصره، ومعك أهلُ الشام؟ فقال معاويةُ: أما طلبي بدمِه نصرةٌ له؟ فضحك الطفيل وقال: أنت وعثمان كما قال الشاعر[1]:

لا ألفينّـك بعـد المـوتِ تنـدبنـي وفـي حيـاتـيَ مـا زوّدتنـي زادي

فقال معاوية: يا أبا الطُّفيل، ما أبقى الدهرُ من ثكلك عليّاً؟

قال: ثكل العجوز المقلات[2]، والشيخ الرَّقود[3]. قال: فكيف حبُّك له؟

قال: حبُّ أمّ موسى لموسى، وإلى الله أشكو التقصير.

● ٧٨ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن (٤٨ و /) المخزومي قال:

قال صَعْصَعَةُ بن صُوحان[4]: ما أعياني جوابُ أحدٍ ما أعياني جواب عثمان. دخلتُ عليه، فقلتُ له: أخرجنا من ديارِنا وأموالِنا أنْ قلنا ربُّنا الله، فمنّا[5] مَنْ مات بأرض الحبشة، ومنّا مَنْ مات بالمدينة، ومنا مَنْ مات بالحَرم . . .

● ٧٩ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح قال[6]:

= آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ. (الشذرات ١/ ١١٨ وابن عساكر ٧/ ٢٠٠ والأغاني ١٥/ ١٤٧).

(١) في الأصل: لألفينك.

(٢) المقلات: التي لا يبقى لها ولد.

(٣) في وقعة صفين: الرقوب. ومعناها: الذي لا يبقى له ولد. أو الذي مات ولده.

(٤) صعصعة بن صوحان العبدي: أسلم في عهد رسول الله ﷺ وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكان خطيباً فصيحاً وله مع معاوية مواقف. نفاه معاوية من الكوفة إلى الجزيرة أو البحرين فمات بها. (الإصابة ٢/ ١٩٢ والمعارف ٤٠٢).

(٥) سقط من ب هذه الكلمة إلى آخر الخبر، ويظهر أن ثمة سقط في هذا الخبر إذ لم يكمل معناه.

(٦) بعض هذه المفاخرة في المحاسن والمساوىء ٩٦ برواية أبي بكر الهذلي.

اجتمع عند أبي العباس أميرِ المؤمنين، أبو بكر الهذلي، وابن أبي ليلى الأنصاري، والحسن بن زيد، وإسماعيل بن علي، وكان هواهم في أهلِ الكوفة على أهل البصرة، فقال الحسن بن زيد: يا أميرَ المؤمنين، إنّ أهلَ البصرة لا يعرفون لأهلِ الكوفةِ الفضلَ، كما يعرفُ أهلِ مكةَ لأهلِ المدينةِ الفضلَ. فقال أبو بكر: معاذَ الله، نحن والله أكثرُ أموالاً وأولاداً وأبعدُ في الأرض آثاراً. لنا خراسانُ وسجستانُ، والسِّندُ والهند، افتتحناها بالبيضِ القواضبِ، حتى أوثقت أعِنّةُ الخيلِ، بأصولِ القَنا بأرض الفلفل. ولنا كَرْمان[1] ومُكران[2] وفارس[3] والأهواز. والعراقُ عراقُنا، والأرضُ أرضنا، وإنما أهل الكوفة أضيافٌ علينا. فقال الحسن بن زيد: دَعنا من خُراسان وسَجستان، فلَعمري لأنتم أرفعُ منّا بلاداً، ولكن بالله ألستَ تعلمُ أنّا أكثرُ منكم فُقهاء؟ فقال أبو بكر: لا والله، ما أنتم بأكثر منا فقهاء، ولكنكم أكثر منّا أنبياء. منكم بيانُ التبيان[4] والمغيرة[5]، وأبو الخطاب[6].

وما لنا نبيٌّ إلا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. فضحك أميرُ المؤمنين أبو العبّاس، واشتدَّ ضحكه. ثم قال: يا أبا بكر، هم أكثر منكم أنبياء؟ قال أبو بكر: يا أمير المؤمنين، ما رأيتُ أرضاً قطّ (٤٨ ظ /) أكثرَ نبيًّا مصلوباً منها. فجعل أميرُ المؤمنين يغمزُ أبا بكر ويضحك، يَغمزه بالقضيب. فقال الحسن بن زيد: إنما كان أصلُ المغيرة من البصرة. فقال أبو بكر: كلاّ إنما كان من أهل الكوفة. فتنازَعا

(١) كرمان: ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة في بلاد فارس. (ياقوت).

(٢) مكران: اسم لسيف البحر، افتتحت في أيام عمر رضي الله عنه، وولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى بين كرمان وسجستان. (ياقوت).

(٣) في المحاسن والمساوىء: ومكران والفرض والعرض، والديار وسعة الأنهار.

(٤) في ب: بيان التبان. وفي المحاسن: بيان وأبو بيان. وبيان هذا خرج والمغيرة بن سعيد مولى بجيلة سنة ١١٩ . وكان المغيرة ساحراً يقول: لو أردت أن أحيي عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لأحييتهم. وقد أتى بهما إلى خالد بن عبد الله القسري في هذه السنة فقتلهما مع ستة رهط أو سبعة. (المعارف ٢٣ والطبري ١٢٨/٧).

(٥) في المحاسن: المغيرة خبيث السريرة.

(٦) أبو الخطاب: كان يأمر أصحابه أن يشهدوا على من خالفهم بالزور في الأموال والدماء والفروج. وقال: إن دماءكم ونساءكم حلال. (المعارف ٦٢٣).

طويلاً. فقال أمير المؤمنين: يا أبا بكر قد صحّ عندي أنَّ أصلَه من البصرة. قال أبو بكر: صدق أميرُ المؤمنين، ولكنّ البصرة أرضٌ طيّبةٌ لا تَدَعُ فيها خبيثاً إلاّ أخرجته. قال أميرُ المؤمنين: دونكم الهذليّ فقد سلّطتُكم عليه. فقال أبو بكر: إذاً لا ينتصفون[1] مني. قال أمير المؤمنين: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّ الحقّ في يدي، وليس في أيديهم منه شيءٌ. قال الحسن بن زيد: ألا تعجبُ يا أمير المؤمنين، إنّه يفاخر أهلَ الكوفة بأهل البصرة، ويعدلهم بهم؟

فقال أبو بكر: والله ما أعدلُهم بهم، ولكني أفضّلُ أهل البصرة عليهم، والله يا أمير المؤمنين، ما كان بالكوفة شريفُ قومٍ، إلاّ وشريفُ قومٍ بالبصرة أشرفُ منه.

ما كان في تميم الكوفة مثل الأحنفِ بن قيس[2] من تميم البصرة. ولا كان في أزْد الكوفة مثل المهلّب بن أبي صفرة من أزد البصرة. ولا كان في قيس الكوفة مثل قتيبة بن مسلم من قيس البصرة، الذي يقول فيه الشاعر[3]:

إذا ما خشينا من أميرٍ ظُلامةً ... أمرْنا أبا غَسّان يوماً فعَسْكَرا[4]

وقال جرير[5]:

يا عينُ ويْحكِ هيّجي أحزانا ... واستعجلي بدموعكِ الأزمانا

قالت ربيعةُ يوم كُفّن مالكٌ ... لا فجعَ أكبرُ من أبي غسّانا

(٤٩ و/)

كانوا إذا شعبوا شعبتَ عليهم ... بل كنتَ أطولَ في الحروب عِنانا[6]

(١) في ب: إذ لا ينتصفوا.

(٢) هو الأحنف بن قيس بن معاوية المري المنقري التميمي أبو بحر سيد تميم وأحد الدهاة الشجعان، ولي خراسان وتوفي في سنة ٧٢ في الكوفة. (المعارف ٤٢٣).

(٣) البيت في الطبري ٧/ ٢٨٠ بدون نسبة أيضاً. وفي المحاسن بلا نسبة إلا أنه جعله في مدح مالك بن مسمع من بكر البصرة.

(٤) في الطبري: دعونا أبا غسّان.

(٥) في ب: وقال آخر. والأول والثاني في ديوان جرير ٥٨٢ من أبيات في رثاء مالك بن مسمع. مع اختلاف يسير.

(٦) سقط البيت من ب. شعبوا: تفرقوا وأصابهم الصدع. وشعبت: أصلحت أمرهم، والفعل من الأضداد. والعنان: سير اللجام الذي نمسك به الدابة.

وما كان في عبد قيس الكوفة مثلُ المنذر بن الجارود[١] من عبد قيس البصرة، الذي يقول فيه الشاعر[٢]:

يـا حَكَـم بـن المنـذر بـن الجـارود   أنـت الجـوادُ ابـن الجـواد المحمـودْ

سـرادقُ المجـد عليـك ممـدود

قال إسماعيل بن علي: يا أبا بكر، أنت تتكلّمُ بكلام رجل، كأنك لا تعرف شرفَ أهل الكوفة. قال أبو بكر: والله يا أمير المؤمنين ما أعرف أحداً من أهل الكوفة، ثم قال: هل تعرفونَ رجلاً من أهل الكوفة مثلَ ملِكِ هذين المِصرَين؟ فقد مَلكهما يزيد بن المهلّب، وملكهما رجلٌ مولى لبني سعد، يقال له: صالح بن عبد الرحمٰن، والله يا أمير المؤمنين ما قطع نهرَ بلخ[٣] رجلٌ أوّل من خالِك ربيع[٤] بن زياد من بني الحارث بن كعب.

وما سار بأهل الكوفة والبصرة رجلٌ أوّل منه.

فقال القاضي: حدّثنا أشياخٌ لنا من أهل الكوفة أنّ أهل البصرة كانوا يوم الجمل ثلاثين ألفاً، وإنما كان أهلُ الكوفة تسعة آلاف. فقال أبو بكر: يا أمير المؤمنين، من أين كنا ثلاثين ألفاً، فوالله لَربيعة البصرة كانت مع عليٍّ تقاتلُ عنه، وتدعو إليه وعليّ[٥] الذي يقول[٦]:

---

(١) هو المنذر بن بشر بن عمرو بن حنش، تولى اصطخر لعلي رضي الله عنه وشهد معه الجمل، وولاه عبيد الله بن زياد في عصر يزيد بن معاوية الهند فمات هناك سنة ٦١ أو ٦٢. (انظر الإصابة ٣/ ٤٥٨).

(٢) الرجز في المعارف ٣٣٩ للكذاب الحرمزاوي في الحكم بن المنذر بن الجارود وقد قدم في الرجز وأخّر وأضاف إليه شطرين آخرين. والبيت الأول في المحاسن بلا نسبة.

(٣) في ياقوت: ويقال لجيحون نهر بلخ.

(٤) هو ربيع بن زياد بن أنس الحارثي من بني الديّان، أمير فاتح، ولاّه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٤٦. (انظر العبر ١/ ٥٣ والشذرات ١/ ٥٥).

(٥) في ب: عليه السلام.

(٦) الديوان ٥١. وفيه أنه قاله بذي قار متوجهاً إلى حرب الجمل حين بلغه ما لقيت ربيعة من القتل.

يـــا لهـــف نفســـي علـــى ربيعـــه ربيعـــة الســـامعـــة المطيعـــه[1]

ولكن سَلْهم يا أمير المؤمنين، كم كانت عِدّتُهم يوم دخلنا عليهم مسجدَهم بالكوفة، فذبحنا منهم ثلاثين ألفاً ذبحَ الحِملان؟ فأراد الحسن (٤٩ ظ /) بن زيد أنْ يكسر أبا بكر فقال: مع مَنْ كنتم يومئذٍ؟ فقال أبو بكر: كنّا مع مصعب بن الزبير بن العوّام. قال: فمن كنتم تقاتلون؟ قال: كنّا نقاتلُ المختار بن أبي عبيد الثقفي[2] ورفع صوته[3]. فقال الحسن: على ما كنتم يا أهل البصرة، على باطلٍ أم على حقٍّ؟ فقال أبو بكر: كنا على باطل، وكنتم على حقٍّ، فضعفتم عن حقّكم، وغلبَ باطلُنا حقّكم. قال الحسن بن زيد: مَنْ قاتلتم يوم الجمل؟ قال أبو بكر: قاتلنا عَليًّا، وحرّضْنا على قتله، فلوى الله أيدينا وسلاحَنا، نظراً من الله لنا، وخيرةً حتى خرج سليماً. ثم قُتل بين ظهرانيكم بالكوفة[4]. يا أمير المؤمنين مثلُ العرب كمثل السمسم، إنْ تعصره وحدَه يخرج منه الحلّ، وإن تخلط معه غيره تخرج[5] منه ألوان الأدهان. تفرّقت العرب من تِهامة على أربع فرقٍ: فرقةٌ باليمن، فأخذت بآبين النجاشي وشكلهم، وفرقةٌ وقعت بالشام فأخذت بآبين القبط وشكلهم، وفرقةٌ وقعت بالكوفة، فأخذت بآبين الفرس، فأيّها أخير النجاشي أم القبط أم النبط أم الفُرس؟ قال: بل الفرسُ.

● ٨٠ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني قال:

قال رجلٌ لخالد بن صفوان: مرحباً بكَ أبا صفوان، فقال له: رحبَ واديك،

---

(١) البيت هو الأول من ثلاثة أبيات في الديوان. ورواية الديوان:
يـــا لهـــف نفســـي قتلـــت ربيعـــه

(٢) سقط لقب الثقفي من ب.

(٣) غلب المختار الثقفي على الكوفة أحد عشر شهراً حتى قتله مصعب بن الزبير فيها سنة سبع وستين. (انظر الإصابة ٣/٤٩٢).

(٤) استشهد الإمام علي رضي الله عنه ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين، بضربة من ابن ملجم في يافوخه. (انظر الإصابة ٢/٥٠٣).

(٥) في ب: يخرج.

وعَزَّ ناديك، وهطلت عليك مُكفَهرات[1] السَّحاب. قال: كيف كنتَ؟ قال: في نِعَمٍ من الله سوابغ، لا نعرفُ إلا المزيدَ فيها. حتى إذا كنّا في ثنية السَّماوة[2] بعث الله علينا ريحاً حَرجفاً[3]، تبوّأت لها السِّباعُ أسرابَها، (٥٠ و/) وانفرجت الطيرُ إلى أوكارها، واحمرّت لها آفاقُ السماء، فلم أهتدِ لعَلَم لامع، ولا لنجمٍ طالعٍ، فبقيت كالمتحيِّر لا أجدُ وَزراً، فإني لكذلك إذ[4] أقبل عليّ فوارسُ على خيولٍ كأنّها قُضُبُ الشوحَط[5]، تهوي هوي الأجادلِ[6]، عليها كلُّ غطريفٍ[7] [ماجدٍ][8] مترفٍ كالحسَام، وخلفهم سلوقيّة[9] في أرساغها فَدَعٌ[10]، وفي أعجازها قمع، فمررنا بموزٍ[11] لعبد الملك بن مروان كأنه جُثثُ اليرابيع، قد احلولَك أقناؤه فيا لك من منزلٍ كرُم مآبُه، وضَنَّ به أصحابه، فنزلنا، فكنّا بين آكلٍ وناشل ومشتوٍ وطاهٍ.

● ٨١ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: سمعتُ أبا عبد الله الزبير يقول[12]: اجتمع ثلاثة من الرواة، فقال قائل: أيُّ نصفِ بيتِ شعرٍ أحكمُ، وأوجز. قال الأول: قول حُمَيْد بن ثورٍ[13]:

وحسبــك داءً أن تصُــحَّ وتَسْلَمـا[14]

---

(١) في ب: مكفهرات. والمكفهرّ: السحاب الغليظ الأسود.

(٢) السماوة: بادية بين الكوفة والشام.

(٣) الحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب.

(٤) في ب: إذا.

(٥) الشوحط: شجر تتخذ منه القسيّ، أو ضرب من النبع.

(٦) الأجادل: واحدها الأجدل وهو الصقر.

(٧) الغطريف: السيد الشريف، والسخي السري.

(٨) سقطت كلمة (ماجد) من الأصل.

(٩) السلوقيّة: كلاب منسوبة إلى مدينة باليمن أو بطرف أرمينية.

(١٠) الفدع: اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم.

(١١) الموز: الثمر المعروف.

(١٢) النص في البيان والتبيين ١/ ١٤٠ وشرح شواهد المغني ١/ ٢٦٩ والامتاع والمؤانسة ١/ ٢٦٩.

(١٣) شاعر إسلامي معروف، وفد على النبي ﷺ وعاش إلى خلافة عثمان. له ديوان مطبوع. انظر ترجمته في ابن سلام ٤٩٥ والإصابة ١/ ٣٥٥.

(١٤) عجز بيت في ديوانه ص ٧ وابن سلام، وصدره: أرى بصري قد رابني بعد صحة.

وقال الثاني: بل قول الهذلي[١]:

نوكّل بالأدنى وإنْ جلّ ما يَمضي[٢]

وقال الثالث: بل قول أبي ذؤيب الهذلي[٣]:

والدهرُ ليس بمُعتِبٍ مَنْ يجزعُ[٤]

● ٨٢ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال جابر بن سلمى بن جعفر وذكر عامر بن الطفيل: كان والله لا يضلُّ حتى يضلَّ النجمُ، ولا يعطشُ حتى يعطشَ البعيرُ، ولا يهابُ حتى يهابَ السيلُ، وكان والله خيرَ ما يكون حينَ لا[٥] تظنُّ نفسٌ بنفس خيراً.

● ٨٣ ـ وسمعت أبا عبد الله يقولُ؛

مرّ بشرٌ بن المعتمر[٦] بإبراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة السَّكونيِّ الخطيب، وهو يعلّم فتيانَهم الخَطابةَ، فوقف بِشرٌ، فظنَّ إبراهيمُ أنه إنّما وقفَ ليستفيدَ أو يكون[٧] رجلاً من النظّارة، فقال بشرٌ: اضربوا عمّاً قال صَفحاً، واطووا عنه كَشحاً. ثم دفعَ

---

(١) هو أبو خراش خويلد بن مرة، أسلم، ومات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن نهشته حيّة. (الإصابة ١/٤٥٧).

(٢) عجز بيت في ديوانه ص ١٥٨ وصدره: بل إنها تعفو الكلوم وإنما.

(٣) وهو خويلد بن خالد بن محرث الهذلي، شاعر إسلامي معروف، خرج مع الجيش الإسلامي في خلافة عمر حتى أدركه الموت في بلاد الروم. وله ديوان مطبوع، انظر ترجمته في ابن الإسلام ١٠٣. والإصابة ٤/٦٦. والاستيعاب ٤/ ٦٥.

(٤) عجز بيت في ديوانه ص ١ والإصابة، والاستيعاب، صدره:

أمِنَ المنون وريبها تتوجع

(٥) في ب: يظن.

(٦) بشر بن المعتمر انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد، وانفرد عن المعتزلة في بعض المسائل. وكان نخاساً في الرقيق توفي سنة ٢١٠ وله قصيدتان في حيوان الجاحظ ٦/ ٢٨٤ و ٢٩٧ انظر لسان الميزان ٢/ ٣٣ والملل والنحل ١/ ٨١ وأمالي المرتضى ١/ ١٨٦.

(٧) في البيان والتبيين: ليكون.

إليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه وكان أوّل ذلك الكلام[1]: (٥٠ ظ /).

خُذْ من نفسِكَ ساعةَ نشاطِك، وفراغَ بالِك، في إجابتها إيّاك[2]، فإنّ فليل تلك الساعةِ[3] أكرمُ جوهراً، وأشرفُ حسباً، وأسرعُ[4] في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلمُ من فاحش الخطأ، وأجلبُ لكلِّ عينٍ وغُرَّةٍ[5]، من لفظٍ شريفٍ، ومعنىً بديع، واعلمْ أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يُعطيك يومُك الأطول[6] بالكدِّ والمجاهدة، وبالتكلّف والمعاودة، ومهما أخطأك لم يُخطئك أنْ يكون مقبولاً قصداً، وخفيفاً على اللسان سَهلاً، وكما خرج من ينبوعِه، ونجمَ من مَعدنه. وإيّاك والتوعُّرَ، فإنّ التوعّرَ يُسلمُك إلى التعقيد، والتعقيدُ هو الذي يستهلك معانيك، ويُشينُ ألفاظك، ومَنْ أراغ[7] معنىً كريماً فليلتمسْ له لفظاً كريماً.

فإنّ حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف. ومن حقّهما أنْ تصونهما عمّا يُفسدهما ويُهجّنهما، وعمّا تعودُ من أجله إلى أنْ تكونَ أسوأ[8] حالاً منك قبل أنْ تلتمس إظهارهما، وترتهنَ نفسك في ملابستهما وفصاحتهما[9].

وكن في ثلاث منازل، فإنّ أوّل الثلاث[10]: أن يكون لفظك رشيقاً عذْباً، وفخماً[11] سهلاً. ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إمّا عند الخاصّة إنْ كنتَ للخاصّة قصدتَ، وإمّا عند العامّة، إنْ كنت للعامّة قصدتَ وأردتَ.

---

(١) انظر الصحيفة في العمدة ١/١٨٦ والبيان والتبيين ١/١٣٥ والصناعتين ١٣٤.
(٢) في المصادر الأخرى: وإجابتها لك.
(٣) في الصناعتين: فإن قلبك في تلك . .
(٤) في الصناعتين: وأشرق حسناً، وأحسن في الإسماع.
(٥) في الصناعتين: وأجلب لكل غرّة من لفظ كريم، ومعنى بديع.
(٦) في البيان والتبيين: الأطول بالكد والمطاوعة والمجاهدة.
(٧) أراغ: طلب.
(٨) في الصناعتين: فتصير بهما إلى حد تكون فيه أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس منازل البلاغة، وترتهن نفسك.
(٩) في البيان والتبيين: بملابستهما وقضاء حقهما.
(١٠) في الأصل: الثلاثة. وفي البيان: أولى الثلاث.
(١١) في ب: نجماً. تحريف.

والمعنى ليس شرفاً[1] بأن يكون من معاني الخاصّة، كذلك ليس يتصنّع بأن يكون من معاني العامّة، وإنما مدارُ الشرف مع[2] الصواب، وإحراز المنفعة[3] مع موافقة الحال، وما يجبُ لكلِّ مقامٍ من المقال.

وكذلك اللفظُ العاميّ والخاصيّ، فإنْ أمكنَك أنْ تبلغَ من بيانِ لسانِك، وبلاغةِ قلبِك، ولطفِ مدخلِك[4] (٥١ و /) واقتدارِك في نفسِك على أنْ تُفهمَ[5] العامّة معانيَ الخاصّة، وتكسوها الألفاظَ المتوسطةَ[6]، التي لا تلطفُ عن الدَّهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التامّ.

قال بِشرٌ: فلما قُرِئت على إبراهيم قال[7]: أنا أحوَجُ إلى هذا من هؤلاء الفتيان.

● ٨٤ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

قال شبيب[8] بن شيبة: نُبِّئتُ أنّ عيسى بن موسى عَيِيٌّ، فاشتهيتُ أن أسمعَ كلامَه، فأرسلَ إليّ المهديّ ذاتَ ليلة بكرَ إلى المسجد ليخلعَ عيسى بن موسى[9]، فغدوتُ ودنوتُ إلى المنبر فجاء المهديُّ، وصعد المنبر حتى صار على قُلَّتِه، وجاء عيسى بن موسى، فصعدَ وهو يعصِرُ عينَه، حتى صار دونه بعتبةٍ، فقلتُ: جاء ما كان

---

(١) في البيان: يشرف.

(٢) في البيان: على.

(٣) سقط سطر من ب ابتداء من (من معاني) إلى (المنفعة).

(٤) في البيان: مداخلك.

(٥) في البيان: على نفسك إلى أن تفهم العامة.

(٦) في البيان: الواسطة.

(٧) في البيان: قال لي.

(٨) هو شبيب بن شيبة المنقري البصري، كان فصيحاً بليغاً أخبارياً توفي سنة ١٦٢. (انظر المعارف ٤٠٤ والعبر ١/ ٢٣٨ والشذرات ١/ ٢٥٦).

(٩) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي. ولي عهد السفاح بعد أخيه المنصور. توفي سنة ١٦٨. ومعروف أن المهدي ألح على ولي العهد عيسى بكل ممكن بالرغبة والرهبة في خلع نفسه ليولي العهد لولده موسى الهادي فأجاب خوفاً على نفسه وتم ذلك في أول سنة ستين ومائة. (انظر الطبري ٨/ ١٢٤ والعبر ١/ ٢٣٠ و ٢٥٣ والشذرات ١/ ٢٦٦).

يقال فيه. فغمزه المهديّ[1] بقائم سيفِه، فقام وقال: اللهم لك الحمدُ، وإليك المشتكى، وأنت المستعان. اللهم إنك تعلمُ أنّي لا أخلعُها حيث أخلعُها رغبةً ولا رهبةً، وما أخلعُها إلا لحقن دماءِ المسلمين، وقد خلعتُ البيعةَ عن عُنقي، وبايعتُ لموسى[2]، ثم ولّى وجهَه إلى المهديّ فمسحَ يدَه على يده.

● ٨٥ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني ابنُ أبي بكر المؤمّلي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال:

دخل عمرو بن معد يكرب[3] على مُجاشع بن مسعود في دارِه، وكانت دارُه شارعةً على رُحبةِ بني تميم، عند المسجد الجامع، فقال: أجزني بجائزةِ مِثلي، واحملني على فرسٍ مثلي، ومُرْ لي بسلاحٍ مِثلي. فأمرَ له بعشرة آلاف درهم (٥١ ظ /) وحملَه على فرسٍ عتيقٍ، وأمر له بسلاح تام. وخرج من عنده فجعل يمرُّ على حلَق المسجد فيقولون: يا أبا ثور، كيف وجدتَ أخا بني سُلَيم؟ فيقول: بارك الله على حيّ سُليم، ما أصدقَ في الهيجاء لِقاها، وأثبتَ في النوازل بلاها، وأجزلَ في النائبات عَطاها. والله لقد قاتلتهم فما أجبنتهم، وهاجيتُهم فما أفحمتهم، وسألتُهم فما أبخلتُهم.

● ٨٦ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: قال أبو عبد الله الزبير[4]: قيل لابن أبي الزِّناد[5]: لم تُحبُ الدراهمَ وهي تُدنيك من الدنيا؟ قال: هي وإنْ أدنَتْني منها فقد صانتني عنها.

---

(١) سقطت كلمة (المهدي) من ب.

(٢) هو موسى الهادي بن المهدي، تولى الخلافة بعد أبيه في محرم سنة ١٦٩. ودامت ولايته سنة وشهراً. (المعارف ٣٨٠ والشذرات ١/ ٢٧١).

(٣) الشاعر المخضرم المعروف عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عاصم بن زبيد، قدم على رسول الله ﷺ في وفد زبيد فأسلم سنة تسع أو عشر، وأقام في المدينة برهة ثم شهد عامة الفتوح بالعراق. وهو شاعر محسن مشهور بالشجاعة. قتل يوم القادسية. وقيل جرح في نهاوند فحمل ومات في إحدى قراها سنة ٢١. (انظر الأغاني ١٤/ ٢٤ والخزانة ١/ ٤٢٥).

(٤) سقطت كلمة (الزبير) من ب.

(٥) هو عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان، أصله من همدان، وولي خراج المدينة، وقدم بغداد ومات فيها سنة ١٧٤، وأخوه أبو القاسم بن أبي الزناد. (انظر المعارف ٤٦٥ وتاريخ بغداد ٥٣٥٩).

● ٨٧ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال:

سمعتُ سفيان بن عُيينة[١]، وقد قيل له: ما أشدَّ حبكَ للدراهم! قال: ما أحبُّ أن يكون أحدٌ أشدَّ حبًا لما ينفعه مني.

● ٨٨ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو صخرة أنس بن عياض قال:

قيل لجعفر بن محمد[٢]: كم تتأخّر الرؤيا؟

فقال: رأى رسول الله ـ ﷺ ـ كأنّ كلباً أبقعَ يلغُ في دمِه، فكان شمِر[٣] بن ذي الجوشن قاتل الحسين ـ عليه السلام ـ ذلك، وكان أبرصَ، وكان تأويلُ الرؤيا بعد ستين سنة[٤].

● ٨٩ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن قال:

دخل عبد الله بن عمر على عبد الله بن جعفر، فأمر بإخراج جواريه، فقال لهنّ: تغنين لمعبد؟ ففعلن. فقال ابن عمر: هذا الحِداءُ. فقال لهنّ تغنين للغريض؟ فقال ابن عمر: هذا البكاء. فقال لهنّ: تغنين لابن سُريج[٥]؟ ففعلنَ. فنفض ابن عمر ثوبَه وقام وقال: هذا الذي نُهينا عنه.

● ٩٠ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير قال[٦]: قدِمَ

---

(١) سفيان بن عيينة، شيخ الحجاز وأحد الأعلام المحدثين فيها، توفي في أول رجب من سنة ١٩٨. (انظر صفة الصفوة ٢/ ١٣٠ وابن خلكان ٢/ ١٢٩).

(٢) في ب: عليهما السلام.

(٣) هو شمر بن ذي الجوشن بن شرحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية الضبابي. كان أبرص. وقد تتبعه المختار الثقفي فيمن تتبع من قتلة الحسين رضي الله عنه فقتله. (المعارف ٥٨٢ والطبري ٥/ ٤٢٢).

(٤) كان مصرع الحسين رضي الله عنه في سنة إحدى وستين.

(٥) معبد وغريض وابن سريج، مغنون معروفون.

(٦) الخبر في عيون الأخبار ٤/ ٩١ والأغاني ٦/ ٧٠. والعقد الفريد بولاق ٣/ ٢٣٢.

(٥٢ و /) ابنُ جامع مكةَ، فقال سفيان بن عُيينة: بلغني أنّ هذا السّهمي[١] قد جاء بمالٍ كثيرٍ. قال: أجل، وعلامَ يُعطونه[٢]؟ فقال: رجلٌ يُغنّيهم. قال: وبأيّ شيءٍ يُغنّيهم؟ قال: بشعر. قال: فتروي منه شيئاً؟ قال: نعم. قال: هاتِه. فأنشده:

أطــوّفُ بــالبيــت فــي الطــائفيــن   وأرفــعُ مــن مِئْــزَري المُسبَــلِ[٣]

فقال: أحسنَ وأجملَ. هِيه[٤]! فقال:

وأسجُــدُ بــالليــل حتــى الصَّبــا   ح أتلــو مــن المحكَــم المنــزَلِ

فقال: جزى الله هذا خيراً. هِيه[٥] فقال:

عسـى فـارجُ الكـربِ عـن يـوسـفٍ   يُسَخِّــرُ لــي ربَّــةَ المَحْمِــلِ[٦]

قال: فأشار بيده: أمسِك أمسِك[٧].

● ٩١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمّي عن جدّي عبدالله بن مصعب، قال: سأل عبدَ الله بن عمر رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمٰن، عَلّمني شيئاً ينفعُني الله به، قال: إحفظ عنّي ثلاثاً: لا تنتفينَّ من ولَد نكحتَ أمّه، واعلمْ أنّ كلَّ أمانةٍ مؤدّاة، وأنَّ الرغائب في ركعتي الفجر. ثم انصرفَ، فلما كان بعد ذلك. قال: هل حفِظتَ الثلاث؟ قال: نعم. قال: احفظ إليهنَّ ـ ثلاثاً أخرَ: اعلم أنَّ مَنْ كثُر مالُه اشتدَّ حِسابُه، ومن كثُر تَبَعُه كثر شياطينُه، وأنّ العبد كلّما ازداد من السُّلطان قُرباً، ازدادَ من الله بُعداً.

---

(١) في الأغاني: هذا القرشي.

(٢) في العيون: علام تعطيه الملوك هذه الأموال ويحبونه هذا الحباء؟

(٣) في العيون: أطوف بالبيت فيمن يطوف.
وفي الأغاني: وأصحب بالليل أهل الطواف.

(٤) في العيون: قال أحسنت هيه.

(٥) سقط سطر من ب. وفي العيون: جزاه الله عن نفسه خيراً. وفي الأغاني: قال أحسن هيه.

(٦) في العيون: عسى كاشف الكرب.

(٧) في العيون: آه أمسك أمسك قد علمت ما نحا الخبيث اللهم لا تسخرها له. وفي الأغاني: قال أما هذا فدعه.
وفي العقد الفريد: أمسك أمسك. أفسد آخراً ما أصلح أولاً.

● ٩٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمّدٌ بن سلّام عن الأحنف[١]: أنه قال لأصحابه: أتعجبون من أخلاقي وعِلمي؟ إنما هذا شيءٌ استفدْتُه من عمّي صَعْصَعة[٢]، فإني أنا في ذَودٍ[٣] لأبي أرعاها إذ عرَضَ لي وَجَعٌ في بطني، فلبثتُ أياماً أشتهي أنْ أرى بعض أهلي، فأشكو إليه، إذ مرّ بي عمّي صَعْصَعَةُ ينتجعُ أرضاً، فمشيتُ معه. أو قال: سرتُ معه فذهبتُ (٥٢ ظ /) أشكو إليه، فأسكتني، ثم مشيتُ أشكو إليه فأسكتني، أحسبه قال: الثالثة. ثم قال[٤]: يا ابن أخي لا تَشكُ الذي ينزلُ بك إلى أحدٍ من الناس، فإنما الحياة رجلان: صديقٌ فيسوؤه ما تشكو إليه، أو عدوٌّ فيسرُّه، ولا تشكُ الذي ينزلُ بك إلى مخلوقٍ مثلِك لا يستطيعُ أنْ يدفعَ عن نفسِه مثلَ الذي نزل بك. ولكنْ إشكُ ذلك إلى الذي ابتلاك، والذي يقدرُ أنْ يفرِّجَه عنك. يا ابن أخي، هل ترى عيني هذه؟ ما أبصرتُ بها سَهْلاً ولا جَبلاً منذُ عشرين سنةً، ما أطلعت على ذلك زوجتي، ولا أحداً من أهلي.

● ٩٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال:

كان بأرض اليمامةِ رجلٌ من ربيعة يقال له: جَحدر بن مالك العِجليّ[٥]، وكان شاعراً شجاعاً فاتكاً، وقد أبرَّ أبداً على أهل حَجْر[٦]، وما يَليها، فبلغ ذلك من أمره

---

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية من تميم. انظر المعارف ٤٢٣.

(٢) هو صعصعة بن معاوية عم الأحنف الأصغر، كان سيد بني تميم في خلافة معاوية. (المعارف ٤٢٤).

(٣) الذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة، أو خمس عشرة أو عشرين أو ثلاثين، أو ما بين الاثنتين والتسع مؤنث.

(٤) سقطت عبارة (الثالثة ثم قال) من ب.

(٥) في معجم البلدان (حجر) أنه من بني جشم بن بكر. وفي المؤتلف والمختلف ١٥٧ ذكر بعض أبيات نونيته ثم قال: ذكر السكري في أشعار اللصوص البيتين الأولين لجحدر بن مالك العكلي. وانظر قصته مع الحجاج في ياقوت (حجر) وابن عساكر ٣/ ٦٣ والخزانة ٤/ ٤٨٣ وألف با ٢/ ٥٠١ وشرح شواهد المغني ١/ ٤٠٧ حيث ختم قصته بقوله: أخرجه ابن بكار في الموفقيات بطوله من طريق آخر عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر.

(٦) حجر: عاصمة اليمامة وأم قراها، وبها ينزل الوالي. (ياقوت).

الحجّاجَ، فكتب إلى عامله على اليمامة، يؤنّبه ويلومه بتَلعُّب جحدر به، ويأمرُه بالتجرّد في طلبه، والبعث به إليه إنْ ظفر به[1].

فلما أتى العاملَ كتابُ الحجّاج، دَسَّ إليه فتيَةً من قومه، ووعدهم أنْ يوفدَهم معه إلى الحجّاج إنْ همُ ظفروا به، فخرج الفتيةُ حتى إذا كانوا قريباً منه بعثوا إليه أنهم يُريدون صحبتَه والكينونةَ معه.

فمكثوا بذلك حتى إذا أصابوا منه غِرَّةً شَدُّوا عليه، وأوثقوه، وقدموا به على العامل، فبعث العاملُ بهم إلى الحجّاج (٥٣ و /) فلما جازوا بجحدرٍ حجراً أنشأ يقولُ[2]:

لقدماً هاجني فازدَدْتُ شوقاً ... بكاء حمامتين تجاوباني[3]
تُجاوبُنا بلحنٍ أعجميٍّ ... على غصنين من عرَبٍ وبان[4]
فقلتُ لصاحبيّ وكنتُ أحدو ... ببعض القول ماذا تحدوان[5]؟
فقالا: الدارُ جامعة قريباً ... فقلتُ: بل أنتما متمنيان
فكان البانُ أنْ بانت سُليمى ... وفي الغرب اغترابٌ غيرُ داني
إذا جاوزتما نخلات حجرٍ ... وأنديّةَ اليمامةِ فانعياني[6]
وقولا: جحدرٌ أمسى رهيناً ... يُعالجُ وقعَ مصقولٍ يماني[7]

---

(١) سقطت عبارة (إن ظفر به) من ب.

(٢) الأبيات في الأمالي ١/ ٢٨٢ ومعجم البلدان (حجر) وشرح شواهد المغني مع أبيات أخرى.

(٣) في الأمالي: ومما هاجني فازددت شوقاً. وفي ياقوت:
لقد صدع الفؤاد وقد شجاني
وفي شرح الشواهد: ألا قد هاجني . .

(٤) الغرب والبان: ضربان من الشجر.

(٥) في ياقوت:
فقلت لصاحبيّ دعا ملامي ... وكفّا اللوم عني واعذراني
وفي شرح الشواهد:
فقلت لصاحبيّ وكنت أحزو ... ببعض الطير ماذا تحزوان

(٦) في ياقوت والأمالي: سعفان حجر . . . وأودية اليمامة.

(٧) في المصادر الأخرى: يحاذر وقع.

كـذا المغـرورُ فـي الـدنيـا سَيـردَى وتُهلكـه المطـامـعُ والأمـانـي[١]

فلمّا قدم به على الحجّاج[٢]، قال له الحجّاج:

أأنت جَحدرٌ؟ قال: نعم ـ أصلح اللّهُ الأمير ـ أنا جحدَرٌ. قال: فما الذي حملك على ما صنعتَ؟ قال: جَراءةُ الجَنان، وكلَبُ الزمان، وجَفوةُ السُّلطان. فقال له:

وما الذي بلغ من أمرك، فيجترىء جَنانُك، ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ قال: لو بلاني الأميرُ لوجدَني من صالح[٣] الأعوان، وبُهم الفرسان، وأما جراءة جناني فإني لم ألقَ فارساً قطُّ إلا كنتُ عليه في نفسي مقتدراً.

فقال له الحجّاج: يا جحدر إنّا قاذفون بك في حَيْرٍ[٤] فيه أسَدٌ، فإن هو قتلك كفانا مَؤونتَك، وإنْ أنت قتلتَه خلّينا عنك، وأحسَنّا جائزتَك. قال: نعم ـ أصلح الله الأميرَ ـ قرّبتَ المحنةَ، وأعظمت المِنّةَ[٥]. إفعل ذلك إذا شئتَ (٥٣ ظ /) فأمرَ به، فقُيِّدَ وحُبِسَ، وكتب إلى عامله على كَسْكر[٦] يأمرُه بالبعثة إليه بأسدٍ ضارٍ. فبعث إليه بأسد، قد أبَرَّ على أهل كسْكر في صندوق يجرُّه ثوران، فلما قدم به على الحجّاج أمر به فأُدخِلَ في حَيْرٍ، وسُدَّ بابُ الحيْر، وجُوع ثلاثةَ أيام، فأُتي بجحدرٍ، فأُمكنَ من سيفٍ قاطع، وجلس الحجّاجُ والناسُ ينظرون إليهما، فلما نظر الأسدُ إلى جحدر قد أقبلَ ومعه السيف يرسُفُ في قيوده، تهيّأ وتمطّى.

وأنشأ جحدرٌ يقول:

ليـثٌ وليـثٌ فـي مجـال ضنـك كـلاهمـا ذو أنَـفٍ وفَتـك[٧]

---

(١) في ب: وتهلكنا. وهو تحريف.
(٢) سقطت كلمتا (على الحجاج) من ب.
(٣) في شرح شواهد المغني: صالحي.
(٤) في شرح شواهد المغني: حائر.
والحير: شبه الحظيرة أو الحمى.
(٥) في شرح شواهد المغني: عظمت المنّة وقويت المحنة.
(٦) كسكر: كورة واسعة، قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة.
(٧) في شرح شواهد المغني: ومحك.

وســـورةٍ فـــي صــولــة ومَخـــك[1] إنْ يكشــف اللّـــهُ قنـــاع الشـــك
مـــن ظَفـــري بحـــاجتـــي ودرك فـــذاك أحـــرى منـــزل بتـــرك

فوثب إليه الأسدُ وثبةً شديدةً، وتلقّاه جحدرٌ بالسيف، فضرب هامتَه، ففلقها، حتى خالط ذبابُ السيف لهواتِه.

وسقط جحدرٌ من شدّةِ وثبة الأسد، وتخضّبت ثيابه من دمه وهو يقول:

يـا جُمْـلُ إنـكِ لـو رأيـتِ كـريهتـي فـي يـومِ هَيْـجٍ مُسـدِفٍ وعَجـاجِ[2]
وتصـدُّفـي للّيـث أرسـفُ مـوهنـاً كيمـا أكـابـره علـى الأحـداج
جهْـمٌ كـأنّ جبينـه لمـا بـدا طبـق متغجِّـر الأثبـاج[3]
يسمـو بنـاظـرتيـن تحسـبُ فيهمـا لمّـا أجـالهمـا شعـاعُ سـراج
(٥٤ و /)
وكـأنمـا خيطـت عليـه عبـاءة بُـرقـاً أو خلـقٌ مـن الـدِّيبـاج
قـرنـانِ محتضـران قـد مَخَضتْهمـا أمُّ المنيّـة غيـرُ ذات نِتـاج[4]
وعلمـتُ أنـي إنْ أبَيـتُ نـزالَـه إنـي مـن الحَجّـاج لسـتُ بنـاج[5]
ففلقـتُ هـامتَـه فخـرَّ كـأنـه أطـمٌ تسـاقـط مـائـل الأبـراج
ثـم انثنيـتُ وفـي ثيـابـي شـاهـدٌ ممّـا جـرى مـن شـاحـب الأوداج
أيقنـت أنـي ذو حفـاظٍ مـاجـدٌ مـن سـرِّ أمـلاك ذوي أتـواج[6]
ممّـن يغـارُ علـى النسـاء حفيظـةً إذ لا يثقـنَ بغيـرةِ الأزواج

فقال الحجّاجُ: يا جحدر، إن أحببتَ المقامَ معنا فأقم، وإنْ أحببتَ الانصرافَ إلى بلادك فانصرفْ. فقال: بل أختارُ صحبةَ الأميرِ، والكينونةَ معه، ففرضَ له في شرف العطاء، وأقام ببابه.

(١) في المصدر السابق: وشدة في نفسه وفتك.
(٢) مسدف: مظلم.
(٣) متعنجر: صلب. والأثباج: ما بين الكاهل إلى الظهر، ووسط الشيء، ومعظمه.
(٤) في ب: قرنان مختضبان.
(٥) في ب: أتيت. تصحيف.
(٦) في ب: من سر وأملاك.

● ٩٤ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال:

لمّا ادّعى معاوية زياداً، وآثرَ عمرو بن العاص على أهل بيته، وقرّبهما دونهم جزِعَ بنو أميّة من ذلك جزعاً شديداً، واجتمعوا في ذلك، فأتوا مروانَ بن الحكمِ في بيته، وقد كتبَ له معاوية عهدَه على المدينة وأمره أنْ يسبرَ يومَه ذلك. فقال القوم: يا مروان، إنك شيخُنا وكبيرُنا، وقد ترى ما ركِبَنا معاوية من أمرٍ ليس لنا عليه صبرٌ ولا قرارٌ، ولا ينام عن مثله الأحرارُ، إدخالُه فينا مَنْ ليس منّا، يريدُ أنْ يُدخلَه على حُرمنا ونسائنا، وقد اجتمع رأيُنا على أنْ تأتيه فتعاتبه[1]. فإن رجعَ قبلنا، وإنْ أبى اعتزلنا.

فقال مروان: قد والله كلّمتُه (٥٤ ظ /) في هذا الأمر غيرَ مرّةٍ فلم يجبني إلى شيءٍ مما أحب، بل يُظهرُ لي التعتّبَ والتغضّبَ، ويزعم أني في هذا الأمر أوحد.

فقال له سعيدٌ بن العاص: يا مروان، بل واللّهِ تُحامي على عهدك. فقال مروان: والله لَصلاحُكم في فسادِ عهدي أحبُّ إليّ من فسادِكم في صلاح عهدي. فأتوه فإنّه رجلٌ له إرَبٌ[2] ونظرٌ، فكلّموه بملءِ أفواهكم.

قال: فانطلق القومُ فاستأذنوا على معاوية، فأذن لهم، فسلّموا، فأحسَنِ الردّ، وكان فيما قال: أهلاً وسهلاً، قرّب اللّهُ الديار وأدنى المزارَ. أزيارةٌ فتحظى؟ أم حاجّةٌ فتُقضى؟ أم سَخطةٌ فتُرضى؟ فقالوا: كلاّ يا أمير المؤمنين. قال: هاتوا. فجلسَ القومُ، ومَثَل عبدُ الرحمٰن بن الحكم بين يديه، فقال: يا أميرَ المؤمنين جاءتك عِصابةٌ من رهطِك، وأحرارٌ من أسرتك، كلّهم عارفٌ بفضلك، راعٍ لحقّك، تابعٌ لأمرك، رافعٌ لذكرك، في أمرٍ سترُه خيرٌ من نشره، وتركُه خيرٌ من ذكره، لعظم البليّة والخطيئة واللأواء، والبلوى والآفات والعاهات، واعلمْ أنّا لم نأتِك تجنّياً، ولا تجرُّماً، ولا تَعتُّباً. بل جئناك في أمرٍ قد عجزتْ عن حملِه الجنوبُ، وضاقت به القلوبُ، وكرِهنا أنْ نطويه عنك فيثبت ذلك في قلوبنا ما لا يُحصدُ لأبّانه، ولا يَبيدُ لزمانه. فإنْ تأذَنْ

(١) في ب: فتبايعه. تحريف.

(٢) إرب: دهاء.

قبلنا، وإنْ تأبَ صَمتْنا، مع أنك إنْ رجعت إلى ما نحبّ حمِدْنا وشكرنا[١] وإن تاب ذلك سمعنا وأطعنا. فقال معاوية: هات للّهِ أبوك. قال: يا أمير المؤمنين، إنّ أميّة بن عبد شمس[٢] ولدَ عشرةَ ذكوراً[٣] (٥٥ و /) ولدَ حرباً وأبا حربٍ، وسُفيان وأبا سفيان، وعمراً وأبا عمرو، والعاصي وأبا العاصي، والعيصَ وأبا العيص، لم يلدْ عُبيداً عبدَ ثقيف[٤]، ولا العاص بن وائل، وقد جعلتهما شعارَك دون دثارك، بل سربالك دون إزارك، بل نفسَك بين جنبيك. ثم لم ترضَ لابن عُبيد حتى جعلتَه ابن أبي سفيان عَضيهةً لأبيك، وازدراءً ببنيك، ومع أنّ في ذلك السَّخطةُ من ربّك، والمخالفة لنبيّكَ - ﷺ - إذ قضى بالولَدِ للفراش، وللعاهر الحَجر[٥]، فقضيتَ أنت بالولد، ثم نسبتَ أباك عاهراً، وكان غنيّاً عن ذلك، فشهرتَ أمراً كان مستوراً، ورفعتَ أمراً كان حقيراً، تُريدُ أنْ تُدخله على حُرمِك، وتمنح ولده غداً نساءك[٦]. ثم قال:

أترضى يا معاوية بن حربٍ ... بأن تحبو كرائمك العبيدا
كأني والذي أصبحت عبداً ... له بالقوم قد شركوا يزيدا
فإن ترجع فمثلك زادَ خيراً ... وإنْ تأبَ فلم تُطعْ الرشيدا

وأمّا عمرو بن العاص، فإنك ألزمتَ نفسَك الحاجةَ إليه، فألزمَ نفسَه الغنى عنك، وأيمُ اللّهِ لَنحن أنصعُ جيوباً، وأقلُّ عيوباً، وأمسُّ رَحماً، وأوجبُ[٧] حقّاً منه،

---

(١) في ب: حمدنا وشدنا.

(٢) هو أميّة الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف، وولده كما ذكر حرب وأبو حرب، وسفيان وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو. وهؤلاء العنابس شبّهوا بالأسد، والعاصي وأبو العاصي، والعيص وأبو العيص، وهؤلاء الأعياص. (المعارف ٧٣).

(٣) في ب: ولد عشرة ذكور.

(٤) ولد زياد على فراش عبيد مولى ثقيف، فكان يقال له زياد بن عبيد، ثم استلحقه معاوية بأبيه. (انظر الطبري ٥/ ٢١٤ والمعارف ٣٤٦).

(٥) حديث (الولد للفراش وللعاهر الحجر) في البخاري ٩/ ٢٠٤ والترمذي ٥/ ١٠٣ والجامع الصغير ١٨٦.

(٦) في ب: وتمنح ولده عرائسك.

(٧) في ب: واجب.

وما من أمرٍ يبلُغ فيه بنا عنه تقصيرٌ، غير أنك رفعتَ المرءَ فوق قدره. فطغى علينا بفخرِه، وزَخرَ ببحرِه، حتى صار كأنّه شيءٌ وليس بشيء. وإنّك وإيّاه وإيّانا كما قال الشاعر الأولُ:

مـن النـاس مَـنْ يصـلُ الأبعـديـنَ　　ويشقــى بــه الأقــربُ الأقــرب

(٥٥ ظ /) ثم قام سعيد بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ خيرَ القول أصدقُه، وأشدَّ القول أملقُه، وإنّ الحقَّ الأبلج أقومُ إلى طريق النهج[١]، وإنك قد أتيتَ أمراً عظيماً ناهياً متبايناً[٢]، تتابعتَ فيه، وركبتَ في ذلك عقبةً كؤوداً، صيخداً صيخوداً[٣]، في تنائفَ[٤] لا يُهتدى فيها بدليل، ولا يُؤَمّ فيها قصدُ سبيلٍ، قصَّرتَ في ذلك برأيك، وأزريتَ بأبيك، فإنْ ترجعْ قبلنا، وإنّ تأبَ غضبنا. فارجع إلى الله ـ تباركت أسماؤه ـ وانظر ما الذي أقدمتَ عليه من أنّك عمدت إلى امرىءٍ لا رَحِمَ بينك وبينه، ولا هوادة، وإنما عهدُك به بالأمس وهو عاملُ علي بن أبي طالب[٥]، يلعنُك ويلعنُ أباك، وأهل بيتك، على المنبر، يتأولُ فينا القرآن، ويقولُ البُهتانَ، وقد كنت تختزي من ذلك، إذا عظّمتَه أنْ تجعله وزيراً وخلصاناً فلا يُعابُ ذلك عليك، ولا يُنسَبُ الخطأ إليك، فلم يرضَ حتى نسبته إلى أبي سفيان إلى نسبٍ. إن يُقبلْ منك[٦] عُيِّرتَ به آخرَ دهرك، وإنْ رُدَّ عليك أزريتَ[٧] به، وصدّقت في ذلك قولَ الشاعر حيثُ يقول[٨]:

---

(١) في ب: المنهج.
(٢) في ب: تائها متناهياً.
(٣) في الأصل: صلخه صيخودا. وما أثبتناه أحسن.
والصيخود: الشديدة.
(٤) التنائف: واحدها التنوفة وهي الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.
(٥) كان زياد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فولاه فارس. (المعاف ٣٤٦).
(٦) سقطت (منك) من ب.
(٧) في ب: أرديت.
(٨) الأبيات في شعر يزيد بن مفرّغ الحميري ص ١٥٢. وهي في الأغاني منسوبة إلى عبد الرحمٰن بن الحكم وقد خطّأ من نسبها إلى يزيد. وفي مروج الذهب ١٧/٣ نسبها لعبد الرحمٰن بن الحكم وقال: ويقال إنها ليزيد بن مفرغ الحميري.

ألا أبلـغ معـاويـةَ بـن حـربٍ مُغلغلـةً مـن الـرجـل اليمـانـي[1]
أتغضـبُ أنْ يُقـال أبـوك عَـفٌّ وتـرضـى أنْ يقـال أبـوك زان
فـأشهـدُ أنَّ رحمـك مـن زيـادٍ كـرحـم الفِيـلِ مـن ولَـد الأتـان

وأيمُ الله لكأني أنظر إلى ولده من بعده قد تفخّذوا نساءَ بني عبد شمس بنسب أبي سفيان. فهذا ما وصلت (٥٦ و/) به كرائمك من بعدك. وأمّا عمرو بن العاص فإنك آثرتَه علينا، وأدنيته دوننا، ونحن في حال وعمرو في أخرى، أمّا نحن فنعامل الناس بالوفاء والحياء، وعمرو يعامل الناسَ بالمكر والخداع، ومَنْ كان كذلك فلا وفاء له، وقد تبيّنَ لأمير المؤمنين غِشُّـه إيّاه في بعض الحالات، فليس ينبغي لمن غشّ أوّلاً أنْ يُقبلَ منه آخراً.

ثم دخل مروان عند جلوس القوم. فقال معاويةُ: هِيْه يا مروان، أعنْ رأيكَ صَدرَ هؤلاء حتى أسمعوني ما أكرهُ؟

قال: يا أمير المؤمنين: هل تدري ما مثلُنا ومثلُك؟

قال: هات تخطيطاً كتخطيط أصحابك. قال: إن عَديّ[2] بن زيد العَبادي نصحَ النعمان بن المنذر، وقدّمَه على إخوته، وأشار على كسرى بولايته، فكان جزاؤه منه أنْ حبسَه في السجن، فكتب إليه وهو محبوسٌ[3]:

أبـا منـذر جـازيـتَ بـالـود بغضـةً فمـاذا جـزاء المبغـض المتبغّـض[4]
مجـازاتُـه فـي ذا المثـال كـراهـةٌ ولسـتُ لشـيءٍ بعـدُ بـالمتعـرّض[5]

واعلم أنّا غير متعرضين لشيء من معاتبتك في هذا الأمر بعد اليوم. فإنْ ترجعْ

---

(١) المغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد.
(٢) الشاعر الجاهلي عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب، أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم، كان يسكن الحيرة ومراكز الريف فلان لسانه وسهل منطقه. وكان نصرانياً. (الأغاني ١٨/٢).
(٣) ديوانه ص ١٣٦.
(٤) في الديوان: بالود سخطة.
(٥) في الديوان: فجازيته في ذا.

قبلنا، وإنْ تأبَ سخِطنا، مع أنك ـ والله يا أمير المؤمنين ـ لو قدرتَ أنْ تتكثّر بالذبح على آل أبي العاص لفعلتَ، توحُّشاً منك لعددِهم، وتكرُّهاً منك لجمعهم، وتبرُّماً منك بهم. وأيمُ اللَّهِ، ما ذاك جزاؤهم منك. لقد آثروك وأكرموك، فما كافيت، ولا جازيت ولا آسيت. ثم جلس مروان وقام معاوية (٥٦ ظ /) فدخل المنزل، وأطال المكثَ، ثم خرج قاطباً[١] ما بين عينيه، يمسحُ عارضيه، ثم جلس على سريره، واستقبل القوم وأنشأ يقولُ:

أمّا والذي نادى من الطور عبدَه ... نداءً سميعاً فاستجابَ وسَلَّما

لقد كدتُ لولا اللَّهُ لا شيءَ غيرُه ... تبارك ربي ذو العُلا أنْ أصمِّما

ولكنني روّيتُ في الحِلم والنهى ... وقد قال فيه ذو المقال فأحكما

وأيمُ اللَّهِ، مع ذلك لقد قطعتم من زيادٍ رحِماً قريبةً، ونفْساً حبيبةً، وقلتم البهتانَ في غير ما تثبّتٍ ولا بيانٍ، وإني لعلى يقين من أمري، ولقد وضع الله ما كان[٢] في الجاهلية من البغيِّ والحميّة، وطلَبِ التِرات، وذكر قبيح الأمّهات.

فسفكُ الدماء، والشركُ بربِّ السماء، أعظمُ ممّا كان فيه أبو سفيان.

وأيمُ اللَّهِ، ما إيّاه راقبتم، ولا لي نظرتم، بل أدرككُم الحسدُ القديمُ لبني حربِ بن أميّة.

وإنّ نفسي لتؤامرني[٣] أنْ أقيمَ فيكم حَدَّ الله، وما أراه يسعني غيرُ ذلك، ولئن عُدتم إلى ما أرى، وجاءني من وراء ما أكره، لأنهلنكم صاباً، ثم لأعلنكم علقماً[٤]، ثم لأوردنكم حياضاً مريراً طعمها، ثم لا تُتركون بغير كرعها، وإنْ جاءكم الموتُ من كلِّ مكان، حتى تعلموا مع[٥] طولِ حِلمي، أنْ قد مُنيتم بمَنْ إن حزّ قطعَ، وإنْ هزَّ أوجعَ، ثم لا تُقالُ لكم عندي العثرات، ولا تُعفا لكم السيّئات، ثم ليستصعبنّ عليكم

---

(١) في ب: قاطب. تحريف.

(٢) سقطت (ما كان) من ب.

(٣) في ب: لتأمرني.

(٤) النهل أول الشرب. والعلّ: الشربة الثانية. والصاب والعلقم: الشراب المرّ.

(٥) سقطت (مع) من ب.

مني ما كان سهلاً، ولتتركنَّ ما كان هيّناً[1].

فأمّا [ما][2] ذكرتم أني أصبتُ السلطانَ والمُلكَ (٥٧ و /) بحقّكم ونسبتكم، فوالله إنكم لتعلمون يا آل أبي العاص أنّ عثمانَ بن عفّان ـ رحمة الله عليه ـ قُتِلَ وأنتم حضور، وأنا غائبٌ، فوالله ما كان فيكم مَنْ مدّ باعاً، ولا بسط ذراعاً، بل أسلمتموه للحتوف، وشِمتُم[3] من بعده السيوف، فما نصرتموه، ولا آسيتموه، ولا منعتُموه بأكثر من الكلام، فما أبليتم[4] في ذلك عذراً، ولا ألهبتم ناراً. وإنّ جميع مَنْ ألّبَ عليه وأجلب[5] لسببكم، وإيثاره إيّاكم، وبذلك قُطعت أوداجُه على أثباجه[6]، وسُفك دمُه، واستُحلّت حرمتُه، فما شببتُم ناراً، ولا طلبتم ثاراً. حتى كنتُ أنا الطالب بالتِراتِ، المثكلُ للأمّهات، ولقد مُنيتُ في الطلب بدمه بحرب امرىءٍ لا تخورُ قناتُه، ولا تنصدِعُ صفاتُه، مَنْ إنْ فزّعتُ لم يَفزعْ. وإنْ أطعمتُ لم يطمع، مَنْ لا يُطمَعُ في قراره، ولا يُنام من حَذاره، بُليتُ ـ والله ـ بليثٍ ثابتةٍ أنيابُه، قليلٍ غُلّابه، مُصمّمٍ غضوبٍ، شَثنٍ[7] مَهيبٍ. فلم أزل له ولأصحابه صابراً، حتى قضى اللّهُ من ذلك ما أحبُّ، وهو الحاكمُ في مُلكِه بما يشاء ـ تبارك وتعالى ـ. فأدركتُ بالثأر إذ لم تدركوا، وصبرتُ إذ لم تصبروا، فأيّنا أحقُّ بالشكر، أنا لكم، أم أنتم لي؟ وقد كانت تبلغني عنكم هَناتٌ قبل مخضةِ زُبدتكم، كلُّ ذلك أتعطّفُ عليكم بحلمي، وأتحنّنُ عليكم بجهدي. وكنتُ في ذلك كما قال أخو بكر بن وائلٍ:

أعـوذ علـى ذي الـذنـب والجهـل منكـم
بحلمـي ولـو عـاقبـتُ غـرّقكـم بحـري

---

(١) في ب: حقيراً.
(٢) ما بين الحاصرتين لإكمال المعنى.
(٣) شام السيف: استله وغمده، فهي من الأضداد.
(٤) في ب: وما أتيتم.
(٥) في الأصل: وأجلبه. وما أثبتناه عن ب.
(٦) الأوداج: واحدها الودج، وهو عرق في العنق.
والأثباج: واحدها الثبج، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر.
(٧) شثن: خشن، غليظ الكف.

(٥٧ ظ /)

فمـــا بـــالُ مَـــنْ يسعـــى لأجبـــرَ عظمـــه
حفـــاظـــاً وينـــوي مـــن سفـــاهتـــه كســـري

والله ما رأيتُني قطّ إلا ونفسي تدعوني إلى الحلم قبل ساعتي هذه والحمدُ لله الذي كفاني شرَّ ما دعتني إليه نفسي. ثم قال:

أولى ثم أولى[١]. أما إني في وعيدي[٢] إياكم، كما قال الأول:

لقـد كـدتُـم يـا آل بكـر سَفـاهـةً تثيرونَ منّي أعصَلَ الناب ضيغما[٣]
هـزَبـراً هـريتـاً يكـرهُ القِـرنُ قـربَـه إذا صالَ من بعد الزئير وصَمّما[٤]

وأما عمرو بن العاص فها هو حاضرٌ. فإنْ شاءَ أنْ يجيبَ عن نفسه فليفعل، وإن شاء أنْ يدّع فليدَعْ. أما إني أرضاه للخصم إذا جمحَ، وللقَرن إذا طمَحَ[٥]. ثم سكت.

فقام عمرو بن العاص ماثلاً بين يديه فقال:

يا أمير المؤمنين، أنا الذي أقول يوم صفّين[٦]:

إذا تخـــازرتُ ومـــا بـــي مـــن خَـــزرْ ثـــم كسرتُ العَيـــن مـــن غيـــر عـــوَر[٧]
ألفيتَنـــي ألـــوي بعيـــد المستمـــر أحمـــلُ مـــا حُمّلـــت مـــن خيـــرٍ وشـــر

إني والله ـ يا أمير المؤمنين ـ ما أنا بالغِرّ ولا الغَمر[٨]، ولا الضرَع ولا الورِع[٩]، ولا الواني ولا الفاني، وإني لأنا الحيّةُ الصمّاء التي لا يُبلُّ سليمُها، ولا ينام

(١) سقطت (أولى ثم أولى) من ب.
(٢) في ب: أما ووعيدي.
(٣) أعصل: معوّج في صلابة.
(٤) في ب: هزبرا مهيبا.
(٥) جمع: ركب هواه فلا يمكن ردّه. وطمح: ارتفع بصره.
(٦) البيتان في شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٠٢.
(٧) الخزر: النظر بمؤخرة العين. وهي أمارة الغضب.
(٨) الغر: الشاب لا تجربة له. والغمر: من لم يجرب الأمور.
(٩) الضرع: الضعيف. والورع: الجبان.

كليمُها، وإني أنا المرءُ، إن كويتُ أنضجتُ، وإنْ همزتُ كسرتُ. فمَنْ شاءَ فليشاورْ، ومَنْ شاءَ فليؤامِرِ. مع إنهم ـ يا أمير المؤمنين ـ لو عاينوا من يوم الهرير[1] ما عاينتُ، أو ولّوا مثل ما وليت، إذ شدَّ علينا أبو حسن في كتائبه مع أهل البصائر، وأبطال العشائر، فهناك ـ يا أمير المؤمنين ـ (٥٨ و /) شخصت الأبصارُ، وارتفع الشرارُ، وقلُصت الخُصى إلى مواضع الكلى، وقارعت الأمهات عن ثُكلها، وذهلت عن حملِها، واحمرَّ الحدَقُ، واغبرَّ الأفقُ، وألجم العرَقُ، وسال العَلَقُ، وارتفع غبارُ القَتام[2]، وصبرَ الكرامُ، وغاض اللئامُ، وذهب الكلامُ، وأزبدت الأشداقُ، وقامت الحربُ على ساق، وحضر الفراقُ وكثر العِناق، وبانت الأعناق، وقامت الرجال في ركبها من بعد فناءٍ من نبلها، وتقصّفٍ من رماحها، فلا يُسمَع إلاّ التغمغم من الرجال، والتحمحم من الخيل، ووقع السُيوف في[3] الهام. فدارَ يومُنا ذلك حتى طفقنا الليلُ بغسَقِه، ثم انجلى الصبحُ بفلقه، ولم يبقَ من القتال إلا الهَريرُ[4] والزئير. أما والله لعلموا أني أعظمُ غناءً، وأحسن بلاءً، وأصبرُ على اللأواء منهم، وأني كما قال الشاعر:

وأغضي على أشياء لو شئت قلتُها ... ولو قلتُها لم أبقِ للصلح موضعا
فإنْ كانَ عُودي من نُضَارٍ فإنني ... لأكره يوماً أن أحطم خروعا

ولئن جعلني أميرُ المؤمنين شِعاره دون دِثاره، أو سِربالَه دون إزاره، أو نفسه[5] بين جنبيه، لقد أوليتُ ذلك، فوجدتُه شكوراً ذكوراً، إذ لم تشكروه ولم تذكروه ولا إيّاي، إذ طلبنا بدم عثمان، إذ لم تحسبوه، وبلغنا الغايةَ إذ لم تبلغوا، وإذ جحدْتم أميرَ المؤمنين، فأنتم[6] للنُعمى أنكرُ وأكفرُ، وأمّا ما (٥٨ ظ /) زعمتَ[7] يا سعيد بن

(١) الهرير: من أيام صفين. (انظر ياقوت).
(٢) في ب: وغبار القدم.
(٣) في ب: على الهام.
(٤) الهرير: صوت الكلب دون نباحه.
(٥) في ب: ونفسه.
(٦) في ب: وأنتم.
(٧) في ب: سمعت.

العاص أني أعامل الناس بالمكر والخِداع فإني آنالُ بالأدب واللّبِّ، والرفق والصدق، إذ خرقَ مَنْ لم يرفق وخاب مَنْ لَم يصدق. وأمّا قولُك أني غششتُ أميرَ المؤمنين، فما غشّ امرؤ كريمٌ امرءاً كريماً إن دعا إلى النصف أن يقبله، وإنك في قولك لأمير المؤمنين لأهلٌ للتضعيف والتعنيف والغضاضةِ والمضاضةِ غير أن حلمَه يأتي على ما وراء ذلك كلِّه، وأنا أسألك يا أميرَ المؤمنين أن تعفو للقوم ما قالوا إن هم آلوا لاستتمام نعمتك عليهم وأياديك عندهم. فليسوا راجعين إلى أمرٍ تكرهه إن شاء الله. قال معاوية: قد فعلتُ يا أبا عبد الله، ودخل وأمرَ القومَ فانصرفوا.

● ٩٥ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني قال:

قال سليمان بن عبد الملك: عجبتُ لهذه الأعاجم، ملكوا ألفَ سنةٍ، لم يحتاجوا إلينا ساعةً واحدةً في سياستِهم، ومَلَكْنا مائةَ سنةٍ، لم نستغنِ عنهم ساعة.

● ٩٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

قال المنصور لجعفر[١] بن سليمان حين ولاّه المدينة، بعد مقتل محمد[٢] بن عبد الله بن حسن: انظر مَنْ خرجَ مع محمد بن عبد الله من قريشٍ فاسجنه، ومن خرج معه من العرب فاجلده، ومن خرجَ من الموالي فاقطع يدَه.

● ٩٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني قال:

سأل معاويةُ عرابةَ الأوسي[٣] فقال: بأيّ شيء سُدتَ قومَك؟ قال: أحلمُ عن

---

(١) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم السفاح والمنصور مات بالبصرة. (انظر المعارف ٣٧٦ والبيان والتبيين ٢/٢٨٩).

(٢) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثار في المدينة بعد مقتل أبيه في سجن المنصور سنة ١٤٤ وخطب الناس وبايعوه طوعاً وكرهاً، واستعمل على مكة واليمن والشام عمالاً وكان فاضلاً شهماً، فأحبه الناس، وقد جهز المنصور إليه ابن عمه عيسى بن موسى في أربعة آلاف. وتغلب عليه وقتل في رمضان سنة ١٤٥. وبعث برأسه إلى المنصور. (العبر ١/١٩٨ والشذرات ١/٢١٣).

(٣) عرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري، شهد يوم أحد فاستصغر فردّ. ومدحه الشماخ فقال:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

جاهلهم وأعطي سائلهم وأخفُّ لهم في حوائجهم، فمَن زاد على (٥٩ و /) هذا فهو خيرٌ منّي، ومن زدتُ عليه فأنا خيرٌ منه، ومن ساواني فهو مثلي[١].

● ٩٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلّام:

أنّ أيوبَ السّختياني[٢] كان في مجلس فيه أعرابي، فقال له أيوب: يا أعرابيّ لعلك قدريٌّ قال: وما القدريّ؟ قال: فأخبرَه بمحاسن قولِهم. فقال: أنا ذاك، ثم أخبره بما يعيبُ الناسُ من قولهم، فقال: لستُ بذاك، ثم أخبره بمحاسن أهل الأثبات. قال: أنا ذاك. ثم أخبره بما يعيبُ الناسُ من قولهم، فقال: لستُ بذاك[٣]. فقال أيوب: هكذا يفعلُ العاقلُ يأخذ من كلِّ شيءٍ أحسنَه.

● ٩٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمّي مصعب بن عبد الله، قال: قال محمد بن رزين الخزاعي:

سمعتُ داود بن علي[٤] يخطب حين بويع لأبي العبّاس، وهو مسندٌ ظهره إلى الكعبة فقال[٥]: شكراً شكراً، إنّا ـ والله ـ ما خرجنا لنحتفر فيكم نهراً، ولا لنبني قصراً. أظنَّ عدوُّ الله أنْ لن نقدرَ عليه؟ أمهِل له في طغيانه وأرخي له من زمامه، حتى عثرَ في فضل خِطامِه. فالآن أخذَ القوسَ باريها، وعادت النِّبال إلى النَّزَعة[٦]، وعاد

= (المعارف ٣٣٠). (والمحاورة في ربيع الأبرار ٣/ ١٨٧ والجليس الصالح ٢/ ٢٤٨).

(١) في ب: فهو خير مني. وهو تحريف. وانظر هذا الخبر في أمالي القالي ١/ ٢٧٤.

(٢) هو أبو بكر أيوب بن كيسان السختياني البصري. كان حجة أهل البصرة روى كثيراً من الأحاديث وروى عنه توفي بالبصرة في الطاعون سنة ١٣١ عن ثلاث وستين سنة. (تهذيب ١/ ٣٩٧ والمعارف ٤٧١).

(٣) سقط سطر من ب ابتداء من (ثم أخبره) إلى (بذاك).

(٤) هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس، كان أنطق الناس، وأجودهم ارتجالاً واقتضاباً للقول، ويقال: إنه لم يتقدم في تحبير خطبة قط ولي مكة والمدينة لأبي العباس وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر، ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة وله عقب. (البيان والتبيين ١/ ٣٣١ والشذرات ١/ ١٩١).

(٥) الخطبة في تاريخ الطبري ٩/ ١٢٦.
وبعضها في البيان والتبيين ١/ ٣٣١، وانظر جمهرة خطب العرب ٣/ ٨.

(٦) النزعة: جمع نازع وهو الرامي.

المُلك في نصابه في أهلِ بيتِ نبيّكم، أهلِ بيتِ الرأفة والرحمةِ[١]، والله إن كنا لنسهرُ[٢] لكم ونحن في فُرشِنا من الأسود والأبيض، لكم ذمّةُ الله وذمّةُ رسولِهِ، وذمّةُ العبّاس[٣]، لا[٤] وربّ هذه البنيّة لا نهيج منكم أحداً، ثم نزل.

● ١٠٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعي قال:

خرج مالك بن أدهم[٥] يتصيّدُ، فصارَ إلى بلدٍ مقفرٍ، ومعه جماعة من أصحابه، فطلبوا الماءَ فلم يقدروا عليه فنزلَ مالكٌ، وضُربت له خيمة وأمر أصحابَه أنْ يطلبوا لهُ الصيدَ، فخرجوا في طلبه (٥٩ ظ /) فأصابوا خاضباً[٦] فأتوه به، فقال: اشووه ولا تُنضجوه، ومصُّوه مَصًّا لعلكم أنْ تنتفعوا به، ففعلوا ذاك، ثم أثاروا شجاعاً[٧] فأرادوا قتله، فدخل على مالك في خيمته، فقال: قد استجار بي فأجيروه، ولا تقتلوه، ففعلوا ذلك، ثم خرج وأصحابُه في طلب الماءِ، فإذا هاتفٌ يهتفُ بهم:

يا قومُ يا قومُ لا ماءٌ لكم أبداً   حتى تحثُّوا المطايا يومَها التَعَبَا[٨]
وشدُّوا يمنةً فالماء عن كثبٍ   ماءٌ غزيرٌ وعينٌ تُذهب اللّغَبا[٩]
حتى إذا ما أخذتم منه حاجتكم   فاسقوا المطايا ومنه فاملؤا القِربا

فأخذنا نعتَه، فإذا نحن بعينٍ غزيرةٍ، فسقينا منها إبلَنا وتزوّدنا، فلما فعلنا ذلك، لم نرَ للعينِ أثراً، وإذا هاتفٌ يهتفُ بنا يقول:

---

(١) في المراجع الأخرى: أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم.
(٢) في شرح النهج والطبري: ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا.
(٣) في المصدرين السابقين: .. وذمة العباس رحمه الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله ﷺ.
(٤) لا توجد هذه العبارة في المصادر الأخرى.
(٥) هو مالك بن أدهم بن محرز بن أسد الباهلي. ولي نهاوند لابن هبيرة. وكان من أصحاب المنصور.
(انظر المؤتلف والمختلف ٣٦ وجمهرة أنساب العرب ٢٤٦ وفتوح البلدان ١٩٩).
(٦) الخاضب: الظليم اغتلم فاحمرّت ساقاه.
(٧) الشجاع: بالضم أو الكسر الحيّة أو الذكر منها أو ضرب من الصغير.
(٨) في ب: تعبا.
(٩) في ب: يذهب التعبا.

يـا مـالِ عنـي جـزاك اللّـهُ صـالحـةً ... هـــذا وداعٌ لكـــم منـــي وتسليـــم
لا تزهدنْ في اصطناعِ العُرف من أحدٍ ... إنّ امــرءاً يحــرمُ المعــروفَ محــروم
الخيــرُ يبقــى وإنْ طــالــت مغَبّتُـه ... والشـرُّ مـا عـاش منه المـرءُ مـذمـوم

فعلمنا أنّه ذلك الشجاع.

● ١٠١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال:

دخل عُمارةُ بن حمزة[١] على أبي العبّاسِ السفّاح[٢]، فأكرمهُ ورفعَ مجلسَه، وأسنى جائزتَه، وأمرَ له بجوهرٍ نفيسٍ، فقال: وصلَكَ اللّهُ يا أميرَ المؤمنين، وبَرَّكَ، فوالله لئِن أردنا شكرَكَ على[٣] صِلتِك إنّ الشكرَ منّا ليقصر عن نعمتِك[٤]. كما قصُرنا عن منزِلتك، غير أنّ اللّهَ (٦٠ و /) جعلَ لك الفضل علَينا[٥]، ولم يحرمنا منك الزيادةَ لتقصير[٦] شكرنا. قال: فأمر أبو العبّاس أنْ يُكتبَ هذا الكلامُ ويُدوَّن.

● ١٠٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلاّم قال:

أُتي الحجّاجُ بخاتَم، فأعجبه. فقال لابن[٧] القِريّة: صفه. فقال: أصلح اللّهُ الأميرَ، هذا خاتمٌ، أزمٌ[٨] لازمٌ، ملحه صانع، أغلى به بائع، فِضّته صافيةٌ، وياقوتَتُه غاليةٌ، والخواتيم له قاليةٌ، والعيون إليه سامية، ولا ترد طينته[٩]، استوت حلَقتُه بزَينٍ

---

(١) انظر معجم البلدان ٢/ ٥٣٢ حيث نسب دار عمارة ببغداد له.
(٢) النص في زهر الآداب ٣/٣٤٦.
(٣) في زهر الآداب: كنه صلتك.
(٤) في ب: نعمك.
(٥) في زهر الآداب: جعل لك فضلاً علينا بالتقصير منا.
(٦) في زهر الآداب: لنقص.
(٧) ابن القريّة: هو أيوب بن زيد بن قيس والقرية أمه، وهو من بني هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر، وكان لسناً خطيباً، وكان مع الحجاج فقتله لسبب اتهمه فيه بميل إلى ابن الأشعث سنة ٨٤. (المعارف ٤٠٤ وانظر ابن خلكان ١/٨٣).
(٨) أزم: بصاحبه وبالمكان لزم، والحبل وغيره أحكم فتله.
(٩) في ب: طيفته.

لا بشيْن. قال: هذا كلامٌ تعلَّمتَه؟ قال: لا واللّهِ، ولكنّه كلام أحكمت معانيه، وأجيدَت[1] مبانيه. فأحسن جائزته.

● ١٠٣ ـ حدّثني الزبير قال[2]: حدّثني المدائني قال:

خرج عبد الملك بن مروان ذاتَ ليلةٍ، فبَصُر في صحن داره بجاريةٍ من جواريه، أعزهنّ عليه، وأحبهنّ إليه[3]، فقال لها: ما أوقفكِ هذا الموقفَ؟ قالت: ذكرتُ قول اللّهَ ـ تبارك وتعالى ـ الّذينَ يَذكُرونَ اللّهَ قِيَاماً وقُعوداً، وعلى جنوبِهم، ويتفَكّرونَ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرضِ، ربَّنا ما خَلقْتَ هذا باطلاً، سُبحانَكَ فَقِنا عَذابَ النارِ[4]، وإذا هاتف يهتف ويقول:

محجوبةٌ سَمِعتْ صوتي فأرّقَها مِن آخرِ الليلِ لمّا بلّها السّحرُ[5]
تُدني على الجِيدِ منها من معصْفرةٍ والحليُّ منها على لبّاتها حصِر

فقال عبد الملك لحاجبِه: عليّ برأسِ الرجلِ الساعةَ. قال: ونَحَلتْ الجاريةُ بغلامٍ لها صغيرٍ فقالت: أنذرْ الرجلَ ولك عشرةُ آلاف درهم، وأنت حرٌّ. فخرج (٦٥ ظ /) الغلامُ، فسبق إلى الرجل فأنذره. فقال: ثكلتكَ أمّك، إن أمير المؤمنين قد أمرَ فيك بضرب عُنقك، فأمسِك عليك صوتَك. فأمسَك، فرجع الحاجبُ. فقال: يا أمير المؤمنين ما أحسستُ للصوت أثراً.

● ١٠٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلّام، عن عمرو بن عبيد[6] قال ـ:

كنا جلوساً عند الحسن بن أبي الحسن[7]، إذ أتاه رجلٌ، فوقف على رأسه،

---

(١) في ب: وأميرت.
(٢) الخبر في العقد الفريد ٦/ ٦٨.
(٣) في العقد واسم هذه الجارية الذلفاء.
(٤) آل عمران آية ١٩١ .
(٥) في العقد: لما طلّها السحر.
(٦) هو الزاهد الواعظ المعتزلي البصري المعروف وقد مرت ترجمته.
(٧) هو الزاهد المعروف أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، توفي سنة ١١٠ . ترجمته في=

فقال له[1]: يا أبا سعيد، إنك سُئلت عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقلتَ له: لو كان في المدينة يأكل من حشَفها وتمرها، كان خيراً مما صنعَ. فرفع رأسَه إليه فقال: يا ابن أخي كلمةُ باطلٍ، حقنتُ بها دمي. أما والله لقد فقدتموه سهماً من سهام الله[2] صائباً لعدوّ الله، ليس بالسروقةِ مال الله[3]، ولا بالنؤومة عن أمر الله[4]، ربّانيُّ هذه الأمّة في علمِها وفضلها وقِدمها[5]، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله، حرّم حرامَه، وأحلّ حلاله، حتى أورده ذلك على رياضٍ مونقةٍ، وحدائق مُغدِقة، ذاك عليٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه[6] ـ يا لُكع.

● ١٠٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مصعب بن عبد الله قال:

خرج سعيد بن العاص حاجًّا، وكان إذا أمرَ بأمرٍ لا يُراجعُ فيه. قال: فسأله أعرابيٌّ، فقال لقهرمانه: هات خمسمائة. فجاءه[7] بخمسمائة دينار. فقال: واللّهِ ما أردت إلاّ دراهمَ، فأما إذا جئت بها دنانيرَ، فادفعها إليه. قال: فصبّها في شملَة الأعرابيّ. فطفق الأعرابي يبكي[8]. فقال: ما يبكيكَ يا أعرابيّ؟ أاستقلالاً لها؟ قال: والله ما أبكي فرحاً بها إذ جاءت ولا أسى عليها (٦١ و /) إذ فاتت، غير أني أبكي أن الأرضَ تأكلُ مثلكَ، ثم أنشأ يقول[9]:

= معظم كتب التراجم والتاريخ.
(انظر مثلاً ترجمته في ابن سعد ١/ ١٥٩ وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٤).

(١) الحادثة في البيان والتبيين ٢/ ١٠٨ برواية عنبسة القطان.
(٢) في البيان: من مرامي الله.
(٣) في البيان: لمال الله.
(٤) في البيان: غير سؤوم لأمر الله.
(٥) سقطت هذه العبارة من البيان. وقد وردت في شرح نهج البلاغة ٥/ ٥٩٨ في معرض وصف الإمام قال: فلذلك كان علي ـ عليه السلام ـ كما قال الحسن البصري: رباني هذه الأمة وذا فضلها.
(٦) سقطت من ب.
(٧) في ب: فقال: هات خمسمائة. فجاءه قهرمانه بخمسمائة.
(٨) في ب: فبكى.
(٩) البيتان في العقد الفريد ٦/ ٤٢٥ منسوبان إلى يزيد بن المهلب.

أنتَ خيرُ المتاع لو كنتَ تبقى غيرَ أنْ لا بقاء للإنسان[1]
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ عابه الناسُ غير أنك فان[2]

● ١٠٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني قال[3]: لمّا فرغ أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه[4] ـ من دفن فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه[5] ـ قام عليٌّ على القبر، وأنشأ يقول[6]:

لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ وكلُّ الذي دون المماتِ قليل
وإنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ دليلٌ على أنْ لا يدوم خليل

● ١٠٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني عن ابن الكلبي عن أبي مخنف عن فضيل بن علقمة بن قيس، قال:

دخلنا على أمير المؤمنين عليٍّ صبيحة جاء نعي الأشتر[7]. فلما نظر إلينا قال[8]: رحم اللّهُ مالكاً وما ملَك. لو كان من جبلٍ لكان فِنْداً[9]، أو من حجَرٍ لكان صَلْداً، على مثل مالك فلتبكِ البواكي، وهل يوجدُ مثل مالك[10]!

قال: فما زال يتلهّفُ عليه حتى كأنه المصابُ به دوننا[11].

---

(١) في العقد: أنت نعم المتاع.
(٢) في العقد:
أنت خلو من العيوب وممّا يكره الناس غير أنك فان
(٣) الخبر في شرح نهج البلاغة ٢/٩٢٠.
(٤) سقطت من ب.
(٥) في ب: وآله.
(٦) الديوان ص ٦٠.
(٧) هو مالك بن الحارث الأشتر النخعي الكوفي، أدرك رسول الله ﷺ وكان رئيس قومه، وكان مع الإمام علي في الجمل، وله فيها آثار وكذلك في صفين وولاه علي رضي الله عنه مصر. ومات مسموماً في سنة ٣٨. والأشتر لقب له. (الإصابة ٣/٤٥٩ والمرزباني ٣٦٢).
(٨) النص في شرح نهج البلاغة ٢/٣١٣.
(٩) الفند: الجبل العظيم.
(١٠) في شرح نهج البلاغة: وهل موجود كمالك.
(١١) في شرح نهج البلاغة: حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً.

● ١٠٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال:

سمعت أبا عبد الله يقول: سمعت عيسى[١] بن علي يقول: كان أبو العبّاس، أميرُ المؤمنين، لا يحجبُني في خلافته. قال: فأتيتُه يوماً، فلما دخلتُ دارَه قام إليّ رجلٌ فسَلّمَ عليّ، ثم بشّرني، وهنّأني. فقلتُ له: ما هذه البشارةُ والتهنئةُ؟

فقال: أنا رسولُ موسى بن كعب[٢] من السِّند، وقد (٦١ ظ /) فتحها اللّهُ، وهذا الكتابُ معي.

قال: فأخذتُ الكتابَ منه، ومضيتُ أريدُ الدخول على أبي العباس. فوثب إليّ واثبٌ من مَجلس أبي العبّاس، فهنأني وبشّرني.

فقلتُ: ما هذه البشارةُ؟

فقال: أنا رسولُ محمد بن الأشعث[٣]، من أفريقية. وقد فتحها اللّهُ لكم. قال: فدخلتُ على أبي العباسِ فقلت: يا أمير المؤمنين، يهنيكَ النصرُ والظفرُ.

قال: وما ذاك؟

فقلت[٤]: هذان رسولان قد أتياكَ بفتح المشرِقِ والمغرِبِ. قال: إنّا للّهِ وإنّا إليهِ راجعوْن.

قال: قلتُ: ما لكَ يا أميرَ المؤمنين؟

قال: يا عمّ ـ غفر اللّهُ لك ـ واللّهِ ما كنا نسمع العلمَ ولا نأخذه إلاّ عنكم. أفلستُم أنتم حدّثتمونا: أنه إذا أتى القائمَ منّا فتحُ المشرق والمغرب لم يلبثْ أنْ[٥] يموتَ.

---

(١) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، عم السفاح، ولي المدينة والبصرة، وتوفي في خلافة المهدي سنة ١٦٣. (المعارف ٣٧٤ والعبر ١/ ٢٤٢).

(٢) هو موسى بن كعب التميمي المروزي، أحد دعاة العباسيين الأوائل ومن أجلاّء قوادهم توفي سنة ١٤١ وهو على شرط المنصور. (الطبري ٧/ ٥١٠ والعبر ١/ ١٩٢ وفتوح البلدان ٣/ ٥٤٣).

(٣) هو محمد بن الأشعث الخزاعي، من القواد العباسيين وقد ولي بلاد فارس ومصر. (انظر الطبري ٧/ ٤٦٠ و ٤٩٧).

(٤) في ب: قلت.

(٥) سقطت (أن) من ب.

قال: فأذكرني ـ والله ـ حديثاً قد سمعتُه وعلِمتُه ولكنني أنسيتُه، وكرهتُ أنْ أرجعَ إلى قوله فأغمّهُ، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني والله لقد علمتُ ذلك حقًّا. ما حدّثتُك بالفتح، ولا بشّرتُك به، ولكنّ أكثرَ الأحاديث باطلٌ. قال: دعْ هذا عنك، والله إني لأنكرُ نفسي. قال: فواللّهِ ما خرجتُ من عنده حتى تدثّرَ، فمكثتُ أياماً، ثم دخَلتُ يوماً، فقال: إي عَمّ، إني قد رأيتُ أنْ أعهدَ. فقلت: وفقَ اللّهُ أميرَ المؤمنين. قال: فدعا بدواةٍ ثم كتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا ما عهِد أميرُ المؤمنين إلى عبد الله ثم كفّ عن الكتاب[1]، قال: فقلت في نفسي: اللهمَّ لا تجعلْه عبد الله (٦٢ و /) بن علي[2]، قال: ثم أتمَّ الكتاب. هذا ما عهد أميرُ المؤمنين إلى عبد الله بن محمد[3]. فإن حدْث بعبد الله حَدَثُ الموتِ فإلى عيسى بن موسى.

● ١٠٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني قال:

أُتي عمرُ ببرودٍ، فقال للذي أتاه بها: أخرج لي خيرَها وشرّها، ثم قال: عليّ بالحسن. فلما أتاه دفعَ إليه خيرَها، ثم قال لشرّها: هذا نصيبُ عمر، وقسمَ البرودَ بين المسلمين، ثم حدَثَ من أمر المسلمينَ حَدَثٌ، فقام عمرُ خطيباً، وعليه حُلَّةُ بردين، ائتزرَ بأحدهما، وارتدى بالأخرى. فقال سلمان[4]: لا نسمعُ. قال عمر[5]: لِمَ؟ قال: كسوتنا برداً، ونرى عليك بردَين. فقال عمر[6]: يا عبد الله، مرتين. فلم يجبه أحد. فقال: يا عبدَ الله بن عمر. فقال: لبيكَ يا أمير المؤمنين. فقال: ناشدتكَ اللّهَ أما كسوتك أحدَ هذين البردين؟ قال: بلى[7]. فقال سلمان: قل ما شئت نسمع لك ونطيع.

---

(١) في ب: الكتاب عهد أمير المؤمنين. بإسقاط (هذا ما عهد).

(٢) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، عم أبي العباس السفاح، ولاه أبو العباس الشام ثم خالف فبعث إليه المنصور أبا مسلم فهزمه ثم حبسه ومات في حبسه ببغداد سنة ١٤٧. (انظر المعارف ٣٧٥ وتاريخ بغداد ٥١١٨ والشذرات ١/ ٢٠٥).

(٣) هو أبو جعفر المنصور.

(٤) الخبر في سيرة عمر بن الخطاب ص ١٠٢ برواية المدائني.

(٥) في سيرة عمر: فقال عمر ولم يا أبا عبد الله؟ قال: إنك قسمت علينا ثوباً ثوباً وعليك حلة.

(٦) في سيرة عمر: فقال عمر: لا تعجل يا أبا عبد الله ثم نادى عبد الله.

(٧) في سيرة عمر: قال الثوب الذي اتزرت فيه هو ثوبك. قال: اللهم نعم.

● ١١٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن عن الوليد بن هشام، قال:

كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة[١]:

أمّا بعدُ، فإني قد حملتكم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي ثم على صدري[٢]، والله لئن وضعتكم تحت قدميّ لأطأنكم وطأةً أقلُّ منها عددكم، وأتركَكُم أحاديثَ تُنسخُ مع أحاديثَ عادٍ وثمود[٣].

ثم تمثّلَ هذا الشعرَ[٤]:

أظنُّ الحلمَ دلّ عليّ قومي ... وقد يُسْتَجهلُ الرجلُ الحليم
ومارستُ الرجالَ ومارسوني ... فمعوَّجٌ عَليَّ ومستقيم[٥]
ولكني ألاقي منكراتٍ ... فأنكرُها وما أنا بالظلوم[٦]

(٦٢ ظ /) واللّهِ ما أدري[٧] يأتيني بعدَ كتابي هذا، إلاّ خلعُكم، ولا يأتينَّكم مني إلا نقمتكم، فإذا شئتم، فلا أفلحَ من ندم[٨].

● ١١١ ـ حدّثني الزبير قال: سمعتُ أبا عبد الرحمٰن العتبي يقول[٩]: سألَ

---

(١) الكتاب في العقد الفريد ٢/٢٥٦ وصبح الأعشى ٦/ ٣٩٠ وجمهرة رسائل العرب ٢/ ٩٥. وسبب كتابته فيها: أن أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد، وأجمعوا على الخلاف عليه، فكتب إليه عثمان بن محمد بن أبي سفيان بذلك، فأجابهم يزيد بهذا الكتاب.

(٢) في المراجع السابقة: بطني.

(٣) في المراجع السابقة: وأتركَكم بها أحاديث تنتسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود.

(٤) الأبيات من قصيدة للشاعر الجاهلي قيس بن زهير في رثاء حذيفة وحمل ابني بدر الفزاري في الأغاني ١٦/ ٣٢.
وانظر شعر قيس بن زهير ص ٣٣.

(٥) مارست الرجال ومارسوني: عرفت المتحامل علي والمستقيم منهم.

(٦) في الأغاني:
الاقي من رجال منكرات ... فأنكرها وما أنا بالغشوم

(٧) في الأصل: ما أدنى.

(٨) سقطت هذه العبارة من ب.

(٩) سقط ما قبل (يقول) من ب.

أعرابي رجلاً فأعطاه. فقال: جعل اللّهُ المعروف عليك دليلاً، والخيرَ شاهداً، ولا جعلَ حظّ القائلِ منك عذراً ضائعاً.

● ١١٢ ـ وقال: سمعت أعرابياً يدعو في الصلاة وهو يقولُ[١]:

اللهمّ ارزُقني عملَ الخائفين، وخوفَ العاملين، حتى أتنعَّمَ بترك النعيم طمعاً فيما وعدتَ، وخوفاً ممّا أوعدتَ.

● ١١٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبريّ قال:

سمعت الربيع بن يونس يقولُ: سمعتُ أبا جعفر المنصور يقول: الخلفاءُ أربعةٌ، والملوكُ أربعةٌ.

فالخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

عليٌّ ما نال، ونيلَ منه [أعظم][٢]. ولنعمَ الرجل كان عمر بن عبد العزيز من رجلٍ ليس له مثل قِدَم هؤلاء وسابقتهم.

والملوك: معاوية وعبد الملك وهشام وأنا. ولنعمَ رجلُ الحربِ كان حِمار الجزيرة[٣]، من رجلٍ لم يكن عليه طابع الخلافة.

● ١١٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال:

صار أعرابيٌّ من النَّمر بن قاسط إلى مسلمة بن عبد الملك[٤]. فأقام ببابه حيناً لا يصلُ إليه. ثم دخل في العامّة يومَ الجمعة، فأصاب من الطعام مع الناس ثم قام فسلّم على مسلمة، فردّ مسلمةُ السلام. فقال: يا ابن الخليفة، زُرتُك وأنت غُرَّةُ مُضر

---

(١) الدعاء جزء من دعاء أطول في جمهرة خطب العرب ٣/٣٢٩.

(٢) سقطت كلمة (أعظم) من ب.

(٣) حمار الجزيرة: هو لقب مروان بن محمد. آخر خليفة أموي. قتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة، وكانت ولايته خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً. (الطبري ٧/٤٤٢).

(٤) هو أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن مروان، الملقب بالجرادة الصفراء لصفرة كانت تعلوه، وكان شجاعاً، وافتتح فتوحاً كثيرة بالروم. وولي العراق أشهراً لأخيه يزيد. وكان خطيباً بارعاً جواداً. (المعارف ٣٥٨ والبيان والتبيين ٣/١٨٩).

وحسامُها، حين يُذكر[1]، لأنك تعطّفتْ عليك (٦٣ و /) الأملاك، فليس يخافُ ضيفٌ لديك الهلاك، وأنتَ في فرعٍ من الفروع نُضار[2] ورثته عن الأكابر الكبار. ومن عبد الملك ومروان، هنالك الفضل والبيان، والعِزُّ والسلطان سادوا الناسَ في الجاهلية قدماً، وفي الإسلام خيراً وكرماً. فلكَ كفّان، كفٌّ تُمطرُ الندى، والأخرى سِمامٌ[3] يقتل[4] العِدى، وإنك ـ والله ـ لتَقيٌّ، ومن الأدناس نقيٌّ، وإنكَ لمهذَّبٌ في الكرام، فليس يفوقُك أحدٌ من الأنام. وإنك لفي بحرٍ من المجد، قد رُزِقتَ من الحمد. فالناسُ لدى بابك يرجون ندى فضلك، من عوائد سيبك، لأنك للجودِ حليف، ولأنَّ الجودَ عليك يطوف. تراه عليك وطيفه، تسجلها[5] من بحور عريضه.

فقال مسلمة: والله يا أعرابيّ إنك لفصيحٌ. قال: أجل وأنا[6] مع ذلك صريح.

قال: فما تكاد تجدُ أعرابياً عاقلاً. قال: وما يُذهبُ عقلَه لو كان كاملاً؟

قال: لأنه قلّما يخالطُ الناس. قال: فذاك أكيدُ له عند الناس.

قال: وأنّى له بالبأسُ[7]، وهو لا يرى القتال؟

قال: يكونُ غَمراً فيجترىء على الأبطال. قال: وأنّى له الجراءة ولم يجترىء[8]؟ قال: أن يصمّم الحملةَ ثم يصبر. قال: وكيف يصبر على الطِّعان؟ قال: تراه فرضاً تفرضه الأقران. قال مسلمة: يا عجباً لهذا الأعرابيّ. قال: وما يعجبك مني يا ابن الخليفة، ومن صوابي؟

قال مسلمة: وما جعلك بالصواب، أولى من غيرك[9]؟

---

(١) في ب: حين تذكر.

(٢) النضار: بالضم الطويل المستقيم الغصون، أو ما نبت منه في الجبل، وهو من أحسن أنواع الخشب.

(٣) السمام: السمّ.

(٤) في ب: لقتل.

(٥) تسجلها: تسحب ماءها بالسجل، وهو الدلو الكبير المملوء.

(٦) سقطت من ب.

(٧) في ب: البأس.

(٨) في الأصل: نحبر. والمثبت من ب.

(٩) في ب: وما يجعلك أولى بالصواب من غيرك؟

قال: إنها سجيّتي، وعليه ركّبت طبيعتي، فنفسْ كربتي، وأجزلْ عطيّتي وردُّني (٦٣ ظ /) إلى بلدي. قال: وأين تسكنُ؟ قال: سَراة الطائف. قال مَسلمة: معدن العنب والزبيب؟ قال: نعم، لسانٌ بدويٌّ، وبلد علويٌّ. قال فاحتكِمْ. قال: أحتكمُ عشرة جِلالٍ تمراً، وعشرة أعنز. وقطيفة للعيال، وجملاً نجعلُ عليه متاعَنا، وثلاثين درهماً. فأمر له بما طلب.

● ١١٥ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله عن الواقدي قال[١]:

صعد عثمان بن عفّان المنبرَ لمّا بويع بالخلافة. فحمِدَ اللّهَ، وأثنى عليه، ثم ارتُجَّ عليه، فقال[٢]:

وليناكم قريباً، وعَدلُنا عليكم خيرٌ من خُطبِنا فيكم، وإنْ أعشْ يأتِكم الكلامُ على جهته، إنْ شاء اللّهُ.

● ١١٦ ـ قال أبو عبد الله الزبير: ويروى عنه رحمه الله[٣]:

أنه صعد المِنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم ارتجّ عليه، فقال[٤]:

أمّا بعدُ: فإنّ أولَ مركبٍ صَعبٌ. وما كنّا خطباء، وسيعلّمُ اللّهُ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم إلاّ أبٌ ميّتٌ لموعوظٌ. ثم نزل.

● ١١٧ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

وقف ثابت قُطنة[٥] على المنبر بالسِّند، فارتجّ عليه، فنزل فقال[٦]:

(١) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٧١ والبيان والتبيين ١/ ٣٤٥.
(٢) جمهرة خطب العرب ٣/ ٣٥٠.
(٣) سقطت (رحمه الله) من ب.
(٤) جمهرة خطب العرب ١/ ٢٧١.
(٥) هو ثابت بن كعب بن جابر العتكي، من شعراء الدولة الأموية، وكان فارساً شجاعاً، توفي سنة ١١٠، وقطنة لقب له. (الأغاني ١٤/ ٢٤٧).
(٦) جمهرة خطب العرب ٣/ ٣٥١ والأغاني ١٤/ ٢٤٧.

وإنْ لا أكـنْ فيكـم خطيبـاً فـإننـي بسيفـي إذا جـدّ الـوغى لخطيـب[1]

فقيل له: لو قلتَ هذا على المنبر قبل أنْ تنزلَ منه كنتَ أخطبَ الناس.

● ١١٨ ـ قال:

وارتُجّ على خالد بن عبد الله القَسريّ على مِنبر الكوفة فقال[2]: إنّ هذا الكلام يجيء أحياناً، ويَعزبُ أحياناً[3]. وربما طُلبَ فأبى، وكوثرَ فقسا[4] فالتّأتي لمجيئه أيسرُ من التعاطي لأبيهِ، وقد يختلجُ[5] من الجريء جَنانُه، وينقطعُ من[6] الذَّرِب[7] (٦٤ و/) لسانه، فلا يُبطرهُ القولُ إذا اتّسع ولا يكسره النطقُ إذا امتنع، وسأعود إن شاء اللهُ.

● ١١٩ ـ وقال:

شكا عبد الله بن عامر[8] إلى زياد بن أبيه ـ وهو كاتبه على العراق ـ الحصرَ على المنبر، فقال: إمّا إنك لو سمعتَ كلام غيرك في ذلك الموقف استكثرتَ ما يكون منك[9]. قال: فكيف أسمعُ ذاك؟ قال: رُح يوم الجمعة وكن[10] من المقصورة بالقرب حتى أسمعك خطبَ الناس. فلما كان يوم الجمعة قال زيادٌ: إن الأميرَ سهرَ

---

(١) الديوان ٣٥. وفي البيان والتبيين ١/ ٢٣٠ روايته:

وإلاّ أكـن فيهـم خطيبـاً فـإننـي بسمـر القنـا والسيـف جـدّ خطيـب

(٢) جمهرة خطب العرب ٣/ ٣٥٢ ومحاضرات الراغب ١/ ١٣٧ وأمالي القالي ١/ ١١١.

(٣) في المحاضرات: ويعسر. وفي الأمالي: ويعزب أحياناً فيعز مطلبه.

(٤) في المحاضرات: وكوبر فعتا. وفي الأمالي: كوبر فعصى.

(٥) في المحاضرات: وقد يختلط.

(٦) في ب: عن.

(٧) الذرب: الحاد اللسان.

(٨) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، كان شجاعاً جواداً ميموناً، ولاّه عثمان البصرة، وضمّ إليه فارس، فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وغيرها، وولاه معاوية البصرة، توفي سنة ٥٩. (المعارف ٣٢٠ والإصابة ٣/ ٦١ والبيان والتبيين ٢/ ٩٤).

(٩) انظر هذا المقطع في البيان والتبيين ٢/ ٢٥١.

(١٠) في ب: ارح قول الجمعة فكن.

البارحةَ فليس يمكنه الخروج إلى الصلاة. والتفت إلى رجل من سادةِ بني تميم، فقال له: قمْ فاخطب، وصلِّ بالناس. فلما أوفى على ذروة المنبر قال: الحمدُ لله الذي خلقَ السماوات والأرضَ في ستةِ أشهر. قالوا قبّحك اللّهُ. الله ـ جل ثناؤه ـ[1] يقول: في ستةِ أيامٍ[2]. وتقولُ أنت: في ستة أشهر. فنزلَ والتفتَ إلى شريفٍ لربيعة فقال له: قمْ فاخطب. فلما ارتقى[3] على المنبر ضربَ بطرفِه، فوقع على جارٍ له كان يخاصمُه في حدٍّ بينَهما. فقال: الحمد لله. وارتُجَّ عليه. فقال لجارِه: أمّا بعدُ فإنْ نزلتُ إليك يا أصلعُ لأفعلنَّ بك، ولأفعلنَّ. فأنزلوه. فالتفت إلى رئيس من رؤساء الأزد، فقال له: انهضْ فأقمْ للناس صلاتَهم، فلما تسنّم المنبر قال: الحمد لله، ولم يدر ما يقولُ بعد ذلك، فقال[4]: أيّها الناسُ، قد والله هممتُ أنْ لا أحضرَ اليوم، فقالت لي امرأتي: أنشدتُك بالله إنْ تركتَ فضلَ الصلاة في المسجد يومَ الجمعة، (٦٤ ظ /) فأطعتها، فوقفتُ هذا الموقفَ الذي ترونَ. فاشهدوا جميعاً أنها طالقٌ. فأنزلوه إنزالاً عنيفاً. وأرسل زيادٌ إلى عبد الله بن عامر، أنه ليس أحدٌ يقيم للناس صلاتَهم، ولا بدَّ من أنْ تحملَ على نفسك. فخرج فخطب فتبيّنَ فضله في الناس على سائر الناس.

● ١٢٠ ـ قال أبو عبد الله الزبير: وحدّثني المدائني قال[5]:

كان عبدُ ربّه اليشكري عاملاً لعلي بن موسى على المدائن فصعد المنبر، فحمد اللّهَ، وأثنى عليه، ثم ارتجّ عليه، فسكتَ ثم قال[6]: إني لأكونُ في بيتي فتجيء على لساني ألفُ كلمة، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها كلّها من صدري، ولقد كنت وما في الأيام يومٌ[7] أحبُّ إليّ من يوم الجمعة، فصرتُ وما في

(١) سقطت (جل ثناؤه) من ب.
(٢) إشارة إلى الآية الكريمة﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ سورة هود آية ٧.
(٣) في ب: أوفى.
(٤) جمهرة خطب العرب ٣/ ٣٥٥ وسمّاه وازعاً اليشكري.
(٥) جمهرة خطب العرب ٣/ ٣٥٤.
(٦) في الجمهرة: والله إني.
(٧) في ب: يوماً. وهو تحريف.

الأيام يومٌ أبغضُ إليّ من يوم الجمعة[١]، وما ذاك إلا لخطبتكم[٢]. فقال له صاحبُه: ولِمَ تقولُ هذا ـ أصلح اللّهُ الأميرَ ـ وأنت أخطبُ الناس؟ قال: واللّهِ لَخطبتي أنتنُ مما في الحُشّ. يقول الحاجبُ: لا يكون لِما في الحُش إلا الهوان.

● ١٢١ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني المدائني قال:

وليَ أخٌ لخالد[٣] بن عتّاب بن ورقاء[٤] الريَّ، فمكث جمعاً لا يخطبُ. فقال له كاتبُه: أصلح اللّهُ الأميرَ، قد استُعملتَ على الريّ، وهو ثغرٌ من ثغور المسلمين، وطريقُ أهل خراسان، فلو خرجتَ ثم خطبتَ الناسَ. فقال: على مَنْ أخطبُ ويلك، هم أعلاجٌ أميّون؟ قال له: لا بدّ من خطبة. فخرج وصعد المنبر. فحمد اللّهَ، وأثنى عليه، ثم ارتُجَّ عليه، فجعل يقول: أمّا بعد ـ وقبالةُ وجهه شيخٌ أصلع ـ (٦٥ و /) فقال: أمّا بعد، يا أصلع، فوالله ما غلّطني غيرُك، عليَّ به. فأتي به، فضربه أسواطاً.

● ١٢٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمّي قال[٥]:

ارتُجَّ على عبد الله بن عامر وهو على منبر البصرة في يوم أضحى فقال: والله لا أجمع عليكم[٦] عِيًّا ولؤماً[٧]، مَنْ أخذ شاةً من السوق فهي له، وثمنُها عليّ.

● وحدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن قال: خطب عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد[٨] على منبر حمص، فارتُجَّ عليه

---

(١) سقط من ب ابتداءً من (فصرت).
(٢) في الجمهرة: لخطبتكم هذه.
(٣) في ب: ولي خالد.
(٤) خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي، كان من عمال الحجاج على الريّ ثم غضب عليه وطلبه فهرب إلى الشام واستجار بزفر بن الحارث الكلابي، فراجع عبد الملك في أمره فأجاره، ولخالد أثر عظيم في قتال الخوارج. (الأغاني ١٦/ ٤١).
(٥) جمهرة خطب العرب ٣/ ٣٥٣.
والنص في محاضرات الراغب ١/ ١٣٨ منسوب إلى عتاب بن ورقاء.
(٦) في المحاضرات: ادخلوا سوق الغنم.
(٧) سقطت (عليكم) من ب.
(٨) هو عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، يقال له صحبة، وذكر ابن سعد=

ساعةً[1] ثم قال: أمّا بعدُ: يا أهل حِمص، فأنتم[2] إلى إمام عادل أحوجُ منكم إلى خطيب مِصقَع. ثم نزل[3].

● ١٢٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عامر بن صالح عن عبد الله بن سالم قال:

دخلتُ على أبي جعفر يوماً فقلت: يا أمير المؤمنين إن لي إليك ثلاثَ حوائجَ، قال: وما هنّ؟ قال: قلتُ: أمّا أولاهنّ فتقيم جلساءَك، قال: فأمرهم فقاموا. وأمّا الثانيةُ، فلا تغضبْ. قال: ولا أغضبُ. قال: وما الثالثة؟ قال: قلتُ: إنّ كلَّ مَنْ[4] وراء بابِك مقتولٌ مقهورٌ. قال: فغضبَ. فقلت: أليس قد ضمِنتَ أنْ لا تغضب. قال: فلا أغضبُ إذاً. وأخرجَ خاتمه من يدِه فقال: قد رددتُ أمر المسلمين إليكَ فدبِّرهم برأيك، واتّقِ اللّهَ الذي إليه معادُك، فقد أخرجت من رقبتي ذلك. فقلتُ يا أمير المؤمنين أنت ابن عمِّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وابنُ العبّاس بن عبد المطلب وأميرُ المؤمنين، أدبِّر أنا[5] الخلافة؟ قال: فكيف (٦٥ ظ /) أصنعُ؟ قال: قلتُ: ترفع حجّابك، وتطرح أبداً على بابك، فلا يجيء أحدٌ متظلم من عامل من عمّالك من بلد من البلدان، تصحُّ عندك[6] ظلامتُه إلا أمرتَ فجيء[7] به مسحوباً ماشياً إلى بابك فأنصفته منه، قال: فأطرق مليًّا ثم قال: قد أردنا ذلك، فما أمكننا، ولا أعِنا عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين: اجعله أكبرَ شغلك، فإنّك تدركه. قال: أفعلُ [إنْ شاء اللّهُ][8]، ونسأل اللّهَ المعونة على ذلك.

= أنه في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وكان يؤمر على غزو الروم أيام معاوية وشهد معه صفين، مات سنة ٤٦ قتله ابن أثال النصراني بالسم. (الإصابة ٣/ ٦٩).

(١) كرّر في ب سهواً عبارة: أما بعد يا أهل حمص فارتج عليه ساعة.

(٢) في ب: أنتم.

(٣) سقطت من ب (ثم نزل).

(٤) في ب: ما.

(٥) في ب: قد برانا تحريف.

(٦) في ب: عند.

(٧) في ب: من يجيء.

(٨) ما بين الحاصرتين تكملة من ب.

● ١٢٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلاّم الجمحي، قال:

وفد عبيد الله بن الحسن[(١)] قاضي البصرة على أمير المؤمنين المهدي فتكلّم بين يديه، فبينا شبيبٌ بن شيبة[(٢)] يُغدِّي أصحابَه، إذ جاءه رسولُ عبيد الله بن الحسن يقول له: اتيني الساعةَ، فغسلَ يديه وقال لأصحابه: أتمّوا غداءكم، وركب فقال له: إن[(٣)] تكلّمتَ اليومَ بين يدي أمير المؤمنين وأبو عبيد الله حاضر، فأحبُّ أن تأتيه عسى أن يجري لي[(٤)] ذكرٌ فتنظر هل أعجبَهْ كلامي. قال شبيبٌ: فجئتُه فقال: تكلمَ صاحبُكم اليومَ بين يدَي أميرِ المؤمنين. فقلتُ له: فما سمعتَ؟ قال: رسائلُ غيلان[(٥)] ومواعظ الحسن، ونسجٌ بين ذلك مملّحٌ[(٦)].

● ١٢٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني العُتبي قال:

إنّ أولَ ما استُبين من عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وحرصِه على العلمِ، ورغبتِه في الأدب، أنّ أباه وليَ مصرَ وهو حديثُ السنّ يشَكُّ في بلوغه، فأرادَ إخراجَه معه فقال: يا أبه أوَ غير ذلك لعلّه أنْ يكونَ أنفعَ لي ولك أن ترسلني (٦٦ و /) إلى المدينةِ، فأقعد إلى فقهاءِ أهلِها، وأتأدّبُ بأدبهم. فوجّهَه إلى المدينةِ، فقعد مع مشايخ قريش، وتجنّبَ شبابَهم، وجاءته ألطافُ أبيه من مصرَ، فجعلَ

---

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحر العنبري البصري، من قضاة البصرة وفقهائها المعروفين بالحديث. توفي بالبصرة سنة ١١٦٨ وكان أهل البصرة لا يشكّون أنه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله بن سالم. (انظر تهذيب التهذيب والبيان والتبيين ١/ ٢٧٥).

(٢) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن الأهتم المنقري من المتصلين بخالد بن صفوان جمعت بينهما الصناعة والقرابة والمجاورة وكان يقال: لولا أنهما أحكم تميم لتباينا تباين الأسد والنمر. وكان خطيباً مصنفاً. (البيان والتبيين ١/ ٤٧ والشذرات ١/ ٢٥٦).

(٣) في ب: إني.

(٤) في ب: بي.

(٥) هو أبو مروان غيلان الدمشقي. قالوا: أول من تكلم في القدر معبد الجهني ثم غيلان بعده. أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق كان من بلغاء الكتاب. (انظر الفهرست ١٧١ ولسان الميزان ٤/ ٤٢٤).

(٦) وردت هذه القصة مختصرة في البيان والتبيين ١/ ٢٩٥.

يقسِّمُها بينهم، فشهره أهلُ المدينةِ بعلمِه وعقله مع حداثة سنّه، فحسدَه فتيانُ قريشٍ، فقعدوا إليه، فقالوا: كيف أصبحتَ يا أبا حفصٍ؟ فقال: مهلاً إيّاي وكلام المجَعَة[1]، فشُهرت منه بالمدينة حتى كُتب بها إلى أبيه بمصرَ، (والمجَعَة القليلة عقولهُم، الضعيفةُ آراؤهم) ثم بعثَ إليه عبدُ الملك عند وفاة أبيه[2]، فخلطَه بولدِه، وقدّمه على كثيرٍ منهم، وزوّجه بابنته فاطمة وهي التي يقول فيها الشاعرُ[3]:

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جَدُّها أختُ الخلائف والخليفةُ زوجها

فلم تكن امرأةٌ تستحقُ هذا البيتَ إلى يومِنا هذا غيرُها، وكان الذين يَعيبون عمرَ ممن يحسدُه لا يعيبونه إلاّ بشيئين: بالإفراط في النعمة[4]، والاختيال في المشيّة، ولو كانوا يجدون ثالثاً لجعلوه[5] معهما، وهو قول الأحنف: الكامل مَنْ عُدَّت هفواتُه، ولا تُعَدُّ إلا من قلّةٍ. فدخل يوماً على عبد الملك وهو يتجانفُ[6] في مشيتِه. فقال له: يا عمرُ ما لك تمشي غيرَ مشيتك؟ قال: إنّ بي جرحاً. قال: وفي أيّ جسدِك؟ قال: بين الرانفة والصَفَن[7]. قال عبدُ الملك لرَوْح بن زِنباع[8]: أقسمُ بالله لو رجلٌ من قومك يُسأل عن هذا لما أجابَ هذا الجواب.

● ١٢٦ ـ حدّثني أبو الحسن المدائني عن عوانة بن الحكم عن (٦٦ ظ /) الشعبي قال:

---

(١) في القاموس: المجعة: بالضم ويفتح، الأحمق إذا جلس لم يكد يبرح من مكانه، والجاهل.

(٢) في ب: أخيه.

(٣) البيت في ترجمة فاطمة بنت عبد الملك في أعلام النساء منسوب لوضاح.

(٤) في ب: بالنعمة.

(٥) في ب: يجعلوه. هو تحريف.

(٦) يتجانف: يتمايل.

(٧) في هامش الأصل: حاشية: الرانفة طرف الألية. والصفن: الخصية. قال جرير: يترك أصفان الخصا جلاجلا.

(٨) هو أبو زرعة روح بن زنباع الجذامي، سيد جذام، وأمير فلسطين، كان معظّماً لدى عبد الملك بن مروان، لا يكاد يفارقه، وهو عنده بمنزلة وزير. وكان ذا علم وعقل ودين توفي في سنة أربع وثمانين. (العبر ١/ ٩٨).

قال مالك بن عُمارة اللخمي[1]: كنتُ أجالسُ في ظل الكعبة أيام الموسم عبد الملك بن مروان، وقَبيصةَ بن ذؤيب[2] وعُروةَ بن الزبير، فكنّا نخوضُ في فنون الأحاديث وأيام العرب[3]، فكنتُ لا أجدُ عند أحدٍ منهم مثلَما أجده عند عبد الملك بن مروان، من اتّساعِه[4] في المعرفة، وتصرّفه في فنون العلم، وحسن استماعِه إذا حُدِّث، وحلاوةِ لفظه إذا حدَّث، فخلوتُ به ذاتَ ليلةٍ، فقلتُ: واللّهِ إني لمسرور[5] بما أشاهده من كثرة تصرُّفك، وحسن حديثك، وإقبالِك على جليسك، فقال لي: إنك إن تَعشْ[6] قليلاً سترى العيونَ إليّ طامحةً، والأعناقَ إليّ قاصدةً، فلا عليك أن تُعمل إليّ ركابَك، فلأملأن يديك. قال مالك: فلما أفضتْ إليه الخلافةُ أتيتُه، فرأيتُه[7] يوم جُمعة، وهو على المنبر[8]، فلما وقعت عيناه عليّ بسَرَ في وجهي، فقلت: لم يُثبتني معرفةً، أو عرفني فأظهر لي نُكرةً[9]. لكني لم أبرح مكاني حتى قضى الصلاة، ودخل، فما هو إلاّ أن دخل إذ خرج، آذنه. فقال: أين مالكُ بن عمارة اللخميّ؟ فأخذ بيدي فأدخلني إليه، فلما رآني مدَّ يدَه إليّ وقال: إنك تراءيتَ لي بموضعٍ لم يَجُزْ فيه إلاّ ما رأيتَ من الأعراض والانقباض، فأمّا الآنَ فأهلاً بك ومرحباً. كيف كنتَ بعدَنا؟ وكيف كان مسيرُك؟ فقلتُ: بخيرٍ وعلى ما يحبُّ أميرُ المؤمنين ـ أطال اللّهُ بقاءه ـ قال: أتذكرُ ما كنتُ (٦٧ و /) قلتُ لك؟ قلتُ: نعم، وهو الذي أعملني إليك. فقال: إنه ـ والله ـ ما هو بميراثٍ ادّعيناه، ولا أثرٍ وعيناه، ولكنّي أحدثُك عن يقيني بخصالٍ سمَت لها نفسي إلى الموضع الذي أنا فيه. ما

(١) النص بتمامه في الامتاع والمؤانسة ٢/ ٧٠.

(٢) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني الفقيه، روى عن أبي بكر وعمر، قال الزهري: كان من علماء الأمة. توفي بدمشق في سنة خمس وثمانين. (العبر ١/ ١٠١).

(٣) في الامتاع: وكنا نخوض في الفقه مرة، وفي الذكر مرة، وفي أشعار العرب وآثار الناس مرة.

(٤) في الامتاع: من الاتساع في المعرفة، والتصرف في فنون العلم والفصاحة والبلاغة.

(٥) في الامتاع: بك لما أشاهده.

(٦) في ب: تعيش.

(٧) في الامتاع: فوافيته.

(٨) في الامتاع: فتصديت.

(٩) في الامتاع: ولو عرفني ما أظهر نكرة.

لاحيتُ ذا ودٍّ، ولا ذا قرابةٍ، ولا قصدتُ لكبيرةٍ من محارم الله ـ عز وجلّ ـ واثباً عليها، ولا متلذِّذاً بها. وكنتُ من قريشٍ في بيتها، ومن بيتها فيْ وسطِه، وكنتُ أرجو أنْ يرفعَ اللَّهُ مني وقد فعلَ. ثم قال: يا غلام بَوِّئه منزلاً في الدار.

فأخذ الغلام بيدي، وقال: قمْ إلى رحلِك إذا شئتَ.

فكنتُ في أخفض حالٍ، وأنعم بالٍ، وحيثُ أسمعُ كلامَه، ويسمعُ كلامي، حتّى إذا حضرَ غداؤه أو عشاؤه[1] أو قعد لبطانته، أتاني الغلامُ فقال: إنْ شئتَ صرتَ إلى أمير المؤمنين، فإنّه جالسٌ. فأمشي إليه بلا حذاءٍ ولا رداءٍ، فيرفع مجلسي، ويقبّلُ محادثتي، ويسألني[2] عن العراقِ مرّةً، وعن الحجاز أخرى. حتى إذا مضت لي عنده عشرون ليلةً تغذَّيتُ في آخرها يوماً عنده، فلما قام مَنْ حضره، ونهضت لأنْ أقومَ[3] قال: على رِسْلِكَ أيّها الرجلُ، أيُّ الأمرين أحبُّ إليك؟ المقامُ عندنا، فلكَ النّصفةَ في المحالفة والمعاشرة[4] مع المواساة. أمْ الشخوص فلك الحِباء والكرامةُ. قلتُ: يا أمير المؤمنين فارقتُ أهلي على أني زائرٌ لأمير المؤمنين. فإن أمرني بالمقام اخترتُ فناءَه على الأهل والولد. قال: لا. بل أرى لك الرجوعَ إليهم، فإنهم متطلّعون إلى رؤيتك، فتحدثُ بهم عهداً، (٦٧ ظ /) أو يُحدثون بك مثله، والخَيار بعدُ في زيارتنا أو المقام فيهم إليك. وقد أمرتُ لك بعشرين ألفَ دينار، وكسوناك وحَمَلناك، أتُراني ملأتُ يديك أبا نصر؟ قلتُ: يا أمير المؤمنين، أراك ذاكراً لما وَأيتَ[5] به على نفسك. قال: أجل، ولا خيرَ فيمن لا يذكرُ إذا وعدَ، وينسى إذا أوعدَ. وَدِّعْ إذا شئتَ، صحبتْك السلامةُ، قال: فقبضتُ جميعَ ما أمر لي به في يومي، ثم ودّعته فكان آخر العهد به.

● ١٢٧ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني إسحاق بن

---

(١) في الامتاع: فإذا حضر عشاؤه أو قعد. وفي ب: وعشاؤه.
(٢) في الامتاع: على محادثتي. وفي ب: ويسأل.
(٣) في الامتاع: نهضت للقيام.
(٤) في الامتاع: في المعاشرة والمجالسة.
(٥) في الامتاع: رويت. تحريف. ووأى: كوعى وعد وضمن.

إبراهيم التميميّ عن عاصم بن الحدثان، عن المتوكل بن عروة بن يعمر اللّيثيّ عن أبيه عروة قال:

خرجتُ أريدُ الشام فصحبني رجلٌ قصيرُ القامة ذلِقُ اللسان جهوريه، فقلت له: أين تعمد[1] يا عبد الله؟ قال: فهلاّ سألتَ عن الاسم والنسب؟ قال عروةُ فقلت: في الإسلام كافٍ، والمسلمون إخوةٌ، وأكره التفتيش. فأمّا سألتُ رجلاً فخبّرني وصدق، فأطّلعُ من نفسه على ما يكره، وأمّا كذبَ فأثمَ. فقال: إنّك لموفقٌ مُسَدَّدٌ ـ إنْ شاء اللّهُ ـ أريدُ ابنَ مروان. فإن أمكنتني منه قدرة كان لي وله شأنٌ. قال: فقلتُ له: والله ما أنت بمخيل أنْ تكون حروريًّا[2]، وما زيُّك بزيّهم. قال: فضحك. قال: يا عبد الله، إنّ[3] طالبَ الأحَنَ والثأر يتنكّر. قال: فقلتُ له: ليست بك مني حشمة ألقها عني وعنك. أخبرني: ما قصّتُك، ومَنْ أنت؟ قال: بل[4] أخبرني أنتَ أولاً[5]. قلتُ: أنا عروةُ بن يعمر اللّيثي، خرجتُ أريدُ عبد الملك مدلياً إليه بإخاءٍ ومودّة كانت بيننا وبينه منذُ دهرٍ. قال: أما والله (٦٨ و /) إنه على ما كان فيه من هذا الأمر الذي جَنّت عليه القلوبُ، وقُطّعتْ أعناق الإبل، إنه لدائمُ العهد، عالمٌ بالجميل، غيرَ أنّ في يده بعض الكزاز[6]، وهو الحزم. يا أخا بني ليثٍ، أتدري مَنْ القائل:

أعاذلُ ما يُغني عن المرء مالُه ... إذا جُعلت دون التراقي تطلَّعُ
وحشرجَ والنسوان يبكين حوله ... يقلنَ أبونا هالكٌ فمودّع
وعاينَ أمراً مُفضعاً ضاق صدرُه ... فأجهش يبكي تارةً ويُرجِّع
ألا لا أرى شُحّاً يخلّدُ أهلَه[7] ... وكلُّ خدوع مرّةً سوف يُخدَع
وخيرُ عتادِ المرء تقوى ومَنْ يحدْ ... عن الموت يوماً لا محالةَ يصرع

---

(١) في ب: تصعد.
(٢) في ب: حروبا. تحريف.
(٣) في ب: إني.
(٤) سقطت (بل) من ب.
(٥) في ب: أول.
(٦) الكزاز: بالضم البخل.
(٧) في ب: تخلد.

فلا تكُ هيّاباً إذا الحربُ أحسمت[1] وظلّت لها الأبطال تعرى وتخضع

قال عروة: قلتُ: لا ـ واللّهِ ـ ما أدري مَنْ يقول هذا الشعرَ. قال: فإني قائلها. فقلتُ: ومَنْ أنت؟ قال: الضحّاك بن عروة بن مالك العدويّ.

قال: قلتُ له: قرّبك[2] اللّهُ وحيّاك. قد عرفتُ النسبَ، فأين تعمدُ؟ وما الحاجةُ التي تُريدُ؟ لعلَّ اللّهَ أنْ يجلبَ لنا خيراً، أو يدفعَ بنا شرّاً. قال: أريدُ عبد الملك بن مروان لمثل ما تُريدُه. غبرتُ أنا وعبد الملك برهةً من دهرنا لا نفترقُ ليلاً ولا نهاراً، إلاّ أنْ يذهبَ منّا رجلٌ إلى منزله، ثم يؤوبُ إلى مجلسٍ لنا نتذاكرُ فيه أيامَ العربِ، وفنونَ الأحاديث، وكان يحضرُ معنا في المجلس عروةُ بن الزبير، وقبيصةُ بن ذؤيب، فكنت لا أجدُ عند أحدٍ منهم ما أجدُ عند عبد الملك، في اتساعه في المعرفة، (٦٨ ظ /) وتصرّفه في فنون العلم، وحسن استماعه إذا حُدِّثَ، وحلاوة لفظه إذا حدَّث[3]، فخلوتُ معه ذات ليلةٍ فقلتُ: واللّه إني لجَذِلٌ[4] لِما أشاهدُ من كثرةِ تصرّفك، وحسنِ حديثك[5]، وإقبالِك على جليسك. فقال لي: إنّك إن تعِشْ قليلاً فسترى العيونَ إليّ طامحةً والأعناقَ إليّ قاصدةً، والرجال قد وطئت عقبيّ، أما ـ والله ـ لئن أدركتَني لأُكرمنّك ولأملأنَّ يديك. فولي ما ولي، وأدرك ما أدرك ـ فوالله ـ ما تاقت إلى شيء مما هو[6] فيه نفسي، ولا تطلّعتْ. حتى ولِدَ لي غلامٌ فأسهرَ ليليَ الاهتمام والاغتمامُ بأمره لئلا يبقى بعدي إذا متُّ قليلَ الوَفر. فتاقت نفسي إلى عبد الملك بن مروان فأقبلتُ إليه ونفسي متعلّقةٌ ببنيٍّ، ليس ليلي بليل، ولا نهاري بنهارٍ. يا أخا بني ليثٍ فما ترى وما تشيرُ؟

قال: تقدم على عبد الملك، ملِكِ الآفاق، فإنْ عرضَ عليك حاجةً، فلا يكبرنَّ

---

(١) في الأصل: أحشمت. وما أثبتناه من ب أحسن. وأحسمت: تتابعت.
(٢) في ب: أقربك.
(٣) انظر ما مر في ص ١٨٠.
(٤) جذل: فرح.
(٥) في ب: أحاديثك.
(٦) سقطت (هو) من ب.

في عينك أنْ تسألَه كثيراً، فإنّ المانعَ والمعطي الله ـ جلّ وعزّ ـ فربّما خرجت الرغائبُ من يد البخيل، ومن الجواد بالقليل.

قال: فقال: والله لو كان لسانُك عبّر عن قلبي[1] ما عدا ما قلتَ.

قال عروةُ: فتسايرنا أياماً وليالي ما يُكرُّ عليّ حديثاً ولا بيتاً من شعر. قال: فقلت له: إنك لأعلمُ الناس بأحاديث العرب وأشعارها وأيامها. فقال لي: مَنْ أقدمُ ـ والله ـ عليه غداً أعلمُ مني. والله ما أنا إلاّ خلجٌ[2] من بحره، وأين يقعُ الحقُّ الضئيلُ[3] عند مخاطرة القروم القياسرة (٦٩ و /) والفحول؟ قال: قلتُ: ومَنْ تعني؟ قال: عبد الملك بن مروان. قلتُ: وإنّه عندك لكذلك؟ قال: أي واللّهِ عند كلِّ مَنْ علمَ شيئاً من أوليّة العرب. قال عروةُ: فَبينا هو يسيرُ ليلةً، وأنا معه إذ لحقَنا أعرابيٌّ على قعودٍ له، وهو ينشد شعراً ويترنم به ويقول:

ألا أيّها البيتُ القريبُ مَزارُه ... سُقِيتَ ألم يحزنك من أهلك الهجرُ
فما كان هجرانيكَ من حدَثِ القلى ... ولكنَّ هجرانيك في صَرْفه عُذر

قال عروة: فقال صاحبي: أعدْ ويحك كيف قلتَ:

فما كان هجرانيكَ من حدَثِ القلى ... ولكنَّ هجرانيك في صَرْفه عُذر

فأعاد عليه الأعرابيُّ. فقال: ويحكَ مَنْ قائلُ هذا الشعر؟

قال: الذي يقول:

وأكثر وجدِ ابن الغريزة أمّه ... على ما أصاب الناسَ عض به الدهر
فأصبح مالوساً تعادت همومُه ... عليه فأشجته وضاق به الصدر[4]
فباحَ وأبدى الدمعُ ما في ضميره ... من الوجد حتى قيل ليس له صبر

قال: ويحك مَنْ هو؟

---

(١) سقطت (قلبي) من ب.
(٢) في ب: سطح.
(٣) والحق (بالكسر): من الإبل الداخلة في الرابعة.
(٤) المالوس: المجنون.

قال: كَثير بن عبد الله[1] ابن الغريرة، أحد بني صخر بن نهشل. قال عروة: وهو القائل[2]:

نـأتـك أمـامـةُ نـأيـاً جميـلا ... وبُـدّلـتَ بـالقُـرب نـأيـاً طـويـلا[3]
وحـال أبـو حسـنٍ دونهـا ... فمـا تسطيـعُ إليهـا سبيـلا[4]
فـإنّ الشبـابَ لـه لـذّةٌ ... ولا بُـدَّ لـذّتُـه أن تـزولا[5]
طِعـانُ الكمـاة وركـض الجيـاد ... وقـولُ الحـواضـن ويـلا وبيـلا
(٦٩ ظ /)
لَعمـرُ أبيـكِ فـلا تكـذبـي ... لقـد ذهـب الخيـرُ إلاّ قليـلا
لقـد فُتـن النـاسُ فـي دينهـم ... وخـلّا ابـنُ عفّـان شـرًّا طـويـلا

فقال الأعرابيّ: نعم. قال عروة: فقال الضحّاك: أنا ـ والله ـ أشعرُ منه حين أقولُ:

وهـمٌّ عـرانـي فعـدّيتـه ... بنـاجيـةٍ تستخـفُّ الـذميـلا
وتمشـي اختيـالاً إذا مـا مشـت ... كمـا يخطـرُ الفحـلُ سـامـى الفحـولا
تجـوبُ المهـامـه خطّـارةً ... إذا مـا الـوحـوشُ أردنَ المقيـلا
تمطّـت بـرحلـي مُـزَوّدةً ... تبـادرنـي أنْ أمـدَّ الجـديـلا
وتُصبـح والسيـب مـوضـوعهـا ... وإن قلـتُ عـاج رمـت بـي دلـولا

---

(١) في اسم أبيه وهم، لعله من الناسخ. فقد حرّف من عبد الله إلى عبد الرحمٰن. ظناً بأنه كثير عزة. وكثير هذا هو: كثير بن عبد الله بن مالك بن هبيرة التميمي أحد بني نهشل، والغريرة أمه. وهو مخضرم أدرك الجاهلية وعاش إلى أيام الحجاج وقد رثى عثمان رضي الله عنه. والغريرة أمّه سبية من بني تغلب، واسمها في الأغاني: الغريرة. وفي الإصابة: الغزيرة. (انظر المرزباني ٢٤٠ والأغاني ١٠/ ٩٧ والإصابة ٣/ ٢٩٤).

(٢) الأبيات ١، ٣، ٥، ٦ في المرزباني و ١، ٥، ٦ في الإصابة.

(٣) في المرزباني والإصابة:
نـأتـك أمـامـة نـأيـاً طـويـلا ... وحمّلـك الحـب عبئـاً ثقيـلا

(٤) البيت سقط من ب.

(٥) في المرزباني: فإن الزمان . . . للذته.

مُضبّرةَ الخَلق مشهومةٌ أماج النواعج تهوى نسولا[١]
تكاد تُقطّع أنساعَها إذا ما ازلأمت وترمَدُّ حولا[٢]
إلى ملكٍ من بني غالبٍ يمدُّ إلى المجد باعاً طويلا[٣]
إمامُ قريش ومَنْ أصبحت إليه قريشٌ تجدُّ الرحيلا
ومَنْ عزَّ بالحزم أهل الهدى وأضحوا إليه ثباتٍ حلولا
يُرجّونَ من سيبه نفحةً يُعيش بها اللّهُ قوماً كلولا[٤]

قال عروة: فقلتُ في نفسي: سَقطة من سقطات الرجل وهفوة وزلّة حين مدح نفسه، ولم أرَ شعره هذا شيئاً، ولم يرَ مني ارتياحاً، ولا تعجّباً. قال: يا أخا بني لَيث، لستُ أعني أشعرَ منه في شعري هذا. إني قد أعرف أنك رجلٌ (٧٠ و /) عربيٌّ تبصرُ الشعر وتعرفه.

فهل رأيتَ شعراً ارتُجل في هذا الوقت بلا رويّة؟

أما ـ والله ـ إني وإنْ كنتُ أقول ما أقولُ، إني لَطبٌّ بما يقبلُ فيه الرجال، وإني لأنا الذي أقول فأُسمَع. هل ترى خللاً؟ قلت: هاتِ، فوالله لن تزيدني في نفسك إلاّ رغبةً منذُ صحبتك. ولقد ظننتُ أنها هفوةٌ منك، فوجدتك عالماً بها. قال: ثم أنشدني شعراً، قال: قلتُه منذُ ستين سنةً، وأنا غلام حين راهقتُ الحلم[٥]:

أمخترمي الموتُ ابن عمرٍ فذاهبٌ بنفسي ولم أترك حصيناً مجدّلا
ينوءُ فلا يسطيعُ نهضاً وقد حشت يدي جوفه أضمىٰ المعالم مُنحلا[٦]

---

(١) مضبّر: مجتمع الخلق، موثقه.
المشهوم: الفرس السريع النشيط القويّ.
نسول: يقال نسل الماشي إذا أسرع، وأنسل القوم تقدمهم.
(٢) أنساع: واحد نسع (بالكسر) وهو سير ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال، تشد به الرحال.
ازلأم: أسرع. وترمّد: الناقة تضرع. والكلمة غير واضحة في ب.
(٣) في ب: إلى مالك.
(٤) السيب: العطاء.
(٥) سقط من ب سطر ابتداء من (شعرا).
(٦) في ب: جفوة. تحريف.

جزى الله ما أولى حُصيناً عشيرتي وكلّ حصينٍ للهنات مؤمّلا[1]
أخي دون إخواني إذا الأمرُ نابني وحصنٌ إذا ما خِفتُ أمراً معضلا
سعى الدهرُ فيما بيننا فتركتُه بفيه ولم أحفل لذلك محفلا
وإنْ يك رَيبُ الدهر أردى ابنَ خالدٍ وكان معمّاً في الكرام ومخولا[2]
فرُبَّ يدٍ بيضاء أسدى ابنُ خالد إليّ ونابٍ قد تعدّاه أعصلا
حِفاظاً وإكراماً فأودت بلبّه مهفهفةُ الكشحين ترمي المقتلا
فغيّر ما بيني وبين ابن خالدٍ هوىً غالبٌ أعيا الرجالَ وعيّلا[3]

قال عروة: فقلتُ له:

كيف قلت هذه الأبيات؟ قال: أخبرك ولا أكذبكَ. كنت وحصين بن خالد ابن عمي دنيّة[4] لا يجري الماءُ بيننا صفاءً، ولي ابنةُ عمٍّ أحبُها، وقد سُمِّيتُ لها، وسُميَت لي، فلبثتُ أنتظرُ أنْ أصيب لهوةً[5] من مال (٧٠ ظ /) فأتزوجها وأبني بها.

فأقبل[6] الحصين على أمّها فخدعها وعطف لبّها[7] عني. حتى غلبت زوجَها فزوّجه ابنتَه، فلما كانت الليلةُ التي يبتني بها، قعدتُ له فرميتُه بسهمٍ. فوالله مُا ظننتُ أنه أصابه، وهوى لفيه كأنّه مات منذُ ألف سنة، وأخذتُ فحُبستُ. فكان عبد الملك هو العامل لي في أمري والمستخرج لي من البليّة التي وقعتُ فيها. ويعلمُ الربُّ علماً صادقاً أني إنما أردتُ أنْ أذعرَه، ولم أردْ قتلَه. فمضى القدرُ السابق وأعززَ عليّ بمصرعه.

واللّهُ إنْ كان ـ يرحمه اللّهُ ـ لوسيماً، جميلاً نبيلاً، وإني لعلى خلافه، وإن عذرَ ابنةِ عمي في اختيارها إيّاه عليَّ لَبيّنٌ واضحٌ. أنا كما قد ترى، وقد أخبرتُك عن ابن

(١) في ب: وكل حصيناً.
(٢) في ب: فإن يك أردى بي إليك ابن خالد.
(٣) عيّل: أعوز.
(٤) دنيّة: لحًا.
(٥) اللهوة: الحفنة من المال.
(٦) في ب: وأقبل.
(٧) في ب: وعقد لبها.

عمي ما سمعت. قال عروة: فتبسّمتُ. قال: الحقّ والله قلتُ. فإنْ شئت فاضحك، وإنْ شئت فاكفف، فإنّ اللّهَ صادقٌ يحبُّ الصدقَ وأهله، ويبغض الكذبَ وأهله. واعلم أنّ الرجل اللبيبَ أعلمُ بعيبه[1] من غيره، فإني ـ والله ـ وإنْ أقحمتني عينُك، ونبَت عني كما قال الأول. هل تدري من هو؟ قلتُ: لم أسمع شيئاً. قال: عجلتُ، ومن عجلةٍ خُلق الإنسانُ عجولا. قلتُ: هاتِ. قال:

أغـــرَّكـــمُ أنـــي بمعـــروف شِيمتـــي رفيـقٌ وأنـي بـالفـواحـش أخـرق[2]

ومثلـي إذا لـم يُجـزَ أحسـن سعيـه تكلَّـمُ نعمـاه بفيهـا فينطِـق

قال عروة: فقلتُ: مَنْ هذا؟

قال: حاجب بن زرارة[3]. قال: قلتُ: الدارميُّ؟ (٧١ و /) قال: فقال: تاللّهِ ما رأيتُ كاليوم إنّ بحاجبٍ لغنىً عن دارم. واللّهِ إنها منك لهفوةٌ حين جهلته حتى تنسبه إلى دارمٍ أكذاك[4]؟ قلتُ: نعم. قال: الصدق خيرٌ عاقبةً. ثم انقطع حديثنا، وقدمنا الشام، فأعوزنا الإذنُ على عبد الملك، فمكثنا ليالي ثم مرّ أبو الزُّعَيْزعة[5]، فقام إليه. فقال أبو الزُّعَيْزِعَة: أهلاً ومرحباً بامرىءٍ ظهر لنا جفاؤه، وقلَّ وفاؤه. قال: هيه. الآن[6] هو سلطان. ولا نصفة لي منه. فدخل، فلا أظنه وصل حتى قيل: الضحّاك بن عمارة العدوي. فقلت: لا تنسَ أخاك. قال: إني كما قال الأولُ القبيحُ الشحيحُ القليح. فما أظنّه زاد على السلام حتى دُعيتُ: أينَ عروة بن يعمر؟ قال:

---

(١) في ب: بعينه. تصحيف.

(٢) في ب: أعرق.

(٣) هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي، كان من رؤساء يوم جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة. عاش إلى أن وفد على الرسول ﷺ وأسلم. وبعثه ﷺ على صدقات تميم. وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به. (الإصابة ١/ ٢٧٢).

(٤) في ب: كذاك.

(٥) هو غلام عبد الملك بن مروان. وله معه أخبار، وكان كاتبه على ديوان الرسائل. (انظر الطبري ٦/ ١٤٥ و ١٨٠).
وهو في عيون الأخبار ٣/ ١٩، أبو الزّعيرة. وفي ابن الأثير ٤/ ٢٤٩ أبو الزعيرية.

(٦) في ب: كان هو سلطان.

فدخلتُ وإنه لبارِكٌ بين يدي عبد الملك قد استحسن شعراً له ينشده وقد أذن له عبد الملك في إنشادِه إيّاه، فسلّمتُ، فردّ بيده عليّ، وألحّ في النظر إليه، والاستماعَ منه، فرفع رأسه إلى الضحّاك ثم قال: أعقب. ثم قال: يا أمير المؤمنين، رجلٌ، وأيُّ رجلٍ لدنيا وآخرةٍ. قال عبد الملك: دعْ عنا ابنَ يعمر، نحن أعلمُ به منك. هو رجلُ نفسه.

قال عاصمٌ: قال المتوكلُ: فحدّثني أبي[1] عروة بن يعمر، فحفظتُ من شعره الذي أنشده عبد الملك بن مروان:

وإنْ لا إمتْ أشهدْ سوابقَ غارةٍ — تُساق المنايا بالوشيج المقوّم[2]

بكلّ رديني كأنّ سنانَه — سنا لهبٍ في عارضٍ متضرّم[3]

فكم روقةٍ بيضاءَ دنّستُ لونَها — بمعتبطٍ من قاني الجوف أسحَم[4]

(٧١ ظ /) وردتُ بها بَيضاءَ ثم رددتُها — وقد شربت من جوف أبيض خضرم

سقاها فروّاها من الدم فانطوتْ — على عَلَقٍ في ثعلبٍ متهضّم

قال: فأمر له عبد الملك بجائزةٍ سنيّةٍ، وكتبه في أصحابه. ثم قال: وملأتُ يديك. قال: وإنك لتذكرُ يومَ يومٍ؟ قال: نعم. وقد أعملني[5] إليك.

● ١٢٨ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: وحدّثني وهب بن جرير قال: حدّثني عبدُ الوهاب بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن شيخٍ من قريشٍ قال:

إني وفتيةٌ من قريشٍ عند قَينةٍ من قيانِ المدينةِ، ومعنا عبد الرحمٰن[6] بن حسّان بن ثابت، إذ استأذَنَ حسّانُ بن ثابت، فكرهنا دخولَه، وشقّ علينا. قال: فقال

(١) في ب: ابن. تحريف.
(٢) في ب: فإن لا أمت.
(٣) العارض: السحاب المعترض.
(٤) معتبط: مدمّى. وأسحم: أسود.
(٥) في الأصل: أعلمني، وفي هامش النسخة نفسها: أعملني. ومشار إليها بكلمة صح.
(٦) كان شاعراً كأبيه، وأمه سيرين أهداها رسول الله ﷺ لحسان. انظر ترجمته في مقدمة كتابنا شعر عبد الرحمٰن بن حسان.

عبد الرحمٰن: أيسُرُّكم ألاّ يجلسَ؟ قلنا: نعم قال: فمروها إذا نظرت إليه، رفعت عقيرتها تُغني[1]:

أولادُ جَفنةَ حولَ قبرِ أبيهم قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضلِ[2]
يُغشَوْنَ حتى ما تهرُّ كلابُهم لا يسألون عن السوادِ المقبلِ[3]

قال: فوالله بكى حتى ظننا أنه سيلفظ نفسَه. ثم قال: أفيكم الفاسقُ؟ لعمري لقد كرهتم مجلسي.

● ١٢٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عُبيدة قال:

وفد عبد الرّحمٰن بن حسّان على معاوية، فقال له معاويةُ: ما نُطعمك يا ابن حسّان؟ قال: سمَكاً. قال: فما نسقيك؟ قال: سَويقاً[4]. فقال نُعَيم بن عمرو بن الأهتم[5]، وكان حاضراً: إن السَويق مع الصَحناة[6] مَضرَطةٌ للآكلين. وبئسَ المطعم السَمَكُ (٧٢ و /). وكان نُعيم رجلاً جميلاً، فأجابه ابن حسّان[7]:

قلْ للّذي كاد لولا خطُّ لحيتِه يكونُ أنثى عليها الوَدْعُ والمسَك[8]
أمّا الفخامةُ أو خَلقُ الرجال فقد أعطيتَ منه لو أنَّ اللُبَّ مُحتنِك[9]

---

(١) الأبيات من قصيدة طويلة في ديوانه ٣٠٩.

(٢) جفنة: أبو ملوك الغساسنة، ملوك الشام، وهو جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف.
ومارية: مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة.

(٣) يغشون: يقصدون من قبل الأضياف، تهرّ: تنبح.

(٤) السويق: الخمر، وعقيبة بين الخليص والقديد. (القاموس).

(٥) هو نعيم بن عمرو بن سنان بن سمي بن سنان، كان من أجمل الناس، وفيه تأنيث. (انظر الشعر والشعراء ٥٢٩).

(٦) الصحناة: أدام يتخذ من السمك الصغار مشهٍ مصلح للمعدة.

(٧) الأبيات ١ ـ ٣ في التاج ١٢٩/٧. والأول والثالث في الشعر والشعراء ٥٢٩/٢ واللسان ٣٠٧/١٢. وعجز الثالث في المحكم ١٥٨/١.

(٨) في الشعر والشعراء واللسان والتاج: عليه الدر والمسك. وفي الأصل: والسمك، وهو تحريف.
والودع: خرز بيض تخرج من البحر بيضاء، تعلّق لدفع العين.

(٩) المحتنك: الذي أحكمته التجارب.

هـل أنـت إلا فتـاةُ الحـيِّ مـا لبسـوا　　أمنـاً وأنـتَ إذا مـا حـاربـوا دُعَـكَ[1]
لا تحسبنِّـي كـأقـوامٍ غمـزتَهـمُ　　غمزَ الضعيفِ فما أعطوا وما تَركوا

● ١٣٠ ـ حدّثني الزبير قال:

دخل المذنوبُ الهمداني من ودَاعَة[2] همدان مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فجلس إلى عبد الرحمٰن بن حسّان. قال أبو عبد الله الزبير[3]: وكان عبد الرحمٰن معنًّا شريراً، هجّاءً للناس، مبتدياً لهم. فقال للمذنوب: ممّنْ أنتَ؟ قال: من أهل العراق. فاغتمزَ فيه، فقال:

أميـزانـان مـن شـؤم ولـؤم　　أحـبُّ إليـك أمْ عـدلا قبـوح

فقال له المذنوب:

جـذامٌ نـازلٌ بـك غيـر شـكٍّ　　أحـبُّ إليـكَ أم بـرصٌ[4] يلـوح

قال: أنت المذنوبُ؟ قال: إنّ ذاك ليقال[5]. قال: إني عائذٌ بك.

● ١٣١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني شيخ من الأنصار قال:

جاء عبد الرحمٰن بن حسّان بن ثابت إلى قباء[6]، فسمعَ رجلاً من بني عمرو بن عوف يتغنّى في رأس عَذقٍ يقول:

لنـا فـرعُهـا الأعلـى وطِيـبُ تُـرابِهـا　　ودارُ بنـي النّجـار قـاصِيَـةٌ وَغْـل[7]

---

(١) في الشعر والشعراء: فتاة الحيّ إن أمنوا .. يوماً.
الدعك: الضعيف الهزأة. وفي هامش الأصل: دعك: قليل الخير ملتات.
(٢) في الأصل: وادعة. وما أثبتناه الصحيح، وهم من همدان، رهط بن مسروق بن الأجدع. (انظر المعارف ١٠٥).
(٣) سقطت كلمة (الزبير) من ب.
(٤) في ب: أبرص.
(٥) في ب: يقال.
(٦) قباء: قرية قبل المدينة، وقيل: كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المقدسة، والطريق إليها من حدائق النخل، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار. (انظر المغانم المطابة ص ٣٢٣).
(٧) في ب: قاضية. ووعل: المنطقة الجبلية.

فقال عبد الرحمٰن بن حسّان: (٧٢ ظ /)

كـذبتـم بـل أنتـمُ معشـرٌ أهـل حَـرَّةٍ نفوكمْ وحَلّوا بالدِّماثِ[١] وبالسهل
أبـوا واستعفّـوا أنْ يُـرى بجلـودهـم ندوبٌ فباعوا السقيَ بالحلة البعل[٢]

● ١٣٢ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني عمي عن الهيثم عن ابن دأبٍ، قال: حدّثنا شعيب بن صفوان[٣]:

أنّ عبد الرحمٰن بن حسّان كان يشبّب بابنة معاويةَ ويذكرُها في شعره، فقال الناسُ لمعاوية: لو جعلتَه نكالاً[٤]؟ فقال معاوية: لا، ولكنّي أداويهِ بغير ذلك، فأذنَ له، وكان يدخلُ عليه في أخريات الناسِ، فأجلسه على سريره معه، ثم أقبل عليه بوجهه وحديثِه، ثم قال: إن فلانةَ ـ لابنة له أخرى ـ عاتبةٌ عليك. قال: وفي أيِّ شيءٍ؟ قال: في مدحتك[٥] أختها وتركِها، قال: فلها العُتبى وكرامة، أنا ذاكرُها، وممتدحُها، فلمّا فعلَ، وبلغَ ذلك الناسَ، قالوا: قد كنّا نرى أن تشبيبَ ابنِ حسّان بابنة معاوية لشيءٍ، فإذا ذلك عن رأي معاويةَ وأمره[٦].

● ١٣٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني الأثرم عن أبي عُبيدة قال: حدّثني أبو حيّةَ النُميري[٧] قال: حدّثني الفرزدقُ قال:

كنّـا فـي ضيـافـةِ معـاويـةَ، ومعنـا كعـبُ بـن جُعيـل التغلبـيّ[٨]، قـال:

---

(١) الدّماث: واحدها الدمث وهو المكان.
(٢) البعل: كل نخل وشجر وزرع لا يسقى، أو ما سقته السماء.
(٣) الخبر في الأغاني ١٥/ ١١٠ دار الكتب. بالسند نفسه وفي العفو والاعتذار ١/ ٥٨.
(٤) نكالاً: صنعت به صنيعاً يكون فيه عبرة لغيره.
(٥) في ب: مدحك.
(٦) في الأغاني: وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنت أخرى، أنه إنما خدعه يشبب بها. ولا أصل لها فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لما ذكر الثانية.
(٧) في البيان والتبيين ١/ ١٧٢: قال أبو الوجيه. وأبو حيّة: هو الهيثم بن ربيع شاعر مخضرم، أدرك الدولتين الأموية والعباسية. وكان أهوج جباناً بخيلاً كان يروي عن الفرزدق. (انظر ترجمته في الأغاني ١٦/ ٢٣٦ الثقافة وابن المعتز ١٤٣).
(٨) هو كعب بن جعيل بن عجرة بن قمير، شاعر معاوية وأهل الشام، يمدحهم ويرد عنهم ويرثي =

فحدّثني[1]: أنّ يزيدَ بن معاوية قال له: إنّ ابن حسّان قد فضحَ عبد الرحمٰن بن الحكم[2]، وغلبَه، وفضحنَا، فاهجُ الأنصارَ قال له: أرادّي أنتَ في الشركِ[3]؟ أهجو أقواماً نصروا رسول اللّهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ وآوَوه، ولكنّي أدلُّكَ على غلامٍ منا نصرانيٍّ لا يبالي أن يهجوهم[4]، كأنّ لسانَه لسانُ ثورٍ. قال: من هو؟ (٧٣ وَ /) قلتُ: الأخطلُ. فدعاه فأمره بهجائهم. قال: على أن تمنعني. قال: نعم.

● ١٣٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني:

أنّ عبد الرحمٰن كان يشببُ برملةَ بنتِ معاوية، فأمرَ يزيدُ كعب بن جُعيل أنْ يهجوه فدلّهُ على الأخطل. وقال غيرُ المدائني: لمّا غلبَ ابنُ حسّانَ عبد الرحمٰن بن الحكم، دسّ معاويةُ ابنَه يزيدَ إلى الأخطل، فأمره بهجائهم فهجاهم فقال[5]:

ذهبتْ قريشٌ بالسَّماحة والنَّدى ... واللُّؤمُ تحت عمائم الأنصار
قومٌ إذا هدرَ العصيرُ رأيتَهم ... حُمراً عيونُهم من المُسطار
وإذا نسبتَ ابنَ الفُريعة خِلتَه ... كالجحشِ بين حِمارةٍ وحمار

فردّ عليه النعمانُ بن بشير[6]:

أبلغ قبائل تغلب ابنة وائلٍ ... مَنْ بالفراتِ وجانبِ الثَّرثار[7]

= موتاهم، شهد مع معاوية صفين، ونظم فيها أشعاراً كثيرة. (انظر ترجمته في المرزباني ٣٢٣ والشعر والشعراء ص ٥٤٣ وابن سلام ٤٨٥).

(١) انظر النص في البيان والتبيين ١/ ١٧٢ والشعر والشعراء ص ٣٩٤.

(٢) هو عبد الرحمٰن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية، أخو مروان بن الحكم، شاعر إسلامي كان يهاجي عبد الرحمٰن بن حسان. (انظر الأغاني ١٢/ ٦٩ ـ التقدم ـ).

(٣) في البيان والتبيين: إلى الإشراك بعد الإيمان.

(٤) أضاف في الشعر والشعراء: كافر شاعر.

(٥) ديوان الأخطل ص ٣١٤ والأغاني ١٣/ ١٤٢.

(٦) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، وهو ابن أخت شاعر الرسول ﷺ عبدالله بن رواحة، كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً. استعمله معاوية على الكوفة ونقله من أمرة الكوفة إلى أمرة حمص، قتل في الشام سنة خمس وستين. (الإصابة ٣/ ٥٢٩ والمعارف ٢٩٤).

(٧) الأغاني ١٣/ ١٤٧.

فـاللـؤمُ فـوق أنـوفِ تغلـب بيّـنٌ ... كـالـرَّقـمِ فـوق ذراعِ كـلِّ حمـار[1]

فقال الأخطل:

عـذرتُ بنـي الفُـريعـةِ أنْ هجَـونـي ... فمـا بـالـي وبـالُ بنـي بشيـرِ[2]

أفيجـعُ مـن بنـي النجّـار شَـثْـن[3] ... شـديـدُ القُصْـريَيْـن مـن السَّحـور

قال: فلما بلغ بني النجّار قولُ الأخطل، خرج وفدٌ منهم حتى قدموا على معاويةَ فلما دخلوا عليه، وضعوا عَمائهم، وقالوا: أترى لؤماً يا أميرَ المؤمنين[4]؟ واستعدوا على الأخطل، فقال: لكم لسانُه إلاّ أن يكونَ يزيدُ أجاره، ودسّ (٧٣ ظ /) إلى يزيد فأجاره، فلم يصلوا إليه فقال يزيد:

دعا الأخطلُ الملهوف بالشرِّ دعوةً ... فـأيّ مجيـب كنـتُ لمّـا دعـانيـا

ففـرّجَ عنـه مشهـدَ القـومِ مشهـدي ... وألسنـة الـواشيـنَ عنـهُ لسـانيـا[5]

قال: وكان أشدّ القوم على الأخطل النعمان بن بشير يقول الأخطلُ[6]:

أبـا خـالـدٍ[7] دافعـتَ عنـي عظيمـةً ... وأدركـت لحمـي قبـل أن يتبـدّدا

وأطفـأتَ عنّـي نـار نُعمـانَ بعـدمـا ... أغـذَّ لأمـرٍ فـاجـرٍ[8] وتجـرّدا

وقال ابن حسّان يعني معاويةَ:

ألا مَـنْ رسـولـي أصلـح اللّـهُ بـالـه ... وأعطي من الحاجات ما كان يطلبُ

يبلّـغْ أميـرَ المـؤمنيـن رسـالـةً ... تنخّلَهـا ممـلٍ وآخـرُ يكتـب

فيخبـرُ فيهـا أنّ بينـي وبينـه ... أواصـرُ لا تُـرعـى ولا هـي تقـرب

---

(١) في الأغاني: بين أنوف تغلب.

(٢) الأغاني ١٣/١٤٧.

(٣) شثن: الغليظ الخشن.

(٤) في الأغاني: أن الذي وضع العمامة هو النعمان بن بشير.

(٥) الخبر والشعر في الأغاني ١٣/ ١٤٧ والعفو ١/ ٦٥.

(٦) البيتان من قصيدة يمدح بها يزيد لوقوفه في وجه النعمان والأنصار في ديوانه ١٠٢.

(٧) يريد بأبي خالد يزيد بن معاوية.

(٨) في الأغاني: عاجز.

وأنّ يــزيــد ليــس يطلــبُ عنــدنــا كتــابــاً ولا حقّــا وذو الحــق يَطلُــب
وأنّ يـــزيـــد كـــان فـــي متنـــزّهٍ وفـــي معـــزلٍ عمّـــا تـــداول تغلِـــب[1]
رجــالٌ أصِحّــاء الجلــود مــن الخَنــا والسنــةٌ معــروفــةٌ أيــن تــذهَــب[2]
فـــلا تجعلنّـــا لُعبـــةً لقطينـــه فيعلــم إنْ عشنــا بمــن كــان يلعَــب[3]
وأنّــي ممّــا أخمــدُ الحــربَ تــارةً وأحمَــلُ أحيــانــاً عليهــا فــأركــب

● ١٣٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب، وحدّثني محمد بن الحسن المخزومي عن إبراهيم بن جعفر عن سعد بن سعيد بن قيس الأنصاري، قال:

لمّا (٧٤ و /) أراد عبد الرحمٰن بن حسّان أن يُهاجي النجاشي[4] قال له أبوه: هلمّ فأنشدْني من شعرك، فإنك تهاجي النجاشيّ أشعرَ العربِ، فأنشده فأهوى حسّانُ إلى شيءٍ خلفَه فعلاه ضرباً، ثم قال: يا عاضَّ بُظرَ أمِّهِ أبهذا تهاجيه[5]؟ اذهبْ، فقل ثلاثَ قصائد قبلَ أنْ تُصبحَ. قال: فقال ثلاثَ قصائد، ثم جاءه فعرضها[6] عليه. فقال حسّانُ: يا بُنيّ، اذهب فابسِط الشرَّ على ذراعيك، قال: يا أبه ما هذه وصيّةُ يعقوب بنيه[7]، وقام، فقال حسّان: يا بنيّ، ما أبوك مثلُ يعقوب، ولا أنتَ مثلُ بني يعقوب، اعمد إلى امرأةٍ لطيفةٍ بأختِ النجاشيّ فمرْها فلتصفْها لكَ، واجعلْ لها جُعلاً، ففعلَ، فوصفتْ له أشياءَ ذكرت خالاً[8] وشامةً، وقال: فخرجَ عبد الرحمٰن حتى هبطَ مكةَ،

---

(١) في ب: عما تزاول. والبيت في الحيوان ٦/ ٣٥٤.
(٢) البيت في البيان والتبيين ١/١٤٨.
(٣) سقط البيت من ب.
(٤) هو قيس بن عمرو بن مالك، من بني الحارث بن كعب، سمي النجاشي لأن لونه كان يشبه لون الحبشة، وكان فاسقاً رقيق الدين. (انظر ترجمته في الخزانة ٤/٣٦٨ والشعر والشعراء ٢٤٦).
(٥) سقط هذا السؤال من ب ابتداء من (أبهذا).
(٦) في ب: يعرضها.
(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (البقرة آية ١٣٢).
(٨) سقطت جملة (ذكرت خالاً) من ب.

فلما كانت أيامُ منىً، قيل له: إن ها هنا نفراً من بني عامرٍ إخوةٌ مطاعينُ في قومهم[١]، فخرج إلى أمّهم يكلمها، وانتسبَ لها، وذكر الذي أراد فأرسلت إليهم، فقالت: قوموا مع هذا الرجل، وكلموا بني عمِّكم من يقوم معه[٢]، ففعلوا وجعلوا له غبيطاً[٣] على نجيبةٍ[٤]، وجعلوا فوق الغبيط رجلاً، فجاء مشرفاً على الناس، وجاء النجاشيُّ على فرسٍ وهو يقول:

أنـا النجـاشـيّ علـى جَمّـازِ ... فـرّ ابـنُ حسّـان بـذي المَجـاز[٥]
وراغَ لمّـا سمـع ارتجـازي ... روغَ الحُبـارى مـن خَـواتِ البـاز[٦]

وقال ابنُ حسّان:

يـا هنـدُ يـا أختَ النجاشيّ اسلمي ... هـل تـذكـريـنَ ليلـةً بـإضَـم[٧]
وليلـةً أخـرى بجـوِّ الحـرَم ... والشّـامـةَ السـوداء بـالمخـدم[٨]

(٧٤ ظ /) والخالَ بالكِشحِ اللطيفِ الأهضم[٩]

فانكسرَ النجاشيُّ لصفته، وقال النجاشيّ[١٠]:

ستـأتـي اليهـوديين حسّـانَ وابنَـه ... قصـائدُ لـم يختـمْ[١١] عليهـنّ رَوْشم
لعيـنَ رسـولِ الله مـا لـكَ ذمّـةٌ ... ومـا لـكَ مـن ديـنٍ ومـالَـكَ محـرم

---

(١) في ب: في قولهم.
(٢) سقطت عبارة (من يقوم معه) من ب.
(٣) الغبيط: المركب.
(٤) نجيبة: ناقة.
(٥) الجمّاز: البعير.
وذو المجاز: موضع، وسوق للمناسبات قرب مكة والنص في شعره ١٦٦.
(٦) الحبارى: طائر للذكر والأنثى، والواحد والجمع.
والخوات: دويّ جناح العقاب.
(٧) إضم: جبل. والوادي الذي فيه المدينة المنورة، وماء بين مكة واليمامة.
(٨) مخدم: كمعظّم، موضع الخلخال، رباط السراويل عند أسفل رجل المرأة.
(٩) الخال: الشامة. والكشح الأهضم: قلة انحفار الجنبين.
(١٠) النص في شعره ١٨٧.
(١١) في ب: مختوم.

أبـــوك أبـــو سَـــوْءٍ وعمُّـــك مثلُـــه وخـــالُـــك شـــرٌّ مـــن أبيـــك والأم

فقال ابنُ حسّان:

ألا تـــرونَ العبـــدَ إذ يهجـــو مُضَـــرْ منّـــا رســـولُ اللّـــهِ والقَـــرْمُ عُمـــر(١)

وقال أيضاً:

أشهـــد كـــلَّ مسلـــمٍ شَهـــاده مَـــنْ لا يَبِيـــعُ دِينَـــه تـــلادَه(٢)
مـــا بيـــن أقصـــى ضـــرغـــد فصـــادَه أو ملـــك تلقـــى لـــه آســـاده(٣)

وقالَ النجاشيّ لقريشٍ، وكان هواهم مع ابنِ حسّانَ، ويقال: بل قالَها حينَ ضربَه [أميرُ المؤمنين](٤) عليٌّ بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ(٥) الحدَّ بالكوفة، ونفاه عنها(٦):

ظهـــرَ النبـــيُّ ومـــا قـــريـــشٌ وسطنـــا إلاّ كمثـــلِ قُـــلامـــةِ الظُّفـــر
فعســـى قـــريـــشٌ أن تـــزلَّ بهـــا غـــداً نعـــلٌ فنقسِمَهـــا علـــى ظهـــر

● ١٣٦ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني الأثرمُ عن أبي عبيدةَ قال:

---

(١) القرم: السيّد.
(٢) التلاد: ما ولد عندك من مالك أو نتج.
(٣) في ب: ما بين أقصى ضرعه فصاده أو ملك يلقه له إسناده.
(٤) ما بين الحاصرتين تكملة من ب.
(٥) في ب: كرم الله وجهه.
(٦) جاء في ضربه الحدّ ونفيه: أنه خرج في رمضان على فرس له بالكوفة يريد الكناسة، فمر بأبي سمال الأسدي، فوقف عليه، فقال: هل لك في رؤوس حملان في كرش في تنور من أول الليل إلى آخره قد أينعت وتهرأت فقال له: ويحك، أفي شهر رمضان تقول هذا؟ قال: قال: أشهر رمضان وشوال إلا واحداً. قال: فما تسقيني عليها؟ قال: شراباً كالورس، يطيب النفس، ويجري في العرق، ويكثر الطرق، ويشد العظام، ويسهل للغير الكلام فثنى رجله فنزل، فأكلا وشربا، فلما أخذ فيهما الشراب تفاخرا، فعلت أصواتهما فسمع ذلك جار لهما، فأتى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فأخبره، فبعث في طلبهما، فأما أبو سمّال فشق الخص ونفذ إلى جيرانه فهرب، فأخذ النجاشي فأتى به علي بن أبي طالب، فقال له: ويحك، ولداننا صيام وأنت مفطر؟ فضربه ثمانين سوطاً وزاده عشرين. فقال له: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟ فقال: هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان، ثم وقفه للناس ليروه. (الشعر والشعراء ٢٤٦ والخزانة ٤/٣٦٨).

هاج الهجاء بين النجاشيّ من بني الحارثِ بن كعب وبين عبد الرحمٰن بن حسّان، أنّ امرأةً من بني الحارث بن كعب كانت ناكحاً بالمدينة عند رجلٍ من بني مخزوم، وكانت من أجمل النساء، فكان ابنُ حسّان يشبّبُ بها حتى يرقا ذلك، فهجاه النجاشيُّ، (٧٥ و /) وردّ عليه ابنُ حسّانَ، فتهاديا الشعرَ حيناً، وابنُ حسّان بالمدينة، والنجاشيُّ بنجران، ثم إنهما اتّعدا سوق ذي المجاز وكانت تقومُ حين يستهلُّ هلالُ ذي الحجّة، ثلاثةَ أشهر، ومنها كان يتجهّزُ الناسُ، ويمضون إلى مكةَ إلى الموسم، قال: فقالت الأنصارُ ـ وأتاهم ابنُ حسّان يستنفرُهم ـ شاعران سفيهان، يهجوان الناسَ ويُحييان أمرَ الجاهلية، فلم تنفرْ معه جِلّتُهم[١]، ولا ذوو أسنانهم[٢]، وخفّ معه شبابٌ من سفهائهم وفتيانٌ[٣] من قريشٍ، وأفناءُ أهل المدينة. قال عياض بن أبي واقد اللّيثيّ، وكان مع ابنِ حسّان قال: لمّا قدمنا ذا المجاز، إذا النجاشيُّ قد وافى في بشرٍ كثيرٍ، فلمّا رأى ذلك ابنُ حسّان سألَ: مَنْ أعزُّ مَنْ ها هنا؟ قالوا: هذه بلاد هوازن، وقد نزلنا بيهس بن عقال العقيلي، قال: فأتيناه فلم نصادفْه، ووجدنا امرأةً، فسألناها عنه، فقالت: ليس هو ها هنا، انطلقَ يشتري كسوةً لأهلِه، قال: فقعدنا، فإذا الشيخُ قد أقبلَ، ومعه رجلٌ حاملٌ رزمةً من ثيابٍ، وفي كفٍّ بيهسٍ أثوابٌ كأنه يشتد[٤] بها، وإذا هو دالفٌ حتى إذا انتهى إلينا وضعَ ما معه، ورَحّبَ بنا ونسَبَنا، فقال عبد الرحمٰن: أنا ابنُ حسّان بن ثابت، فرحّبَ به، وقال: حاجتُك؟ فقال: إنّ النجاشيَّ يهجونا ويُقطّع أعراضَنا، فواعدته، وقد وافى في بَشَرٍ كثيرٍ، فأردتُ أنْ تمنعَني حتى ألقاه، فأوافقُه. فقال: نحِّ هذا عنّي يا ابنَ أخي إلى غيري، فقد نويتُ الحجَّ، وأردتُ أن لا أدخلَ فيها (٧٥ ظ /) شيئاً غيرَها، قال: ولعلّي لا أرى حجّةً بعدَها. قال: فطلبنا إليه فأبى، فانصرفْنا، فلما جاوزنا سمِعنا امرأتَه تقول له: كأني بهذا المولى قد قال لكَ قولاً لا ينكحُ بنتاً لك كفؤ أبداً، أتاك رجلٌ من الأنصار لتمنعهُ

---

(١) جلتهم: عظماؤهم وكبراؤهم.
(٢) في ب: أنسابهم.
(٣) في ب: وصبيان.
(٤) في ب: يشتريها.

فنبوتَ عنه. فقال لها: ويحكِ أدعيهم فدُعينا[١]، فرجعنا، فقال: نعم، أنا أمنعُكَ فمتى واعدته؟ قال: بالغداةِ. قال: فغدونا، وجاء النجاشيُّ على جمّاز، وجاء بيهسٌ، فلما تناقضا، جعل بيهسٌ يرى أبصارَ الناسِ إلى النجاشيّ[٢]. وقد [كان][٣] كلَّ سمعُه من الكِبَر.

قال: فلما رأى ذلك ظنَّه قد غلبَه، فقال: أدنوني، فأدنوه من النجاشيّ، فسمعَه يقولُ، فشُقَّ عليه، وسمعَه يقولُ:

بنى اللؤمُ بيتاً فاستقرَّ عمادُه ... عليكم بني النجّارِ ضربَة لازم[٤]

فلما سمعها كلَّحَ، فقال: يا آل هوازن. فلم يبقَ بيتٌ ولا خيمةٌ إلاّ قُوِّضتْ، ولم أرَ إلاّ قوائم جَملِ النجاشي، وأفلتَ فولجَ فسطاطاً ثم خرج من ناحيته، واتّبعوه، وجاء رجلٌ من بني قاربِ ابن الأسودِ الثقفيّ، على فرَسٍ فأردفه. قال: فسبقَ به حتى فاتَ القومَ. فقال النجاشيّ يعمّ[٥] الأنصارَ:

وهلْ أنتمُ إلاّ كأبناء نهشلٍ ... وآلِ فُقَيم قُتِّلوا ومُجاشِع
بذنبِ سُويد وهو من آلِ دارم ... لزيد بن عبد الله والأمرُ جامع[٦]

قال: ورجزَ به فقال[٧]:

إذا دعوتَ مَذحجاً وحميَرا ... والعُصب اليمانيّات الأخرا
فما أعزَّ ناصري وأكثرا

قال: واخترط رجلٌ من حِميَر سيفَه فضربَ (٧٦ و/) به عُرقوبَ بعيرِ ابن حسّان، فقال حين كُسِر:

---

(١) في ب: فدعتنا.
(٢) سقط سطر من ب ابتداء من (وجاء بيهس).
(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من ب.
(٤) ضربة لازم: ضربة لاصق ثابت.
(٥) في ب: يعني والنص في شعره ١٧٠.
(٦) فقيم بن جرير بن دارم، وزيد بن عبد الله بن دارم. قبيلتان، يضربان مثلاً للقبيلة تؤتى إذا برزت عليها أختها. (انظر البيان والتبيين ٢/ ٤٠).
(٧) الرجز في شعره ١٥٦.

لقد شَمِتوا حينَ استخفّ حلومُهم ... كأنّ فتىً لم ينكسِر ساقُه قبلي
وإني لأرجو أنْ يروني وأنْ أرى ... سَوِيًّا كأني غصنُ بانٍ على نَجل[1]
وأمسي تحلّات النجاح مُجازياً ... يؤدّي أهل الودّ والتبل بالتبل[2]
كأني أخو الحلفاء أصبح غازيا[3] ... شديدُ مشكّ الرأسِ جهمٌ أبو شبل
تبيتُ بعوضُ الجدّ يعزفنَ حوله ... كعزف القِيان الضارباتِ على الطبل
إذا أنا قضّيتُ الأمانيَ خاليّاً ... فأوّلها التقوى ومشيٌ على رِجل
كسيرتِها الأولى وذلك نالها[4] ... إذا عدت الأشياء عندي فمَنْ مثلي
وما أنس مل الأشياءِ لا أنسَ مصرعي ... عَشيّةَ جمعٍ والمغيرون[5] في شُغل
صريعاً وأيدي[6] السانحات يَرِدنني ... كما ورد اليعسوبَ رِجْل[7] من النَحل
فأدركني ربّي بفضلٍ ونعمةٍ ... وما زالَ عندي ذا بلاءٍ وذا فضل
توحّد بالنُعمى عليَّ فأصبحت ... مصائبها كالثوب أنقيَ بالغُسْل[8]

آخر الجزء السادس عشر من أجزاء أبي عبد الله الكاتب. وأول الجزء السابع عشر من أجزائه. وترجمته الرابع من الرابع من الموفقيات، وهو آخره. وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين[9].

● ١٣٧ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال: حدّثني الزبير بن بكّار قال: حدّثني أسباط بن عيسى العُذري عن أشياخ قومِه، قالوا:

---

(١) النجل: الماء القليل، والنز يخرج من الأرض ومن الوادي.
(٢) تحلات: واحدها تحلّة، وهي ما كفّر به.
التبل: العداوة.
(٣) في ب: عاديا.
(٤) في ب: أنها.
(٥) في ب: والمغيرف.
(٦) في ب: بأيدي.
(٧) رجل: الطائفة من الشيء.
(٨) في ب: فأصبحت وأعراضنا في الثوب.
(٩) كذا في النص ولا يوجد هذا التقسيم في ب.

لمّا أخرج بهُدبةٍ بن الخشرم[١] ليُقتلَ، لقيَه عبدُ الرحمٰن بن حسّان فقال له متعنّتاً له: يا هُدبةَ أنشدني. قال: على هذا الحال؟ قال: نعم. قال هُدبة[٢]:

ولستُ بمفراح إذا الأمرُ سرّني ... ولا جازعاً من صرفِه المتقلّب[٣]
ولستُ بباغي الشرِّ والشرُّ تاركي[٤] ... ولكنْ متى أحمل على الشرِّ أركب
وحَرَّبني مولايَ حتى غَشيتُه ... متى ما يُحرِّبك ابنُ عمِّك تحرَب[٥]

فقال له عبد الرحمٰن:

علمتَ أني أريدُ أن أتزوجَ امرأتَك بعدك؟ قال: أمّا أني قد نهيتُها عنك حيث أقولُ[٦]:

لا تنكحي إنْ فرَّقَ الموتُ بيننا ... أغمَّ القَفَا والوجهِ ليس بأنزعا[٧]
ضروباً بلحيَيه على عظمِ زوْره ... إذا القومُ هشُّوا للفعال تقنَّعا
أصيهبَ لا يُرضيكِ في الحيّ جالساً ... إذا ما مشى أو قال قولاً بلتَعا[٨]

يقال: رجلٌ بلتعان إذا كان يكثر كلامَه بالمُحال[٩].

---

(١) هو هدبة بن الخشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن، يكنى أبا سليمان، وهو شاعر مفلق كثير الأمثال في شعره، قتل ابن عمه زياد بن زيد العذري في أيام معاوية، فحبسه سعيد بن العاص خمس سنين أو ستاً، إلى أن بلغ المسور بن زيادة وكان صغيراً فقتله بأبيه. (ترجمته في المرزباني ٤٦٠ والشعر والشعراء ٥٨١).

(٢) الأبيات في الشعر والشعراء ٥٨١ والأول والثاني في المرزباني ٤٦٠.

(٣) في الشعر والشعراء والمرزباني: إذا الدهر. وفي الشعر والشعراء. ولا جازع.

(٤) في الشعر والشعراء: ولا أتمنى الشرّ والشرّ تاركي.

(٥) في الشعر والشعراء: أخذه من تأبط شراً.

لست بمفراح إذا الدهر سرّني ... ولا جازع من صرفه المتحوّل

(٦) البيت الأول وآخر له في المحاسن والمساوىء ٤٨١. والأول والثاني في الشعر والشعراء منسوبان إلى هدبة.

(٧) في الشعر والشعراء: إن فرق الدهر بيننا. وأنزع: الذي انحسر الشعر من جانبي جبهته.

(٨) بلتعا: أفصح في كلامه.

(٩) سقط هذا الخبر بأكمله من ب.

● ١٣٨ ـ حدّثني الزبيرُ قال:

لمّا وصفَ عبدُ الرحمٰن أختَ النجاشيّ انكسَرَ النجاشي لصفته. قال: وبطح ابن حسّان عن الرَّحل فسقط، فانكسرت رجلُه، وجاء رجلٌ من هُذيل إلى حسّان فقال: قدم مسابق[1] الحجّاج قال: فأخبر ماذا[2]؟ قال: التقى ابنُك والنجاشيُّ. قال: فأيُّهما غلبَ؟ قال: غلبَه النجاشيُّ. فأهوى حسّانُ إلى ذكرِه، فقبضَ عليه، وقال: ما خرجَ إذاً من هذا، مَنْ أنتَ؟ قال: (٧٦ ظ /) رجلٌ من هُذيل. فقال حسّان يهجو القائلَ الهذلي[3]:

فمَنْ يكُ بين هُذيلِ الخَنا ... وبين ثُمالة لا يفزع[4]
صِغارُ الجماجم ثُطُّ اللحى[5] ... كأنهم القَملُ بالبَلْقع
إذا ورد الناسُ حوضَ الرسولِ ... ذِيدت هُذيلُ عن المشرع

قال: فجاءته هذيلٌ فكلّمته، فقال: واللّهِ لو لم يأتوني ما زلتُ أرجز بهم حتى الحول. ولحّ الهجاءُ بين النجاشيّ وحسّان، فأرسل إليه النجاشيُّ بأبيات من شعر منها[6]:

بنى اللؤمُ بيتاً فاستقرَّ عمادُه ... عليكم بني النجّار ضربةَ لازم

وأرسل إليه ببيتٍ آخر[7]:

لو كان عذرٌ مهلكاً أهلَ قريةٍ ... من الناسِ أفنى باقيَ الخزرج الغدر

فدخل بهما عبد الرحمٰن بن ضِرار الجُشَمي على حسّان، فقال: يا أبا الوليد أما

---

(١) في ب: سابق.
(٢) في ب: فأخبره بماذا.
(٣) سقطت كلمة (الهذلي) من ب.
(٤) ثمالة: من الأزد.
(٥) الثط: واحدها الثط بفتح الثاء، وهو الكوسج أو القليل شعر اللحية.
(٦) البيت في شعره ١٨٩.
(٧) البيت في شعره ١٥٩.

سمعتَ هذين البيتين اللذين أهدى إليكم النجاشيُّ، فقال: أعرضهما عليّ، ففعلَ فأنشأ حسّانُ يقول[1]:

يــا راكبــاً إمّــا عــرضــت فبلِّغــنْ   عبــدَ المَــدان وجُــلَّ آل قَنــان[2]
قـد كنـت أحسبُ أن أصلي أصلكمْ   حتـى أمـرتـم عبـدَكُـم فهجـانـي[3]

وقال أيضاً[4]:

أبنــي الحِمــاسِ ألا مــروّة فيكــم[5]   إنّ المــروءَةَ فــي الحِمــاس قليــل
هيّجتُــم حسّــان عنــد ذكــائــهِ   غــيٌّ لمــا ولــد الحمــاسُ طــويــل[6]

وقال أيضاً[7]: (٧٧ و /)

حاربن كعب ألا الأحلام تزجركم   عنّي وأنتم من الجُوف الجماخير[8]
لا عيبَ بالقوم من طولٍ ومن عِظَم   جســمُ البغــال وأحــلامُ العصــافيــر[9]
دعوا التخاجي وامشوا مشيةً سُجُحاً   إن الرجال أولو عَصْب وتذكير[10]

---

(١) البيتان في ديوانه ص ٤٢٠ وفيه أنه قالهما يهجو بني الحماس، وهو ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب المجاشعي.
(٢) في الديوان: آل قيان. وعبد المدان هو ابن الديان بن قطن بن زياد وهم سادات بني الحارث بن كعب، رهط النجاشي.
(٣) عبدكم: النجاشي الذي كان يشبه الحبشة في لونه.
(٤) البيتان في ديوانه ٣٥٧.
(٥) في الديوان: أبني الحماس أليس منكم ماجد.
(٦) في الديوان: هاجيتم .. غي لمن ولد.
وعند ذكائه: أي عند تمامه واستتمام الغاية لديه وحنكته.
(٧) الأبيات في ديوانه ص ٢١٣.
(٨) في ب: ألا الأرحام. وفي الديوان: تزجركم عنا.
الجوف الجماخير: الواسعو الأجواف. وفي شرح الديوان والمراد الضعفاء المستريحون.
(٩) في الديوان: لا بأس بالقوم.
(١٠) في الديوان: ذروا التخاجؤ ... إن الرجال ذوو ...
التخاجي: التباطؤ في المشي. ومشية سجحا: سهله.
وعصب: شدة.

كـأنّهـم قَصَـبٌ جـوفٌ أسـافلُـه مثقَّـب فيـه أرواح الأعـاصيـر[١]

وقال النجاشيُّ[٢]:

فلـم أهجكـم إلاّ لأنـي حسبتكـم
كـرهـط ابـن بـدرٍ أو كـرهـطِ ابـنِ معبـد[٣]

فلمـا سـألـتُ النـاسَ عنكـم وجـدتُكـم
بـراذيـن شُقـراً أربطـت حـول مِـذود[٤]

فـأنتـم بنـي النجّـار أكفـاء مثلُنـا
فـأبعـد بكـم عمّـا هنـالـك أبعـد[٥]

فـإن شئتـم نـافـرتـم عـن أبيكـم
إلـى مـنْ أردتـم مـن تهـامٍ ومُنجـد[٦]

ومـا كنـتُ أدرى مـا حسـامٌ ومـا ابنُـه
ولا أمُّ ذاك اليثـربـيّ المـولّـد

فلمـا أتـانـي مـا يقـولُ ودونـه[٧]
مسيـرةُ شهـرٍ للبـريـد المُبـرّد

[سمـوتُ لـه بـالمجـدِ حتـى رَدَدتـه
إلـى نسـبٍ نـاءٍ عـن المجـدِ مقعـد][٨]

● حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني الأثرمُ عن أبي عبيدة قال: فغلبَهم النجاشيُّ

---

(١) في الديوان: كأنهم خشب.
(٢) النص في شعره ١٤٠.
(٣) في ب: فما أهجكم . . . جئتكم.
(٤) في ب: ربطت . . . مرود. والبراذين: الدواب.
(٥) البيت والذي يليه في الخزانة ٤/ ٥٥. وفيها: ولستم بني النجار.
(٦) في ب: نافرتكم.
(٧) في ب: ما يقول.
(٨) سقط البيت من الأصل وأكملته من ب.

قال: وحسّان يومئذٍ شيخٌ كبيرٌ أعمى فقال يعيّرُ ابنه عبد الرحمٰن ويهجوهم[1]:

أمّــا الحِمــاسُ فــإنّــي غيــرُ شــاتِمهــمْ
لا هــم كِــرامٌ ولا عِــرضـي لهُــم خَطـر[2]
أولادُ حــامٍ فــلا تلقــى لهــم شبَهــاً
إلا التّيــوسَ علــى أقفــائهــا الشَعــر[3]

وقال[4]:

ألا أبلــغْ بنــي الــديَّــان عنّــي مغلْغلــةً ورهــطَ بنــي قيــان[5]
(٧٧ ظ /)
وأبلــغْ كــلَّ منتخَــب هــواءٍ رحيبِ الجوفِ من عبدِ المدَان[6]
ميــامــسُ غــزّةٍ ورمــاحُ غــابٍ خفــافٌ لا تقــوم بهــا اليــدان[7]
تفــاقــدتــمْ عــلامَ هجــوتمــونــي ولــمْ أظلــم ولــم أخلس لســانــي[8]

قال أبو عبد الله الزبير: الميمسُ الذي يسخر منه. وغزّة بالشام من عمل فلسطين وبها مات هاشمٌ بن عبد مناف[9]. وأمّا قوله:

لا تقوم بها اليدان. فشبههم بالقصب في ضعفه.

قــال: فلمــا بلــغ النجــاشــيّ أن[10] حسّــانــاً قــد هجــاه، رجــزَ بــه

---

(١) البيتان من قصيدة في ديوانه ٢٢٦.
(٢) الحماس: هو ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب. والخطر: المثل.
(٣) في الديوان: فلن تلقى . . . على أكتافها.
(٤) المقطوعة في ديوانه ٤٢١.
(٥) في ب: بني يمان.
(٦) في الأصل: حبيب الجوف. منتخب هواء ورحيب الجوف: بمعنى جبان، منخوب الفؤاد لا قلب له. انظر شرح الديوان.
(٧) في ب: خطاف مكان خفاف.
(٨) في ب: تقاذفتم. وفي الديوان: ولم أخلس بياني. لم أخلس: لم يسلب مني لساني.
(٩) هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ مات في غزة وبها قبره ولذلك يقال لها غزة هاشم.
(١٠) سقطت (أن) من ب.

فقال[1]:

يـــا أيهـــا الـــراكـــبُ ذو المتَـــاع ذو الـــرَّحْـل والبُـرديـن والإقطـاع
آذن بنـــي النجّـــار بـــالـــوقـــاعِ مـــن شـــاعـــرٍ ليـــس بمُستطـــاع
ليـس مـــن الهـــرمـــيّ ولا الجـزّاع لا يقتـــل الأقـــوامَ بـــالخـــداع[2]
إلاّ صميـــم النقـــر والمِصـــاع[3] يسبـــقُ شـــأوَ النُجُـــبِ السِـــراع
جـــاء علـــى نجيبـــةٍ وســـاع فـــي مـــوكـــبٍ عـــرمْـرمٍ قَضـــاع[4]
مثـــل أتـــيّ السيـــل ذي الـــدفـــاع إنـــي امـــرؤٌ أوفـــى علـــى يفـــاع[5]
فـــي حَلبـــات المجـــد والجُمـــاع

وهي طويلة.

وقال لحسّان وابنه:

إن اللعيـــنَ وابنَـــه غُـــرابـــا حسّـــانَ لمـــا ودّع الشبـــابـــا

قال أبو عبد الله: كان عبد الرحمٰن بن حسّان شديد السواد، فلذلك قال: وابنه غرابا.

ونقـــدتْ أنيـــابـــهُ وشـــابـــا اســـألْ رســـولَ اللّـــهِ والكتـــابـــا
مـــا بـــالـــه إذا افتـــرى وحـــابـــا وأخطـــأ الحـــقَّ ومـــا أصـــابـــا
(٧٨ و /)
فعجّـــل اللّـــهُ لـــه عـــذابـــا وأخَّـــر النـــارَ لـــه مـــآبـــا
يـــا شـــاعـــريْ يثـــربَ لا تـــرتـــابـــا ولا مُعـــافـــاة ولا عتـــابـــا
إذ تهجـــوان شـــاعـــراً غِضـــابـــا للشعـــراء واتـــراً غـــلابـــا

---

(١) النص في شعره ١٧١.
(٢) في ب: لا يقبل.
(٣) المصاع: المضاربة بالسيف.
(٤) في ب: في مركب. وعرمرم: الشديد والجيش الكثير.
(٥) في ب: بقاع.

لا مُفْحَمَ القولِ ولا هيَّابا كالليث يحمي جِزْعه الذئابا[1]
وأنت قينٌ تنحتُ الأقتابا[2] لشرٍّ أمرٍ إن دُعي أجابا

● ١٣٩ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني أبو غزيّة محمد بن موسى الأنصاري عن أبيه قال:

استثنى النجاشي على عبد الرحمٰن بن حسّان حين أجمعَ مهاجاتَه ألاّ يعينَه أبوه حسّانُ. فسأل حسانُ ابنَه عبدَ الرحمٰن عمّا قال للنجاشي في ليلته. فأنشده، فلم يرضَ حسّانُ فقال:

دعوا التخاجي وامشوا مشيّةً سُجحاً إنّ الرجال أولو عصَب وتذكير

فلما أنشدها عبدُ الرحمٰن للنجاشيّ، عفط في وجهه، وقال: بأستك[3]. أنت تحسنُ ترخيمَ الكلام. هذا كلامُ الشيخ.

● حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران قال:

اجتمعت الأنصارُ في مجلس، فتذاكروا هجاءَ النجاشيّ إياهم وقالوا: مَنْ له؟ فقال لهم الحارث بن معاذ[4]: حسّان[5] فقالوا[6]: واللّٰهِ إنَّ طعامه ليغلبَه من ضَعفِ حِنكه. فيعرضه للنجاشي ولم يبلغه شاعرٌ. فقال: واللّٰهِ ما أنزعُ قميصي حتى آتيه، فتوجه نحوه، وهم مُعظمُون لذلك. حتى دقّ عليه البابَ. فقال: مَنْ هذا؟ (٧٨ ظ /) فقال: الحارث بن معاذ. قال: افتحي فُريعةَ[7] لسيّدِ شبابِ الأنصار. فلما أنْ

---

(١) الجزع: الوادي أو منعطفه.
(٢) في ب:
وأنت فنن فتحت الأقتابا لشرّ أم إن دعي أجابا
(٣) في الأصل: بأسنانك.
(٤) انظر ترجمته في الإصابة ١/ ٢٩٠.
(٥) في الأصل: ابن حسان. وهو خطأ واضح.
(٦) في ب: فقال. وهو تحريف.
(٧) هي الفريعة ابنة خالد بن حبيش وقيل قيس بن لوذان الأنصارية والدة حسّان. واليها كان ينسب، =

دخلَ عليه شقّ قميصَه وأخبره الخبرَ. فقال: أينَ أنتم عن عبد الرحمٰن؟ قال: قد قاولَه عبدُ الرحمٰن فلم يصنعْ شيئاً. قال: كنْ وراء الباب واحفظْ ما ألقي عليك. فقامَ فضربَه البابُ فشجَّه، فقال: بسم الله، اللهمَّ احفظ عني[1] رسولَك. فعرفتُ واللَّهِ الغَلَبةَ إذ قالها ثم قال[2]:

أبنـي الحِمـاس أليـس فيكـم سيّـدٌ ... إن المـروءَةَ فـي الحِمـاس قليـل[3]
هيّجتُـم حسّـان عنـد ذكـائـه ... غـيٌّ لمـا ولـدَ الحمـاسُ طـويـل
إنَّ الهجـاءَ إليكـمُ لتعلّـةٌ ... فتحشحشـوا إنَّ الـذليـلَ ذليـل[4]
يـا ويـلَ أمّكـمُ ويـلَ أبيكُـم ... ويـلٌ تـرددَ فيكـمُ وعـويـل
لا تجـزعـوا أنْ تُنسَبـوا لأبيكـمُ ... فـاللـؤمُ يبقـى والجبـالُ تـزول
فبنـو زيـادِ لـم تلـذْك نحـولُهـم ... وبنـو صـلاءَةَ فحلُهـم مشغـول[5]
وسـرى بكـم تيـسٌ أجـمٌّ مُجـذَّرٌ ... مـا للـذَّمـامـةِ عنكـمُ تحـويـل[6]
فاللؤمُ حلَّ على الحِماس فما لهم ... كهـلٌ يسـودُ ولا فتـىً بُهْلُـول[7]

وقال أيضاً يهجوهم[8]:

أمّـا الحِمـاسُ فـإنـي غيـرُ شـاتِمُهـم ... لا هُـم كـرامٌ ولا عـرضـي لهـم خطـر

= وقد أسلمت، وذكرها ابن سعد في المبايعات وفي شرح الديوان سماها الفريقة، وقال إنها ابنته ويؤيد أنها ابنته ما سيأتي. (انظر الإصابة ٤/ ٣٧٥).

(١) في ب: في.
(٢) الشعر ومناسبته في الديوان ٣٥٧.
(٣) في الديوان: أليس منكم ماجد.
(٤) في الديوان لبعلّة. وتحشحشوا: تهيّبوا.
(٥) زياد: هو زياد بن عبد المدان، وبنو صلاءة من بني الحارث بن كعب.
(٦) في الأصل و ب: وسراتكم، والمثبت عن الديوان وهو أحسن.
أجمّ: كثير اللحم، ومجذر: قصير، والذمامة: الذم.
(٧) البهلول: السيد الجامع لكل خير.
(٨) الشعر في ديوانه ٢٢٦.

لا يـــربلـــون ولا يُلفـــى لهـــم شبَـــهٌ
إلا التيـــوسُ علـــى أكتـــافهـــا الشَّعَـــر[١]

إن ســـابقـــوا سُبقـــوا أو نـــافـــروا نُفِـــروا
أو كـــاثـــروا واحـــداً مـــن غيـــرهـــم كُثِـــروا[٢]

شِبـــه الـــزغـــاليـــل لا ديـــنٌ ولا حسَـــبٌ
لـــو قـــامـــروا الـزّنـج عـن أحسـابِهـم قُمِـروا[٣]

وقال أيضاً يهجوهم[٤]:

يـــا راكبـــاً إمـــا عـــرضـــتَ فبلِّغـــنْ عبـــدَ المَـــدان وجُـــلَّ آل قَنـــان[٥]
فلتُعـــرفـــنَّ قَـــلائـــدي بـــرقـــابكـــمْ كـــالـوشـم لا يبلـى علـى الحـدَثـان[٦]
فـــلأجـــدَعـــنّ بنـــي رُهيمـــة كلّهـــا وبنـــي الحصيـــن بخـــزيـــةٍ وهـــوان[٧]
أمّـــا الحِمـــاس فـــلا أقـــول لثلّـــةٍ تـــرعـــى البقـــاعَ خبيثـــة الأوطـــان[٨]

قال: ولما قال حسّان قصيدته التي يقول فيها:

هيجتـــم حســـان عنـــد ذكـــائـــه عـــيٌّ لمـــا ولـــدَ الحِمـــاسُ طـــويـــل

قال: اكتبوها في رُقاع، وألقوها في أيدي الصبيان، ففعلوا، فلم يمرَّ بنا إلا بضعٌ وخمسون ليلةً حتى طُرقت بنو عبد المدان بالنجاشيّ موثقاً معهم، فأرغوا ببابه، فقال لابنته: يا بُنيّة، ما هذا الذي أسمعُ؟ قالت: لا والله ما أدري. قال: إنّ أباك قد كان ذا شدّة في العرب بلسانه، فانظري مَنْ طرقني، فإن كانت الإبلُ تعوي عواء الكلابِ،

(١) في الديوان وفي موضع سابق من الموفقيات: أولاد حام فلن تلقى..
(٢) في الديوان: أو كاثروا أحداً. ونافروا: فاخروا وحاكموا في الحسب كمنافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل إلى هرم الفزاري.
(٣) في الديوان: شبه الإماء. والزغاليل: واحدها الزغلول وهو الخفيف والطفل.
(٤) الأبيات في ديوانه ٤٢٠.
(٥) في الديوان: آل قيان.
(٦) في الديوان: ولتعرفن. والقلائد: يريد بها الأشعار.
(٧) في الديوان: فلأذكرن بني رحيمة.
(٨) في الديوان: أبني الحماس. وفي ب: جديبة.

توطأ على أذنابها، فهي إبلٌ مضريّةٌ، وإن كانت تَشكِي تشكّي الذئاب، فهي إبلُ بني الحارث بن كعب، وقد أُتيت بالعبد. قالت: يا أبه، هي واللّهِ كما تصف تشكي[1] لي. قال: أرسلي إلى قومِك: أجيبوا حسّان، فما بقي بعاليّةٍ ولا سافلةٍ أحدٌ إلاّ جاء، فلما اجتمع الناسُ، ووضعَ له سريرٌ، فقعد عليه وفي يدهِ مِخصرةٌ[2]، قام عبد الله بن الدّيّان[3]، فقال: يا ابن الفُريعةِ، جئناك بابن أخيك لترى فيه رأيَك، وأتي (٧٩ ظ /) بالنجاشيّ، فأُجلس بين يديه، واعتذر إليه القومُ فقال: يا جارية، البقية التي بقيت[4] من الجائزةِ، فأتته بمائة دينار إلا دينارين، فقال: خذها يا ابن أخي، فعوّضْها أهلَكَ، وحمله على بغلةٍ لعبد الرحمٰن، فقال له ابن الديان: يا ابن الفريعة، كنا نفتخرُ في الناس بالعظم فأفسدتَه علينا، قال: كلا أنا الذي أقول:

وقـــد كنـــا نقـــول إذا سمعنـــا ـــ بـــذي جســـم يعـــدُّ وذي بيـــان
كـــأنـــك أيّهـــا المُعطـــي بيـــانـــا ـــ وجسمـــاً مـــن بنـــي عبـــد المـــدان

● ١٤٠ ـ حدّثني الزبير قال[5]: حدّثني عمّي مصعب بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة عن أبيه[6]:

أنَّ إنساناً عمل مأدبةً في زمانِ عثمان فدعا لها أصحابَ رسولِ الله ـ ـ وفيهم حسّانُ بن ثابت، وقد ذهبَ بصرُه، ومعه ابنُه عبد الرحمٰن. قال: فجعل حسان يقول لابنه عبد الرحمٰن إذا أتي بطعامٍ: أطعامُ يدٍ أمْ طعامُ يَدين؟ قال: فإذا قال له: طعامُ يدين. لم يأكل، وهو الشواء.

قـال هشـام عـن أبيـه عـروة: وكـان فـي المـأدبـة قينتـان تغنيـانهـم، وجعـلَ عبد الرحمٰن بن حسان يُشير إليهما تغنياهم بشعر حسان، فغنتا بقوله:

---

(١) سقطت كلمة (تشكي) من ب.
(٢) مخصرة: كمكنسة ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها.
(٣) انظر ترجمته في الإصابة ٣/ ٢٩٥.
(٤) سقطت (التي بقيت) من ب.
(٥) الحادثة في المبرد ٢/٦٢٨ والأغاني ١٦/ ١٤ بسندين يختلفان عن سند الموفقيات.
(٦) سقط من ب ابتداء من عبد الله إلى آخر السند.

انظــر نهــارا ببــاب جُلّــق هــلْ تـؤنـسُ دون البلقـاء مـن أحـد؟[1]

قال: فبكى حسان وجعل ابنُه يشير إليهما تغنيان بشعره أيضاً فيبكي.

● ١٤١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني (٨٠ و /) أبو الحسن الأثرم عن هشام ابن الكلبي، قال: حدّثني إسحق وخالد ابنا سعيد بن العاص عن أبيهما[2]:

إنّ أوّلَ ما هاجَ الهجاءَ بين عبد الرحمٰن بن الحكم وعبد الرحمٰن بن حسان زمنَ معاوية وهما بالمدينة وعليها مروان بن الحكم أنهما خرجا إلى الصيد بأكلبٍ لهما فقال ابنُ الحكم:

أزْجــرْ كــلابَــك إنهــا قَلطيّــةٌ بُقْـعٌ ومثـل كـلابِكـم لـم تَصْطَـد[3]

فردّ عليه ابن حسان[4]:

مَـنْ كـان يـأكـلُ مـن فـريسـة صَيـده فــالتمــرُ يغنينــا عــن المتَصيّــد

إنــا أنــاسٌ ريّقــون وإنّكــم ككـلابِكـم فـي الـوَلْـغ والمتـزرِّد[5]

حُـزنـاكـمُ للضـبِّ تحتـرشـونَـه والـريـف، نمنَعكـم بكـلِّ مهنَّـد[6]

نقضــي فنمضــي مــا أردنــا فيكــم فِعــلَ العــزيــز بعبــده المستَعْبــد

قال: ثم رجعنا إلى المدينة فجعلا يتقارضان الشعر، فقال عبد الرحمٰن في قصيدة:

---

(١) البيت في ديوانه ١١٠ وصدر البيت فيه:
انظر خليلي ببطن جلّق هل.
جلق: بكسر الجيم وتشديد اللام المكسورة، هي دمشق أو قرية من قراها والبلقاء: كورة من أعمال دمشق.

(٢) النص في الأغاني ١٥/١٣ بسند ابن الكلبي أيضاً.

(٣) القلطي: ضرب من الكلاب قصير مجتمع. والبقع: جمع أبقع وهو ما فيه سواد وبياض.

(٤) وانظر شعره ص ٢٢.

(٥) في الأغاني: والمتردد. والريقون: الذين هم على الريق، لم يفطروا.

(٦) في الأصل: والذئب يمنعكم.

ومثـلُ أمّ أبيـك العبـدِ قـد ضُـربـت ... عنـدي ولـي بثقيلـي مِـزهـر جَـرِم[(١)]
وأنـت عنـد ذنـابـاهـا تعـاونهـا ... علـى القـدور تَحسّـى خـاثـر البـرم[(٢)]

قال هشام [قال] أبو المقوّم فنقض عليه ابنُ حسّان فقال[(٣)]:

نحّـاكـم اللّـهُ يـوم القسـم وحـدكـم ... حتى قضى قسمةَ الجيران في الكرم
حتـى إذا كـان قسـم اللـؤم قـال لكـم ... حلّوا إلى حظّكم في غابر الأمم[(٤)]
يـا أيهـا الـراكـبُ المُـزجـي مطيّتَـه ... إمّا عَرضت فسائل عن بني الحكم[(٥)]
(٨٠ ظ /)
القـــائليـــن إذا لاقـــوا عَـــدوّهـــم ... خرُّوا فكرُّوا على النّسوان والنّعم[(٦)]
والـلاصقيـن بحـيٍّ غيـرِ أصلهـم ... كالخالطين صقور الطير بالرَخم[(٧)]
ولا[(٨)] تغـرنّـك أبـرادٌ وأقمصَـةٌ ... فـإنّ أربـابَهـا هُـم رُضَّـعُ الغنـم
كم من أمينٍ نصيح الجيب قال لكم ... ألا نهيتـمْ أخـاكـم يـا بنـي الحَكـم
عـن رجـلٍ لا بغيـضٍ فـي عشيـرتـهِ ... ولا ذليـل قصيـر البـاع مُهتَضـم[(٩)]
فـإنّ أمّكُـم كـانـت ملعّنـة ... تَمري الخلايا وترعَىٰ عازب الغنم[(١٠)]

---

(١) في الأغاني: ومثل أمك أم العبد قد ضربت . . ولي بفنائي.
المزهر: العود. والجرم: الصافي الصوت.
(٢) تحسّى: تشرب شيئاً بعد شيء.
(٣) الأبيات ٣، ٤، ٧، ٨ في الأغاني ١٥/ ١١٤ وانظر شعر عبد الرحمٰن ص ٥٣. وما بين الحاصرتين تكملة من ب.
(٤) في ب: خلوا.
(٥) في الأغاني: إذا عرضت.
المزجي: السائق. وعرضت: أتيت العرض وهو مكة والمدينة وما حولهما.
(٦) في ب: فروا يكروا. وهو تحريف.
(٧) الرخم: طائر ضعيف.
(٨) في ب: فلا.
(٩) في الأغاني: معتصم.
(١٠) في ب: غائب الغنم.
تمرى: تستدر اللبن. والخلايا: واحدها الخلية، وهي من الإبل المخلاّة للحلب، أو التي عطفت على ولد غيرها.

شبّت مُلعّنةً بظراء مؤذيةً مثلَ الذُبابة لم تَنكِح ولم تئم

وقال عبد الرحمٰن بن حسان[1]:

ألا أبلِغْ معاويةَ بنَ حربٍ فقد أبلغتُم الحَنق الصدورا
تَقُونَ بنا نفوسكم[2] المنايا عستْ بكم الدوائرُ أن تدورا
بحربٍ لا ترى الأمويَّ فيها ولا الثقفيَّ إلاّ مُستجيرا

فقال معاوية[3]: لئن استجارَ الأمويُّ أنه لأسوأ[4] حالاً منه.

وقال عبد الرحمٰن بن حسان[5]:

صارَ العزيزُ ذليلاً والذليلُ له
عزٌّ وصار فروعُ الناس أذنابا[6]
إني لملتمسٌ حتى يبينَ لي[7]
فيكم متى كنتمُ للناسِ أربابا
فارقَوْا على ظلعكم ثم انظروا وسَلُوا[8]
عنا وعنكم قديم العلم نسّابا
فسوف يضحكُ أو تعتاده ذِكَرٌ
يا بؤسَ للدهر للإنسانِ ريّابا[9]
قومٌ إذا راهنوا عن مجدِهم جعلوا[10]
تحتَ العجاجةِ للمسبوق جلبابا

(١) انظر شعر عبد الرحمٰن ص ٢٦.
(٢) في ب: صدوركم.
(٣) في ب: فقال الأموي. وهو تحريف.
(٤) في ب: لأقوى.
(٥) الأبيات ١ ـ ٤ في الأغاني ١٥/ ١٤ وانظر شعر عبد الرحمٰن ص ١٥.
(٦) في الأغاني: صار الذليل عزيزاً والعزيز به ذل ....
(٧) في الأغاني: حتى يبين لكم.
(٨) ارق على ظلعك: أي تكلّف ما تطيق.
(٩) ريّاب: مفزع.
(١٠) في ب: رهنوا. تحريف.

(٨١ و /)

شبابُكم شرُّ شبانٍ علمتُهُمُ[1]
قِصراً وطولاً وأعراضاً وأحسابا
وشُمطُكم شرُّ شُمط الشيبِ مخبرة[2]
وشرّهمُ في ثنا أمرٍ إذا غابا
يوصي أوائلُهم بالنوك آخرَهم[3]
وشرّ من ذاق طعمَ النُوكِ مَنْ شابا
إنْ تملكونا قليلاً في إمارتكم
فقد ملكتم بني الزرقاء أحقابا
قومٌ يرون بني الأحرار نافلةً
كانوا لهم خَوَلا بُرداً وأسلابا

فقال عبد الرحمٰن بن الحكم:

لن يَسلُبَ اللّهُ أهل الدينِ دينهم ... ولن تعودَ فروع الناس أذنابا
منّا الرسولُ ومنّا مَنْ يُلاذُ به[4] ... ولن نزال لهذا الدين أربابا

فقال عبد الرحمٰن بن حسان[5]:

---

(١) في ب: شبانكم شرّ شباناً. تحريف.
(٢) الشمط: بياض الرأس يخالطه سواده.
(٣) في ب: بالقول آخرهم.
النوك: الحمق.
(٤) في ب: من يلوذ به. تحريف.
(٥) الأبيات ١، ٢، ٥ في الوحشيات ص ٢٢٧ وشرح الشافية ص ٣٤٢ والأبيات: ١ ـ ٣ في المبرد ٢/ ٤٤٤ والعقد الفريد ٣/ ٤١١.
والأول في التاج ٢/ ١١١.
والثالث في سيبويه ٢/ ١٥٩ والمقتضب ١/ ١٦٦ والخصائص ١٣/ ١٤ والشافية ١٦٥ واللسان ١/ ١٨٦. وانظر شعره ص ١٨.

وأمّـا قـولُـك الخلفـاءُ منّـا فهـم منَعـوا وريـدَك مـن وداج[(١)]
ولـولاهُـمْ لكنـتَ كعظـم حُـوتٍ هَـوَت فـي مُظلـمِ الغمـراتِ داج[(٢)]
وكنـتَ أذلَّ مـن وتَـدٍ بقـاع يُشعّـث راسَـه بـالفهـر واج[(٣)]
ولـولاهُـم قُسِـرتَ وطبـتَ نفسـاً لنـا يـا ابـن المفـاضـةِ بـالخـراج[(٤)]
هـمُ دُغـجٌ ونسـلُ أبيـك زُرقٌ كـأنّ عيـونَهـمْ فِلَـقُ الـزُجـاج[(٥)]

فقال عبد الرحمٰن بن الحكم:

ولـلأنصـارِ أكـلٌ فـي قُـراهـا لخُبـثِ المطعمـاتِ مـن الـدجـاج
وأرْبـي مـن خميـرهـم وأبقـى علـى لـؤمِ الهـوان مـن الـرتـاج

(٨١ ظ /) فقال عبدُ الرحمٰن بن حسّان[(٦)]:

كـان أبـي لكـم فـي الكفـر نكـلا وفـي الإسـلامِ كنـتُ لكـم عِـلاطـا[(٧)]
لقـد أدركـتُ عنـدكـمُ حـديثـاً ومـا تضعـون فـي بيـتٍ بِسـاطـا[(٨)]
ومـا لنسـائكـمُ إذ ذاك رَقْـمٌ سـوى أدَمٍ تشقّقـه رِهـاطـا[(٩)]
ولا لجميعهـمُ إلاّ رداءٌ قـد اشتـرطـوا للبسَتِـه اشتـراطـا[(١٠)]
صغيـرُ الـرأس ليـس بـذي اتّسـاع ولـو شَقّـوه أعجـل أن يُخـاطـا

(١) في ب: أما بإسقاط الواو. الوريد: أحد عرقين في العنق. ووداجه: قطعه.
(٢) في الروايات الأخرى لكنت كحوت بحر. وفي الوحشيات: سرى مكان هوى.
وفي العقد: لطحت كحوت بحر. داج: مظلم شديد الظلمة.
(٣) في الروايات الأخرى: يشجج رأسه. يشعث: يشجّج. والفهر: حجر يملأ الكف. والواجي: من الوجيء، وهو الدق والضرب.
(٤) المفاضة: من النساء الضخمة البطن.
(٥) في الوحشيات: قطع الزجاج.
(٦) شعر عبد الرحمٰن ص ٢٩.
(٧) النكل: اللجام أو حديدته. والعلاط: الحبل يجعل في عنق البعير.
(٨) في ب: وما تطؤون في بيت.
(٩) رهاط: جلد يشقق سيورا.
(١٠) في ب: وما لجميعهم.

وقال أيضاً[1]:

حدَّثْ حديثَكَ إذ أتاك بعيبةٍ ... رجُلٌ يظنُّكَ صالحاً وأمينا[2]

فبقرتَها بقرَ الحُوارِ بمعْوَلٍ ... يُدعا لوجد مذلّقاً مسنونا[3]

إنّ اللعينَ أبوك فارمِ عِظامَه ... إن ترمِ ترمِ مخلّجاً مجنونا[4]

يُمسي خميصَ البطن من عمل التقى ... ويظلّ من عملِ الخبيث بَطينا[5]

● ١٤٢ ـ قال الزبير[6]: قال الكلبيُّ:

كان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ إذا مشى يتكفأ، وكان الحكمُ بن أبي العاص يحكيه، فالتفتَ النبيُّ ـ ﷺ ـ فرآه يفعلُ ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: فكذلك فلتكنْ. فكان الحكمُ مختلجاً. فعيّره عبد الرحمٰن بذلك[7].

● ١٤٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني الأثرم عن معمر بن المثنى قال: حدّثني أبو الخطاب الأنصاريّ قال[8]:

فلما أهذرا في التهاجي وأفحشا، كتبَ معاويةُ بن أبي سفيان، وهو الخليفة يومئذٍ، إلى سعيد بن العاص، وهو عامله (٨٢ و /) على المدينة: أنْ يجلِدَ كلَّ واحدٍ

---

(١) البيتان ٤، ٥ في أنساب الأشراف ١/١٥١ و ٥/١٢٥ والاستيعاب ٣/١٧٤ وانظر شعر عبد الرحمٰن ص ٦٢.
(٢) في ب: بعينه.
(٣) في ب: يدعا الوجأ. والحوار: بالضم وبالكسر. ولد الناقة ساعة تضعه أو إلى أن يفصل عن أمه.
(٤) المخلج: الذي يرتعش في مشيته. أما تسميته باللعين فروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لمروان إذ قال في أخيها عبد الرحمٰن ما قال: أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله ﷺ قال: يدخل عليكم رجل لعين. قال عبد الرحمٰن بن عمرو بن العاص: قد تركت عمراً يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله ﷺ، فلم أزل مشفقاً أن يكون أول من يدخل، فدخل الحكم بن أبي العاص. (انظر الاستيعاب ١/٣١٧ والمعارف ٢٥٣).
(٥) في أنساب الأشراف: يضحي خميص البطن. وخميص البطن: ضامرها.
(٦) سقطت جملة (وقال الزبير) من ب.
(٧) انظر الحادثة في الاستيعاب أيضاً.
(٨) الحادثة في الأغاني ١٣/١٥١ برواية أبي الخطاب أيضاً.

منهما[1] مائة سوطٍ قال: وكان عبدُ الرحمٰن بن حسّان لم يمدح أحداً قطّ إلاّ سعيد بن العاص. فكره أنْ يُقدِّمَ عليه بالضربِ، وكرهَ أنْ يجلدَ ابنَ عمِّه. فكفَّ عنهما، وكان معاويةُ يولّي سعيداً المدينةَ سنةً ومروانَ سنةً. فلمّا كانت السنةُ التي يُعقّبُ فيها سعيدٌ مروان[2]. قال: فأخذ مروان ابنَ حسّان فضربَه مائةَ سوطٍ، ولم يضرب أخاه عبد الرحمٰن بن الحكم. وكان النعمانُ بن بشير بن سعد الأنصاري عند معاوية بالشامِ، وكان أثيراً عنده مكيناً، فلم يلتفتْ إلى ابن حسّان، وإلى ما صُنع به. قال: فكتبَ إليه ابنُ حسّان يعاتبُه[3]:

ليتَ شعري أغائبٌ أنت بالشا ... مِ خليلي أم راقدٌ نعمان
أيّة ما يكنْ فقد يرجعُ الغا ... ئبُ يوماً ويوقَظُ الوسنَان[4]
إنَّ عَمراً وعامراً أبوَينا ... وحراماً قِدماً على العهد كانوا[5]
أفهمْ مانعوك أمْ قِلّةُ الكتّـ ... ـاب أمْ أنت عاتِبٌ غضبانُ[6]
أمْ جَفاءٌ أمْ أعوزتك القراطيـ ... ـسُ أم أمري به عليك هوانُ
يومَ أنبئتَ أنّ ساقي رُضّتْ ... وأتاكم بذلكَ الرُّكبان[7]
ثمَّ قالوا إن ابنَ عمِّك في بلـ ... ـوى أمورٍ أتى بها الحدَثان
فتئطُّ الأرحامُ والودُّ والصحـ ... ـبةُ فيما أتتْ به الأزمان[8]
أو ترى إنّما الكتابُ بلاغٌ ... ليس فيه لبيِّعٍ أثمان
إنما الرمحُ فاعلمنَّ قَناةٌ ... أو كبعضِ العيدان لولا السِّنان

---

(١) في ب: منهم، تحريف.
(٢) سقطت من ب.
(٣) الأبيات ١ ـ ٨ في الأغاني وشرح شواهد المغني ص ٧ والأبيات ١٠ ـ ١٤ في حماسة البحتري ص ٢٢٠ وانظر شعر عبد الرحمٰن ص ٥٦.
(٤) الوسنان: الذي كثر نعاسه.
(٥) عمرو: هو عمرو بن زيد مناة بن عدي أو عمرو مزيقياء، وهما من أجداد الشاعر أما عامر فهو والد مزيقياء بن ماء السماء. وحرام جده. فهو والد المنذر جد حسان بن ثابت.
(٦) في ب والأغاني: إنهم مانعوك.
(٧) في ب: يوم أيقنت.
(٨) في الأغاني: فيما أتى به الحدثان. وتئط: تصوّت وتحنّ.

(٨٢ ظ /)

لا يُهينَنِّــي عليــك بــأنــي ضـ ـمنُ النساق قـد يصحُّ الضمـان[١]
واعلــمْ أنــي أنــا أخــوك وأنــي ليـس مثلـي أزرى بـه الأخــوان[٢]
واعلـم أنـي بتلـتُ منّـي يمينــاً وقليـــلٌ فـــي ذلـــك الأيمـــان
لا تــرى مــا حَييتُ منّـي كتــابــاً غيــرَ هــذا حتـى يـزولَ أبـان[٣]
أو يـزول الشنطـيُّ مـن جبـل الثلـج ويضحـــى صحـــاريـــاً لُبنــان
أو تُـرى القـورُ مـن عبـاثـر بـالشـام ويضحـــى مكـــانهـــا حـــوران[٤]
أو أرى فـي الكتـاب منـك ثـلاثـاً مُـدرجـاتٍ لشـدّهـن قِـران
إنّمــا الــودُّ والنصيحــةُ فــي القلـ ـبِ وليسـت بمـا يصـوغُ اللسـان
إن شـــرَّ الصفـــاءِ مـــا زوّق الحـ ـــبُّ فيبـــدو وتحتـــه الشنـــآن[٥]

فأجابه النعمانُ بن بشير[٦]:

ليسَ فـاعلـمْ أخـوكَ يغتـرُّ بـالنـوم ولكـــنْ محـــرّشٌ يقظـــانُ
إنّ جَـــدي الـــذي انتميـــتُ إليـــه كـان فـي النـاس شبهـه الأضحيـان[٧]
قمـرُ البـدر بـازغـاً إذا تجلّـى ليـس مـن دون مجتـلاه جنـان
إنّ عمـــراً وعـــامـــراً أبـــوينـــا ورثَ المجـــد عنهمـــا حسّـــان
شيّـد المجـدَ بـالفِعـال فـأضحـى وهـو مـن دون مُـرتقـاهُ العَنـان
إنّ وصفـي ومَشهـدي ومُقـامـي لكـرهـن تهـابـه الأركـان

قال: ثم دخلَ النعمانُ بن بشير على معاويةَ فقال: كتبتَ إلى سعيدٍ أنْ يضربَ

---

(١) في ب: الساق.
(٢) في ب: يزرى به.
(٣) أبان: اسم لجبلين الأسود لبني فزارة خاصة والأبيض شرقي الحاجر وهو العلم لبني فزارة أيضاً بينهما ميلان. (ياقوت).
(٤) القور: أصاغر الجبال. والعباثر: بالثاء المثلثة، واحدها عبثران وهو نبات مثل القيصوم في الغبرة. وهو نقب منحدر من جبل جهينة يسلك فيه من خرج من إضم. (ياقوت).
(٥) في ب: ماورق الحب.
(٦) المقطوعة مما أخلّ به شعره المطبوع.
(٧) الأضحيان: بالكسر نبت.

(٨٣ و /) ابن الحكم وابنَ حسّان، فلم يفعل، فلما قدمَ أخوه مروانُ ضرب ابنَ حسّان، وترك أخاه. قال: فما تريدُ؟ قال: أريدُ أن تضربه كما كتبتَ، وكما كنتَ أمرتَ. قال: فكتب إلى مروان بعزيمةٍ، وسرّح في ذلك رجلاً أنْ يضرب ابن الحكم مائةً، وبعث إلى ابن حسّان بحُلّة، قال: فلما قدم ذلك على مروان دسّ إلى ابن حسّان وهو في السجن: إني مخرجُك، وإنما أنا بمنزلةِ والدِك، وإنما كان ما كان منّي إليك أدباً لك واعتذر إليه من ذلك، فقال ابنُ حسّان[1]: ما بدا لابنِ الزرقاء في هذا؟ والله ما هذا إلا لشيء قد جاءه. وأبى أنْ يقبل منه. فبلَّغَ الرسولُ مروانَ، فبعثَ إليه بالحُلّة، فأعادَ إليه الرسول، فلم يقبل، وطرح الحُلَّةَ في الحشّ[2]، فقيل له: حُلّةُ أميرِ المؤمنين ترمي بها في الحشّ؟ قال: نعم. وما أصنعُ بها؟

وجاءَه قومُه فأخبروه الخبرَ، فقال: قد عرفتُ أنه لم يفعل ما فعلَ إلاّ لأمرٍ قد حدثَ. فقال الرسولُ لمروانَ: ما تصنعُ بهذا؟ قد أبى أن يعفوَ[3]، فهلمّ ابن الحكم[4]، فبعث مروانُ إلى الأنصار، فطلبَ إليهم أن يطلبوا إليه أنْ يضربَه خمسينَ. فأجابهم إلى ذلك، فلقي ابنَ حسّان بعضُ مَنْ كانَ لا يهوي ما نزلَ به من ذلك. فقال له: ضربَكَ مائةً، وتضربُه خمسينَ. بئسَ ما صنعتَ إذ وهبتَها له. قال: إنه عبدٌ، وإنما ضربتُه ما يُضرَبُ العبدُ. نصف ما يُضرب الحرُّ. فحُملَ هذا الكلامُ حتى شاعَ بالمدينة، وبلغَ ابن الحكم، فشقَّ عليه ذلك، وأتى أخاه مروانَ فأعلمه (٨٣ ظ /) ذلك، وقال: فضحتَني لا حاجةَ لي فيما تركتَ. فبعثَ مروانُ إلى ابن حسّانَ: لا حاجة لنا فيما تركتَ، هلمّ فاقتصَّ، فضرب ابنَ الحكم خمسين أخرى، فقال عبدُ الرحمٰن بن حسّان يهجو عبدَ الرحمٰن بن الحكم[5]:

---

(١) سقط سطران من ب ابتداء من (بحلة).

(٢) الحش: مثلثة المخرج، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.

(٣) في ب: ما بهذا صنع قد أبى أن يفعل ويعفو.

(٤) في ب: فاقبض. تصحيف وفي الأغاني: فهلم أخاك.

(٥) الأبيات: ١، ٦، ٧، ١٠ ـ ١٢ في الأغاني ١٥/١١٦.
والأبيات: ١٠ ـ ١٢ في الحماسة البصرية ٢/٢٦٧ والزهرة ورقة ١٠٨.
والبيتان: ١١، ١٢ في حماسة البحتري ٢٥١.
وانظر شعره ص ٢٤.

دعْ ذا وعَدِّ قريضَ شعرِك في امرئٍ يُهـذي ويُنشـدُ شعـره كـالفـاخـر

واذكـرْ لـه قِطـعَ الشـريـطِ وشِـدخَـه بمهنّـد مـاضـي الحـديـدةِ بـاتـر

قِلِـق النصـال مـن المغـاوِل مـرهَـفٍ ظَمـىء كقـادمـةِ العُقـاب الكـاسـر[1]

وقعـدت تـأكـلُ مـالَـه وتـركتـه بـالشـام يُنشِـدُ كـلَّ قصـرٍ عـامـر[2]

وتـركتَهـا عـاراً عليـكَ وسُبَّـةً مـا عشتَ تُـذكـر مثـل طـوقِ الطـائـر

عثمـانُ عمُّكـمُ ولستـمْ مثلـه وبنـو أميّـةَ منكـمُ كـالآمـر

وبنـو أبيـك سخيفـةٌ أحـلامُهـمْ فحشُ النفوسِ لدى الجليسِ الزائر[3]

جُبـنُ القلـوب لـدى الحـروبِ أذلّـةٌ مـا يُقبلـون علـى صَفيـر الصـافـر

وسيـوفُهـم فـي الحـربِ كـلّ مفلّـلٍ نـابٍ مَضَـاربـه وَدانٍ داثـر[4]

أحيـاؤهـم عـارٌ علـى أمـواتِهـم والميّتـون مسَبَّـةٌ للغـابـر[5]

لـمْ تنظـرون إذا هـدرتُ إليكـم نظـرَ التيـوسِ إلـى شِفـار الجـازر[6]

خُـزْرَ العيـونِ مُنكسـي أذقـانكـم نظـرَ الـذليـل إلـى العـزيـز القـاهـر[7]

فقال ابنُ الحكم يهجو الأنصار[8]:

لقـد أبقـى بنـو مـروانَ حُـزنـاً مُبينـاً عـارُه لبنـي سـواد

(٨٤ و /)

---

(١) في ب: أعمى كقادمة.
النصال: واحدها، النصل، وهو حديدة السيف.

(٢) في ب: فظللت تأكل.

(٣) في الأغاني: وبنو أبيه.

(٤) في ب: ددان داثر.

(٥) في الزهرة: على موتاهم.

(٦) في الأغاني: هم ينظرون إذا مددت إليهم.
وفي البحتري والبصرية: إذا مررتِ عليكم. وفي الزهرة الصدر: نظروا إليك بأعين محمرّة.

(٧) في ب: خضر العيون.

(٨) الأبيات في الأغاني ١٥/ ١١٧.

يطيـــف بـــه صَبيـــحٌ فـــي مَشيـــدٍ ونـــادى دعـــوةً: يـــابْنَـــيْ سُعـــاد[1]
لقـــد أسمعـــتَ لـــو نـــاديـــتَ حيًّـــا ولكـــنْ لا حيـــاةَ لمـــن تنـــادي

فاعتنَّ[2] أبو واسعٍ أحدُ بني الأشعر[3] من بني أسد بن خُزيمة، دون عبد الرحمٰن بن الحكم لعبد الرحمٰن بن حسّان، فهجاه وعيّره بضربِ ابن المعطّل[4] أباه حسّانَ على رأسِه، وعيّرهم بأكلِ الخُصى فقال[5]:

إنّ ابـــنَ المعطّـــل مـــن سُلَيـــمٍ أذلَّ قِيـــادَ رأسِـــكَ بـــالخِطـــام[6]
عمِـدتَ إلـى الخُصـى فـأكلـتَ منهـا لقـــد أخطـــأتَ فـــاكهـــةَ الطعـــام
ومـــا للجـــار حيـــنَ يحـــلُّ فيكـــمْ لـــديكـــم يـــا بنـــي النجّـــار حـــام
يَظـــلُّ الجَـــارُ مفتـــرشـــاً يـــديـــه مخـــافتكـــم لـــدى مَلَـــث الظـــلام[7]
وينظـــرُ نظـــرةً فـــي مِـــذرَويـــهِ[8] وأخـــرى فـــي استـــهِ والطـــرفُ ســـامِ

قال: فلما عمَّ بني النجّارِ بالهجاء، ولا ذنبَ لهم دعوْا اللّهَ عليه، فخرجَ من المدينةِ يريدُ أهلَه، قال: فعرضَ له الأسدُ فقَضْقَضه[9]، فقال في ذلك عبد الرحمٰن بنُ حسّان[10]:

---

(١) في ب: ،فصاح به. وفي الأغاني: أطاف به.
(٢) اعتنّ: اعترض.
(٣) في ب: الأشتر.
(٤) هو صفوان بن المعطل السلمي، وهو الذي رميت به السيدة عائشة رضي الله عنها بهتاناً وكان حصوراً، لم يكشف عن امرأة قط، فنذر لئن برّأه الله ليضربن حسان ضربة بالسيف، فلما أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها وثب صفوان على حسان فضربه ضربة بالسيف. (انظر ديوان حسان ١٠٣).
(٥) الشعر في الأغاني ١١٧.
(٦) في ب: كأن ابن المعطل.
(٧) في ب: مكث الظلام. تحريف. وملث الظلام: اختلاطه.
(٨) مذرويه: يعني فرعي اليتيه.
(٩) قضقضه: كسره وحطمه.
(١٠) الأبيات في الأغاني ١١٨/١٥ وأسد الغابة ٤٤/٣. وانظر شعره ص ٣٠.

أبلـــغْ بنـــي الأشعـــرِ إنْ جئتَهـــم مـــا بـــالُ أبنـــاء بنـــي واســـع[1]
والليـــثُ يعلـــوه بـــأنيـــابـــه معتفـــراً فـــي دمِـــه النـــاقـــع[2]
لا يـــرفـــعُ الـــرحمٰـــنُ مصـــروعَـــكـــم ولا يـــوهّـــن قـــوّةَ الصـــارع[3]
إذ تـــركـــوه وهـــو يـــدعُـــوهُـــمُ بـــالنَّســـب الـــدانـــي وبـــالشـــاســـع[4]

(٨٤ ظ /) قال: فقالت له امرأتُه: ما دعا أحدٌ للأسد بخيرٍ قطّ قبلك، وذلك قوله: ولا يوهّن قوة الصارع.

● ١٤٤ ـ حدّثني أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة قال:

كان عبد الرحمٰن بن حسّان معنّىً غريضاً[5]، ذا كِبر ونخوةٍ، فكتب من المدينة إلى مسكين[6] بن عامر بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم، يدعوه إلى المفاخرة والتهاجي في كتاب، وختمه، ودفعه إلى راكب وقال له: ائتِ الكوفة فاسأل عن بني عبد الله بن دارم فإذا دُللتَ عليهم فادفع هذا الكتاب إلى مسكين بن عامر. فارتحل حتى أتى الكوفة، فسأل عنه، فدُلَّ عليه، فانطلق حتى وضع الكتاب في يد مسكين، فلما قرأه دعا غلامه بشرب، ثم خلا فجعل يشرب ويقول الشعر ويكتبه حتى فرغ، فلما أصبح دعا بما قاله فجعل يُثبت ما أراد ويُلقى ما لم يرد، حتى أحكم ذلك، ثم ختمه ودفعه إلى الرسول، فلمّا قدِمَ الكِتاب عليه قرأه ثم أتاه شيوخ قومه، فأقرأه إياهم، وشاورهم، فنهوه عن جوابه، وقالوا: من أين لك مثل

---

(١) في ب: بني الأشتر.
(٢) معتفراً: مفترساً.
(٣) في الأغاني: يوهي. وقد تأخر فيه هذا البيت عن الذي يليه.
(٤) الشاسع: البعيد.
(٥) المعنى: المعظم. والغريض: الطري.
(٦) هو ربيعة بن عامر، ومسكين لقب له. شاعر من العراق، عاصر ابن حسان والفرزدق، وكان أحد سادات بني دارم وشعرائهم المجيدين. وقد جمع شعره وحققه الأستاذان عبد الله الجبوري وخليل العطية ببغداد ١٩٧٠ انظر ترجمته في الأغاني ٦٨/١٨ ومعجم الأدباء ١٢٦/١١ والخزانة ٤٦٧/١.

هؤلاء الرجال الذين فخر بهم. فلم يَقبلْ منهم، وأجابه، وذكر أن مآثر الأنصار لا تدنيها تميم، فقال مسكين بن عامر في قصيدة[1]:

فـإن يبـلَ الشبـاب فكـلُّ شـيءٍ سمعـتَ بـه سـوى الـرحمٰـن بـالِ[2]
ألا إنّ الشبـابَ ثيـاب لبـسٍ ومـا الأمـوال إلا كـالطِـلال
(٨٥ و /)
ومـا أدري وإنْ جـامعـت قـومـاً أفيهـم رغبتـي أم فـي الـزِيـال[3]
وحـاملـةٍ ومـا تـدري أفيـهِ يكـون نجـاحهـا أم فـي الحِيـال[4]
لعلّـك يـا ابـنَ فـرخ اللـؤم تَنمـي تـروم الـراسيـات مـن الجبـال[5]
فـإنّـك لـن تنـال المجـد حتـى تـردّ المـاضيـات مـن الليـالـي
أبـي مُضـر الـذي حُـدّثـت عنـه وكـان ربيعـة الأثـريـن خـالـي[6]
وإنـي حيـن أنسَـب مـن تميـم لفـي الشُـمِّ الشمـاريـخ الطـوال[7]
وآبـائـي بنـو عُـدس بـن زيـد وخـالـي البِشـر، بِشـرُ بنـي هـلال
كسـانـي غـرّتـي عمـرو بـن عمـرو وردّانـي زُرارة بـالفعـال
كفـانـا حـاجـبٌ كسـرى وقـومـاً هـمُ البيـضُ الكـرام ذوو السِبـال[8]
وسـار عُطـارد حتـى أتـاهـم فـأعطـوه المنـى غيـر انتحـال[9]

---

(١) القصيدة في ديوانه ٥٩. وفيه التخريج الكامل.
(٢) في الأصل و ب: أن يبل. ولا يستقيم بها الوزن، والمثبت عن الأصول الأخرى.
(٣) الزيال: الزوال وفي ديوانه: أفيهم بغيتي.
(٤) الحيال: العقم وعدم الحمل.
(٥) في الديوان: ترجو زوال الراسيات.
(٦) في ب: الأمرين خالي.
(٧) الشماريخ: واحدها الشمراخ، وهو العثكال عليه بسر ورأس الجبل وأعالي السحاب، ويريد بها هنا، الأنساب العالية.
(٨) هو حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم من رؤساء يوم جبيلة قبل الإسلام بأربعين سنة عاش إلى أن وفد على الرسول ﷺ وأسلم. وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به. (انظر الإصابة ١/ ٢٧٢).
(٩) عطارد: هو عطارد بن حاجب بن زرارة المار ذكره صحابي معروف ارتدّ بعد النبي ﷺ مع من ارتد=

قال أبو عبد الله الزبير: قوله كفانا حاجب يعني كفى العرب جميعاً أمر كسرى حيث منعهم أن يدعوا في بلاد العجم إلاّ بضمين، فرهنه قوسه فأطلقه[1]:

وذو القرنين آخاه لقيطٌ ... وكان صفيَّه دون الرجال[2]

وذو القرنين عمرو بن هند[3].

هما حُبيا بديباجٍ كريم ... وياقوتٍ يُفصَّل بالمَحال[4]

وكان الحازمُ القعقاع منّا ... لزاز الخصم والأمر العُضال[5]

شُريح فارس النعمان جَدّي ... ونازلُها إذا دُعيت نزال[6]

وقاتلُ خاله بأبيه منّا: ... سَماعةُ لم يبع حَسَباً بمال[7]

ونَدْمان ابن جفنة كان خالي ... ففارقه وليس له بقال

ويوم مظلمٍ لبني تميم ... جَلونا شمسه والكعبُ عالِ

(٨٥ ظ /)

نحبُّ المجد قد علمت معدٌّ ... ونُغلي المجد إنّ المجد غالِ[8]

= من بني تميم ثم عاد إلى الإسلام. وقد كان حاجب مات قبل أن يرجع قوسه من كسرى فرحل ابنه عطارد إليه يطلب قوس أبيه فردها عليه وكساه حلة. (انظر الإصابة ٢ / ٤٧٦).

(١) سقط هذا التعليق بأكمله من ب.

(٢) لقيط: هو لقيط بن زرارة قتل يوم جبلة قبل الإسلام. (الاشتقاق ٢٣٥).

(٣) سقط هذا الإيضاح من ب.

(٤) في ب: يفضل. والمحال: ضرب من الحلى.

(٥) هو القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس التميمي الدارمي، له صحبة كان يقال له تيار الفرات لسخائه. (الإصابة ٣/ ٢٣١).

ولزاز الخصم: شديد الخصومة. وفي الديوان: والأمر الفصال.

(٦) في ابن سلام ص ٢٦١:

شريح فارس النعمان عمّي ... وخالي البشر بشر بني هلال

وفي الاشتقاق ص ١٤٤: ومن رجالهم شريح، وكان فارسهم.

(٧) سماعة بن عمرو بن عمرو بن عدس، وهو أخو شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس المذكور آنفاً، وكان عمرو أغار على بني عبس في يوم أقرن، فقتل. وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من بني عبس فزاره خاله، فقتل خاله بأبيه. (انظر هامش ابن سلام ص ٢٦١).

(٨) في الديوان: نحث المجد.

دعتنـــا الحنظليـــةُ إذ لحقنـــا وقــد حُملــت علــى جمــل ثقّــال
فــأدركهــا ولــم يعــدل شُــريــحٌ وأعــوجُ عنــد مختلــف العــوالــي
فغــرنـــا أنّ غيــرتنــا كــذاكــم إذا بــرز النســاء مــن الحِجــال[1]
متــى نــأســرْ ونــؤسَــر فــي أنــاس ويــوجــع كلّمــا عقــد الحبــال[2]
فنحــن الــذائــدون إذا بُــدئنــا ولا يــرضــون منّــا بــالبــدّال
فــدع قــومــي وقــومــك لا يسبــوا واقبـــل للتمجـــد والفعـــال[3]
كــلانــا شــاعــرٌ مــن حــيٍّ صــدق ولكــنَّ الــرَّحــا فــوق الثّفــال[4]
وحكّــم دغفـــلا نـــرحـــل إليـــه ولا تُــرح المطــي مــن الكَــلال[5]
تعــالَ إلــى النبــوّةِ مــن قــريــش وأكــرم مَــن عــلا شُعَــب الــرحــال[6]
وإلاّ فـــاعتمـــد سُــوَقـــاً كــرامـــاً يفضــل فــوق سَجْلكــم سجــالــي[7]
تعــالَ إلــى بنــي الكــوّاء يقضــوا بعلمهــم بــأنســاب الــرجــال[8]
تعــالَ إلــى ابــن مــذعــورٍ شهــابٍ يخبّــر بــالســوافــل والعــوالــي[9]
وعنــد الكَيّــس النمــري عِلــمٌ ولــو أمســى بمنخــرَق الشمــال[10]
كــأنّ قــدور قــومــي كــلَّ يــومٍ قبــاب التــرك ملبســة الجــلال[11]

---

(١) في ب: أن غيرنا.
(٢) في الأصل: كلمتا عقد.
(٣) في الديوان: لا تسئنا.
(٤) الثفال: ما وقيت به الرحى من الأرض.
(٥) في البيان والتبيين ١/٣٥١: وارحل إليه. ودغفل: هو دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة الشيباني الذهلي النسابة، يضرب به المثل في معرفة الأنساب قيل إنه غرق في يوم دولات في قتال الخوارج سنة سبعين. (الإصابة ١/٤٦٥).
(٦) في الديوان: سقب الرحال.
(٧) السجل: المفاخرة.
(٨) بنو الكواء: من أصحاب الأخبار والنسب والخطب والحكم. (البيان ١/٣٥١).
(٩) في هامش الديوان: شهاب بن مذعور هو ابن الحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي المعروف.
(١٠) الكيس النمري: هو زيد بن الكيس النمري، كان نساباً معروفاً من طبقة دغفل. (البيان والتبيين ١/٣٢٢).
(١١) في الديوان: قيان الترك.

أمــام الحـــي تحملهــا اثـــاف ملَملمـــة كـــأثبـــاج الـــرئـــال[1]
كـــأن المـــوقـــديـــن لهـــا جِمَـــال طـــلاهـــا الـــزفـــت والقِطـــران طـــال
(٨٦ و /)
بـــأيـــديهـــمْ مغـــارفُ مـــن حـــديـــدٍ يشبِّههـــا مقيَّـــرة الـــدوالـــي[2]

● ١٤٥ ـ قال الزبير[3]:

أسرت بنو أسد رجلاً من بني زُرارة، وفي بني زرارة أسير من بني أسد، فعرضوه[4] به، فأبت بنو أسد حتى زادوهم في فداء الزُراري عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، ومسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس، وبشر بن قيس بن زهير بن عقّة بن هلال بن ربيعة النمري، النمر بن قاسط، وعمرو بن عمرو بن عدس، وزرارة بن عُدس بن زيد بن عبد الله، وحاجب [بن زرارة بن عدس، وعطارد بن حاجب][5] بن زرارة، كان وفدَ على كسرى بعد موت أبيه حاجب، فأخذ القوس من عنده، وأعلمه بموته، ولقيط بن زرارة، وذو القرنين، والقعقاع بن معبد بن زرارة، وشريح بن عمرو بن عدس، وهو جد مسكين أبو أبيه، وقاتل خاله بأبيه، منّا[6] سَماعة بن عمرو بن عمرو، وأمه عبسية، وكانت بنو عبس قتلوا عمرو بن عمرو يوم ثنيّة أقرن، فلما شبّ سَماعة جاء خاله من بني عبس يزوره فقال: ما أريد بأبي ثأراً أوفى من خالي، فقتله به، ودغفل بن حنظلة من بني ذهل بن ثعلبة بن بكر بن وائل، وابن الكواء النسابة من بني يشكر، وكان بنو الكواء أهل علم، وشهاب بن مذعور يشكريّ، والكيّس نمريّ من النمر بن قاسط، واسم الكيس زيد بن حارثة، فردّ

---

(١) الأثافي: مساند القدر. وأثباج: واحدها ثبج وهو وسط الشيء والرئال: كواكب. وجمع الرأل وهو ولد النعام.
(٢) الدوالي: واحدها الدالية وهي شيء يتخذ من خوص وخشب يستقي به بحبال تشد في رأس جذع طويل.
(٣) سقط السند من ب.
(٤) في ب: فعوضوه.
(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من ب.
(٦) كذا في المخطوطة.

(٨٦ ظ /) عليه عبد الرحمٰن بن حسّان فقال[١]: (٨٦ ظ /)

أتاني عنك يا مسكينُ قولٌ ... بذلتَ النّصفَ فيه غيرَ آل[٢]
دعوتَ إلى التفاخر غير قحم ... ولا غمرٍ يطيش لدى النّضال[٣]
أخا ثقةٍ بفرصته بصيراً ... شديد النزع معتدل الشمال[٤]
فدونكَ فاستمع تخليصَ فخرٍ ... يقصّر دونه أهل الكمال[٥]
وقد ناضلتُ قبلكَ كلَّ عرض ... على الرسلات مرزوقَ الخِصال[٦]
فما تلقى كشدوى شدوَ رامٍ ... وما يغلو كغلوى من أغالي[٧]
فأورثني الفعالَ جدودُ صدقٍ ... مضوا متتابعينَ ذوو فِعال
بآيدِ منكبٍ وأشدّ ركنٍ ... وأنزه طُعمةً وأعفّ بال[٨]
وإني في الحداثة رِستُ عَمراً ... وأحكمتُ الرياسة في اكتهال
فأيّةُ خصلةٍ ترجو نكولي ... بها مسكينُ ويحكَ في الفِضال[٩]
وحسّانُ الحسام أبي فمن ذا ... تجاري في الجِمام وفي الكلال[١٠]
أخذنا السبْقَ قد علمت معَدٌّ ... على الأكفاء في الركض الشلال[١١]
وأمكنني الفعالَ بفعل قومي ... وأيامٍ تجلُّ عن المقال
وقد حادت كلابُ الحيِّ منّي ... وخافت بعد جدٌّ واشتبال

---

(١) انظر شعره ص ٣٥.
(٢) النصف: الإنصاف والعدل. غير آل: غير مقصر ولا تارك.
(٣) القحم: الذي أقحمته السن. فيرى قد هرم من غير أوان الهرم. والغمر: الجاهل الغر.
(٤) في ب: بصيرة .. شديدة البزم. والبزم: صريمة الأمر.
(٥) في ب: فالتمس تلخيص.
(٦) في ب: كل عض.
(٧) في ب: فما يلقي كسردى سرودا ... من أغال.
(٨) آيد: من الفعل آد. أي اشتدّ وقوي.
(٩) في ب: ويحك في الكلال. ونكولي: نكوصي وجبني.
(١٠) سقط هذا البيت من ب.
(١١) الشلال: الطرد، وحمار مشل كثير الطرد.

وقد لاقى بنو الزرقاء منّي   لساناً صارماً طلْقَ العقال[1]
فما انتصفوا ومنزلهم أميرٌ   يُرهب بالوعيدِ والاحتيال
فلم يفلل توعدُه لساني   ولم يوهن ولم يقطع قَبالي[2]
(٨٧ و /)
وفي خِيف المحصّب قد علمتم   قهرتُ الحارثيّ بلا احتيال[3]
نجاشيّ الحماسِ وذلّلْته   قصائد من طرازي وانتحالي[4]
ولي عن سَبِّ قومك ما كفاني   بقولٍ صادق غير المحال[5]
فإن يك شاعراً من حيٍّ صدق   فما ثمْد كبحرٍ ذي احتفال[6]
فأما ما تقول فغيرُ شكٍّ   لفضل بيِّن غير انتحال
ببذل المالِ في عُسرٍ ويُسرٍ   لأضيافِ الجُداة على الحلال[7]
وضرب الناس عن عرض جهاراً   على الإسلام ليس بذي اعتقال
على رغم الأباعد والأداني   من الأقصين والشَّنِف الموالي[8]
فإنْ تفخرْ بقومك من تميمٍ   فأين الأكمُ من صُمِّ الجبال[9]
أنا ابنُ مزيقيا عمرو نماني   على أشراف أطواد الجبال[10]

(١) يقال: اعتقل لسانه، أي لم يقدر على الكلام.
(٢) القبال: الزمام.
(٣) خيف المحصّب: الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء وقال القاضي عياض خيف بني كنانة هو المحصّب، وهو بطحاء مكة وقيل مبتدأ الأبطح. (انظر ياقوت).
والحارثي قيس بن عمرو من قبيلة الحارث بن كعب.
(٤) في ب: وانتحال. والحماس: حي من بني الحارث بن كعب، وهم رهط النجاشي.
(٥) المحال: والمماحلة، المقاواة حتى يتبين أيهما أشد.
(٦) في ب: فإن تك .. فما تمد كجرى ذي احتفال. تحريف. والثمد: الماء القليل لا مادة له.
(٧) الجداة: واحدها الجادى وهو طالب العطية (الجدوى).
(٨) الشنف: المبغض.
(٩) في ب: فإن. تحريف. والأكم: واحدها الأكمة وهي التل من حجارة واحدة.
والصم: واحدها الصماء وهي الصلبة.
(١٠) مزيقياء: عمرو بن عامر بن ماء السماء، جد الأنصار، ويعرف بالمزيقياء لأنه كان يمزق عنه كل=

ومــن مــاء السمــاء ورثــتُ مجــداً فــدونــي كــلُّ فخــر واختيــال[1]
ففخـــري قـــاهـــرٌ للنـــاس بـــادٍ قهـور الشمـس تـوْمـاض الـذُّبـال[2]
فـإنْ تغصَّـصْ تِهـامُ وبحـرُ نجـدٍ فكـم غصّـا وسـارا بـالـرجـال[3]
فمـا وسعـاهمـا ضـربـاً وطعنـاً يمـجُّ كمـجٍّ أفـواه العَـزالـي[4]
فمـا صبـروا لـوقـع سيـوف قـومٍ كفـوهـا بـالكفـاح مـن الصّقـال
إذا لبَســوا ســوابغَهــم ليــومٍ كــريــهِ النجـم معتكـر الظِّـلال[5]
وبــارز بعضُهــم للمــوت بعضــاً كطمـي الخمـس بـادرَ للسِّحـال[6]
(٨٧ ظ /)
تيقّــن مــن أدارتــه رحــاهُــمْ بصـرف المـوت إذ دُعيـت نـزال[7]
وجـاشـت قـدرهـمُ فـرأيـتُ فيهـم جُنـاةَ الحـرب عـاريـة المجـال[8]
تفــور قــدورهــم ولهــا نفــيٌّ يكـبُّ المتـرفيـن علـى السِبـال[9]
وخلْـــق الله كلّهـــمُ علينـــا بكـــلِّ عتـــادِ أمـــر واحتيـــال
فقلنـــا أسلمـــوا أو قـــد ظعنـــا إليكـم فـاجهـدوا عُقَـد الحبـال
نصبّـــحُ أو نمسّـــي كـــلَّ قـــومٍ نهـــزْهـــزُ عـــن يميـــنٍ أو شمـــال

= يوم حلة، لئلا يلبسها أحد بعده. وكان من أجود العرب المعروفين بالسخاء والشجاعة.

(١) في ب: وثت جدا. وما السماء: أحد أجداد الأنصار، وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة.

(٢) توماض: لمعان خفيف. والذبال: واحدها الذبلة، وهي رمانة الفتيلة.

(٣) تهام: مكة. شرفها الله.

(٤) العزالي: واحدها عزلاء، وهي فم المزادة أو السقاء.

(٥) السوابغ: الدروع التامة الطويلة.

(٦) في ب: بادرن السحال.

(٧) في ب: تيقّن من ذا أنه رحاهم. تحريف.

(٨) في ب: عادية.

(٩) نفيّ: ما جفأت القدر عند الغليان أي ما نحّته.

والسبال: واحدها السبلة وهو ما على الشارب من الشعر.

ونغــزوهــم فنقتــلُ كــلَّ خِــرق ونَسبــي كــلَّ آنســة الــدَّلال[1]
فــلا فــرحٌ إذا نلنــا منــالا ولا جــزَعٌ لأيــام المــدال[2]
لأنّ محمــــداً فينــا فلسنــا وإنْ جلّــت مصيبتُنــا نُبــالــي
فســائــلٌ عــن بــلائهــمُ ببــدرٍ وقــد يُشفــى العمــى عنــد الســؤال
غــداةَ رمــوا بجمعهــمُ لــؤيــاً وكبشهُــم يــزيــف إلــى الصِّيــال[3]
فكــانــوا كــالهشيــم يشــبُّ فيــه حــريــقٌ شِبــه لفــحِ فــي الشمــال
وســائــل عنهــمُ الأحــزاب لمّــا تقحّمنــا بهــم حُــدب التــلال[4]
ونضــربُهــم علــى ألــمٍ وقــرْح كضــرب قــلاة ولــدان ثقــال[5]
وقــد حشــدت لنــا الأحــزاب لمّــا رأوا نــاراً تشــبّ لكــلّ صــالِ
ولقّــوا لقّهــم لِتنــالَ تبــلاً لــدينــا منهــم عســرَ المنــال[6]
فجــدّدنــا لهــم تَبــلا وآبــوا كبــاغــي الغــيّ رُدَّ بــلا بِــلال[7]
(٨٨ و /)
ويــومَ الفتــح قــد علمــوا بــأنّــا وطئنــاهــم بــواهضــةٍ ثقــال[8]
فمــا بــرَحــت جيــاد الخيــل تهــوى خــلال بيــوتِ مكــةَ كــالسعــالــي
تكــفُّ أعنّــةَ منهــا مــراراً وتثنيهــا فتعطــفُ كــلَّ جــال
وســائــل عــن حنيــنٍ حيــن ولّــت جمــوعُ المسلميــن علــى تــوال

---

(١) الخرق: الفتى الحسن، الكريم الخليقة.
(٢) في ب: المثال.
(٣) لؤي: من آباء قريش. كبشهم: سيدهم أو قائدهم.
يزيف يتبختر في مشيته. الصيال: المصاولة والمواثبة.
(٤) العجز في ب:
هجمناهم فخرت كالتلال
(٥) القرح: ويضم، عض السلاح ونحوه مما يخرج من البدن.
(٦) التبل: العداوة، يقال: تبل الدهر القوم: رماهم بصروفه وأفناهم.
(٧) البلال: واحدها البلّة، من البلل. يقال جاء فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة.
(٨) الواهضة: من الوهضة وهي المطمئن من الأرض.

ونـــادانـــا بنُصـــرتنـــا منـــادٍ فثُبنـــا ثـــوبَ آلفـــةِ الفِحـــال[1]
ومـــا فينـــا غـــريـــبٌ مـــن سِـــوانـــا نَـــؤمُّ إلـــى المنـــوّه كـــالجِمـــال[2]
فـــوافينـــا الـــرســـولَ فقـــال: شُـــدُّوا بعـــون الله واسمِـــه ذي الجَـــلال
فمـــا صبـــروا لشـــدتنـــا ولكـــنْ تـــولّـــوا مجهَضيـــن عـــن القتـــال[3]
وأبنـــا بـــالنِهـــاب وبـــالأســـارى وبـــالبيـــض المهفهفـــةِ الحِفـــال[4]
وأيـــام ســـواهـــا قـــد ذهبنـــا بسبقـــةِ مجـــدهـــا أخـــرى الليـــالـــي
وآسينـــا الـــرســـول ومَـــنْ أتـــانـــا يُصـــدِّق مـــا يقـــول بكـــل مـــال
فنحـــن أولـــو مـــؤازرة ونصـــرٍ نكـــانفـــه ونمنـــعُ مـــن يـــوالـــي[5]
فســـلْ عنّـــا القبـــائـــل حيـــن رُدَّت عـــن الإســـلام كـــالبقـــر الثمـــالـــي[6]
فـــوافينـــا بُـــزاخـــةَ غيـــر ميـــلٍ ولا خـــرقٍ بمعتـــرك النـــزال[7]
وأنـــزع بيننـــا حـــوضُ المنـــايـــا بـــانهـــال السُقـــاة وبـــالعِـــلال[8]
فـــأفلتنـــا طليحتهـــم جـــريضـــاً وأثكـــل مـــن يُعـــزّ أبـــو حبـــال[9]

---

(١) في ب: فنبنا نوب. والفحال: واحدها الفحل.

(٢) في ب: إلى النبوة.

(٣) مجهضين: مغلوبين على أمرهم.

(٤) البيض: واحدها البيضاء وهي المرأة، والمهفهفة: الضامرة البطن، الدقيقة الخصر، توصف بها النساء.

وهي في ب: الجذال. وقد تكون محرفة عن الحفال التي تعني: المجلوة اللون قال بشر يصف امرأة:

رأى درة بيضـــاء يحفـــل لـــونهـــا سخـــام كغـــربـــان البحـــريـــن مقصّـــب

(٥) نكانفه: نحيط به.

(٦) في ب: اليمالي.

(٧) بزاخة: موضع في بني أسد، وقعت عنده حروب الردة. والميل واحدها: أميل، وهو الذي لا سيف معه.

(٨) الأنهال: أول الشرب، والعلال: الشرب الثاني.

(٩) في ب: فأفلتهم. طليحتهم: طليحة بن خويلد الأسدي، زعيم قومه المتنبىء في الردة، أبو حبال: المعروف أنه حبال أخو طليحة كما في كتب التاريخ. (انظر حروب الردة في الطبري وابن الأثير).

وزرنـــا بـــالبطـــاح بنـــي تميـــمٍ — علـى جُـردٍ ضـوامـر كـالمغـال[1]

(٨٨ ظ /)

فمـــا تـــابـــوا ولا امتنعـــوا ولكـــن — وجـــدنـــاهـــم كســـائمـــة المثـــال[2]

تحـــارُ جيـــادنـــا ونُـــردُّ منهـــا — خســـائسهـــا ونصـــرف كـــلَّ حـــال[3]

تـــركنـــا مـــالكـــاً ومســـوّدِيهـــم — بمُنخـــرق لســـافيـــةِ الشَّمـــال[4]

وحُـــزنـــا عـــرسَـــه مـــن بعـــد بيـــضٍ — صفـــايـــا مصطفَيـــن مـــن الحِجـــال[5]

بـــلا مهـــرٍ أصبنـــا ســـوى حِـــدادٍ — وسُمـــر مـــن مثقّفـــةٍ نهـــال[6]

وقُـــدنـــا لليمـــامـــة كـــلَّ طـــرْفٍ — أقـــبَّ مقلّـــص نهْـــدٍ طـــوال[7]

نـــريـــد لقـــاء كـــذّاب لئيـــم — مسيلمـــةَ المصـــر علـــى الضَّـــلال[8]

ففـــاجـــأنـــاه تحـــت النقـــع شُعثـــاً — كـــأُســـدٍ غـــامـــرت تحـــت الظـــلال[9]

وحـــاسينـــاهـــمُ جُـــرَعـــاً تـــؤدّى — علـــى كُـــره الحيـــاة إلـــى الـــزوال

[وأوردنـــا الحـــديقـــةَ متـــرفيهـــم — نســـوقهـــم بهنـــدي النصـــال[10]

---

(١) البطاح: ماء في ديار بني أسد، حدثت عنده الحرب في الردة.

(٢) في ب: المتال. ويظهر أنها تحريف لكلمة (المثال) التي هي جمع لكلمة المألة بمعنى الروضة.

(٣) في ب: خشائشها.

(٤) مالك: هو مالك بن نويرة. انظر تفصيل مقتله في مقدمة كتاب مالك ومتمم أبنا نويرة. المنحرق: الأرض القفر الواسعة. والساقية: الريح التي تحمل التراب.

(٥) عرسه: يريد امرأته، أي امرأة مالك.
والصفايا: واحدها الصفي، أي ما اختار الرئيس من الغنائم قبل القسمة.
والحجال: مواضع تزين بالثياب والستور للعروس.

(٦) في ب: أصبن. وحداد: جمع حديدة، والسمر: الرماح.
والنهال: التي تشرب الدماء.

(٧) الطرف: الكريم من البخيل. وأقّب، ونهد: قوى. وطوال: طويل.

(٨) في ب: يريد.

(٩) في ب: الضلال.

(١٠) سقط من الأصل ابتداءً من هذا البيت مقدار ورقتين وأكملته من ب: والحديقة: بستان كان لمسيلمة الكذاب، يسمى (حديقة الرحمٰن) فلما قتل عندها سميت (حديقة الموت).

وأقحمنـــا عليهـــم كـــلَّ خَـــرْق رَكـوبِ الخيـل مضطلـع النضـال[1]
فكـانـوا كـالحصيـدِ غـدت عليهـم طـآطـم ليس تـوصَـف بـالنكـال[2]
وغـــودر فيهـــمُ الكـــذّابُ رَهنـــاً لـــدائـرة العـــواقـــب بـالتـــوالـــي
ورُحنـا بـالسبـايـا لـم تنـاظـر مـــراضعُهـا متـى أمـدُ الفِصـال[3]
فهـاتِ كمـا أعـدّوا هـاتِ قـومـاً كقـومـي عنـد مختلَـف العـوالـي[4]
ورُم مسكيـنُ حيـن تـريـح رأيـاً سـوى الـرأي المضلَّـل والمقـال
ولـو جـاريـت قـومـك مـن معـدٍّ كفـوت الطـرف عيـراً فـي النكـال

(٨٩ و /)

سـوى رهـط النبـيّ فثـمَّ مجـدٌ وفعـلُ قـاهـرٍ للنـاس عـال
وقبلـك رامَ يجـري ذو فَخـار غـزيـرُ الشعـر مشتهـر الـرجـال
أتـانـا شـامخـاً يبـدي سـروراً بشـأوٍ كـان منـه وهـو خـال[5]
جعلنـا بـالقصيـد لـه خِشـاشـاً فـواتـاً فـي العقيـق والارتجـال[6]
ولـولا أنْ تحيـدَ اليـوم عنّـي تـركتـك تـرك حـرٍّ ذي اشتعـال
يقـول إذا هجـاه غيـر كفـوءٍ ذروه ليـس نبلُـك بـالنبـال
قعيـدَك قـد أجبتـك لا بفحـشٍ ولـم يـك غيـر حـقٍ واستطـال[7]
فـإنْ تنـزع فحظُّـك نلـتَ منـه وإنْ تلجـج فجَـدُّك للسفـال
ستبعـث للجـواب أخـا حفـاظٍ علـى الأقـران يُعنـف فـي السـؤال
رحيـب البـاع لا قِصفـاً هـدوراً شـديـد الشغـب يـوصف بـالبَسال[8]

(١) الخرق: الفتى الحسن الكريم الخلقة.
(٢) طآطم: مصائب.
(٣) أمد الفصال: وقت فصل ولد الناقة عن أمه.
(٤) العوالي: واحدها العالية، وهي أعلى القناة، أو رأسها. أو النصف الذي يلي السنان. وعند مختلف العوالي: اشتجارها وقت الحرب.
(٥) شأو: سبق.
(٦) الخشاش: الغضب، فواتاً: فاته الأمر فواتاً، ذهب عنه.
(٧) قعيدك: بأبيك، استطال: تفضّل.
(٨) القصف: الرجل السريع الانكسار عن النجدة. والبسال: الشجاعة.

أريبٌ زانه حلم وعِلمٌ ومجد كان في الحُقَب الخوالي
فإن تحلم فذو حلمٍ جسيم وإنْ تجهل فجهلٌ ذو اغتيال

● ١٤٦ ـ وقال يهجو مسكين بن عامر:

أيّها الشاتمي لتجيبَ مثلي إنما أنتَ في ضلال تَهيم
لا تسبّنّني فلستَ ببذّي إنّ بذّي من الرجال الكريم[(١)]
إنّ سبَّ الكريم فيه شفاء إنما الموت أنْ يُسبّ الزنيم
ما أبالي أنبَّ بالحَزْن تَيْسٌ أم هجاني بظهر غيبٍ لئيم[(٢)]

قال أبو عبد الله: سرق هذا البيت والذي قبله من أبيه (٨٩ ظ /) في هجائه لابن الزبعرى[(٣)].

● ١٤٧ ـ حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمي قال:

أهدى المقوقس صاحب الاسكندرية إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مارية ابنة شمعون القبطية وأختها شيرين، وخصيًا يدعى «مابورا»[(٤)] فاتخذ رسول الله ـ

---

(١) انظر تخريج البيت في ديوانه ص ٥١.
وروايته في تفسير القرطبي ٢/ ١٨١ وروضة المحبين ص ٢٢ واللسان والتاج والمسلسل ص ٣٠٤ وسيرة ابن هشام ٢/ ١٥٠.
... فلست بسبي .. إن سبي ....
البذ: الغلبة.

(٢) نبّ: صاح. والحزن: ما غلظ من الأرض.

(٣) في السيرة النبوية ٢/ ١٥٠ بيتان لحسان من قصيدة طويلة في هجاء ابن الزبعرى:
لا تسبنني فلست بسبي إن سبي من الرجال الكريم
ما أبالي أنب بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيب لئيم
والثاني منهما في ديوانه ص ٣٧٨. وابن الزبعرى هو عبد الله بن الزبعرى من شعراء قريش الكبار، ومن أشدهم على المسلمين. أسلم عام الفتح واعتذر من الرسول ﷺ شعراً. (الاستيعاب ٢/ ٣٠٠ والإصابة ٢/ ٣٠٠).

(٤) كان ذلك في سنة سبع حين بعث رسول الله ﷺ، حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بكتاب منه يدعوه فيه إلى الإسلام، فأعظم الكتاب، وقال: لولا الملك ـ يعني ملك الروم ـ لأسلمت. وأهدى إلى الرسول ﷺ مارية وشيرين وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً وبغلة تعرف بدلدل وحماره=

صلى الله عليه وآله وسلم ـ مارية ابنة شمعون لنفسه، فهي أمّ إبراهيم، ووهب شيرين حسّان بن ثابت، فأولدها عبد الرحمٰن، فكان عبد الرحمٰن ابن خالة إبراهيم ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد انقرض ولد حسّان[1].

● ١٤٨ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

كان[2] عبد الرحمٰن بن حسّان في الكُتّاب، فتأخر عن الكتّاب، فقال له معلمه: أين كنت؟ وأراد أنْ يضربه فقال[3]:

اللّـهُ يعلـم أنـي كنـتُ معتـزلا فـي دار حسّـان أصطـاد اليعـاسيبـا[4]

وقال أبو عبد الله[5]: لسع عبد الرحمٰن زنبور ـ وهو صبيّ ـ فأتى أباه، فقال: يا أبه، عضّني دابة، كأنه برد حبرة[6]. فقال حسان: قلت الشعر وربّ الكعبة.

● ١٤٩ ـ حدّثني الزبير قال:

خلوت أنا وابن عزيز مع الرشيد فذكر شيئاً من أمر يحيى بن خالد[7] كأنه همّ بالنظر فيه، فقال إسحق بن عروة متمثلاً[8]:

ليـتَ هنـداً أنجـزتنـا مـا تعـدْ وشفـت أنفسنـا ممـا تجـد

= يعفورا وخصيا. في أكثر المصادر اسم شيرين سيرين عدا الموفقيات والأنساب. (انظر أنساب الأشراف ١/ ٤٤٩ والطبري ١٧٨١ والمحبر ص ١٠٩).

(١) في الشعر والشعراء ٢٢٦: وانقرض ولد حسان فلم يبق له عقب.

(٢) الخبر في الكامل في اللغة ١/ ٢٢٥.

(٣) البيت في الحيوان ٦/ ٣٥٤ وفيه: كنت مشتغلاً. وفي الكامل كنت منتبذاً.

(٤) اليعاسيب: واحدها اليعسوب، وهو أمير النحل وذكرها.

(٥) الخبر في الكامل أيضاً ١/ ٢٢٥ والحيوان ٣/ ٦٥ وأسرار البلاغة ص ٢١٩.

(٦) في جميع المراجع التي أوردت الخبر: لسعني طائر كأنه ملتف في بردى حبرة. والحبرة: ضرب من ثياب اليمن.

(٧) هو يحيى بن خالد البرمكي، وزير الرشيد المعروف وقد فوضه أموره كلها، إلا أنه عاد فسجنه في نكبة البرامكة وتوفي في سجنه عن سبعين عاماً في سنة ١٩٠. (انظر العبر ١/ ٣٠٥ والشذرات ١/ ٣٢٧).

(٨) البيتان لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه من قصيدة غزلية ص ٧٦.

واستبـــــدّت مـــــرةً واحـــــدةً إنمـــا العـــاجـــز مـــن لا يستبـــد

قال جدي عبد الله بن مصعب: فالتقيت أنا ويحيى بن خالد بعد هذا المجلس (٩٠ و /)، فقال لي: يا أبا بكر، هل وجدت عند أمير المؤمنين لي أثراً تكرهه؟. قلت: لا. قال: فخلوتُ معه الدهر لم أغبْ لك بسوءٍ، وخلوتَ ساعة فقرضتني[١]. قلت: قد بلغك الحديث، كنت مع رجل فكرهت أن أخذله، واستطمعني أمير المؤمنين شكايتَك. فشكوتك بأهون الأشياء عليك.

فقلتُ: حبسُ أرزاقنا وشغلُ وجهِ أمير المؤمنين عنّا، ولو أردتُ قرضَك[٢] لوجدت لي أثراً.

● ١٥٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم التميمي قال: حدّثني إدريس بن أبي حفصة قال:

استعمل زياد بن عبد الله الحارثي[٣] ابن أبي عاصية[٤] على يَنبُع[٥]، فدخل عليه يوماً عبد الله بن الحسن فجرى بينهما كلام، فأغلظ لابن أبي عاصية، فقال له ابن أبي عاصية: إني قد أقلتك، فإن عدت ضربتك ـ والله ـ مائة سوط. فبلغ ذلك المنصور، فكتب إلى زياد أنْ يشدّ ابن أبي عاصية في الحديد، ويرفعه إليه. ففعلَ، فلما دخل ابن أبي عاصية على المنصور قال له: يا أمير المؤمنين ما قلتُ إلاّ لِما عُلم من رأيهِ، وأنا القائل يا أمير المؤمنين:

ليحبسكـــم أن تمنعـــوا بنبـــاحكـــم ثمـــراتِ ينبـــع شـــر دار ينبـــع
هـــلاّ أميّـــة وهـــي ظـــالمـــة لكـــم ولهـــا عليـــك رحـــالـــة لا تنـــزع

(١) في ب: فعرضتني.
(٢) في ب: قرصك.
(٣) هو زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي. أمير المنصور على الحجاز منذ سنة ١٣٧ هـ. (انظر الطبري وابن الأثير سنة ١٣٧).
(٤) انظر ذيل الأمالي ١٢٦ حيث أنشد له شعراً وسمّاه ابن أبي العاصية السلمي.
(٥) ينبع: كانت من عمل المدينة على سبع مراحل من المدينة، وكانت تسكنها الأنصار وجهينة وليث. وقيل بين مكة والمدينة. انظر المغانم المطابة ص ٤٤٠.

ركبوك مرتحلاً فظهرك منهمُ   داني الحراقف والفقار موقع][1]
(٩٠ ظ /)
كالكلب يألف خانقيه وينتحي   نحو الذين بهم يعزّ ويمنع

فأمر له بمالٍ، وخلّى سبيله.

● ١٥١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي قال: حدّثني علي بن هشام قال:

سمعت المأمون يقول: ليس عليّ في الحكم مؤونة، ولوددتُ أنّ أهل الجرائم علموا رأيي في العفو فيذهب عنهم الخوف، وتسلم قلوبهم لي.

وقال المأمون[2]: الملوك تحتمل كلَّ شيء إلاّ ثلاثة أشياء[3]: القدح في المُلك، وإفشاء السرِّ، والتعرّض للحُرم[4].

● ١٥٢ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال:

استقبل الطالبيّون المأمونَ في منصرفه من خراسان إلى العراق في بعض الطريق، فاعتذروا مما كان منهم من الخروج. فقال المأمون لمتكلمهم: كفّ واسمعْ مني. أوّلنا وأولكم ما تعلمون، وآخرنا وآخركم ما تريدون، وتناسوا ما بين هذين.

● ١٥٣ ـ قال: وركب المأمون يوماً فصاح إليه الأنصار. فقال: أين كنتم يوم سقيفة بني ساعدة، والعبّاس وعليٌ يريدان نُصرتكم، فلا تريدوا منا ثواباً.

● ١٥٤ ـ قال: وذكر المأمون يوماً اختلاف الناس، فقال لثمامة[5]: قد كثر اختلاف الناس في الاستطاعة، وذِكر الأفعال، فاجمعْ لي في هذا كلاماً[6] تختصره ليُفهم.

---

(١) إلى هنا ينتهي السقوط من الأصل.

(٢) النص في الطبري ٨/٨٨ عن قحطبة. والمحاسن والمساوىء ٣٧٤ عن الشعبي. ولكنهما نسباه إلى المنصور بدلاً من المأمون.

(٣) في المصدرين السابقين: كل شيء من أصحابها إلا ثلاثاً.

(٤) في الطبري: للحرمة.

(٥) ثمامة: هو ثمامة بن أشرس النميري، زعيم القدرية في عصر المأمون، وهو الذي دعاه إلى الاعتزال، قتل في عصر الواثق وقيل مات في سنة ٢١٣. انظر الفرق بين الفرق ص ١٥٧.

(٦) سقط من ب سطر ابتداء من (كلاماً).

قال: نعم يا أمير المؤمنين لم أتخلف عن الجواب إلا لتشخص القلوب إلى فهمه. فجمعَ الناس إلى ثلاثة أيام، فلما جُمعوا، وحضرهم في اليوم الثالث قال له المأمون: تكلّم. فقال[1]: يا أمير المؤمنين لا تخلو هذه الأفعال من أن تكون كلها من الله، فما السبيل علينا؟ أو تكون منه[2] ومنا فمَن الحكَم بيننا؟ أو يكون منا والقُوى من الله. قال: فقال المأمون: (٩١ و /) بل ومنا والقوى من الله عز وجل.

● ١٥٥ ـ حدّثني الزبير قال:

كان لبكار بن رباح منزل إلى دار العجلة، فأعطاه به المهدي أربعة آلاف دينار. فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبيع جوارك بشيء، فترك له منزله، وأعطاه الأربعة آلاف دينار، ففيه بعض ولده اليوم. قال: وبكار بن رباح مولى لآل الأخنس بن شريف الثقفي، حليف بني زهرة.

● ١٥٦ ـ وأنشدني لبكار في المهدي يرثيه[3]:

ألا رحمة الرحمان في كلّ ساعةٍ على رمّة رُسِّتْ بماسبذان[4]
لقد غُيّب القبرُ الذي ثمّ سؤدداً وكفّين بالمعروف تبتدران

● ١٥٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو غزية، وكان قاضياً على المدينة قال[5]:

كان إسحق بن غُرير[6] يتعشّق عبّادة جارية المهلبيّة، وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران[7]، فركب إسحق يوماً ومعه جدي عبد الله بن مصعب بن

---

(١) سقطت (فقال) من ب.
(٢) سقطت (منه) من ب.
(٣) البيتان في تاريخ الطبري ٨/ ١٧١.
(٤) في الطبري: رمة رمت. وماسبذان: من بلاد فارس، وفيها قبر المهدي. (ياقوت).
(٥) الحادثة في الأغاني ٣/ ١٥٥ برواية الزبير بن بكار أيضاً.
(٦) هو إسحق بن غرير الزهري من جلساء المهدي، وكان حلواً، وكان لعبد الله بن مصعب صديقاً ملازماً له. (انظر جمهرة نسب قريش ١/ ١٢٩).
(٧) هي الخيزران بنت عطاء أم هارون الرشيد، وكانت ذات نفوذ كبير عند زوجها المهدي وولديها =

ثابت[1]، يريدان أمير المؤمنين المهدي، فلقيا عبّادة، فقال إسحق: يا أبا بكر هذه عَبّادة، وحرّك دابته حتى سبقها ثم استقبلها فنظر إليها، فضحك عبد الله بن مصعب ومضيا فدخلا على أمير المؤمنين، فحدّثه عبد الله بن مصعب[2] بما فعل إسحق فقال: أنا أشتريها لك، ودخل على الخيزران، فدعا المهلبية فسامها وأعطاها ثمنها خمسين ألف درهم، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريدها لنفسك فبها فداك اللّهُ، هي لك. فقال: أريدها لإسحق بن غرير، فبكت وقالت: تؤثر عليّ إسحق، وهي يدي ورجلي ولساني في حوائجي. فقالت الخيزران: (٩١ ظ /) ما يبكيك؟ صار إسحق يتعشّق جواري الناس، لا يصل ـ والله ـ إليها أبداً. فأخبره أمير المؤمنين بما جرى[3] فيها. وقال له: الخمسون ألف[4] درهم لك مكانها. فأخذها، فقال أبو العتاهية[5]:

مَن صدقَ الحبَّ لأحبابه … فإنّ حب ابن غُرير غرور[6]
أنساه عبّادة ذات الهوى … وأذهب الحبُّ لديه الضمير[7]
خمسون ألفاً كلها وازن … حَسَن لها في كل كيس صرير[8]

= موسى وهارون، وهي التي دبرت قتل الخليفة الهادي لما هم بقتل أخيه الرشيد. توفيت سنة ١٧٢ وخرج خلف جنازتها الرشيد حافياً يمشي في الطريق. (انظر العبر ١/ ٢٥٨ والشذرات ١/ ٢٨٠).

(١) وصفه الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش ١/ ١٢٤ فقال: كان مدرة قريش وخطيبها، وواحدها شرفاً وقدراً وصوتاً، وعناية بهم وبجميع أهل المدينة، وكان في صحابة المهدي وولاه اليمامة، ومن بعده ولاه الرشيد المدينة ثم اليمن.

(٢) سقط من ب ابتداء من (ومضيا).

(٣) سقطت (بما جرى) من ب. وفي الأغاني: جواري الناس فخرج المهدي فأخبر ابن غرير بما جرى.

(٤) في الأغاني: الخمسون ألف درهم لك مكانها. وأمر له بها فأخذها.

(٥) أبو العتاهية لقبه، واسمه إسماعيل بن القاسم وكنيته أبو إسحق، نشأ في الكوفة في العصر العباسي، وديوانه مطبوع متداول وأكثر شعره في الزهد والأمثال. ترجمته في الشعر والشعراء ٦٧٥ والأغاني ٣/ ١٢٦ وطبقات ابن المعتز ٢٢٨.

(٦) الأبيات في الأغاني ٤/ ٦٠.

(٧) في الأغاني: ذا الهوى .. الحب الذي في الضمير.

(٨) في الأغاني: كلها راجح .. حسناً ..

وقال فيه أيضاً[١]:

حبّك المال لا كحبّك عبّادة ... يا فاضح المحبينا[٢]

لو كنتَ أصفيتها الوداد كما ... قلت لما بعتها بخمسينا

● ١٥٨ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال:

كتبت إلى إسحاق بن إبراهيم التميمي:

يا ضيف إسحق كن في خيرِ منزلة ... فضيفُ إسحقَ محبور وممنوح[٣]

واسمع من العلم أنواعاً على ثقةٍ ... أن لستَ نائلها ما هبّت الريحُ

لك الكرامةُ منه شيمةٌ خُلقٌ ... والعلمُ عن ضيفه محلٌ ومجلوح

هيهات في العلم إذ ترجو فوائده ... رُمتَ الذي لم تُقعقعه المفاتيح

فكتب إليّ إسحق[٤]:

العلمُ عندي شيء لستُ مانعه ... وكلُّ باب له عندي فمفتوح

لولا مواقع أرعاها وأرقبها ... وإنّ لمثلك مني الحلم ممنوح

إذاً لجاءك منّي منطقٌ قَذعٌ ... يطير[٥] منه إذا استسمعتَه الروح

● ١٥٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني عن قحذم مولى (٩٢ و /) آل أبي بكرة، وكان قحذم كاتباً ليوسف بن عمر[٦]. قال:

لما ولي خالد بن عبد الله القسري العراقَ اتخذ أموالاً وضياعاً، وحفر أنهاراً، فكان يستغل عشرين ألف ألف درهم بالعراق، منها نهر خالد، وكان يغلّ خمسة ألف ألف درهم، والجامع، والمبارك ولؤبة سابور، والصلح[٧]، وكان هشام حسوداً

---

(١) البيتان في الأغاني أيضاً.

(٢) في الأغاني: للمال.

(٣) في ب: محبو.

(٤) سقطت هذه العبارة من ب.

(٥) في ب: تطير.

(٦) هو يوسف بن عمر بن محمد الثقفي، ولاه هشام بن عبد الملك الشام سنة ١٠٦. قتله يزيد بن خالد القسري بثأر أبيه سنة ١٢٧. (ابن خلكان).

(٧) هذه مواضع وقرى في العراق اشتراها القسري.

متيقظاً[1]، فبلغه ذلك فأحفظه، وأصرّ عليه فكلّم خالداً أخلاؤه[2] وصنائعه العُريان بن الهيثم[3]، وبلال بن أبي بُردة[4] وغيرهما. فقالوا: نشيرُ عليك برأي قد أصبناه ورأيناه صواباً، فيه دوام نعمتك، وكَبت أعاديك. قال: وما هو؟ قالوا: قد بلغنا عن أمير المؤمنين هشام ما غمّنا من سؤاله وقتاً بعد وقتٍ عن غلاتك وأموالك، فاكتب إليه فاعرض عليه أموالك. فقال: والله ما يعارضني شكٌّ في نصيحتكم، ولكني - والله - لا أعطي الدنيّة، ولا أخرج عن يدي درهماً قسراً[5] فما فوقه أبداً. قالوا: فإن هشاماً أعذر منك، ولآك ولا تملك شيئاً، وقد عرفت شرهه وحرصك، فإن هو قبض ما تعرض عليه فعلينا جمعه لك ثانية، فلما كان في سنة تسع عشرة ومائة كتب إليه هشام[6]: بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمرٌ لم يحتمله منك إلا لِما أحبَّ من رب صنيعته[7] قبلك، واستتمام معروفه عندك، وكان أمير المؤمنين أحق مَن استصلح ما فسد منك، فإنْ تعُدْ لمثل مقالتك (٩٢ ظ /) وما بلغ أميرَ المؤمنين عنك، رأى في معاجلتك بالعقوبة رأيه، إنّ النعمة إذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته، فأساء حمل الكرامة، واستغل النعمة[8]، ونسب[9] ما في يده إلى جبلته[10] وبيته ورهطه وعشيرته، فإذا نزلت به الغير، وانكشط[11] عنه عماية الغنى[12] والسلطان، ذل منقاداً وندم قسراً، وتمكّن منه عدوه قادراً عليه، قاهراً له،

(١) في ب: مستيقظاً.
(٢) في ب: فكلم أخلاؤه خالداً وصنائعه.
(٣) هو العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي.
(٤) هو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها. مات في حبس يوسف بن عمر سنة نيف وعشرين ومائة. (تهذيب التهذيب).
(٥) سقطت هذه الكلمة من ب.
(٦) الرسالة في الكامل للمبرد ٢/ ٢٩٧.
(٧) في الكامل: رب الصنيعة. ورب: نمّى وزاد.
(٨) في الكامل: واستقل العافية.
(٩) في الأصل: وسبب. وما أثبتناه عن الكامل أحسن.
(١٠) في الكامل: حيلته.
(١١) في ب: وانكشف.
(١٢) في الكامل: الغي.

ولو أراد أمير المؤمنين إفسادك لجمع[١] بينك وبين من شهد فلتات خطلك، وعظيم زللك، حيث تقول لجلسائك: والله ما زادني العراق[٢] رفعةً ولا شرفاً ولا[٣] ولآني أمير المؤمنين شيئاً لم يكن مَنْ كان قبلي، ممّن هو دوني، يلي مثله. ولو[٤] ابتليت ببعض مقاوم[٥] الحَجّاج أهل[٦] العراق في تلك المضايق بمثل الجماعات التي لَقي، لعلمتَ أنك من بَجيلة[٧]، ولقد خرج عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنك، فما استطعتم إلاّ بأمانٍ، ثم أخفرتَ ذِمّتك، فيهم رزين وأصحابه، ولعمري لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بلفظك[٨] في مجلسك، وجحودك فضله عليك، في تصغير عظيم ما أنعمَ به عليك، فحلَّ العقدة، ونقض الصنيعة، وردَّك إلى منزلة أنت أهلها، لكنتَ له مستحقاً[٩]، ولقد حشدَ جدُّك يزيد بن أسد[١٠] مع معاوية يوم صفّين، وعرض دينه ودمه[١١] فما اصطنع إليه، ولا ولاّه ما اصطنع إليك أمير المؤمنين وولاّك، وقِبله من أشراف أهل (٩٣ و /) اليمن والبيوتات مَن قبيلتُه أكرم من قبيلتك من كندة وغسّان وآل ذي يَزن وذي كَلاَع وذي رُعَين، في نظرائهم من بيوتات قومهم، كلُّهم[١٢] أكرم أوليّة، وأشرف أسلافاً من آل عبد الله بن يزيد. ثم آثرك أمير المؤمنين

---

(١) في الأصل و ب: جمع.

(٢) في الكامل: ما زادتني ولاية العراق.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في الكامل: ولعمري لو.

(٥) مقاوم: جمع مقام.

(٦) في الكامل: في أهل العراق.

(٧) بجيلة: قبيلة ينتمي إليها قسر بن عبقر. الذي ينسب إليه خالد بن عبد الله القسري.

(٨) في الكامل: بخطلك.

(٩) في الكامل: كنت لذلك مستحقاً.

(١٠) هو يزيد بن أسد بن كرز القسري، جد خالد بن عبد الله. وفد على النبي ﷺ، فأسلم، ونزل بالشام، وكان يروي عن الرسول ﷺ. (المعارف ٣٩٨).

(١١) في ب: دينه وأمانته.

(١٢) سقطت هذه الكلمة من ب.

بولاية العراق، بلا بيت عظيم[١] ولا شرف قديم[٢] ولَهذه البيوت تغمرك وتعلوك، وتُسكتك وتتقدمك في المحال والمجامع عند ابتداء[٣] الأمور وأبواب الخلفاء. ولولا ما أحبَّ أمير المؤمنين من ردّ غَربك لعاجلك بالتي كنتَ أهلها، وإنها لقريبٌ منك مأخذها، سريع مكروهها، فمنها[٤] - إنْ اتّقى[٥] الله أمير المؤمنين - زوال نعمة الله عليك، وحلول نقمته بك، فيما صنعت[٦] وارتكبت بالعراق من أهله، واستعانتك[٧] باليهود والنصارى والمجوس، تولِّيهم أموال المسلمين وخراجَهم، وتسلّطهم عليهم[٨]، نزعَ بك إلى ذلك عرق سوءٍ من[٩] التي قامت عنك، فبئس الجنين أنت[١٠] عُديّ نفسه، وإن الله لَما رأى إحسان أمير المؤمنين إليك وسوءَ قيامك بشكره، قلب قلبه لك فأسخطه عليك، حتى قبحت أمورك عنده، وآيسه مع شكرك[١١] ما ظهر له من كفرك النعمة عندك، فأصبحتَ تنتظر غير[١٢] النعمة وزوال الكرامة، وحلول الخزي، فتأهبْ لنوازل عقوبة الله بك، فإنّ الله عليك أوجد، ولِما عملتَ أكره، فقد أصبحتَ وذنوبك أعظم من أن يبكّتك بها أمير المؤمنين ذنباً ذنباً، ومَن يرفع عليك عنده يُبكّتك منها بما نسيته وأحصاه اللّهُ عليك، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك بما عرفك[١٣] من التسرع (٩٣ ظ /) إلى حمقاتك[١٤] في غير واحدة، منها القرشي

---

(١) في الكامل: بيت رفيع.
(٢) سقطت عبارة (ولا شرف قديم) من ب.
(٣) في الكامل: بدأة.
(٤) في الكامل: فقيهاً.
(٥) في ب: أبقى الله.
(٦) في الكامل: ضيعت.
(٧) في الكامل: من استعانتك.
(٨) في ب: عليك.
(٩) سقطت (من) من ب.
(١٠) سقطت من ب.
(١١) في ب: من شكره. تحريف.
(١٢) سقطت جملة (فأصبحت) من ب.
(١٣) سقط سطر من ب ابتداء من (وأحصاه).
(١٤) في الكامل: حماقتك.

الذي تناولته بالحجاز ظالماً، فضربك الله بالسوط الذي ضربته به، مفتضحاً على رؤوس رعيتك، ولعلّ أمير المؤمنين أن يعود عليك بمثلها، فإن فعل[١] فأنت أهلها، وإن صفح[٢] فأهلُه هو، والله لو لم يستدلّ أمير المؤمنين على ضعف نحائزك[٣]، وسوء تدبيرك إلا فسالة[٤] دخلائك[٥]، وبطانتك وعمّالك، والغالبة عليك جاريتك الرائقة[٦]، بائعة العهود[٧]، ومُشغلة[٨] الرجال، مع ما أتلفتَ من مال الله، بالمبارك[٩] اثني عشر ألف ألف درهم[١٠]، واللَّهِ أنْ لو كنتَ من ولد عبد الملك لما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من أموال الله، وضيّعت من أمور المسلمين، وسلّطتَ من ولاة السوء على جميع كوَر الإسلام[١١]، تُحمَل إليك هدايا النيروز والمهرجان[١٢]، خالساً لأكثرها، رافعاً لأقلّها مع كثرة[١٣] مساويك المتروك تقريرك بها، ومناصبتك أمير المؤمنين في موالاة حسّان ووكيله في ضياعه، وأحوازه[١٤] في العراق، وسيكون لك ولأمير المؤمنين نبأ إن لم يعفُ عنك، ولكنه يظن الله طالبك بأمور، غير تارك لتكشيفك عنها، وحملِك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هبيرة، وترك رفع محاسبتك سنة كذا وكذا لما وليتَ من خراج العراق، وتوجيهك أخاك أسداً إلى خراسان، مظهراً بها العصبية، متحاملاً (٩٤ و/) على هذا الحيّ من مضرَ، قد أتت

---

(١) في الكامل: يفعل.
(٢) في الكامل: يصفح.
(٣) النحائز: جمع نحزة وهي الطبيعة.
(٤) في ب: بفسولة. والفسالة والفسولة، الرذالة وعدم المروءة.
(٥) في ب: بدخلائك. وفي الكامل: دخائلك.
(٦) في ب: الزانية.
(٧) في ب والكامل: الفهود.
(٨) في ب والكامل: ومستعملة.
(٩) المبارك: نهر بالبصرة احتفره خالد لهشام.
(١٠) في الكامل: فإنك ادعيت أنك أنفقت عليه اثني عشر . .
(١١) في الكامل: جميع أهل كور عملك.
(١٢) في الكامل: تجمع إليك الدهاقين.
(١٣) في الكامل مع مخابث مساويك.
(١٤) أحوازه: جمع حوز وهو الموضع يحوزه الرجل يتخذ حواليه مسناة.

أمير المؤمنين عيونه بتصغيره لهم، واحتقاره إياهم، ناسياً لحديث زَرْنَب[1] وقِصَص الهجريّين كيف كانت في يزيد بن أسد[2]، فإذا خلوتَ أو توسَّطتَ مَلأً فاعرف نفسَك، واحذر[3] رواجع البغي عليك، وعاجلات العقوبة[4]، فإنّ ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا[5] أفسدُ لك، وأشدُّ عليك، فإن أمير المؤمنين قد تأنّى فَيْئك، وأمّلَ رجعتك، واستنظرَ توبتك[6]، وقِبلَ أمير المؤمنين خلف كثير، في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم، وفيهم عِوَضٌ منك، واللّهُ من ورائك إن شاء الله[7]، وكتب [عبد الله بن][8] سالم، مولى أمير المؤمنين سنة تسع عشرة ومائة.

فلما دخلت سنة عشرين ومائة كتب هشام إلى يوسف بن عمر وهو عامل اليمن بولايته على العراق لِما بلغه من شهامته ورُجلته وخبثه، فسار حتى نزل الكوفة فأرسل إلى طارق فحبَسه، وكان خالد استخلف زياد بن عبد الله الحارثيّ، فقال يوسف لزياد: مَنْ أنت؟ فانتسب له، فقال: النجرانيّ؟ قال: نعم. فخلّى سبيله، وأرسل إلى خالد وهو بالحَمَّة[9]، فأتى به، فحبسه وجميع عمّاله. فجاء عبدالله بن عياش المنتوف[10]

(١) زرنب: يروى: أن كرز بن عامر جد خالد كان آبقاً من مواليه عبد القيس من هجر فظفرت به عبد شمس بن جوين، ثم وهبوه لقوم من طهية ثم هرب فأخذته بنو أسد فكان فيهم فتزوج مولاة لهم تدعى زرنب يقال أنها كانت بغياً فولدت له أسداً سماه باسم أسد بن خزيمة ثم إن قسراً مروا به فعرفوه، فأخذوه إلى مواليه حتى خرج معهم إلى الطائف فرأى دار بجيلة فأعجبته فاشترى نفسه وابنه وأقام في بجيلة وادّعى إليهم إلى أن مات. (انظر رغبة الآمل ٨/ ٢٩٤).

(٢) في الكامل: في أسد بن كرز.

(٣) في الكامل: وخف رواجع.

(٤) في الكامل: وعاجلات النقم فيك.

(٥) في الأصل: قد مكان هذا.

(٦) سقطت هذه العبارة من الكامل.

(٧) في الكامل: والله من وراء ذلك.

(٨) تكملة من الكامل.

(٩) الحمة: اسم لعدة مواضع. (انظر ياقوت ٢/ ٣٢٠).

(١٠) أبو الجراح عبد الله بن عياش بن عبد الله الهمداني الكوفي المعروف بالمنتوف كان راوية للأخبار والآداب، ينادم المنصور ويضحكه. توفي سنة ١٥٨. (الشذرات ١/ ٢٤٣ ولسان الميزان ٢/ ٣٢٢).

معه أخوه الفضل، وقد كان العريان بن الهيثم ضرب الجراح بن عبد الله بن عياش، فاستعدى عليه خالداً، فلم يُعده عليه، فحقدوا ذلك عليه، فوثب عبد الله والفضل على خالد بباب يوسف فشتماه، وكادا يطآنه بأرجلهما ويقولان على ما يعذَّب هذا ألاّ يؤتى[1] بأمه النصرانية[2]، فتعذَّب حتى تسلح على الصليب ويُقتل (٩٤ ظ /) هذا. فأقبل مَن هناك من الحرس عليهما، فهرب الفضل وضُرب عبد الله المنتوف وخُرّقت ثيابه، حتى لم يبقَ من قميصه إلا الزيق، مكشوفَ الأست، مستقبلاً فتق أسته عين الشمس، وبلغ ذلك يوسف بن عمر فدعا به، فقال: من ضربك؟ قال: أهل الدنيا، ما رأيت إلاّ ضارباً. قال: لكني أدري من ضربك. على[3] مَن كانت النوبةُ؟ قيل: على فلان وفلان وفلان، فدعا بهم، فضربهم ألفاً ألفاً وأغزاهم الثغور، وعذب يوسفُ خالداً، من غير أن يبلغ نفسه، ثم أتاه كتاب هشام في استخلاصه[4] إلى ما قبله، فوجّهه إليه، فخلّى سبيله، فكان مقيماً بالشام إلى أن مات هشام في سنة خمس وعشرين ومائة[5]، فردّه الوليد بن يزيد إلى يوسف بالعراق فعذّبه حتى قتله.

● ١٦٠ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني على بن صالح عن عامر بن صالح، قال: قال عبد الله بن عباس:

لمّا كانت فتنة عليّ ومعاوية كلّم أهل مكة عثمان[6] بن شيبةَ من بني عبد الدار أن يتولّى أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة ففعل، وكلّم أهل الطائف عبد الله بن خالد بن أسيد[7] وسألوه أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة فأجابهم إلى

---

(١) في ب: يأتوا.

(٢) روى صاحب الأغاني ١٩/٥٩ أنه كانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه، فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس. وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم.

(٣) في الأصل: عن.

(٤) في ب: في شخوصه.

(٥) توفي الخليفة هشام بن عبد الملك في ربيع الآخر من هذه السنة وكانت خلافته عشرين سنة إلاّ شهراً. (الشذرات ١/١٦٣).

(٦) انظر ترجمته في الإصابة ٢/١٦٣.

(٧) هو عبد الله بن خالد بن أسيد المخزومي، في صحبته وروايته نظر، ولاّه زياد فارس في خلافة =

ذلك، فجاء إذنه ذاتَ ليلة فقال: هذا عنبسة بن أبي سفيان بالباب. فقال: ائذن له. فدخل عليه وهو سكران، وعند عبد الله بن خالد ابنة عثمان بن عفان، وهي امرأته، فجعل عنبسة ينظر إلى جلا (٩٩ و /) - يعني كوة -[١] في البيت، ويثب إليه لِما به من السكر. فقال عبد الله بن خالد: ما ابتُليتُ بذا[٢] الليلة. فقالت له امرأته: واللّٰهِ ما جنى جنايةً قطّ. وهو أخو أمير المؤمنين، أرى أن تستر عليه، وتخلّي سبيله. قال: لا والله، لا أبطل حدّاً من حدود الله، فأرسل عبد الله بن خالد إلى عبد الرحمٰن بن أبي ربيعة، وكان بالطائف. فقال له ابن أبي ربيعة: لأيّ شيء بعثتَ إليّ؟ قال: بعثتُ إليك لتنظر إلى عنبسة بن أبي سفيان، وتشهد على سكره. فقال: لا وصلتك رحم، أما كان ها هنا أحد أهون عليك منّي. فقال: لا، ولكن لم يكن ها هنا أحد أوثق في نفسي منك. قال: أما إذا فعلت فابعث إلى رجل آخر. فبعثَ إلى رجل من ثقيف، فأشهده أيضاً عليه، فلما أصبح جلَده الحدَّ، فلما ولى معاوية قدم عليه عنبسة أخوه فأخبره الخبر، فبعث معاوية إلى عبد الله بن خالد بن أسيد، وإلى عبد الرحمٰن بن أبي ربيعة وإلى الثقفيّ، فدسّ إلى الثقفيّ[٣] وإلى عبد الرحمٰن أن يكذّب نفسه ليبطل الحدَّ، فأبى عبد الله بن خالد وعبد الرحمٰن، ورجع الثقفي عن شهادته، فمكث عبد الرحمٰن بن أبي ربيعة وعبد الله بن خالد بن أسيد بباب معاوية سنة لا يأذن لهما، فلما رأى ذلك عبد الرحمٰن بن أبي ربيعة أحرمَ يومَ جمعةٍ، ومعاوية[٤] على المنبر، فبعث إليه معاوية، أن لا ولا كرامة، والله ما استأذنتني[٥]، ولا أذنت لك. فقال عبد الرحمٰن: أليس ذاك لك، إنما بعثتَ إليّ فسألتني عن أمر، فأخبرتك بعلمي فيه، فأذن له، فانصرف إلى مكة، وبقي عبد الله بن خالد سنة أخرى، ثم استأذنه في الرجوع إلى مكة حاجًّا (٩٥ ظ /) فدخل عبد الله بن خالد فسأله أن يردّ عليه قطائع

= عثمان واستخلفه زياد على البصرة. (الإصابة ٢/ ٢٩٣).

(١) سقط الإيضاح من ب.

(٢) في ب: بهذه.

(٣) سقطت هذه الجملة من ب.

(٤) سقط سطر من ب ابتداء من (سنة).

(٥) في ب: استأذنت لي. تحريف.

كان أخذها بسبب عنبسة، فلم يردّها عليه، ثم إن عبد الله بن خالد خرج إلى العراق، وعليها زياد بن أبي سفيان، فحضرت زياداً الوفاة[1] فاستخلف عبد الله بن خالد على عمله، وكتب بذلك إلى معاوية، فقال: لا والله، لا نستعمله، لا على صلاتها، ولا على خراجها. ثم استعمل عبد الرحمٰن ابن أمّ الحكم الثقفي[2]، فأخذ عبد الله بن خالد من بيت المال ألفي ألف درهم، وشخص إلى مكة حيث بلغه أنّ معاوية استعمل عبد الرحمٰن ابن أمّ الحكم، فلما بلغ معاوية ما أخذ من بيت المال. قال: الحمد لله الذي أمكنني منه، والله ما يسرّني أنها في بيت المال، ثم بعث إلى عنبسة، فقال: قد أمكنك الله من ثأرك، وأخبره بما قبض عبد الله من بيت المال. قال: قد ولّيتُك الحجاز. فتهيّأ عنبسة، ثم دخل عليه يودّعه. فقال له[3]: ما أنت صانعٌ بعبد الله بن خالد؟ قال: أضربُ ـ والله ـ بيده وجهَه. فقال معاوية: بأستك، بئس ـ والله ـ ابن العشيرة أنت. بعبد الله تصنع هذا؟ والله لقد كنتُ عليه حنيقاً مغتاظاً، وقد عطّفني عليه ما سمعتُ من عنفك به، هي له والله، ولا كتبتُ إليه في شيء منها أبداً. ليس مثلك ولي عبد الله بن خالد[4] قد عزلتك من عملك.

● ١٦١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة (٩٦ و /) بن محمد بن عمار بن ياسر قال:

بلغني أنّ أبا مسلم الخولاني[5] ـ وكان رجلاً من عبّاد أهل الشام ـ قام إلى معاوية فقال: يا معاوية، على ما تقاتلُ علياً، وهو ابن عمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وله من القدْر في الإسلام، والسابقة والقرابة ما ليس لك، إنما أنتَ رجل

---

(١) توفي زياد بن أبي سفيان سنة ثلاث وخمسين. (الطبري ٥/ ٢٨٨).

(٢) هو عبد الرحمٰن بن أم الحكم بنت أبي سفيان، أبوه عبد الله بن أبي عقيل الثقفي، ولاه معاوية الكوفة سنة ٥٧ فأساء السيرة فعزله وولّاه مصر ثم الجزيرة وظل فيها إلى أن مات معاوية. (الإصابة ٣/ ٧).

(٣) سقطت (له) من ب.

(٤) سقطت (بن خالد) من ب.

(٥) هو عبد الله بن ثوب، الزاهد المعروف، من كبار التابعين توفي سنة اثنين وستين. ودفن في دمشق. (الفوات ١/ ٤٤٣ والإصابة ٤/ ٨٨).

طليقٌ ابن طليق؟. فقال معاوية: يا أبا مسلم، إني ـ والله ـ ما أقاتله وأنا أدّعي في الإسلام مثلَ الذي يدّعي[1]، ولي في الإسلام مثلُ ما له، ولكني أقاتله على دم عثمان، إن علياً قتل عثمان، فأنا أطلبه بدمه. فخرج أبو مسلم على ناقته يضرب حتى انتهى إلى الكوفة، فأناخها بالكناسة، ثم جاء يمشي حتى دخل على علي ـ عليه السلام ـ والناس عنده، فسلّم ثم قال: مَنْ قتل عثمان؟ فقال عليّ: الله قتله، وأنا معه. فخرج أبو مسلم ولم يكلّمه، حتى أتى ناقته فركبها، فأتى الشام. وقيل لعلي: إن الذي كان قد دخل عليك أبو مسلم، فأرسل في طلبه، ففاته، وقدم أبو مسلم الشام، فانتهى إلى معاوية، وهو يتغدّى، فلما قيل لمعاوية: قد جاء أبو مسلم، ومعه لقمة، فما استطاع أن يسيغها حتى وقعت. قال: فدخل أبو مسلم فحيّاه وقرّبه، ورحّب به، وسأله عن سفره، وجعل معاوية يكره أن يتكلم بشيء مخافةَ أن يكون أبو مسلم قد جاء بشيء مما يكره معاوية. قال: فقال أبو مسلم: قم ـ فوالله ـ لنقاتلنّ عليًّا، وليقاتلنّه الله، فإنه قد أقرّ بقتل عثمان. قال: فقام معاوية فرحاً حتى صعد المنبر واجتمع الناس (٩٦ ظ /) فحمد الله وأثنى عليه، وقام أبو مسلم خطيباً، فحرض الناس على قتال عليّ ـ رضي الله عنه ـ[2] وإنه أقرّ بقتل عثمان، وجمعَ معاوية لعليّ الجموع، وقد كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة[3] غَلَبَ على مصرَ، فسار إليه معاوية قبل أن يصير إلى صفّين، فلم يزل يواربه[4] حتى قال[5]: اخرج إليّ في ثلاثين رجلاً، وأخرج إليك في ثلاثين حتى ننظر في أمرنا ونصطلح على صُلح. ففعل ذلك محمد ومعاوية، وقد أمر معاوية جنده أنْ يسيروا من تحت ليلتهم، حتى يوافوهم بذلك المكان، وهو ومحمد خارجٌ من الاسكندرية فبيّتهم أصحاب معاوية، وأخذ معاوية أولئك الثلاثين وكبّلهم

---

(١) في ب: تدعي. تصحيف.

(٢) في ب: عليه السلام.

(٣) كان محمد بن أبي حذيفة قد ولد بأرض الحبشة، وكان أبوه من السابقين الأولين استشهد أبوه باليمامة، وقد تولى عثمان تربيته بعد استشهاد أبيه، وحين كبر واستخلف عثمان استأذنه في السفر إلى مصر. فأذن له، فكان من أشد الناس تأليباً عليه. (الإصابة ٣/ ٣٥٤).

(٤) في ب: يداريه.

(٥) انظر هذه القصة في الإصابة ٣/ ٣٥٤.

في القيود وأتى بهم الشام، فبينا هم كذلك إذ صانعوا صاحب السجن، فخلّى سبيلهم، ولمّا أصبح معاوية قيل له إنّ محمداً قد خرج من السجن، وأتاه أنّ علياً[١] قد جمع له الجموعَ بالعراق ليسيروا إليه، وخُبّر أنّ صاحب الروم قد تهيّأ ليسير إليه، فدعا عمرو بن العاص، فقال له: إنه قد جاءني منذُ أصبحتُ أخبارٌ ثلاثة، ما جاءتني قطُّ أخبار أفظع منها، ولا أكرهُ إليّ، فهل عندك من مخرجٍ؟ خروج محمد بن أبي حذيفة من السجن وأصحابه، وكتاب صاحب الروم يتهددني، وجمع علي بن أبي طالب أهل العراق حيلة، فقال عمرو بن العاص: لا يهولنّك من ذلك شيءٌ، فأمّا خروج محمد فابعث في أثره الخيولَ المضمّرة في كلّ طريقٍ نهجٍ وغامضٍ لا يُسلك تؤتَ به، وأمّا صاحب الروم فأرسلْ (٩٧ و /) إليه بهديّة يكفُّ عنك، وأمّا خبر علي بن أبي طالب، وما جمع من أهل العراق فهو الجليل الفظيع، لم يأتك مثله قطّ[٢]، فاجمع له[٣] جموعك ثم ارمهِ بهم، واستعنْ باللّهِ عليهم، فبعثَ خلفَ محمد بن أبي حُذيفة رجلاً من خثعم، يقال له: عُبيد الله بن عمرو، فأدركه في غارٍ دُلَّ عليه، فأتى به وبعلقمة بن عُديس البلويّ[٤]، قاتل عثمان، فقتلهما[٥]، وأهدى إلى صاحب الروم هديّةً، فكفَّ عنه، وأما عليّ بن أبي طالب[٦] فجمع له قضَّه وقضيضه من[٧] جموعه وخرج إليه.

---

(١) في ب: عليه السلام.

(٢) سقطت (قط) من ب.

(٣) سقطت (له) من ب.

(٤) في جميع المراجع التي ذكرت استشهاد عثمان اسمه عبد الرحمٰن بن عديس البلويّ ولم أجد ترجمة لعلقمة ـ انظر التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان والطبري ٣٤٨/٤ وابن سعد ٣/ ١/ ٤٤ وابن الأثير ٦٨/٣ وهو القائل يوم الدار:

أقبلن من بلبيس والصعيد ... مستحقبات حلق الحديد
نريد حقّ الله في الوليد ... وفي ابن عفان وفي سعيد
ما اهتز فيها خضر الجريد

(٥) في ب: فقتلهم.

(٦) في ب: عليه السلام.

(٧) سقطت (من) من ب.

● ١٦٢ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني محمد بن سلام الجُمحي عن أبي بكر الهذليّ قال:

لما قدم زياد البصرة، فرأى خِصاصَها[١] من بعيد، قال: رُبَّ فرحٍ بإمارتي لم تنفعه، وربَّ متبائس منها لن تضرّه، ثم مشى إلى المنبر متزمّتاً متلبّباً عليه قباء قوهي، وملاءة ممصّرة[٢]، فخطب خطبة بتراء[٣]، لم يصلِّ فيها على النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم قال[٤]: أيها الناس، إنّ معاوية قد قال ما قد بلغكم، وشهدت الشهود على ما قد سمعتم، وقد قال الناس فيما قالوا، وإني امرؤ رفع الله منّي ما وضعوا، وحفظ مني ما ضيّعوا، وإنّ عُبيداً لم يَعدُ أنْ كان ربيباً مشكوراً وأباً مبروراً، ألا وإنا قد سُسنا وساسنا السائسون، فرأينا هذا الأمر لا يصلحه إلاّ شدة في غير جبرية ولين في غير وهن، ألا وإنه ليست كذبة أكثر شاهداً عليها من الله، ومن المسلمين من كذبة أمير على منبرٍ، فإذا (٩٧ ظ /) سمعتموها مني فاحتسبوها[٥] فيّ، واعلموا أنّ لها عندي أخوات، فإذا رأيتموني أجري الأمور مجاريها، وأمضيها[٦] لسبيلها، فلتستقم لي قناتكم، فإنّ لي فيكم صرعى، فليحذر كلُّ امرىء منكم أنْ يكون من صرعاي، ألا وإني آخذُ المقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والشاهدَ بالغائب حتى يلقى الرجل أخاه يقول: انجُ سعدُ فإنّ سعيداً قد قُتل. قال: فقام إليه صفوان بن الأهتم[٧] فقال:

---

(١) الخصاص: واحدها الخص بالضم، وهو البيت من القصب، أو يسقف بخشبة.

(٢) ممصرة: مصبوغة بالمصر، وهو الطين الأحمر أو نبات أحمر طيب الرائحة تستعمله العرائس.

(٣) في البيان والتبيين ٢/٦ إن خطباء السلف وأهل البيان من التابعين ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: البتراء.

(٤) وردت الخطبة البتراء بهذه الرواية في نوادر القالي ١٨٥ وعيون الأخبار ٢/٢٤١. وهي في الطبري ٥/٢١٧ والبيان والتبيين ٢/٩١ والعقد الفريد ٤/١١٠ وشرح ابن أبي الحديد ٤/٨١٨ وابن الأثير ٣/٣٧٤. ليدن برواية المدائني التي سيوردها الزبير بعد هذه الرواية.

(٥) في ب: فاحسبوها.

(٦) في الأصل: واميضها. تصحيف.

(٧) في البيان والتبيين وابن أبي الحديد والعقد الفريد وابن الأثير وعيون الأخبار اسمه عبد الله بن الأهتم. ولم يتفق مع الزبير في تسميته بصفوان إلا القالي. وصفوان هو ابن عبد الله بن الأهتم التميمي من بني منقر، كان خطيباً رئيساً وابنه خالد بن صفوان. (انظر البيان والتبيين ١/٣٥٥).

أيها الأميرُ، قد آتاكَ الله الحكمةَ وفصلَ الخطاب. فقال زياد: كذبتَ، ذاك نبيُّ الله داود. فقام الأحنف بن قيس، فقال: إنّ الفَرس بشدِّهِ، والعيش بكدِّه، والسيف بحدِّه، والمرء بجدِّه، وإنّ جِدّكَ قد بلغ ما ترى، وإنّ الثناء بعد البلاء، وإنا لن نثني عليك حتى نتبيّنك، فابلُ خيراً نثنِ خيراً. فقام أبو بلال مرداس بن أديّة[1] فقال: أيها الإنسان، إنّ الله ـ تعالى ـ أدّى عن وليّه وخليله غير الذي أدّيتَ. قال الله، جلّ ثناؤه: ﴿وإبراهيمَ الذي وفَّىٰ ألاّ تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى﴾[2] ثم خرج من المسجد فخرج عليه في أربعين رجلاً، فكان أول خارج خرج بالبصرة.

● ١٦٣ ـ قال أبو عبد الله الزبير: فأما المدائني علي بن محمد بن عبد الله، فإنه حدّثني عن رجاله قال:

لما قدم زياد البصرة، قدمها والفسق بها ظاهر فاشٍ، فخطبهم فقال: الحمد لله على أفضاله وإحسانه، ونسأله المزيد من نِعَمه وإكرامه. اللهمّ كما أعطيتنا نِعماً، فألهمنا شكراً. أما بعدُ: فإن الجاهلية (٩٨ و /) الجهلاء، والضلالة العمياء، والغيَّ الموفد[3] لأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، وما يشتمل عليه حلماؤكم[4] من الأمور العِظام، ينبتُ فيها الصغير، ولا ينحاش[5] عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعدَّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد[6] الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينَه الدنيا[7]، فسَدَّت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ألم تكن فيكم نُهاة تمنع الغواة

---

(١) هو مرداس بن عمرو بن حدير، من زعماء الخوارج، خرج أيام يزيد بن معاوية في البصرة على عبيد الله بن زياد، فأرسل إليه من هزمه وقتله سنة ٦١. (انظر الطبري ٥/ ٤٧٠).
(٢) سورة النجم آية ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد. وفي البيان: الموفى بأهله، وفي الطبري: الموقد لأهله النار.
(٤) في ب: علماؤكم.
(٥) في ب: منها.
(٦) في العقد: السرمدي.
(٧) طرفت عينه الدنيا: صرفته عن الحق.

عن دَلَج الليل[1] وغارة النهار؟! وكل امرئ فيكم يذبّ عن سفيهه صنيع مَن لا يخافُ عاقبةً، ولا يرجو معاداً، فلم يزل بغواتكم[2] ما كان من قيامكم دونهم، وذبّكم عنهم، حتى انتهكوا حُرَمَ الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كُنوساً[3] في مكانس الرِّيَب، محرَّم عليّ الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخيرَ الأرض هدماً وإحراقاً[4]، إني رأيتُ آخر هذا الأمر لا يصلح إلاّ بما صلح به أوله. لينٌ في غير ضَعف، وشدّة في غير عُنف، وإني أقسم بالله لآخذن الوليَّ بالوليِّ، والمقيمَ بالظاعن، والمقبلَ بالمدبر، والصحيحَ بالسقيم، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: انج سعدٌ فإنّ سعيداً قد قُتل[5]. أو تستقيم لي قناتكم، إنّ كذبةَ المنبر، تُلقى[6] مشهورة، فإذا تعلّقتم عليّ بكذبة، فقد حلّت لكم معصيتي، مَن نُقبَ عليه منكم فأنا ضامن له، فإياكم ودَلَج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلاّ سفكتُ دمه، وإيّاكم ودعوى الجاهلية (٩٨ ظ /) فإني لا أظفر بأحدٍ دعا بها إلاّ قطعتُ لسانه، وقد أحدثتم أحداثاً، وقد أحدثنا لكل ذنبٍ عقوبةً، فمَن غرّق قوماً غرقناه، ومن حرّق على قوم أحرقناه، ومن نقب نقباً نقبنا عن قلبه، ومَن نبش قبراً دفناه حيًّا، فكفّوا عنّي أيديكم وألسنتكم، أكفُّ عنكم يدي ولساني [ولا[7] يظهر من أحد خلاف ما عليه عامتكم إنْ شاء الله[8].

---

(١) دلج الليل: السير من أوله.

(٢) في ب: هو أنكم. وفي البيان: فلم يزل بهم ما يرون من قيامكم وفي العقد: فلم يزل بهم ما ترون. وفي الطبري وابن أبي الحديد: فلم يزل بهم ما ترون.

(٣) الكنوس: جمع كانس، وهو المستتر، وأصله من الظبي إذا دخل في كناسه.

(٤) في الطبري والعقد: حرم عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض . . وفي البيان: حرام عليّ الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض وفي الأصل: المآخير.

(٥) سعد وسعيد: هما ابنا ضبة بن أد. خرجا في طلب إبل لأبيهما، فوجدها سعد فردّها، وقتل سعيد، فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال: سعد أم سعيد!

(٦) في الطبري: تبقى مشهورة. وفي البيان والعقد: بلقاء. وفي ابن أبي الحديد: تلفى.

(٧) سقط من الأصل مقدار صفحتين ابتداء من هنا وأكملته عن ب والمصادر الأخرى.

(٨) في جميع المصادر: . . عامتكم إلا ضربت عنقه.

● ١٦٤ ـ قال[١]:

وخطب زياد بالبصرة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: كم من مغتبط سيبتئس، وكم من مبتئس بنا سيغتبط، ألا إنّ القدرة تُذهب الحفيظةَ، ألا إنه قد كانت بيني وبين أقوام إحَنٌ وأشياء، وقد جعلتُ ذلك دُبرَ أذني، وتحت قدمي، فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً، ومن كان منكم مسيئاً فلينزع من إساءته. إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلّ من بغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أفتح له باباً، ولم أهتك له ستراً، حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، يرحمكم الله، ألا وإني لا أقول قولاً إلاّ أنفَذته، فإذا رأيتموني أقول قولاً لا أنفذه ولا أفي به، فلا طاعة لي في أعناقكم.

قال[٢]: ثم نزل، فلما أمسى سمع أصوات الناس يتحارسون. فقال: ما هذا؟ فقيل: إن البلدة مفتونة، وإن المرأة من أهل المصر ليأخذها الفسّاق، فيقال لها: نادي ثلاثة أصواتٍ، فإنْ أجابك أحد، وإلا فلا لوم علينا فيما صنعنا[٣]. (٩٩ و /) قال زياد: ففيمَ أنا؟ وفيم قدمتُ؟ فلما أصبح أمر فنودي في الناس فاجتمعوا، فقال: أيها الناس، إني قد أنبئتُ بما أنتم فيه، وسمعتُ بعض ذلك[٤]. ألا وإني قد أنذرتكم وأجّلتكم شهراً مسيرة الرجل إلى الشام، ومسيرة الرجل إلى خراسان، ومسيرة الرجل إلى الحجاز، ألا فمَنْ وجدناه بعد شهر خارجاً من منزله بعد العشاء الآخرة، عبيد الله بن زياد، فمَن دونه، فدمه هدَرٌ.

قال: فانصرف الناس يقولون: هذا كقول بعض الحكماء[٥]. قال: فلما تمَّ الشهرُ دعا زيادٌ صاحبَ شرطته، عبد الله بن حصين اليربوعي[٦]، وكانت شرطته أربعة آلاف رجل، فقال: هيىء خيلك ورَجلك، فإذا صلّيتُ العشاء الآخرة، وقرأ القارىءُ

---

(١) في سائر المصادر السابقة: جعلت هذه الخطبة جزءاً من الخطبة البتراء.

(٢) انظر النص في شرح ابن أبي الحديد حيث أورده برواية الشعبي في ٤/ ٨٢٠.

(٣) في ابن أبي الحديد: نصنع.

(٤) في المصدر السابق: وسمعت ذروا منه.

(٥) في المصدر السابق: كقول من تقدمه من الأمراء.

(٦) كذا في ابن أبي الحديد. واسم أبيه في الطبري ٥/ ٢٢٢ والبيان والتبيين ٢/ ٢٥٦ حصن.

مقدار سبع من القرآن، ورُفع الطُّنُّ القصب من القصر، فسِرْ فلا تلقينَّ أحداً عبيد الله بن زياد، فمَن دونه إلاّ جئتني برأسه[١].

قال: فصبح بباب القصر تسعمائة[٢] رأس، ثم خرج الليلة الثانية فجاء بخمسين رأساً، ثم خرج الليلة الثالثة فجاء برأس واحد[٣]. فكان الناس إذا صلّوا العشاء الآخرة، أحضروا إلى منازلهم وتركوا نِعالهم[٤]. قال: ثم صعد زيادٌ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: هدأت البلدةُ سائرَ اليوم، لكم بطونُ بيوتكم، ولنا ظهورها، لا حقَّ لكم في ظهورها. ثم قال: أيُّ سكك البصرة أخوف؟ قالوا: المِربد. فأمر فألقي فيه كساء خزٍّ، فبقي سبعة أيام، لا يقربه أحد. ثم قال للناس: افتحوا منازلكم وحوانيتكم (٩٩ ظ /) فمَن ذهب له شيء فزياد له ضامن، ثم قال: إني رأيتُ، ورأينا لكم خيرٌ من رأيكم لأنفسكم.

● ١٦٥ ـ قال:

وخطب زياد حين قدم البصرة فقال[٥]: أيها الناسُ، إنا أصبحنا لكم سادة[٦]، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بِنِعَم الله الذي خوّلنا، فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدلُ فيما ولِّينا. فاستوجبُوا عدلَنا بمناصحتكم، واعلموا أني مهما قصّرتُ فيه فلن أقصِّرَ عن ثلاث: لست مجمراً[٧] لكم بعثاً، ولا محتجباً عن طالبِ حاجةٍ معكم ولو أتاني][٨] طارقاً بليلٍ، ولا حابساً لكم عطاءً، ولا رزقاً عن إبّانه، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم، فإنهم ساستكم المؤدِّبون، وكهفكم الذي إليه تأوون، فمتى يَصلحوا تَصلحوا[٩]، ولا تُشربوا قلوبكم بغضَهم،

(١) في ابن أبي الحديد: وإن راجعتني في أحد ضربت عنقك.
(٢) في المصدر السابق: سبعمائة.
(٣) في المصدر السابق: ثم لم يجيء بعدها بشيء.
(٤) في المصدر السابق: أحضروا إلى منازلهم شدًّا حثيثاً، وقد يترك بعضهم نعاله.
(٥) الخطبة هنا تكملة لخطبته البتراء في سائر المصادر.
(٦) في أغلب المصادر: ساسة، ولم يتفق مع هذه الرواية إلا البيان.
(٧) تجمير البعث: أن يحبسهم في أرض العدو، وأن يمنعهم عن العودة إلى أهليهم.
(٨) انتهى هنا النقص من الأصل.
(٩) سقطت (تصلحوا) من ب.

فيشتدّ لذلك غيضكم، ويعول له حزنكم، ولا تُدركوا حاجتكم، مع أنه لو استجيبَ لكم فيها[1] كان شراً لكم.

أسأل الله أن يعين كلاًّ على كلٍّ، وإذا رأيتموني آمرُ فيكم بالأمر فانفذوه على أذلاله[2]، وأيم الله إنّ لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذَر كلُّ امرىء منكم أن يكون صرعاي.

قال: فقام إليه عبد الله بن الأهتم[3]، فقال: أشهدُ أيها الأمير لقد أوتيتَ الحكمة وفصل الخطاب. قال: كذبتَ، ذاك نبيّ الله داود. فقام الأحنف بن قيس فقال: أيها الأمير، قد قلتَ فأسمعتَ، ووعظتَ فأبلغتَ، أيها الأمير[4] إنما السيف بحدِّه، والفرَس بشدِّه، والرجل بجِدِّه، وإنما الثناء بعد البلاء (١٠٠ و/) والحمد بعد القضاء، ولن نُثني حتى نبتلي. فقام أبو بلال مرداس بن أديّة، وهو يهمُ ويقول: قد أنبأنا الله بغير ما قلتَ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أنْ لا تَزِرُ وازِرةٌ وِزرَ أخرى﴾ فسمعها زياد فقال: يا هذا إني لا أستطيع أن أبلغَ ما تريده حتى أخوض الدماء خوضاً[5].

● ١٦٦ ـ وحُدِّثتُ عن مجالد عن الشعبي قال[6]:

قدمَ زيادٌ الكوفةَ، فدنوتُ من المنبر لأسمعَ كلامه، فلم أرَ أحداً يتكلم فيحسن إلاّ تمنيتُ أن يسكت، مخافةَ أن يسيء، غير زياد، فإنه كان لا يزداد إكثاراً إلاّ ازداد إحساناً. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[7]:

إن هذا الأمرَ أتاني وأنا بالبصرة، فأردتُ أن أخرج إليكم في ألفين من شرطها، ثم ذكرت أنكم أهل حقٍّ، وأنّ الحقَّ طالما دفعَ الباطلَ، فخرجتُ إليكم في أهل بيتي،

---

(١) في ب: فيها.
(٢) على أذلاله: على طرق وجوهه، واحدة ذل. بالكسر، وهو ما مهد وذلل من الطريق.
(٣) مر الاختلاف في اسمه.
(٤) سقط ما يقارب السطر من ب ابتداءً من (قد قلت).
(٥) في سائر المصادر: حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً.
(٦) قول الشعبي في البيان والتبيين ٢/ ٦٥ والطبري ٥/ ٢٢١ مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات.
(٧) الخطبة في الطبري ٥/ ٢٣٤ وفيه أنه خطبها لما مات المغيرة وجمعت العراق لزياد. وروايته فيها عن عمر بن شبة وفيها بعض الاختلاف.

فالحمد لله الذي رفع منا ما وضع الناسُ، وحفظ منا ما ضيَّعوا.

أيها الناس، إنا قد سُسنا وساسنا السائسون وجرَّبنا المجرِّبون، فوجدنا هذا الأمرَ لا يصلحه إلاّ شدَّةٌ في غير عنف، ولينٌ في غير ضَعف، فلا أعلمنَّ ما أغلقنا باباً ففتحتموه، ولا حللتُ عَقداً فشددتموه، وإني لا أعدكم خيراً ولا شرّاً إلا وفيتُ به، فإذا تعلَّقتم عليّ بكذبة فلا ولايةَ لي عليكم، وإني آمركم ما آمرُ به نفسي وأهلي، فمنْ حال دون أمري ضربتُ عنقه، ألا وإني لا أهتكُ لأحدٍ منكم ستراً، ولا أطّلع لكم من وراء باب، ولا أقيل أحداً منكم عثرةً[1].

قال: فحصَبوه من كل جانب (١٠٠ ظ /) فجلس على المنبر، حتى سكنوا وأمسكوا، ثم أمر الشُرَط فأخذوا بأبواب المسجد[2]، وألقى كرسياً على بعض الأبواب، ثم عرض الناسَ أربعةً أربعةً يستحلفهم، فمَن حلفَ له أنّه لم يحصبه تركه، ومن أبى حبسه. قال: فقطع يومئذ أيدي[3] ثمانين إنساناً ممّن لم يحلفْ.

● ١٦٧ ـ قال الزبير[4]: قال الحسن البصري: أوعد عمر بن الخطاب فعوفي، وأوعد زياد فابتُلي[5].

● ١٦٨ ـ وقال الحسن أيضاً: تشبّه زياد بعمر فأفرط، وتشبَّه الحجّاجُ بزياد فأهلك الناس[6].

● ١٦٩ ـ قال: وخطب زيادٌ ذات يوم فقال[7]: أيها الناس إني قد رأيت خِلالاً ثلاثاً، نبذتُ إليكم فيهنَّ بالنصيحة، رأيتُ إعطاءَ ذوي الشرف وإجلالَ ذوي

(١) سقطت كلمة (أحداً) من ب.

(٢) في ب: فأخذوا باب المسجد.

(٣) سقطت (أيدي) من ب.

(٤) سقطت (قال الزبير) من ب.

(٥) قول الحسن في البيان والتبيين ٢/ ٦٦. فابتلى لأنه أصيب بالطاعون. (انظر الطبري ٥/ ٢٨٩).

(٦) قول الحسن في البيان والتبيين ٢/ ٦٦ أيضاً.

(٧) الخطبة في البيان والتبيين ٢/ ١٤٥ والعقد الفريد ٢/ ١٥١ وشرح ابن أبي الحديد ٤/ ٨١٦. مع اختلاف في الألفاظ.

القدر، وتوقيرَ ذوي الأسنان، وإني أعاهد الله لا يأتيني شريفٌ بوضيع لم يعرف له فضلَ شرفه على ضَعته إلاّ عاقبته له، ولا يأتيني كهل بحدَث لم يعرف فضلَ سنه على حداثته إلاّ عاقبته له، ولا يأتيني عالم بجاهل لاحاه في علمه ليهجِّنه بذلك، إلاّ عاقبته، فإنما الناس بأعلامهم وعلمائهم، وذوي أسنانهم، وقد قال ذلك الأفوه الأوديّ[١]:

تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت　　فإنْ تولّت فبالأشرار تنقادُ
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم　　ولا سراة إذا أشرارهم سادوا[٢]

● ١٧٠ ـ قال: وقال زياد لحاجبه[٣]: قد ولّيتك حجابتي، وعزلتُك عن أربعة، عن طارق ليلٍ، فشرّ ما جاء به، لو كان خيراً لم أكن من شأنه، وعن رسول صاحب الثغر (١٠١ و/) فإن حبس ساعة يفسد عمل سنة، وعن المنادي إذا نادى بالصلاة، فإنها كانت كتاباً موقوتاً[٤]، وعن صاحب الطعام إذا أدرك طعامه، فإنّ الطعام إذا أعيد عليه التسخين فسد.

● ١٧١ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، عن جدّه عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله ـ ﷺ ـ أوصي مَنْ آمن بالله وصدَّقني بولاية علي بن أبي طالب[٥]، مَنْ تولاّه فقد تولاّني، ومَنْ تولاّني فقد تولّى اللّهَ، ومن أحبَّه فقد أحبني، ومَنْ أحبني فقد أحبَّ الله عزّ وجلّ[٦].

---

(١) شاعر جاهلي، اسمه صلاءة بن عمرو من مذحج. ترجمته في الشعر والشعراء ١٤٩ والأغاني ٤١/١١ ومعاهد التنصيص ١٥٩/٢. وقد جمع شعره الأستاذ عبد العزيز الميمني ونشره في مجموعة الطرائف الأدبية (القاهرة ١٩٣٧) والبيتان في ديوانه ص ١٠.

(٢) في الديوان: إذا جهالهم.

(٣) الخبر في شرح ابن أبي الحديد ٨١٧/٤ واسم حاجبه فيه عجلان.

(٤) سقطت عبارة (فإنها كانت كتاباً موقوتاً) من ب.

(٥) في ب: عليه السلام.

(٦) الحديث في ذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٩٥. وروايته عن عمار بن ياسر أيضاً.

● ١٧٢ ـ أخبرنا علي بن عبد الله بن العباس بن المغيرة الجوهري قال: حدّثنا أبو جعفر الضبعي قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن محمد بن منصور قال: حدّثنا الحسين بن حسن الأشقم قال: حدّثني عمر بن ثابت عن محمد بن عبد الله قال: حدّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده عمار بن ياسر قال:

سمعتُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ فذكر نحوه[١].

● ١٧٣ ـ وأخبرنا عليّ بن عبد الله قال: وحدّثنا إسماعيل بن العبّاس الورّاق قال: وحدّثني إبراهيم بن محمد بن أبي الحميم البصري الصيرفيّ بمكة قال: حدّثنا عبد العزيز بن الخطّاب قال: حدّثنا علي بن هاشم عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله ـ ﷺ ـ، وذكر نحوه[٢].

● ١٧٤ ـ وأخبرنا علي قال: وحدّثنا أحمد بن محمد بن نصر قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن محمد البكّاء قال: حدّثنا حسين الأشقر قال: حدّثنا علي بن هاشم عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده قال:

قال رسول الله ـ ﷺ ـ، فذكر نحوه[٣].

● ١٧٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله عن الواقدي، قال: حدّثني ابن أبي الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال[٤]:

دخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم، فقال: يا أمه، خذلني الناس حتى ولدي[٥] وأهلي، فلم يبقَ معي إلاّ

---

(١) سقطت هذه الرواية من ب.
(٢) سقطت هذه الرواية من ب.
(٣) سقطت هذه الرواية من ب أيضاً.
(٤) النص في الطبري ٦/١٨٨ عن مخرمة أيضاً، والعقد الفريد ٢/٢٧١ والفخري ١١١ وبلاغات النساء ١٣٠ ونثر الدر ٤/٩٣ وشرح ابن أبي الحديد ١/٦٩٦
(٥) روى بأن ابنيه حمزة وخبيب قد خرجا إلى الحجاج فأخذا منه لأنفسهما أماناً.

اليسير، ممّن ليس عنده من الدفع أكثر من صبرِ ساعة، والقوم يعطونني ما أردتُ من الدنيا، فما رأيكِ؟ قالت: أنت ـ والله ـ أعلم بنفسك يا بنيّ، إن كنتَ تعلم أنك على حقٍّ وإليه تدعو فامضِ له، فقد قُتل عليه مَنْ مضى من أصحابك، ولا تمكِّن من رقبتك يتلعَّب بها غلمان بني أميّة، وإنْ كنتَ إنما أردتَ الدنيا، فبئس العبد أنت، أهلكتَ نفسك، وأهلكت مَنْ قُتل معك، وإن قلتَ: كنتُ على حقٍّ، فلما وهن أصحابي ضعفت نِيَّتي، فكل (١٠١ ظ /) هذا ليس من فعل الأحرار، ولا أهل الدين، كم خلودك يا بنيَّ في الدنيا؟ القتلُ أحسن[١]. فدنا عبد الله بن الزبير فقبَّل رأسها ثم قال: هذا والله رأيي وعزمي، والذي هممتُ به داعياً إلى يومي[٢] هذا، وما ركنتُ إلى الدنيا، ولا أحببتُ الحياة فيها، وما دعوتُ إلى الخروج إلاّ الغضبُ لله أن تُستحل حُرَمُه، ولكنّي أحببت أن أعلم رأيك، فزدتِني قوّةً وبصيرةً مع بصيرتي[٣]، فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا أن لا يشتدَّ جزعك عليّ، وسَلِّمي لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمّد إتيان منكر، ولا عمِلَ[٤] بفاحشة، ولم يجُرْ في حُكم، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمَّد ظلم[٥] مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني عن أحد من عمّالي سوءٌ فرضيته، بل أنكرته، ولم يكن شيءٌ عندي آثر من رضا ربّي، اللهم لا أقول هذا تزكيةً لنفسي، أنت أعلم بي ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني. فقالت أمه:

إني لأرجو من الله أن يكون عزائي عنك[٦] حسناً، إنْ تقدّمتني أو تقدّمتُك، ففي نفسي حرَجٌ حتى أنظر إلامَ يصير إليه أمرك[٧]؟ فقال: جزاكِ الله خيراً يا أمّه، فلا تَدعِي الدعاء قبلي وبعدي[٨]. فقالت: لا أدعه ـ إن شاء الله ـ أبداً، فمن قُتل على باطل، فقد

---

(١) في أكثر المصادر السابقة: والله لضربة بالسيف في عز، أحب إليّ من ضربة بسوط في ذل، قال: إني أخاف أن يمثلوا بي، قالت يا بني إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها.

(٢) في ب: قومي. تحريف.

(٣) في ب: بصري.

(٤) في المصادر الأخرى: ولا عملاً.

(٥) في ب: ثلم.

(٦) في المصادر الأخرى: فيك.

(٧) في ب: تقدمتك مع نفسي فاخرج حتى أنظر. تحريف.

(٨) في ابن أبي الحديد: لي حياً وميتاً، وفي المصادر الأخرى: لي قبل وبعد.

قُتلتَ على حق. ثم قالت: أللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذاك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة، وبرَّه بأبيه وبي. أللهم إني سلّمتُ[1] فيه لأمرك، ورضيت بما قضيتَ، فأثبني في (١٠٢ و/) عبد الله ثواب الشاكرين الصابرين.

ثم خرج عبد الله من عندها، ولبس درعاً ومغفراً، فوقف عليها، ثم دنا فتناول يدها وقبّلها، فقالت: هذا وداعٌ، فلا تبعد إلاّ من النار. فقال عبد الله: إنما جئتُ مودّعاً يا أمّه، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بي، اعلمي يا أمه: إني إنْ قُتلت فإنما أنا لحمٌ، ما يضرّني ما صُنع بي. قالت: صدقتَ. ثم قالت: يا بني أتمم[2] على بصيرتكَ، ولا تمكّن بني أبي عقيل منكَ، وادنُ مني حتى أودّعكَ، فدنا منها، فعانقها، وقالت حيث وجدت مسّ الدرع: ما هذا صنيع من يريد ما تريد. فقال: ما لبستُ هذا الدرع إلا لأشدّ منكِ. فقالت: إنه لا يشدُّ مني، بل يخالفني. فخرج ابن الزبير من عندها، فنزع درعه، وتوجّه إلى القتال وهو يقول:

إنــي إذا أعــرف يــومــاً أصبــر إذ بعضهــم يعــرفُ ثــم يُنكــر

ففهمت أمه قوله، فقالت: تصبر[3] والله ـ إن شاء الله ـ أبوك أبو بكر والزبيرُ، وأمك صفية بنت عبد المطلب. ثم لاقاهم، فحملَ عليهم غير مرة فهزمهم، حتى قُتل.

قال مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير: فما مكثتْ بعده إلاّ عشراً حتى توفيتْ[4].

---

(١) في المصادر الأخرى: قد سلمته لأمرك.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد: أقم.

(٣) في ب: نصير. تصحيف.

(٤) في الإصابة ٤/ ٢٢٥ عن هشام بن عروة عن أبيه أن أسماء بنت أبي بكر بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل. وفيه أيضاً: قيل عاشت بعد ابنها عشرين يوماً وقيل غير ذلك. وقال ابن عبد البر: إنها توفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بيسير، لم تلبث بعد إنزاله من الخشبة ودفنه إلا ليالي. وقال: واختلف في مكث أسماء بعد ابنها عبد الله فقيل: عاشت بعده عشر ليال. وقيل: عشرين يوماً، وقيل: بضعاً وعشرين يوماً حتى=

● ١٧٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن محمد بن عبد الله عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن جميل بن مرثد الكلبي وغيرهما. وقد ذكر بعض هذا الحديث عن أبي صالح (١٠٢ ظ /) عن ابن عباس: زيد الحب، حب رسول الله(١) ـ ﷺ ـ ابن(٢) حارثة بن شراحيل بن(٣) عبد العزّى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، واسم قضاعة عمرو، وإنما سُمي قضاعة لأنه انقضع عن قومه، أي انقطع، وقُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان جُماع اليمن(٤). وأمُّ زيد بن حارثة سُعدى بنت ثعلبة بن عامر بن عبد(٥) عامر بن أفلت بن سلسلة من بني معن من طيء، فزارت(٦) سعدى أم زيد قومَها، وزيدٌ معها، فأغارت خيل لبني القَين بن جَسر في الجاهلية، فمروا على أبيات بني معن، رهط أم زيد، فاحتملوا زيداً، وهو يومئذ غلام يَفعة، قد أوصفَ(٧) فوافوا به سوق عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ(٨) لعمّته خديجة بنت خويلد بأربع مائة درهم، فلما تزوّجها رسول الله ـ صلى

= أتى جواب عبد الملك بإنزال ابنها من الخشبة. (الاستيعاب ٤/ ٢٣٠).

(١) في الاستيعاب ١/ ٥٢٩ وكان يقال لزيد بن حارثة: حب رسول الله ﷺ. روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (أحب الناس إليّ من أنعم الله عليه وأنعمت عليه) يعني زيد بن حارثة. وأخرج البخاري: وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ.

(٢) سقطت (ابن) من (ب).

(٣) في الاستيعاب: شراحيل بن كعب بن عبد العزى.

(٤) في الاستيعاب: هكذا نسبه ابن الكلبي وغيره، وربما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها. وانظر المعارف ١٠١. وابن هشام ١/ ٢٤٧.

(٥) سقطت كلمة (عبد) من ب. وفي الاستيعاب: بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت.

(٦) النص في الاستيعاب برواية الزبير عن المدائني عن ابن الكلبي عن أبيه عن جميل بن يزيد الكلبي وعن أبي صالح عن ابن عباس. وروى القصة ابن حجر في الإصابة عن هشام بن محمد ابن السائب بن الكلبي عن أبيه وعن حميد بن مرثد الطائي وغيرهما.

(٧) أي بلغ حد الخدمة.

(٨) كان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنيناً وأعطى من غنائمها مائة بعير ثم حسن إسلامه، وكان من =

الله عليه وآله وسلم ـ وهبته له، فقبضه رسول الله ـ ﷺ ـ[1] وقد كان أبوه حارثة بن شراحيل فقده، فقال[2]:

بكيت على زيد ولم أدرِ ما فعل ... أحيٌّ فيُرجى أم أتى دونه الأجل
فواللّهِ ما أدري وإنْ كنتُ سائلاً[3] ... أغالكَ سهلُ الأرض أم غالك الجبلُ

(١٠٣ و /)

تذكرنيه الشمسُ عند طلوعها ... وتَعرض ذكراه إذا قاربَ الطفَلُ[4]
وإنْ هبَّت الأرواح هيّجنَ ذكرَه ... فيا طول ما حُزني عليه وما وجل[5]
سأعمل نصَّ العيش في الأرض جاهداً ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل[6]
حياتيَ أو تأتي عليَّ منيّتي ... وكل امرىء فانٍ وإن غرَّه الأمل
سأوصي به قيساً وعمراً كليهما ... وأوصي يزيداً ثم بعدهمُ جبل[7]

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أكبر من زيد، ويعني بيزيد أخا زيد لأمه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل، فحجَّ أناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه. فقال:

أبلغوا أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليّ، فقال[8]:

أحنُّ إلى قومي وإنْ كنت نائياً ... فإني قطينُ البيت عند المشاعر[9]
فكفّوا من الوجد الذي قد شجاكمُ ... ولا تعملوا في الأرض نصَّ الأباعر

= العلماء بأنساب قريش وأخبارها، مات سنة خمسين، وقيل غير ذلك. (الإصابة ١/٣٤٨)..

(١) سقط من ب ابتداء من (وهبته).
(٢) الأبيات في السيرة ١/٢٤٨ والاستيعاب ١/٥٢٧، وأكثر كتب تراجم الصحابة.
(٣) في السيرة: وإني لسائل .. أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل. ومعنى غال: أهلك.
(٤) في السيرة: وتعرض ذكراه إذا غربها أفل. والطفل: الشمس قرب المغيب.
(٥) الوجل: الخوف.
(٦) النص: أرفع السير.
(٧) لا يوجد في السيرة.
(٨) الأبيات في الاستيعاب أيضاً. والأول منها في الإصابة.
(٩) في الاستيعاب: فإني تعيد البيت عند المشاعر.

فـإنـي بحمـد الله فـي خيـر أسـرة كـرام معـدٍّ كـابـراً بعـد كـابـر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه. فقال: ابني وربّ الكعبة. ووصفوا له موضعه، وعند مَن هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لفدائه وقدِما مكة، فسألا عن النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيّد قومه، أنتم أهلُ حَرَم الله، وجيرانُه، وعند بيته تفكُّون العاني، وتُطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسِن إلينا في فدائه (١٠٣ ظ /) فإنا سنرفعُ لك في الفداء. قال: مَن هو؟ قالوا زيد بن حارثة. قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فهلاّ غير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ قال: أدعوه فأخيّره[١]، فإنْ اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإنْ اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على مَن اختارني أحداً. قالا: قد زدتنا على النّصف، وأحسنتَ.

قال: فدعاه، فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم. قال: مَنْ هذا؟ قال: أبي، وهذا عمّي. قال: فأنا مَنْ قد علمتَ ورأيتَ صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما. قال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت منّي بمكان[٢] الأب والعمِّ.

فقالا: ويحكَ يا زيدُ، أتختار العبودية على الحريّة، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً.

فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ذلك أخرجه إلى الحِجر[٣]، فقال: يا مَنْ حضر اشهدوا أنّ زيداً ابني، يرثني وأرثه. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما فانصرفا، فدُعي: زيد بن محمد، حتى جاء الله بالإسلام.

وقال ابن عباس في الحديث: فزوّجه النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - زينب بنت جحش بن رئاب الأسديّة[٤]، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فطلقها

---

(١) في الاستيعاب: فأخبروه.

(٢) في ب: مكان.

(٣) الحجر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم ﷺ، وحجرت على المواضع ليعلم أنه في الكعبة، فسمي حجراً لذلك. (انظر ياقوت (حجر)).

(٤) في ب: بنت زياد. تحريف. وهي أم المؤمنين تزوجها الرسول ﷺ سنة خمس من الهجرة وقيل=

زيد، فتزوّجها رسول الله ـ ﷺ ـ، فتكلّم المنافقون في ذلك، وطعنوا فيه، وقالوا[1]: محمد يحرّم نساء الولد، وقد تزوّج امرأة ابنه زيد، فأنزل الله تعالى ﴿ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم﴾. إلى آخر الآية[2]، وقال تعالى: (١٠٤ و /) ﴿ادعوهُم لآبائِهم، هوَ أقسطُ عندَ اللَّهِ﴾[3]. فدُعي يومئذٍ: زيد بن حارثة، ودُعي الأدعياء إلى آبائِهم، فدُعي المقداد إلى عمرو، وكان يقال له قبل ذلك: المقداد بن الأسود[4]، وكان الأسود بن عبد يغوث الزهري قد تبنّاه.

● ١٧٧ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

زوّج رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ زيدَ بن حارثة مولاته أم أيمن[5]، فولدت له أسامة بن زيد وبه[6] كان يكنى، وكان يقال لأسامة: الحبّ ابن الحبّ، وكان زيد وصي حمزة بن عبد المطلب[7].

= سنة ثلاث.

(١) انظر ذلك في الاستيعاب.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠ وتتمتها: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً﴾.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٥. وتتمتها: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمّدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

(٤) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراني، وقيل: الحضرمي. قال ابن الكلبي: كان عمرو بن ثعلبة أصاب دماً في قومه فلحق بحضرموت فحالف كندة فكان يقال له: الكندي، وتزوج هناك بامرأة فولدت له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمرا بن حجر الكندي فضرب رجله بالسيف وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري وكتب إلى أبيه فقدم عليه فتبنّى الأسود المقداد فصار يقال: المقداد بن الأسود وغلبت عليه واشتهر بذلك فلما نزلت ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قيل له: المقداد بن عمرو. (الإصابة ٣/ ٤٣٣).

(٥) هي مولاة النبي ﷺ وحاضنته، اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن. وكان رسول الله ﷺ يقول: أم أيمن أمي بعد أمي. (الإصابة ٤/ ٤١٥).

(٦) سقطت (وبه) من ب.

(٧) كان وصيه لأن رسول الله ﷺ آخى بينهما، فأوصى إليه حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث=

● ١٧٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله عن الواقدي عن محمد بن صالح عن عمران بن مياح أو مناح قال:

لما هاجر زيد بن حارثة إلى المدينة نزل على كلثوم بن الهِدْم.

قال الواقدي: وأمّا عاصم بن عمرو بن قتادة فقال: نزل على سعد بن خيثمة[١].

● ١٧٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي، قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن جده قال[٢]:

صلى عمار بن ياسر بأصحابه صلاة أوجز فيها، فقيل له: يا أبا اليقظان خففتَ. قال: أمّا على ذلك لقد دعوتُ بدعوات سمعتهن من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: فقام رجل فاتّبعه فسأله عن الدعاء، فقال: اللهم بعلمك الغيب، وبقدرتك على الخلق، أحيّني ما علمتَ الحياة خيراً لي، وتوَفَّني ما كانت الوفاة خيراً لي، أللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحكم[٣] في الغضب (١٠٤ ظ /) والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا يبيد، وأسألك قرة عينٍ لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك بردَ العيش بعد الموت، وأسألك لذَّة نظرٍ إلى وجهك، وأسألك الشوقَ إلى لقائك في غير ضرّاء مضرّة، ولا فتنة مضلة، اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداةً مهتدين.

● ١٨٠ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي قال: حدّثني الواقدي، قال: حدّثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة بن أبي مالك[٤] عن أبيه عن جده، قال:

خرج الوليد بن عبد الملك حاجًّا سنة أربع وسبعين[٥]، وهو ولي عهد، فدخل

= به حادث الموت. (انظر ابن هشام ١/ ٥٠٥).

(١) في ابن هشام ١/ ٤٧٨ أن زيداً وحمزة وأبا مرثد ومرثداً وأنسة وأبا كبشة نزلوا على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء. ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيثمة.

(٢) الحديث في الجامع الصغير ١/ ٦١.

(٣) في الجامع: الإخلاص.

(٤) في ب: خالد.

(٥) في الطبري ٦/ ٣٢١: إن الوليد حج سنة ثمان وسبعين، وكان أمير المدينة في تلك السنة أبان بن=

المدينة فنزل في دار مروان، فسأله: من بقي من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقيل: سهل بن سعد الساعدي[1]. فأرسل إليه، فأتاه، فرحّب به، وأمر له بمائتي دينار، وسأل عن جابر بن عبد الله[2]، فأخبر أنه توفي قبل قدومه بشهر، فترحّم عليه، وأمر لأناس من المدينة[3] بزيادات في دواوينهم، وقسمَ قسماً ليس بالكثير، وبعث إلى أبان بن عثمان[4]، وهو عامل على المدينة فقال: من أين أحرم؟ قال: من ذي الحُلَيفة[5]، من باب المسجد. فأرسل الوليد إلى سعيد بن المسيب، فقال: أحرم من البيداء[6]، وساق بُدناً وأهلَّ بالحج منفرداً، وجلّل بدنه اليُمنة والقباطيَّ، وسار من ذي الحُليفة حتى انتهى إلى بطن مَرٍّ، فاستقبله وجوه أهل مكة، فقال: ما منعكم أن تستقبلوني بعُسفان؟ فتعذّروا إليه ببعض ما يتعذّر به الناس، (١٠٥ و /) فلم يقبل ذلك، وقال: لو كانت فتنة لكنتم إليها سِراعاً، خالفتم وشققتم العصا، ونازعتم الأمر أهله تسع سنين، ثم ولّى أمير المؤمنين، فصفح عنكم، وتجاوز عن مسيئكم، فلم تشكروا ذلك، ولم تعرفوا قدْرَ ما فعل بكم. فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: أصلح الله الأمير، إنهم قومك وعشيرتك، وليس كلهم على خِلافِك، بل أكثرهم معك وإليك، ولكنهم غُلبوا وقُهروا، فما[7] يقدرون على غير ما

= عثمان. فربما تكون الأربعة محرفة عن ثمان. إذ المعروف أن جابر بن عبد الله الذي ذكر في هذا الخبر أن الوليد وجده قد توفي قبل قدومه بشهر. أجمعت المصادر أنه توفي في سنة ثمان وسبعين. (الاستيعاب ١/ ٢٢٣ والإصابة ١/ ٢١٥ والعبر ١/ ٨٩ والشذرات ١/ ٨٥).

(١) أبو العباس سهل بن سعد الساعدي الأنصاري، توفي سنة إحدى وتسعين، وقد قارب المائة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. (العبر ١/ ١٠٦).

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي الأنصاري، توفي سنة ثمان وسبعين وهو آخر من مات من أهل العقبة، وعاش أربعاً وتسعين سنة، وكان كثير العلم، من أهل بيعة الرضوان. (العبر ١/ ٨٨).

(٣) في ب: من بيته.

(٤) أبان بن عثمان بن عفان الفقيه، كان مجتهداً يحمل عنه الحديث توفي سنة خمس ومائة. (الشذرات ١/ ١٣٢).

(٥) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ومنها ميقات أهل المدينة.

(٦) البيداء: أرض ملساء بين مكة والمدينة. إمام ذي الحليفة.

(٧) في ب: بما. تحريف.

صنعوا. فقال الوليد: ما أعرفني بطاعتك وطاعة مَنْ كان مثلك؟ فقال الحارث: فنحن على ما يحبُّ الأمير، قدم حاجًا متبرّراً معظماً لهذا البيت في الشهر الحرام، فإن رأى الأمير أنْ يُعرض عن هذا فعل، ويقبل عليهم بوجهه، فإنّ[١] أمير المؤمنين عنده احتمالٌ لهذا، واتّساع. قال: افعل. فأقبل عليه، وبلغ عبد الملك ما صنع بهم قبل أن يصل إليه، فكتب إليه كتاباً وهو بالطريق يؤنّبه ويقول: ما كان حقك أن تفعل هذا بهم، وقد رأيتني صفحتُ عنهم، وأنا المرادُ بهذا، وأنت لك العهد، ولأخيك من بعدك[٢]، وكان حقُّك أن تلينَ[٣] لهم وتقرِّبهم، وتقبلَ عذرهم[٤]. لَعمري إنّ هذا لموضوعٌ عنهم، وقد رأيتُ أمير المؤمنين معاوية، وقبلك أبي ـ رحمه الله ـ وهو والٍ على المدينة ما يستقبلونه إلا بذي طُوى وشبهها، واشتدّ ذلك على عبد الملك، واغتمّ به.

● ١٨١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح قال:

لما استوى (١٠٥ ظ /) الصفّان بالنهروان[٥]، تقدمَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ بين الصفّين ثم قال[٦]: أمّا بعدُ: أيتها العصابةُ التي أخرجتها عادةُ المِراء والضلالة، وصدفَ بها عن الحقّ الهوى والزيغ، إني نذيرٌ لكم أن تُصبحوا غداً صرعى[٧] بأكناف هذا النهر أو بملطاط من الغائط[٨]، بلا بيِّنةٍ من ربّكم، ولا سلطان مبين. ألم أنهكم عن هذه الحكومة وأحذِّركموها، وأعلمكم أنَّ طلب

---

(١) في ب: قال. تحريف أيضاً.

(٢) في ب: من بعدي.

(٣) في الأصل و ب: تكين. والتصويب من هامش الأصل.

(٤) في ب: وتقتل عدوهم.

(٥) النهروان: بفتح النون. وقال ياقوت: وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون. وهي بين بغداد وواسط حدثت فيها الوقعة بين الإمام علي رضي الله عنه والخوارج.

(٦) الخطبة في الطبري ٥/ ٨٤ وشرح نهج البلاغة ١/ ٤٥٨ والإمامة والسياسة ١/ ١٠٩ والمستدرك على نهج البلاغة ص ٦٨. مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

(٧) في المصادر الأخرى: تصبحوا تلفيكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا النهر.

(٨) في المصادر الأخرى: وبأهضام هذا الغائط. والغائط: المطمئن الواسع من الأرض. وكذا الملطاط.

القوم[1] لها دَهنٌ منهم[2] ومكيدة، فخالفتم أمري، وجانبتم الحزم، فعصيتموني حتى أقررتُ بأن حكمتُ، وأخذت على الحكمين، فاستوثقتُ، وأمرتهما أن يحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، فخالفا أمري، وعملا[3] بالهوى، ونحن على الأمر الأول، فأين تذهبون، وأين يُتاه بكم؟ فقال خطيبهم: أما بعدُ: يا عليّ فإنا حين حكّمنا كان ذلك كفراً منّا، فإنْ تُبتَ كما تبنا، فنحن معك ومنك، وإن أبيتَ فنحن منابذوك على سواء، إنّ الله لا يحبُّ الخائنين[4]. فقال علي: أصابكم حاصب[5]، ولا بقي منكم وابر[6]، أبعدَ إيماني بالله، وجهادي في سبيل الله، وهجرتي مع رسول الله ـ ﷺ ـ أقرُّ بالكفر؟! لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين. ولكنْ مُنيتُ بمعشر أخفّاء الهامِ، سفهاء الأحلام، والله المستعان. ثم حمل عليهم فهزمهم.

● ١٨٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو عبد الرحمٰن العتبي قال:

حجّ عُتبة بن أبي سفيان[7] سنة إحدى وأربعين، والناسُ (١٠٦ و /) قريب عهدٍ بالفتنة، فصلّى بهم الجمعة، ثم قال: أيها الناس، إنا ولِينا هذا المقام الذي يُضاعَف فيه للمحسن الأجرُ، وللمسيء الوزْرُ، ونحن على طريقٍ ما قصَدنا، فلا تمدّوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تَقطَّع دوننا، ورُبَّ متمنٍ حتفُه في أمنيته، فاقبلوا العافية منّا ما قبلناها منكم، وإياكم وقول لوْ، فإنها قد أتعبت مَنْ كان قبلكم، ولن تريح مَنْ بعدَكم، وأنا أسأل الله أنْ يُعين كلاً على كلٍّ برحمته. قال[8]: ففتقَ به أعرابيٌّ من ناحية المسجد فقال: أيها الخليفة. قال: لستُ به، ولم تُبعد. قال: يا أخاه. قال: قد سمعتُ فقل.

---

(١) في ب: بها.
(٢) في الأصل و ب: وهن. وما أثبتناه عن المصادر الأخرى أحسن. ودهن: نفاق ومداراة.
(٣) في ب: وغلا بالهوى.
(٤) من قوله تعالى: ﴿وإمّا تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾.
(٥) الحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء والحصى.
(٦) وابر: أحد. يقال: ما بالدار وابر، أي ما بها أحد.
(٧) أخو معاوية، وكان خطيباً فصيحاً. قيل: إنه لم يكن في بني أمية أخطب منه، شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها وولاه معاوية مصر. (المعارف ٣٤٥).
(٨) قول الأعرابي في البيان والتبيين ٤/ ٨٩.

[قال:][1] والله لئن تُحسنوا وقد أسأنا خيرٌ من أن تُسيئوا وقد أحسنا، فإن يكن الإحسان منكم فما أحقكم باستتمامه، وإنْ كان منّا فما أحقَّكم بمكافأتنا. [قال له عتبة: من أنتَ؟ قال][2]: رجلٌ من بني[3] عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة، ويختصُّ إليكم بالخؤولة، وقد كثر عياله، ورقَّ حاله، ووطئه دهرٌ، وبه فقرٌ، وفيه أجرٌ، وعنده شكرٌ. فقال عتبة: أستغفر اللّهَ منك، وأستعينه عليك، فقد أمرتُ لك بغِناك، فليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك.

● ١٨٣ ـ حدثني أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثت عن جعفر بن سليمان الضبعي عن علي بن زيد بن جدعان[4]:

أنّ أنساً[5] لما دخل على الحجّاج فقال[6] له: يا خبثةٌ، شيخاً جوّالاً في الفتن، مع أبي تراب[7] مرة، ومع ابن الزبير أخرى، ومع ابن الأشعث[8] مرة، ومع ابن الجارود[9] أخرى، أما ـ والله ـ لأجردنك جردَ الضبِّ[10] (١٠٦ ظ /) ولأقلعنك قلعَ

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من ب والمصادر الأخرى.

(٢) سقطت عبارة: (قال له عتبة: من أنت؟ قال:) من الأصل وجميع المصادر الأخرى وأكملتها من ب.

(٣) سقطت (بني) من ب.

(٤) أبو الحسن علي بن زيد بن زهير بن أبي مليكة بن جدعان القرشي، أحد علماء التابعين، روى عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، توفي سنة ١٣١. (ميزان الاعتدال ١/٤٠٨).

(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، أبو حمزة خادم الرسول ﷺ، شهد معه الحديبية والفتح وحنيناً والطائف، وكان آخر من بقي في البصرة من الصحابة توفي سنة ٩٥. (الإصابة ١/٨٤).

(٦) النص في البيان والتبيين ١/ ٣٨٥ وفيه: قال الحجاج لأنس بن مالك، حين دخل عليه في شأن ابنه عبد الله، وكان خرج مع ابن الأشعث وهو في العقد الفريد أيضاً ٣/ ١٤ الأزهرية.

(٧) أبو تراب: كنية الإمام علي رضي الله عنه كنّاه بها رسول الله ﷺ. (انظر ابن أبي الحديد ١/ ١١).

(٨) عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، خرج على الحجاج من سجستان العراق سنة ٨١. وفي البصرة بايعه على حرب الحجاج جميع أهلها، وخرج معه القراء والعلماء. قتل سنة ٨٣. (المعارف ٣٣٤ والعبر ١/ ٩٦).

(٩) هو المنذر بن الجارود العبدي، ولد في عهد الرسول ﷺ ولاّه علي رضي الله عنه اصطخر، وقد شهد الجمل معه، وولاه عبيد الله بن زياد في أمرة يزيد بن معاوية الهند، فمات هناك سنة ٦١. (الإصابة ٣/ ٤٥٨).

(١٠) الجرد: السلخ، لأن الضب إذا شوي جرد من جلده.

الصمغة[1]، ولأحزمنك حزم السَّلَمة[2]، العجبُ من هؤلاء الأشرار، أهل البخل والنفاق.

قال علي بن زيد: فقال أنس لمّا خرج: واللّهِ لولا ولدي لأجبتُه، ثم كتب إلى عبد الملك بما كان من الحجاج إليه، فكتب إليه عبد الملك كتاباً مع إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر[3]، مولى بني مخزوم، فقدم على الحجّاج فبدأ بأنس فقال: إنّ أمير المؤمنين قد أكبر ما كان من الحَجّاج إليك، وأعظم ذلك، وأنا لك ناصح، إنّ الحجّاج لا يعدلُه أحد عند أمير المؤمنين، وقد كتب إليه أنْ يأتيك، وأنا أرى لك أن تأتيه فيعتذر إليك، فتخرج من عنده وهو لك معظّمٌ، وبحقّك عارف.

قال: نعم. ثم أتى الحجّاج، فأعطاه كتاب عبد الملك فجعل يقرؤه ووجهه يتغيّر، فأقبل يمسح العرقَ عن وجهه، ويقول: غفر اللّهُ لأمير المؤمنين، ما كنتُ أراه يبلغ مني هذا.

قال إسماعيل: ثم رمى الكتاب إليّ، وهو يظنُّ أني قد قرأتُ ما فيه، ثم قال: قم بنا إلى أنس. فقلتُ: بل يأتيك. فأتيت أنساً، فقلت: اذهب بنا إليه، فأتاه، فرحّب به، ثم قال: عجلتَ باللائمة يا أبا حمزة[4]، إنّ الذي كان مني إليك على غير تأنيةٍ، ولكنّ أهل العراق لا يحسّون لله عليهم سلطاناً يقيم حجّته، ومع هذا إني أردتُ أنْ يعلم منافقو أهل العراق، وفُسّاقهم أنى متى أقدمتُ عليك، فهم عليّ أهونُ، وأنا إليهم أسرعُ، ولك العُتبى والكرامة، فقال أنس: ما عجلتُ باللائمة حتى تناولنا العامةُ دون الخاصّة (١٠٧ و /) وحتى سمّيتنا الأشرار، وقد سَمّانا اللّهُ الأنصار، وزعمتَ أنّا أهل بُخلٍ، ونحن المؤثِرون على أنفسهم، وزعمتَ أنا أهل النفاق ونحن الذين تبوّءُوا الدار والإيمان. وزعمتَ أنك اتخذتني ذريعةً لأهل العراق، باستحلالك مني ما حرّم الله عليك، وبيننا وبينك حَكَمٌ هو أرضى للرضا وأسخط للسخط، إليه ثواب العباد،

---

(١) لأن الصمغة اليابسة إذا قلعت عن الشجرة انقلعت انقلاع القشرة التي تعلو الجرح عند البرء. انظر البيان والتبيين ١/ ٣٣٦.

(٢) السلم: شجر.

(٣) إسماعيل بن عبد الله مؤدب أولاد عبد الملك وكان زاهداً عابداً. (الشذرات ١/ ١٨١).

(٤) في الإصابة ١/ ٨٤ أن النبي ﷺ كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها.

وجزاء أعمالهم ﴿ليجزيَ الذينَ أساءوا بما عمِلوا ويجزيَ الذينَ أحسنوا بالحُسنى﴾[١] فواللّهِ إن النصارى ـ على شِركهم ـ لو رأوا رجلاً قد خدم عيسى يوماً واحداً، لأكرموه وأعظموه، فكيف ولم تحفظ لي خدمةَ رسول الله ـ ﷺ ـ عشرَ سنين[٢]! فإن لم يكن منك إحسانٌ شكرنا ذلك، وإنْ يكُ غير ذلك صبرنا إلى أن يأتي الله بالفَرَج.

قال[٣]: وكان كتاب عبد الملك إلى الحجّاج: أما بعدُ: فإنك عبدٌ قد طمت به الأمور حتى[٤] عدوتَ طوركَ، وأيم الله، يا ابن المستفرمة[٥] بعجَم الزبيب[٦]، لقد هممتُ أن أضغمك ضغمةً كبعض ضغمات الليوث الثعالب[٧]، وأخبطك خبطةً تودُّ أنك زاحمتَ مخرجك من بطن أمّك، قد بلغني ما كان منك إلى أنس، وأظنك أردتَ أنْ تخبر أمير المؤمنين، فإن كان عنده غيره، وإلاّ مضيتَ قُدماً، فلعنة الله عليك، أخفشَ العينين[٨]، ممسوحَ الجاعرتين[٩]، حمسَ[١٠] الساقين، كأنك نسيت مكاسب آبائك بالطائف، وما كانوا عليه من الدناءات واللؤم، إذ يحفرون الآبار في المناهل بأيديهم وينقلون الحجارة (١٠٧ ظ /) على ظهورهم، فإذا أتاك كتابي فالقَ أنساً في منزله، واعتذر إليه، ولولا أنّ أمير المؤمنين يظن أنَّ الولد والكتب كثّروا على الشيخ لقد بعث إليه من يسحبك ظهراً لبطنٍ، حتى يأتي بك أنساً فيحكمَ فيك، ولن يخفى على أميرُ المؤمنين نبؤك و ﴿لكلِّ نبأٍ مستقرٌ وسوف تَعلمون﴾[١١] فلا تخالف كتاب

---

(١) سورة النجم آية ٣١.
(٢) في ب: عدد سنين. وفي الإصابة: قيل لأبي عاليه: أسمع أنس من النبي ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ.
(٣) الرسالة في جمهرة رسائل العرب ٢/ ٢٤٦ مع اختلاف يسير في الألفاظ.
(٤) سقطت (حتى) من ب.
(٥) المستفرمة: المرأة تستعمل دواء تتضيق به.
(٦) عجم: نوى.
(٧) في الجمهرة: لأغمزنك كبعض غمزات الليوث الثعالب. وضغم: عضّ.
(٨) أخفش العينين: الذي في عينيه ضيق، وضعف في البصر خلقة.
(٩) الجاعرتين: هما لحمتان تكتنفان أصل الذنب في الحيوان.
(١٠) حمس الساقين: مهزولهما.
(١١) سورة الأنعام آية ٦٧.

أمير المؤمنين، وأكرم أنساً وولده، وإلاّ بعثتُ إليك من يهتك سترك، ويشمتُ بك عدوّك، والسلام.

● ١٨٤ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله عن الواقدي قال: حدّثني ابن أبي سبرة عن عبد الرحمٰن بن يزيد قال:

قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجًا سنة اثنتين وثمانين، وهو ولي عهد، فمرَّ بالمدينة، فدخل عليه الناس، فسلَّموا عليه، وركب إلى مشاهد النبيّ ـ ﷺ ـ التي صلَّى فيها، وحيث أصيب أصحابه بأحد، ومعه أبان بن عثمان، وعمرو بن عثمان[1]، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي أحمد، فأتوا به قُباء[2]، ومسجد الفضيخ[3]، ومشربة أم إبراهيم، وأحد، وكل ذلك يسألهم، ويخبرونه عمّا كان. ثم أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سِيَر النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ومغازيه، فقال أبان: هي عندي، قد أخذتها مصَححة ممّن أثقُ به. فأمر بنسخها وألقى فيها [إلى][4] عشرةٍ من الكُتّاب، فكتبوها في رِقٍّ، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين، وذكر الأنصار في بدر، فقال: ما كنتُ أرى لهؤلاء القوم هذا الفضلَ (١٠٨ و /). فإمّا أنْ يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، وإمّا أن يكونوا ليس هكذا. فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه، إنَّ القول بالحق: هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال: ما حاجتي إلى أنْ أنسخ ذاك حتى أذكرم لأمير المؤمنين، لعلّه يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحُرِّق. وقال: أسأل أمير المؤمنين إذا رجعتُ، فإن يوافقه، فما أيسر نسخه، فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبر أباه بالذي

---

(١) سقط (عمرو بن عثمان) من ب. وهو عمرو بن عثمان بن عفان وكان أسن ولد عثمان وأشرفهم عقباً، هلك بمنى. (المعارف ١٩١).

(٢) قباء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. وعندها بني أول مسجد في الإسلام. (ياقوت).

(٣) الفضيخ: (مسجد الشمس) يقع شرقي مسجد قباء في الشمال الشرقي لقرية العوالي، ويبعد عن المسجد النبوي بنحو ثلاثة أكيال. (المغانم المطابة ٤٥٨).

(٤) تكملة لتمام المعنى.

كان من قول أبان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أنْ تَقدم بكتابٍ ليس لنا فيه فضل، تُعرِّف أهلَ الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها. قال سليمان: فلذلك يا أمير المؤمنين أمرتُ بتخريق ما كنتُ نسخته حتى أستطلع رأيَ أمير المؤمنين. فصوّب رأيه. وكان عبد الملك يثقل عليه ذلك، ثم إنّ سليمان جلس مع قبيصة بن ذؤيب[1]، فأخبره خبر أبان بن عثمان، وما نسخ من تلك الكتب، وما خالف أمير المؤمنين فيها، فقال قبيصة: لولا ما كرهه أمير المؤمنين لكان من الحظِّ أن تَعلَمها وتُعلِّمها ولدكَ وأعقابهم، إن حَظَّ أمير المؤمنين فيها لوافر، إن أهل بيت أمير المؤمنين لأكثر مَن شهد بدراً، فشهدها من بني عبد شمس ستة عشر رجلاً من أنفسهم وحلفائهم ومواليهم[2]، وحليفُ القوم منهم، ومولى القوم منهم[3]. وتوفي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ (١٠٨ ظ /) وعمّاله من بني أمية أربعة[4]: عتّاب بن أسيد على مكة، وأبان بن سعيد على البحرين، وخالد بن سعيد على اليمن، وأبو سفيان بن حرب على نجران، عاملاً لرسول الله ـ ﷺ ـ ولكنّي رأيتُ أمير المؤمنين كره من ذلك شيئاً، فما كرهَ فلا تُخالفه. ثم قال قبيصة: لقد رأيتُني وأنا وهو ـ يعني عبد الملك ـ وعدّةً من أبناء المهاجرين، ما لنا علمٌ غير ذلك حتى أحكمناه، ثم نظرنا بعدُ في الحلال والحرام. فقال سليمان: يا أبا إسحق، ألا تخبرني عن هذا البغض من أمير المؤمنين وأهل بيته لهذا الحيّ من الأنصار وحرمانهم[5] إيّاهم لِمَ كان؟ فقال: يا ابن أخي، أول من أحدثَ ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثم أحدثه أبو عبد الملك، ثم أحدثه أبوك. فقال: علامَ ذلك؟ قال: فواللّهِ ما أريد به إلاّ لأعلمه وأعرفه.

فقال: لأنهم قتلوا قوماً من قومهم، وما كان من خذلانهم عثمان ـ رضي الله عنه

---

(١) هو أبو إسحق قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، كان على خاتم عبد الملك بن مروان، وكان الزهري يروي عنه، وهو الذي أدخل الزهري على عبد الملك فوصله وفرض له. توفي بالشام سنة ست وثمانين أو سبع وثمانين. (المعارف ٤٤٧ وانظر الطبري ٦/ ٤٣ أو ١٨٠ ومواضع أخرى).

(٢) انظر فيمن شهد بدراً من بني عبد شمس وحلفائهم ومواليهم ابن هشام ١/ ٦٧٨.

(٣) سقط (ومولى القوم منهم) من ب.

(٤) انظر هذا الخبر في أنساب الأشراف ١/ ٥٢٩ أيضاً.

(٥) في ب: حرمناهم. تحريف.

ـ فحقدوه عليهم، وحنقوه وتوارثوه، وكنت أحبُّ لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم، وأن أخرجَ من مالي، فكلِّمْه. فقال سليمان: أفعلُ والله. فكلّمه وقبيصةُ حاضرٌ، فأخبره قبيصة بما كان من محاورتهم. فقال عبد الملك: والله ما أقدر على غير ذلك، فدعُونا من ذكرهم، فأسكت القوم.

● ١٨٥ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله عن جدّي عبد الله بن مصعب قال:

بلغني أن معاوية قال لعمرو بن (١٠٩ و /) العاص: إنّ الناس قد رفعوا أعينهم، ومدُّوا أعناقهم إلى بني عبد المطلب، فلو نظرنا إلى رجل منهم فيه لُوْثةٌ فاستملناه، فقال عمرو: عندكَ عَقيل بن أبي طالب. فلما أصبح واجتمع الناس، دخل عليه عقيل فقال له[1]: يا أبا يزيد[2] أنا خيرٌ لك أم عليٌّ؟ قال: أنت خيرٌ لنا من عليٍّ، وعليٌّ خيرٌ لنفسه منك[3]. فضحِك معاوية، فضحِك عقيل. فقال له: ما يضحكك يا أبا يزيد؟

قال: أضحك أني كنتُ أنظر إلى أصحاب عليّ يوم أتيتُه، فلم أرَ معه إلا المهاجرين والأنصار وأبناءَهم، والتفتُ الساعةَ فلم أرَ إلاّ أبناء الطلقاء، وبقايا الأحزاب. فقال معاوية[4]: يا أهل الشام، هل تدرون مَنْ هذا؟ قالوا: لا. قال أسمعتم قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿تبّت يدا أبي لهبٍ﴾ قالوا: نعم. قال: فإنه ـ والله ـ عمُّ هذا. قال عقيل: صدق ـ والله ـ أميرُ المؤمنين. فهل قرأتم في كتاب الله تعالى: ﴿وامرأتُه حَمَّالَة الحَطب﴾[5] فهي ـ واللّهِ ـ عمّة معاوية[6].

---

(١) قول معاوية وجواب عقيل في البيان والتبيين ٢/٣٢٦ وعيون الأخبار ٢/١٩٧.

(٢) أبو يزيد، كنية عقيل بن أبي طالب.

(٣) في البيان والتبيين: أخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنياي.
وفي عيون الأخبار: إن أخي خير لنفسه وشر لي، وإن معاوية شر لنفسه، وخير لي.

(٤) انظر هذا النص في المصدرين السابقين. وبعضه في ذخائر العقبى للمحبّ الطبري ٢٢٢.

(٥) سورة المسد آية ٤.

(٦) إن حمالة الحطب التي يشير إليها تعالى هي، أم جميل امرأة أبي لهب، وهي بنت حرب. (انظر عيون الأخبار ٢/١٩٧).

فقال له معاوية: الحقُ بأهلك، حسبنا ما لقينا من أخيك. قال له عقيل: أمّا ـ والله ـ لقد تركتُ مع علي الدينَ والسابقة، وأقبلتُ إلى دنياك، فما أصبت دينه ولا نلت من دنياك طائلاً. فأعطاه وأكثر له. قال: فدعا معاوية عمرو بن العاص فقال: ويحكَ يا عمرو، هذا الذي زعمتَ أنه أهوج بني عبد المطلب؟!

قال: ما ذنبي يا أمير المؤمنين، ما علمتُ منه إلاّ ما تعلمُ. فقال معاوية في ذلك:

ألا يا عمرو عمرو قبيل سهمٍ ... لقد أخطأتَ رأيك في عقيل
(١٠٩ ظ /)
بُليت بحيّة صمّاء بانت ... تلقّتُ أين ملتَمس القبيل[1]
بعينٍ تنفذ البيداء لحظاً ... ونابٍ غير موصول[2] كليل
وقد كانت ترجّمه قريش ... على عمياءَ من قالٍ وقيل
ألا للّهِ درٌّ أبي يزيد ... لهرج الأمر والخطب الجليل
فما خاصمتُ مثلك من خصيمٍ ... ولا حاولتُ مثلك من حويل
أتاني زائراً ورأى عليّاً ... قليل المال منقطع الخليل
فقيل له معاويةُ بن حرب ... فمال أبو يزيد إلى مُميل
فأجزلت العطاء له ودبّت[3] ... عقاربه لسالفةِ الدخول
فلم يرضَ الكثير وقد أراه ... سخوطاً للكثير وللقليل

فرجع عقيل إلى عليّ فأخبره الخبر، فقال: كان في نفس معاوية شيء فما أحبّ أنك لم تأته، فقد انقطع ظهر من بني عبد المطلب.

● ١٨٦ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي عن جدي عبد الله بن مصعب قال:

---

(١) في الأصل: القتيل.
(٢) في ب: مصقول.
(٣) في ب: فدبّت.

اجتمع شريك[1]، والقاسم[2] بن معن عند أمير المؤمنين المهديّ، فقال لهما: ما تقولان في رجل رمى رجلاً بسهم فقتله؟ فقال شريك: يُقتل كما قَتل. فقال القاسم: ليس كما تقول. فقال شريك أليس يقول الله ـ عز وجل ـ ﴿وإنْ عاقبتم فعاقِبوا بمثلِ ما عُوقبتم بهِ﴾[3] فقال: بلى. فقال: لمَ تموقُ إذاً؟ قال: يا أبا عبد الله لو جاريناك لسبقتنا سَبقاً بعيداً. ثم قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا قوَد إلا بالسيف[4] (١١٠ و/) ونهى عن المُثلة[5]. ثم قال لشريك: أرأيت لو رماه بسهمٍ فلم يقتله ثم ثنّى فلم يقتله، ثم ثلّث، أليس كانت تكون مُثلة؟ فصمت شريك.

● ١٨٧ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال:

قال المنصور لإسحاق بن مسلم العقيليّ[6]: ما بقي من لذّتك؟ قال: أخ أشتهي معه العَلَّة طول الليل، ودابّة أشتهي معها طول السفر.

● ١٨٨ ـ حدّثنا الزبير قال:

لمّا ولى الحسنُ بن زيد[7] المدينةَ منع النساء من المسجد والخروج إليه في شهر رمضان إلا العجائز، وإنّ امرأة جاءت إلى المسجد تريد أنْ تدخل بين العجائز

---

(١) هو القاضي أبو عبد الله شريك بن عبد الله النخعي، كان محدثاً فقيهاً. توفي سنة ١٣٣. (انظر الشذرات ١/٢٨٧ والبغدادي ٩/٢٧٩).

(٢) هو القاضي أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمٰن الهذلي المسعودي كان أروى الناس للحديث والشعر وأعلمهم بالعربية والفقه توفي سنة ١٣٦. (الشذرات ١/٢٨٦ وتهذيب التهذيب ٨/٣٣٨).

(٣) سورة النحل آية ١٢٦.

(٤) الحديث في الجامع الصغير ١٩٥ وابن ماجة ٢/٨٨٩.

(٥) المثلة: القتل بقود. والقود القصاص.

(٦) كان قد ولاه مروان بن محمد على أرمينية، وحين بلغه هزيمة مروان تركها فرأسه أهل الجزيرة عليهم، وقد حاصره المنصور سبعة أشهر، وكان يقول في عنقي بيعة، فأنا لا أدعها حتى أعلم أن صاحبها قد مات أو قتل، وحين علم بمقتل مروان طلب الصلح، فأمنه المنصور وصار معه، وصار عظيم المنزلة عنده من قواده الكبار. (انظر الطبري ٧/٤٤٦).

(٧) في ب: الحسين. تحريف وهو الحسن بن يزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولاه المنصور المدينة. توفي سنة ١٦٨. (الشذرات ١/٢٦٥ وانظر في ولايته المدينة الطبري ٨/٣٢).

ففطن لها شرطيٌّ فأخرجها وضربها ضرباً وجيعاً، وخرق طيلساناً كان عليها لزوجها لبسته سراً منه، فانصرفت وهي أخزى من التي باعت قميصها واشترت به هرّة، فلما أصبحت جاءت إلى حوّاء في المدينة، وأعطته درهماً، وقالت له: أطلب لي عشرَ عقارب حريّاتٍ سموميات[1]، والحريات هي أخبث ما تكون من العقارب، فجعلتْها في دُرجٍ، وذرّت عليها ذريرةً ممسكة، فلما كان الليلُ جاءت إلى ذلك الباب بعينه، وقد عرفت الرجل فدنت منه، وقالت: يا أخي، هذا المجمَّر جئتك به فخذه فدخّن[2] به لهذا العيد، واتركني حتى أدخل وأصلّي هذه الليلة العظيمة، يأجُرك الله ـ جل ثناؤه ـ فأخذ الدرج منها، وأدخلها، ودسّه في حجرته، ثم أعجله الطمع حتى يعلم ما فيه، وفتح الدرج، فذهب ليشمّ ما فيه، فضربَ بعضُ العقارب أنفه ضربةً، فطار من عينيه مثل (١١٠ ظ /) النار، وسقط، وانتثرت على جسده فليس منهن إلاّ وقد لسعته مرات، وصاح: الموت، أدركوني. فابتدره الناس، فإذا جسده ينتغش عقارب. وبلغ الحسن بن زيد خبره. فقال: ما قصتك؟ فلم يقدر على الكلام. فلما أفاق سأله، فأراد كتمان الخبر، فقال: لن ينجيك مني إلاّ الصدق. فأخبره فضحك، وقال: لو علمتُ أين هذه المرأة لأمرت لها بألف درهم، وجدتُها ـ والله ـ حرّة، وأمر له بصِلة.

● ١٨٩ ـ حدّثني الزبير قال:

جاء مزيد بامرأته إلى القاضي يخاصمها في نفقتها، فبكت حين جلست، فقال له القاضي: ويحك[3]، اتق الله، فإني لأحسبك[4] ظالماً. قال: وبأيّ شيء عرفتَ ذاك؟

قال: لم تبكِ هذه المرأة من خير.

قال: فقد جاء إخوة يوسف عشاءً يبكون، فكانوا ظالمين أو مظلومين؟

قال: فهي تشكو أنك قد[5] أجعتها.

---

(١) في ب: مسمومات.

(٢) في ب: فتدخن.

(٣) سقط من ب ابتداء من (يخاصمها).

(٤) في ب: أحسبك.

(٥) سقطت (قد) من ب.

قال: فأرسل إلى منزلها، فإن لم تجد فيه خبزاً قد يبسته فصدقت. قالت: أما خبز فعندي خبز، ولكن لا يشتري لي سويقاً. قال: أنظر تطلب مني السويق مع الخبز، وقد حبس أبو جعفر العطاء ومنع البحر، وهي طالق ثلاثاً ألبتةَ، لئن عاش أبو جعفر خمس سنين إن لم تنس صنعةَ السويق، فلا تُحسنه. فتوفي أبو جعفر لثلاث سنين من يوم حلف بطلاقها، فأتت به القاضي فقالت: حلف بطلاقي إن مات أبو جعفر لتنسينَّ عمل السَويق، فلم أنسه. قال: إنما حلفتُ إنْ عاش خمس سنين.

قال القاضي: ترانا نسينا عمل السَويق في سنتين. قال: فإني على هذا حلفتُ. فما يدريكم لعلكم (١١١ و /) تنسون أو لعلكم تموتون. فلم يرَ عليه طلاقاً[١].

● ١٩٠ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عبد الله بن نافع قال:

ماتت أختٌ لعمر بن عبد العزيز، قال: فشهدها الناس وانصرفوا معه إلى منزله، فلما صار إلى بابه أخذ بحلقة الباب، ثم قال: انصرفوا أيها الناس مأجورين، أدّى اللَّهُ عنكم، فإنا أهل بيت لا نعزّى في أحد من النساء إلا في اثنتين: أمٌّ لواجب حقها، وما فرض الله من برِّها، وامرأة للُطف موضعها، وإنه لا يحل محلها أحدٌ[٢].

● ١٩١ ـ حدّثني الزبير قال: سمعت الحسن بن هانىء[٣] يقول:

كان في ديوان الرسائل أربعة نفر من الكتّاب الشاميين، فلما ولي سعدان بن يحيى[٤] كاتب أم جعفر ديوان الرسائل أتاه جارٌ[٥] له في ابن له يقال له: حفص بن عمر، فسأله أن يلزمه ديوان الرسائل ليتعلّم، فمكث وحفص يختلف إلى الديوان، ويخدم أولئك الشاميين، ويخفُّ لهم، ويمثّلون له الخطَّ حتى تعلم،

---

(١) انظر أخبار القضاة ٢/ ٣٢١ حيث أورد بعض هذه القصة في فضاء شريح برواية الشعبي.
(٢) النص في العقد الفريد ٢/ ٣٦ و ٢٨٠. مع اختلاف بسيط.
(٣) الشاعر العباسي أبو نواس.
(٤) كان سعدان من كتاب العصر العباسي الأول في خلافة الرشيد، وكان يكتب لأم جعفر، كما كان يكتب لجعفر أيضاً، وقد تولى ديوان الرسائل. (الوزراء والكتاب ٢٥٦).
(٥) في ب: جاراً. تحريف.

وحزّر[1]، فقال عمر لسعدان: إن ابني ملازم للديوان، وليس له رزق، فإنْ رأيتَ أن تصيِّر لابني رزقاً يقوى به على الخدمة والملازمة، وينفعني بذلك فعلتَ، فقال له سعدان: إنما رزق هذا الديوان لهؤلاء الأربعة النفر المسمّين، ولستُ أقدر أن أخرج أحداً منهم، ولا أستبدل به، ولا أنقصه من رزقه، ولكني أكلّمهم وأسألهم أن يجعلوا لك من أرزاقهم شيئاً. فكلمهم وقال: هذا الغلام ابن صديقٍ لي وقد خدمكم وخفَّ (١١١ ظ /) لكم فأحبُّ أنْ يهبَ له كل واحد منكم من رزقه شيئاً. فوهب له كل واحد منهم من رزقه خمسين درهماً، فدفع إليه مائتي درهم، فلما كان في الشهر الثاني دفع إليهم أرزاقهم ونقص كل واحد خمسين درهماً، فصارت رزقاً للغلام. فقال الشاميون: إن هذه سُنّة قد سنّها علينا سعدان، وانتقص من أرزاقنا شيئاً، وصار هذا الغلام كأحدنا، ولسنا ـ واللّهِ ـ نرضى بهذا، فأجمعوا على شكايته إلى الفضل بن يحيى[2]. قالوا: يكتب كل واحد منا رقعة، ويوقّع عليها اسمه ويصيّرها تحت مصلّى الفضل بن يحيى، فإنه سيقرؤها إذا خرجنا. فكتب كل واحد منهم:

ذهب الكتاب وملّهُ أصحابه ... وبكى لضيعة أمره الديوان
وبحسبِ ديوان الرسائل خزية ... إذ صار صاحب أمره سعدان

وكتب على رقعته فلان الشامي.

وكتب آخر رقعة فيها[3]:

أيها القاتل[4] حرصاً ... نفسه قد مات موتا
إن سعدان بن يحيى ... قد بنى للقِبط بيتا
صبّ في قنديل سعدا ... ن مع التسليم زيتا
وقناديلُ بنيه ... قبل أن تحفى الكميتا

---

(١) في ب: وحذق.

(٢) هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، ولاه الرشيد المشرق كله من النهروان إلى بلاد الترك. توفي سنة ١٩٣. الوزراء والكتاب ١٧٧.

(٣) البيتان ٣ و ٤ في الوزراء والكتاب ٢٥٦.

(٤) في ب: القائل. تحريف.

وكتب على الرقعة: فلان الشاميّ.

وكتب الثالث رقعة فيها:

أتـــاه حفــصٌ معــه رقعــة ... أصلحـــك الله وأبقـــاكـــا

إنـــي غـــلام رِخـــوة تكتـــي ... أطـــوع مـــن يســـراك يمنـــاكـــا

وفـــيّ تخنيـــثٌ ولـــو قـــد تـــرى ... تحـــت الســـراويـــل لأرضـــاكـــا

فســـمٍ[1] لـــي رزقـــاً ولا تجفنـــي ... أكـــرمـــك الله وعـــافـــاكـــا

وقـــع سعـــدان علـــى رأسهـــا ... يُجـــاب حفصـــون إلـــى ذاكـــا

وكتب على الرقعة فلان الشامي. وألقيت الرقاع تحت مصلى الفضل بن يحيى، فلما أن قام من مجلسه أصابوا الرقاع تحت مصلى الفضل بن يحيى[2] فأوصلوها[3] إليه، فلما قرأها استضحك ثم دعا بسعدان فقال: مَنْ عرّضك لهؤلاء الشاميين، ومَنْ حفصون هذا؟ فقصّ عليه القصة، فقال: أخرج هذا إلى لعنة الله، وإياك ثم إياك أن تتعرض لثلم أرزاق أحد. فطرد الغلام، واعتذر إلى الشاميين واصطلحوا.

● ١٩٢ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو سلمة موهوب بن رشيد عن مروان بن إبراهيم بن سعيد قال:

قال عبد الله بن جعفر[4] لجليس له من أهل المدينة فقده: أبا فلان أين كنت؟ قال: خرجت مع فلان أطلب عَرضاً من الأعراض. فقال له: إن لم تجد من صحبة الرجال بدّاً، فعليك بمَن إن صحبته زانك، وإن خفضت له صانك، وإن وعدك لم يحرمك، ولم (١١٢ ظ /) يرفضك، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى خَلّة سدّها، وإن سكتَّ عنه ابتدأك، وإن سألته أعطاك[5].

---

(١) في ب: قسم.

(٢) سقط سطر من ب ابتداءً من (فلما أن).

(٣) في ب: فأوصلها. تحريف.

(٤) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أحد أجواد العرب، ولد في الحبشة وتوفي بالأبواء سنة تسعين. (المعارف ٢٠٦).

(٥) كتب في الأصل بعد هذا الخبر بخط مغاير للنص الشرح الآتي: العرض الناحية، والعرض ما ذم=

● ١٩٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: حدّثني نوفل بن عمارة قال:

قال رجل من قريش لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أخبرنا عنّا وعن بني عبد شمس.

قال علي: نحن أصبح وأفصح وأسمح. فقال الرجل: ما بقّيت للقوم شيئاً. قال بلى هم أكثر وأمكر وأنكر[١].

● ١٩٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

كان علي بن أبي طالب حذراً في الحروب، شديد الروغان من قِرنه، لا يكاد أحد يتمكن منه، وكانت درعه صدراً لا ظهرَ لها فقيل له: ألا تخاف أن تؤتى من قِبل ظهرك؟ فيقول: إذا أمكنتُ عدوي من ظهري فلا أبقى الله عليه إن أبقى عليّ.

● ١٩٥ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال:

قال رجل من الحكماء لبنيه: يا بنَيّ لا تعادوا الرجل، وإنْ ظننتم أنه لا يضركم، ولا تزهدوا في صداقة أحد، وإنْ ظننتم أنه لا ينفعكم، فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدوّ، ولا متى ترجون صداقة الصديق، ولا يعتذر إليكم أحدٌ إلاّ قبلتم عذره منه، وإن علمتم أنه كاذب.

● ١٩٦ ـ أنشدني الزبير لبرذع بن عديّ[٢]، عم قيس بن

= ومدح من الإنسان. والعرض بفتح العين الجيش. وأنشدوا للعجاج: كنا إذا قدنا الجيش عرضاً. والعرض بفتح العين والراء: حطام الدنيا. والعرض ساكنة الراء خلاف النقد. يقال: بعته بعرض أو بنقد. والعرض: بفتح العين والراء: الشيء يعرض لك. من قولهم: عرض له عرض سوء من مرض وغيره.

(١) في شرح نهج البلاغة ٥/ ٣٩٥ من جواب للإمام علي رضي الله عنه على من سأله عن قريش: وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصح وأنصح وأصبح.

(٢) هو برذع بن عدي الأوسي، أورد له صاحب مجموعة المعاني مقطعين من قصيدة واحدة ص ٢٧ و ٥٤. إلا أن صاحب الإصابة ١٤٩/١ سمّاه برذع بن يزيد بن النعمان الأنصاري، وأورد له بيتين مما أورده صاحب مجموعة المعاني. وهو في الإصابة صحابي شهد أحداً وما بعدها.

الخطيم[1]:

بيـن بطحـان فـالسـراة مـن صفَنـة لعـسٌ كـأنهـا الأرآم[2]

(١١٣ و /)

ونخيـلٌ كـأنهـا دُهـم ليـل وسَـوام يحُمـن حـول الخيـام

وشبـابٌ أولـو بهـاءٍ وشِيـبٌ[3] وحلـومٌ علَـت حلـومَ الأنـام

مجلـسٌ جُنّب الخيـانـة والغـدر وقيـل الخنـا[4] وفعـل اللئـام

● ١٩٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن المخزومي قال: حدّثني محرز بن جعفر مولى أبي هريرة قال:

قال عبيد الله بن عبد الله[5]:

إذا كـان لـي سـرٌ فحـدّثته العـدى وضـاق بـه صـدري فللنّـاس أعـذر

هـو السـرُّ مـا استـودعتـه وكتمتـه وليـس بسـرٍّ حيـن يفشـو ويظهـر[6]

● ١٩٨ ـ حدّثني الزبير قال:

قال يزيد بن موهب[7] الرملي: إنما بقي من العيش صلاة في جماعة تكفي سهوها، وترزق فضلها. وكفاف من رزق الله ليس لله عليك فيه تَبِعةٌ، ولا لأحد عليك فيه مِنّة، وأخٌ يُحسن العشرة، إذا أصبتَ ثبّتك، وإنْ تعوّجتَ قوّمكَ.

---

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي الشاعر المشهور، من أهل يثرب، قيل إنه أدرك الإسلام، وقتل قبل الهجرة قبل أن يسلم. (الأغاني ٣/ ١ والمرزباني ٣٢١).

(٢) بطحان: أحد أودية المدينة الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة. والسراة: أعالي السلسلة الجبلية المعروفة باسم الحجاز. وصفنة: موضع في المدينة وقيل بقبا. ولعس: موضع أيضاً.

(٣) في ب: لو أنها. تحريف.

(٤) في ب: وقيل الخيانة. تحريف.

(٥) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان عالماً ناسكاً شاعراً توفي سنة ٩٨. (نكت الهميان ١٩٧ والأغاني ٨/ ٩٢ (بولاق)).

(٦) البيتان في شعره ١٨. ورواية الثاني فيه: وسرك ما استودعته وكتمته.

(٧) في ب: موهوب.

● ١٩٩ ـ أنشدني الزبير قال:

قال عبد الله بن عروة بن الزبير[١]:

ترى المرءَ يبكي للذي مات قبله ... وموت الذي يبكي عليه قريب
يحبُّ الفتى المال الكثير وإنما ... لنفس الفتى فيما يحوز نصيب

● ٢٠٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا[٢]:

كان يزيد بن معاوية في مجونه نادمَ قرداً، فأخذه يوماً فحمله على أتان وحشية، وشدّه عليها رباطاً، ثم أرسل الخيل في إثرها حتى كسرتها فماتت الأتان. فقال في ذلك يزيد بن معاوية:

تمسّك أبا قيس بفضل عنانها ... فليس علينا إن هلكتَ ضمان
(١١٣ ظ /)
فما فعل الشيخ الذي سبقتْ به ... جيادَ أمير المؤمنين أتان

وبذلك سبّه أبو حمزة[٣] في خطبته حين يقول: خالف القرآنَ واتّبع الكهّان، ونادم الفردَ، وفعل ما يشبهه حتى مضى لسبيله لعنه الله[٤].

---

(١) في جمهرة نسب قريش ١/٣٠٩ سماه عبيد الله، وقال عنه: قد عقل عن أبيه، ولم يحفظ من حديثه شيئاً، وله ولد، وكان يقول شيئاً من الشعر، وأورد البيتين في ص ٣١١، وشطر الأول فيه: ترى المرء يبكيه الذي مات قبله. (وانظر نسب الزبيري ص ٢٤٨ وشعر عبيد الله بن عبد الله بن مسعود ٣٤).

(٢) القصة في المخصص ١٣/١٧٧ ورواية البيتين:
فقلت من الشخص الذي سبقت به ... .
تمسك أبا قيس على أرحبية ... .
والبيتان في الحيوان ٤/٦٦ برواية أخرى. وأبو قيس: كنية القرد.

(٣) هو أبو حمزة يحيى بن المختار الخارجي، أحد نسّاك الأباضية الخوارج وخطبائهم. خرج على مروان بن محمد، فأوقع بن مروان وقتل في المدينة سنة ١٣٠. (انظر الطبري في هذه السنة والبيان والتبيين ٢/١٢٢).

(٤) من خطبة طويلة خطبها حين بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابه. وهي مع تخريجها في جمهرة=

● ٢٠١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني الحارث بن محمد العوفي قال: حدّثني نوفل بن عمارة قال:

قال عمر بن عبد العزيز: إن أول من أيقظني لهذا الشأن مزاحم[١]، حبستُ رجلاً، فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه، فكلّمني في إطلاقه. فقلت: ما أنا بمخرجه حتى أبلغ في الحيطة عليه ما هو أكثر مما مرّ به. قال: فقال مزاحم: يا عمر بن عبد العزيز، إني أحذّرك ليلة تمخّضُ بالقيامة، في صبيحتها تقوم الساعة، يا عمر لقد كدتُ أن أنسى اسمك مما أسمع.

قال الأمير: فوالله ما هو إلاّ أن قال ذاك، فكأنما كشف عن وجهي غطاء، فذكّروا أنفسكم رحمكم الله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

● ٢٠٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الضحاك عن أبيه[٢]:

أن ابن غزيّة الأنصاري[٣] ثم النجاريّ قدم على علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ من مصر، وقدم عليه عبد الرحمٰن بن شبيب الفزاري من الشام، وكان عيناً لعلي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ بها، فأما الأنصاري فكان مع محمد بن أبي بكر، فحدثه ما رأى وعاين من قتل محمد بن أبي بكر[٤]، وحدثه الفزاري: إنه لم يخرج من الشام، (١١٤ ظ /) حتى قدمت الرسل والبشرى من قِبل عمرو بن العاص تترى، يتبع بعضها بعضاً بفتح مصر، وقتل محمد بن أبي بكر حتى أذّن معاوية بقتله على المنبر، وقال: ما رأيت يا أمير المؤمنين سرور قوم قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد بن أبي بكر[٥]. فقال له علي ـ عليه السلام ـ حزننا على قتله على قدر سرورهم

= خطب العرب ٢/٤٦٩.

(١) هو مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز. (انظر أخباره في عيون الأخبار ٢/١٨ والطبري ٦/٤٨٢).

(٢) النص في الطبري ٥/١٠٨ برواية أبي مخنف وشرح نهج البلاغة ٢/٣٢٢.

(٣) هو الحجّاج بن غزية الأنصاري، وهو شاعر كان مع علي في صفين. انظر الطبري ٤/٤٧٩ ووقعة صفين ٤٠٢.

(٤) في الطبري وشرح النهج: فحدثه الأنصاري بما رأى وعاين وبهلاك محمد.

(٥) سقط سطران من ب ابتداءً من (حتى أذن).

بقتله، لا بل يزيد أضعافاً، وحزن على قتله حزناً شديداً، [حتى][1] رُئي في وجهه، وتبيّن فيه، وقام على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال[2]: ألا إنّ مصر قد افتُتحت[3]، ألا وإن محمد بن أبي بكر أصيب ـ رحمه الله ـ وعند الله نحتسبه، أما ـ والله ـ إنْ كان ممن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدي المؤمنين. إني ـ والله ـ لا ألوم نفسي في تقصير، ولا عجز، إني بمقاساة الحرب لجِد خبير، وإني لأتقدم في الأمر فأعرف وجه الحزم، فأقوم فيكم بالرأي المصيب معلناً، وأناديكم نداء المستغيث[4] فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تصير بي الأمور إلى عواقب الفساد[5]، وأنتم[6] لا تُدرك[7] بكم الأوتار، ولا يشفى بكم الغِلُّ.

دعوتكم إلى غياث إخوتكم[8] منذ بضع وخمسين ليلة فجرجرتم جرجرة الجمل الأشر[9]، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل مَن ليس له نيّة في جهاد العدو، ولا احتساب الأجر. ثم خرج منكم جنيد ضعيف ﴿كأنما يُساقُون إلى الموتِ وهُم يَنظرون﴾[10] فأفٌّ لكم. ثم نزل فدخلَ رحله.

● ٢٠٣ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: أنشدني الزبير في محمد بن عروة[11]:

---

(١) تكملة من شرح النهج.

(٢) الخطبة في الطبري ٥/١٠٨ وشرح نهج البلاغة ٢/٣٢٣.

(٣) في المصدرين السابقين: ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة.

(٤) في الطبري: المستغيث معرباً.

(٥) في الطبري: عواقب المساءة.

(٦) في الطبري: فأنتم القوم.

(٧) في الطبري وشرح النهج: ولا تنقض بكم.

(٨) في الطبري: إخوانكم.

(٩) الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته.
وفي الطبري: الأشدق، وفي شرح النهج: الأسر.

(١٠) سورة الأنفال آية ٦.

(١١) هو محمد بن عروة بن الزبير بن العوام، كان من أحب ولد عروة إليه، وكان جميلاً بارع الجمال. انظر ترجمته في جمهرة نسب قريش ١/٢٧٧ ونسب قريش ٢٤٧ وتهذيب التهذيب ٩/٣٤٣.

يـا هـالكـاً تـرك الـدمـوع كـأنهـا وشَـلٌ تغلغـلَ مــن مَعيــن مهمَــل
لــو كنــت أعلــمُ أن بينـك عــاجـل يــومَ الــوداع فعلــتُ مـا لــم أفعــل[1]

● ٢٠٤ ـ وأنشدني الزبير لابن الخيّاط في مالك (١١٤ ظ /) بن أنس رضي الله عنه[2]:

يـأبـى الجـواب فمـا يُكلَّـم هيبـةً والســائلــون نــواكــس الأذقــان
هــديُ النبــي وعــز سلطــان التقــى وهــو المهيــب وليــس ذا سلطــان

● ٢٠٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني جهم بن مسعدة قال: أخبرني أبي قال:

قال عبد الملك بن مروان للربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة[3]: الحمد لله الذي نسأ لي في الأجل حتى بلغت أن أرى[4] ربيعاً.

● ٢٠٦ ـ قال:

وقام الربيع بن ضبع حين وفد إلى عبد الملك وأنشده:

ثـلاث مئيــن مــن سنـيّ فقـد مضـت وهــا أنــا ذا قــد أرتجــي مــرَّ رابــع

فقال له عبد الملك: ما شهدتَ يا ربيع؟

قال: شهدتُ جمع جَدّي عدي بن فزارة للسودان في أمر إبرهة الأول حين

---

(١) في ديوان جرير بيت شبيه بهذا من قصيدة طويلة ص ٤٤٣ وهو:
لــو كنــت أعلــم أن آخـر عهـدكـم يــوم الــرحيــل فعلـت مـا لــم أفعــل

(٢) الفقيه الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني. توفي سنة ١٧٩. والبيتان في الانباه لابن عبد البر ص ٤٥. وزهر الأدب ١/ ١١٥ وربيع الأبرار ٣/ ١٨١ ورواية الأول فيه: فما يراجع. والثاني:
أدب الــوقــار وعــز سلطــان التقــى فهــو المطــاع وليــس ذا السلطــان
وابن الخياط هو عبد الله بن سالم المكي في زهر الأدب.

(٣) انظر ترجمته في الإصابة ١/ ٥١٠.
وقد تناشد الشعر مع امرىء القيس لدى السموأل. (انظر الأغاني ٨/ ٧٢).

(٤) سقطت (أن أرى) من ب.

أرسلت حِميَر تستصرخ على بيت الله الحرام، ودوّخت السودان أرض اليمن، وحوته إلاّ مَن اعتصم بالجبال من حِمير فسار بهم، وسارت كنانة وخزاعة وأفناء خندف، وعليهم قصي حين هبطوا جُدّة.

قال: ومثل من أنت يومئذ يا ربيع؟

قال: يا أمير المؤمنين، أنا أسرع الناس وثبةً عند الداعي، وأضبطهم لرأس فرس، وأجمعهم لسلاحي.

وأنشد جهم للربيع بن ضبع:

ألا أبلــغ بنـــيَّ بنـــي ربيـــع ... فــأشـــرار البنيـــن لهـــم فـــداء
وإنـــي قـــد كبـــرتُ ورقّ عظمـــي ... فـــلا يغـــرركـــمُ منـــي النَّســـاء

(١١٥ و /)

وإنّ كنـــائنـــي لنســـاء صـــدق ... ومـــا عـــقّ البنـــون ولا أســـاؤا
إذا جـــاء الشتـــاء فـــأدفئـــونـــي ... فـــإنّ الشيـــخ يهـــدمـــه الشتـــاء
فـــأمـــا حيـــن يـــذهـــب كـــل قُـــرٍّ ... فســـربـــالٌ خفيـــف أو رداء[1]

قال جهم بن مسعدة: الخريف ما بين طول النهار إلى استوائه مع الليل، ويليه الربيع، وهو ما بين استوائهما إلى قصر النهار، ويليه الصيف، وهو ما بين قصر النهار إلى استوائهما، ويليه الحميم، وهو ما بين استوائهما إلى طول النهار.

● ٢٠٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني جهم بن مسعدة قال[2]:

نـــزل عقيـــل بـــن عُلّفـــة[3] وشبيـــب بـــن البـــرصـــاء[4] وأرطـــاة بـــن

(١) النص في خزانة الأدب ٣/ ٣٠٦ وفي الإصابة الرابع والخامس فقط.

(٢) النص في الأغاني ١١/ ٩٦.

(٣) صحف اسم أبيه في الأصل إلى (علقمة). وقد ترجم له ابن سلام ٥٦١ وجعله في الطبقة الثامنة من الشعراء الإسلاميين، وهو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر المري، والبرصاء أم شبيب الشاعر خالته، وكان شاعراً شريفاً تزوج إليه يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكان غيوراً جافياً. انظر ترجمته في المرزباني ١٦٤ والأغاني ١١/ ٨٥.

(٤) هو شبيب بن يزيد بن جمرة، والبرصاء أمه. وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية، بدوي لم=

سُهيّة[1] بعلقمة رجلٍ من بني دهمان بن أشجع، فلم يَقرهم، فقال عقيل بن علفة حين رحلوا:

أفـي سـالـف الأيـام أم فـي حـديثهـا تعـوّدتَ ألا تقـري الضيـف علقمـا[2]

وقال: انفد يا شبيب، فقال شبيب بن البرصاء[3]:

لبثنـا طليقـا ثـم جـاء بمُـذقـةٍ كماء السَّلاء في مائل الشِدق أضجما[4]

فقال أرطاة:

فلمـا رأينـا أنـه عـاتـم القِـرى رمينـا بهـنّ الليـل حتـى تجـرّمـا[5]

● ٢٠٨ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني إبراهيم بن حمزة قال: حدّثني محمد بن فضالة النحويّ قال: حدّثني الزبير بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير قال:

رأى عامر بن عبد الله[6] في النوم امرأة ثائرة الشعر بين أضعاف المقام، وهي تقول: (١١٥ ظ /):

أأذنــتْ زينــة الحيــاة ببيــنٍ وانقضــاء مــن أهلهــا وفَنــاء

فأوّل الناس خبر ذلك من رؤيا عامر الدنيا.

= يحضر إلا وافداً أو منتجعاً، وكان يهاجي عقيلاً ويعاديه. انظر ترجمته في ابن سلام ٥٦٦ والأغاني ٩٣/١١.

(١) هو أرطاة بن زفر بن عبد الله من بني مرة، وسهية أمه، وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية أيضاً، وكان شريفاً جواداً. له مع عبد الملك بن مروان قصص وأحاديث. ترجمته في الشعر والشعراء ٤٢٧ والأغاني ١١/ ١٣٩.

(٢) في الأغاني: أفي حدثان . . . تعلمت إلا . .

(٣) سقط هذا السطر من ب.

(٤) في الأغاني: لبثنا طويلاً . . . جانب القعب أكلما.

(٥) في الأغاني: فلما رأينا أنه شر منزل . . . تخرما.

(٦) هو عامر بن عبد الله بن الزبير، كان من العباد المنقطعين. انظر ترجمته في جمهرة نسب قريش ١/ ٢٠ ونسب قريش ٢٤٣ وحلية الأولياء ٣/ ١٦٦.

● ٢٠٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام قال: أخبرني محمد بن عبد الرحمٰن المخزومي قال: حدّثني داود بن عيسى عن أبيه عن محمد بن علي بن عبد الله[١] قال:

دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من النصارى، فقال له عمر بن عبد العزيز: مَن تجدون الخليفة بعد سليمان؟ قال النصراني: أنت. قال: فأقبل عمر بن عبد العزيز علي فقال: دمي في ثيابك يا أبا عبد الله.

قال محمد بن علي: فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصراني من بالي، فرأيته يوماً، فأمرت غلامي أن يحبسه عليّ، وذهبت به إلى منزلي، وسألته عمّا يكون، وقلت له: عُدّ لي خلفاء بني مروان واحداً واحداً. فعدَّ لي خلفاء بني مروان واحداً واحداً، وتجاوز عن مروان بن محمد. قال محمد بن علي بن عبد الله: فقلت له ثم مَن؟ قال: ثم ابنك ابن الحارثيّة[٢]، وهو اليوم حمْل.

● ٢١٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال:

لما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك[٣] دمشق، ولم يكن في بني أمية ألبّ منه في حداثة سنه. قال أهل دمشق: هذا غلامٌ شاب ولا علمَ له بالأمور. وسيسمع منا، فقام إليه رجل فقال[٤]: أصلح الله الأمير، عندي نصيحة. قال له: ليت شعري ما (١١٦ و /) هذه النصيحة التي ابتدأتني بها من غير يدٍ سبقت مني إليك؟!

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، والد السفاح والمنصور، وأول من دعا للعباسيين وكان دعاة العباسيين يكاتبونه ويلقبونه الإمام، توفي سنة مائة وخمس وعشرين. (الشذرات ١/٢٦٦ وتهذيب التهذيب).

(٢) يريد أبا العباس السفاح عبد الله بن محمد. أول خلفاء بني العباس. وأمه ريطة، حارثية. بويع يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة. (المعارف ٣٧٢).

(٣) هو الأمير أبو الأصبغ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك الأموي، ابن أخت عمر بن عبد العزيز ولي نيابة دمشق لأبيه. (تاريخ الإسلام ٤/٥١).

(٤) في العقد الفريد ١/١٩٢ قصة تشبه هذه الرواية إلا أنه نسبها إلى الوليد بن عبد الملك حين ولى دمشق لأبيه.

قال: لي جار عاصٍ متخلف عن ثغره. فقال: ما اتّقيت الله، ولا أكرمت أميرك، ولا حفظت جوارك، إن شئتَ نظرنا فيما تقول، فإنْ كنتَ صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا، وإنْ كنتَ كاذباً عاقبناك، وإن شئت أقلناك. قال: أقلني، أصلح الله الأمير. قال: اذهب حيث لا صحبك الله، إني أراك شرَّ جيل رجلاً، ثم قال: يا أهل دمشق، أما أعظمتم ما جاء به هذا الفاسق، إنّ السعاية أحسَب منه سجية، ولولا أنه لا ينبغي للوالي أن يعاقب قبل أن يعاتب، كان لي في ذلك رأي، فلا يأتيني أحدٌ منكم بسعاية على أحد بشيء، فإنّ الصادق فيها فاسق، والكاذب فيها بهّات.

فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن داود، فقال: ما أشبه هذا الكلام بكلام عمر بن عبد العزيز!! فقلت: عمر بن عبد العزيز خاله.

● ٢١١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مالك بن إسماعيل النهدي أبو غسّان قال: حدّثنا جُميع بن عمر بن عبد الرحمٰن العجلي قال: حدّثني رجل بمكة عن ابنٍ لأبي هالة التميميّ عن الحسن بن عليّ، قال: سألتُ خالي هند بن أبي هالة التميمي[١]، وكان وصّافاً، عن حِلية النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأنا أشتهي أن تصفَ لي منها شيئاً أتعلق به، فقال[٢]:

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فخماً مفخّماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من (١١٦ ظ /) المشذّب، عظيم الهامة، رَجل الشَّعر، إنْ انفرقت عقيقته فرق[٣]، وإلاّ فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا

---

(١) هند بن أبي هالة ربيب النبي ﷺ فصيح، بليغ، وصّاف، وقول الحسن رضي الله عنه «سألت خالي» لأن خديجة بنت خويلد كانت عند أبي هالة الأسيدي، من بني تميم، فولدت له هنداً أخا فاطمة رضي الله عنها لأمها، فهو خال الحسن بن علي. وقتل هند مع علي رضي الله عنه يوم الجمل. (انظر المعارف ١٣٣ وأنساب الأشراف ١/ ٣٩٠ والإصابة ٣/ ٥٧٨).

(٢) النص بطوله في أنساب الأشراف ١/ ٣٨٦ وطبقات ابن سعد ١/ ٤٢٢ (دار صادر) والمختصر في الشمائل المحمدية للترمذي ٣٩ و ٢٢٧. وعيون الأثر ٢/ ٣٢٣ وشمائل الرسول لابن كثير ص ٥٠.

(٣) العقيقة: شعر الرأس. وفي عيون الأثر: أراد أن انفرقت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة، ويروى عقيصته. وفي الأنساب: فرقاً.

هو وفرّه، أزهرَ اللون، واسع الجبين، أزجَّ الحواجب، سوابغَ في غير قرن[١]، بينهما عِرق يُدرّه الغضبُ، أقنى العِرْنين، له نور يعلوه يحسَبه مَنْ لم يتأمله أشمّ[٢]، كثَّ اللحية، سهل الخدّين، ضليع الفم، أشنبَ[٣]، مفلّجَ الأسنان، دقيق المسربة، كأنّ عنقه جِيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسِكاً، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرّد، موصول ما بين اللّبة والسُّرّة بشعرٍ يجري كالخطِّ، عاري الثديين والبطن ممّا سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، سبط القصَب، شثن الكفين والقدمين وسائر الأطراف، خُمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبوعنهما الماء، إذا زال زال قُلعاً، يخطو تكفوءاً ويمشي هوناً، ذريع المشية كأنما ينحطّ من صبَب، وإذا التفتَ التفتَ جَمعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، يبدر[٤] من لقيه بالسلام.

قلت: صف لي منطقه. قال: كان رسول الله ـ ـ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلّم في غير حاجة، طويل (١١٧ و /) السكت[٥]، يفتح الكلام ويختتمه بأشداق[٦]، ويتكلّم بجوامع الكلم، فصل، لا فضول ولا تقصير[٧]، دمثاً، ليس بالجافي ولا المهين، يعظّم المِنّة وإنْ دقّت، لا يذمُّ منها شيئاً، ولا يذمّ ذَوَاقاً، ولا يمدحه[٨] لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي[٩] الحقَّ لم

---

(١) في الأنساب وعيون الأثر: سابغهن: والقرن: اتصال شعر الحاجبين.

(٢) في الأنساب: له نور يعلوه بحسنه من يتأمله.

(٣) الضليع: الذي لا يكون ضيقاً. وفي الأنساب: أشنب الثغر.

(٤) في الأنساب وعيون الأثر: يبدأ.

(٥) في ب: السكوت.

(٦) في أنساب الأشراف وعيون الأثر: بأشداقه.

(٧) في أنساب الأشراف: قولاً فصلاً، لا فضلاً ولا تقصيراً. وفي عيون الأثر: فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير. وفي ابن سعد: فضل لا فضول ولا تقصير.

(٨) في الأنساب: دواياه ولا يقبحه.

(٩) في ب: تعاطي، وفي ابن سعد: فإذا تعوطن، وفي الأنساب: فإذا كان.

يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصرَ له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار بكفه أشار بكفه كلها[1]، وإذا تعجّب قلّبها، وإذا تحدّث اتّصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرضَ وأشاح، وإذا فرح[2] غضَّ طرفه، جلّ ضحكه التبسُّم، ويفترُ عن مثل حبِّ الغمام.

قال: فكتمتها الحسن زماناً، ثم حدّثتُه، فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عمّا سألته، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله، فلم يدَعْ منها شيئاً.

قال الحسن: سألت أبي عن دخول النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال: كان النبي ـ ﷺ ـ دخوله لنفسه[3] مأذوناً له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لله ـ جل ثناؤه ـ، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك[4] على العامّة بالخاصّة، ولا يدّخر عنهم شيئاً.

وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار[5] أهل الفضل بإذنه، وقسمه على قدْر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألتهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، وأبلغوني (١١٧ ظ /) حاجة مَن لا يستطيع إبلاغ حاجته، فإنّ مَن أبلغ سلطاناً حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إياه، ثبّت الله قدميه[6] يوم القيامة، لا يذكر عنده إلاّ ذلك، ولا يقبل من أحد غيره، يدخلون روّاداً ولا يفترقون إلاّ عن ذوَاق، ويخرجون أدلّة[7].

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله ـ صلى الله

(١) في الأنساب: يشير بكفه.
(٢) في الأنساب: وإذا رضي.
(٣) سقطت هذه العبارة من ب.
(٤) في الأنساب: فرد على العامة. وفي ابن سعد: فيسرد ذلك.
(٥) في الأنساب: من سيرته إيثار . . .
(٦) في ب: ثبتت قدماه.
(٧) سقطت هذه العبارة من أنساب الأشراف. وفي عيون الأثر: أدلة يعني فقهاء.

عليه وآله ـ يخزن لسانه إلاّ مما يعينهم، ويؤلفهم ولا يفرقهم. أو قال: ينفّرهم. ويكرم كريم كل قوم، ويولّيه عليهم، ويحذر الناسَ[١] ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خُلقه، يتفقّد أصحابه، ويسأل عمّا في الناس، فيحسّن الحسَن ويقويه، ويقبّح القبيحَ ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، لكلٍّ حال عنده عَتاد، لا يقصر عن الحقّ ولا يجوزه. الذين يلونه من الناس خيارهم[٢]، أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه، فقال كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يجلس، ولا يقوم إلاّ على ذِكر[٣]، ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كلاًّ من جلسائه بنصيبه، فلا يحسَب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه. مَنْ جالسه أو قاومه[٤] في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومَنْ سأله حاجةً لم يردّه إلاّ بها، أو بميسور من القول، وقد وسع الناسَ منه بسطُه وخلقه فصار (١١٨ و /) لهم أباً، وصاروا عنده في الحقّ سواء. مجلسُه مجلس حلم وحياء وصبر[٥] وأمانة، لا تُرفع عنده[٦] الأصوات، ولا تؤبن[٧] فيه الحُرم، ولا تُنثىٰ فلتاته. [ترى جلساءه][٨] متعادلين، يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقّرون الكبيرَ، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون[٩] الغريب.

---

(١) في الأنساب: ويحذّر الناس الفتن.

(٢) في الأنساب: ولا يجوز الدين. أفضل الناس عنده أعمهم . . وفي ابن سعد: ولا يجوزه الدين.

(٣) في الأنساب: على ذكر الله.

(٤) في الأنساب: أو قارنه.

(٥) في أنساب الأشراف: وصدق مكان وصبر.

(٦) في المصادر الأخرى: فيه.

(٧) في أنساب الأشراف: توتن. وتؤبن: تذكر بسوء.

(٨) ما بين الحاصرتين تكملة من المصادر الأخرى. وتنثى: تشاع.

(٩) في أنساب الأشراف: ويحوطون. وفي عيون الأثر: ويرحمون.

قال: قلت: كيف سيرتُه في جلسائه؟

قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دائم السرور، سهل[١] الخُلق، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح. يتغافل عمّا لا يشتهي، ولا يؤيس منه، ولا يجيب فيه. قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه[٢]، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عثرته[٣]. ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلّموا. ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له[٤] حتى يفرغ، حديثُهم عنده حديث أوليتهم[٥]. يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة[٦] يطلبها فأرفدوه. ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه[٧] فيقطعه بنهيٍ أو قيام.

قال: قلت: كيف كان سكوته؟

قال: كان سكوت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على أربع: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير. فأما تقديره ففي تسويته النظر بين الناس، واستماعه منهم. وأما تفكيره، ففيما يبقى (١١٨ ظ /) ويفنى، وجمع له الحلم في الصبر[٨]، فكان لا يعصيه شيء ولا يستقره، وجُمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى[٩] ليُقتدى

---

(١) في ب: على الخلق.
(٢) سقط ما بعد ثلاث من ب.
(٣) في ب: عورته.
(٤) سقطت من أكثر المصادر.
(٥) في عيون الأثر: حديثهم حديث أولهم.
(٦) في أكثر المصادر الأخرى: إن رأيتم طالب حق.
(٧) في عيون الأثر: يتجوزه. وفي أنساب الأشراف: يجوز.
(٨) في أنساب الأشراف: وجمع الحلم والصبر.
(٩) في المصادر الأخرى: بالحسن.

به، وتركه القبيح ليُنتهى[1] عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة[2].

قال أبو عبد الله الزبير: قوله: كان فخماً مفخماً. قال: الفخامة في الوجه وهو نبله وامتلاؤه مع الجمال والمهابة، والمربوع من الرجال: الذي بين الطويل والقصير، والمشذّب: المفرط في الطول، وكذلك هو في كل شيء قال جرير[3]:

ألوى بها شذب العروق مشذَّب   فكأنما وُكَنَتْ على طِربال

وقوله رجل الشعر: فالرجل الذي ليس بالسبط الذي لا تكسر فيه، والقطط: الشديد الجعودة. /يقول: فهو جعد بين هذين، والعقيقة: الشعر المعقوص، وهو نحو من المضفور، ومنه قول عمر: من لبد أو عقص أو ضفر فعليه الحلق. وقوله: أزجّ الحاجبين: سوابغ الزجج في الحواجب أن يكون تقوّس مع طول في أطرافها، وهو النبوغ فيها، قال جميل[4]:

إذا ما الغانيات برزن يوماً   وزجّجنَ الحواجبَ والعيونا

وقوله: في غير قرن: القرن، التقاء الحاجبين حتى يتصلا. يقول: فليس هو كذلك، ولكن بينهما فرجة. يقال للرجل إذا كان كذلك أبلج، والعرب تستحب دَرَّ العرق الذي بين الحاجبين. ودروره: غلظه. نتوءه: امتلاؤه. وقوله: أقنىٰ العرنين يعني الأنف، والقنا أن تكون فيه دقة مع ارتفاع في قصبته (١١٩ و /) يقال منه: رجل

---

(١) في ب: ليتناهى.

(٢) في أنساب الأشراف: وجمع لهم خير الدنيا والآخرة. وفي عيون الأثر: جمع لهم أمر الدنيا والآخرة.

(٣) البيت من قصيدة طويلة في مناقضة الفرزدق. ديوان جرير ٤٧٠ (الصاوي) وكن الطائر: اتخذ عشاً له، والطربال: كل بناء عال، وكل قطعة من جبل أو حائط مستطيلة في السماء والصخرة العظيمة المشرفة من الجبل.

(٤) البيت شاهد نحوي معروف، وهو للراعي النميري وليس لجميل. إذ نسب للراعي في الدرر اللوامع للشنقيطي ١/١٩١ وشرح الشواهد للعيني شاهد رقم ٣٤١. وكذا في هامش الخصائص ٢/ ٤٣٢ وهامش المغني ١/ ٢٩٤. وهو غير منسوب في الصناعتين ١٨٢ وابن عقيل شاهد رقم ٢٩٩ واللسان (زجج) وهمع الهوامع ١/ ١٩١.

أقنى وامرأة قنواء، والأشم: أن يكون الأنف دقيقاً لا قناً فيه، وقوله: كثّ اللحية، الكثوثة أن تكون اللحية غير دقيقة ولا طويلة، ولكن فيها كثاثة[١] من غير عظم ولا طول. وقوله: أشنب، هو الذي في أسنانه رقة وتحدد، والمفلج: هو الذي في أسنانه تفرق، والمسربة: الشعر الذي بين اللبة إلى السرة ثم فسره بقوله: ما بين السرة شعر يجري كالخط، وقوله: جِيد دمية، الجِيد: العنق، والدمية: الصورة، وقوله: ضخم الكراديس: الكراديس: العظام، أي أنه عظيم الألواح، وقوله: شثن الكفين والقدمين: يريد أن فيهما بعض الغلظ. والأخمص[٢] من القدم في باطنها ما بين صدرها وعقبها، وهو الذي لا يلصق بالأرض من القدمين في الوطء. وقوله: خمصان: يعني أن ذلك الموضع من قدمه فيه تجافٍ عن الأرض وارتفاع، وهو مأخوذ من خموصة البطن، وهو ضمرها، يقال منه: رجل خمصان، وامرأة خمصانة، وقوله: مسيح القدمين: يعني أنهما ملساوان ليس في ظهورهما تكسّر ولا عروق، ولهذا قال: ينبو عنهما الماء، يعني أنه لا ثبات للماء عليهما. وقوله: إذا تخطّا تكفأ: يعني التمايل، أخذه من تكفي السفن، وقوله: ذريع المشية: يقول هو واسع الخطى كأنما ينحطّ من صَبب. أراه يريد أنه مقبل على ما بين يديه[٣]. غاض بصره: لا يرفعه إلى السماء، وكذلك يكون المنحط: ثم فسّره فقال: خافض الطرف، نظره (١١٩ ظ /) إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، وقوله: إذا التفتَ التفتَ جميعاً: يريد أنه لا يلوي عنقه دون جسده، فإن في هذا بعض الخفّة والطيش، وقوله: دمث: هو اللين السهل، ومنه قيل للرمل[٤] دمث، ومنه حديثه: أنه أراد أن يبول فمال إلى دمث، وقوله: إذا غضب أعرض وأشاح، الإشاحة: الجَدّ، وقد يكون الحذر. وقوله: ويفتر عن مثل حب الغمام: الافترار أن يكشّر الأسنان ضاحكاً من غير قهقهة، وحب الغمام: أراد البرد، شبّهَ بياض أسنانه به[٥]. وقوله: يدخلون رواداً، الرواد:

---

(١) في ب: كثافة.

(٢) سقطت كلمة (والأخمص) من ب.

(٣) في الأصل: أراه برهابه مقبل على . . . والمثبت من ب.

(٤) في ب: للرمد. تحريف.

(٥) سقطت (به) من ب.

الطالبون واحدهم رائد. ومنه قوله[1]: الرائد لا يكذب أهلَه[2]، وقوله: لكل حال عنده عتاد: يعني عدة قد أعدّ له، لا يوطن الأماكن: لا يجعل لنفسه موضعاً يعرف، إنما يجلس حيث يمكنه في الموضع الذي تكون فيه حاجته، ثم فسره فقال: يجلس حيث ينتهي به المجلس، وقوله: لا تنثا فلتاته: الفلتات السقطات، يقال منه: نثوت أنثو، والاسم منه النثا.

● ٢١٢ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني سفيان بن عيينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار:

إن النبي ـ ﷺ ـ سئل عن الخط فقال: عِلم أوتيه نبيٌّ، فمَن وافق علمه عِلم ذلك النبي، فقد علِم، ومن لم يصبه فقد أخطأ.

● ٢١٣ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن محمد بن حفص قال:

خُصَّت العرب بخصال[3]: بالكهانة والقيافة والعيافة والنجوم والحساب، فهدم الإسلام الكهانة (١٢٠ و /)، وثبّت الباقي بعد ذلك[4].

● ٢١٤ ـ حدّثني الزبير قال: حُدّثتُ عن يزيد بن هرون، عن همام بن يحيى عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال:

اشترك ثلاثة في ظهر امرأة، فولدت، فجاءت بغلام، فتنازعه القوم، كلهم يدّعيه، فدعا عمر بن الخطاب ثلاثةً من القافة، وكان عمر قائفاً، فأمر الصبي فوضع

---

(١) في ب: قولهم.

(٢) هذا حديث شريف. هو ابتداء أول خطبة للرسول ﷺ بمكة ونصه: إن الرائد لا يكذب أهله. انظر نص الخطبة في الجمهرة ١/١٤٧. والرائد: المرسل في طلب الكلأ. ثم أصبح مثلاً. انظر الحيوان ٤/٨.

(٣) الكهانة: ادعاء علم الغيب.
القيافة: الاستدلال بهيئات أعضاء البشر.
العيافة: تتبع آثار الأقدام ونحوها للاستدلال.

(٤) انظر تفصيل ذلك في بلوغ الأرب ٣/٢٦١.

قدمه على صعيد أو رماد، ووطىء القوم ذلك الصعيدَ، ثم قال لكل واحد من القافة: انظر. فينظر فيقول: قد أخذ الشبه منهم جميعاً فما أدري لأيّهم هو، فنظر عمر فقال مثل مقالتهم، وكل واحد منهم يقول ذلكِ سراً من صاحبه، فقال عمر: قد كانت الكلبة ينزو عليها الأبيض والأسود والأبلق والأنمر، فتؤدي إلى كل واحد منهم مشابهة، ولم أدرِ أنّ هذا الأمر في الناس، فجعله عمر لهم، يرثهم ويرثونه، وهو للباقي منهم.

● ٢١٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني عن جعفر بن عون بإسناده قال[1]:

قدمَ قادمٌ من اليمن من عند علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فسأله رسول الله ـ ﷺ ـ عن علي بن أبي طالب، وسأله عن الخبر، فقال: نُخبر عن علي بن أبي طالب أنّ ثلاثة نفر تقدموا إليه، وقد اشتركوا في ظهر امرأة، فقال: أنتم شركاء متشاكسون، وقد جاءت بولد، فكلهم يدّعيه، فأقرع بينهم، فوقعت القرعة على واحد منهم فألحقه به، وأغرم (١٢٠ ظ /) الآخرين ثلثي الدية، فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وما أنكر ذلك من فعل علي عليه السلام.

● ٢١٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن محمد بن المبارك قال:

ولِد لرجل من قريش ابن أسود، فنفاه، فقدم عليه رجل من القافة فنزل قريباً منهم، فقال أبو الغلام لرجل من أصحابه: إن في نفسي من هذا الغلام شيئاً، ولَوددت أني لقيت فلاناً القائف، فأسأله.

قال: فهو ـ والله ـ منك قريب، أنا آتيك به، فآتاه به، فسأله، فقال: هو ابنك. قال: أنا رجل من قريش، ولا أعلمه ولدي أسود. قال: فهو ابنك، فبينا هو يحدّثه، إذ خرج أسود من الدار، فقال: هذا ـ والله ـ أبوك، فدخل إلى أمه، فذكر ذلك لها. قالت: والله ما ذاك إلا عقوبة بنفيك ابنك، أي والله لقد وقع عليّ وقعةً وهو شاب رأيته

---

(١) القضية في أخبار القضاة ٩١/١ وقد خرّج المحقق هذه القضية في شعب الإيمان للبيهقي ومسند أحمد وأبي داود والنسائي.

فأعجبني، فعلقتُ بك.

● ٢١٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني عن عبد الله بن سلم قال:

قلت لرجل من القافة: كيف أنتم في الأقدام؟ قال: ذلك أيسر الأشياء علينا، إن السرّاق ليجرُّون الأكيسة على أقدامهم ليخفوا آثارهم فنعرفهم.

● ٢١٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال: قال لي رجل: شردت لنا إبل، فأتيت حلبَس الأسدي(١)، فسألته عنها، فقال لبُنية له: خطّي. فخطّت ونظرت، ثم تقبّضت وقامت، ونظر حلبس فضحك، فقال: أتدري لمَ قامت؟ قلت: لا. قال: رأت أنك تجد إبلك، وأنك تتزوّجها، فاستحيَت فقامت. قال: فخرجتُ فأصبت إبلي، ثم تزوجتها بعدُ (١٢١ ظ /).

● ٢١٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن علي بن محمد عن عبد الله بن فائد، قال: قال شريح بن الأقعس العنبري: عزبت لي إبل، وأتيتُ رجلاً من بني أسد، فقلت: انظر لي. قال: فخطّط خطوطاً فقال: تصيب إبلك بكناسة الكوفة، فقلت: بيِّن. قال: وتذهب عينُك. قلت: زدني، قال: وتزوّج امرأة أشرفَ منك. قال: فخرجت وما شيءٌ أبغض إليّ من أن أصيب إبلي، ليكذب فيما قال. فأتيت الكناسة، فأصبت إبلي، وخرجتُ مع ابن الأشعث، فذهبت عيني، وحججتُ مع ابنة قيس بن الخشخاش العنبري، فقالت لي مولاة لها في الطريق: هل لك أن تزوج مولاتي؟ قلت: وددتُ. قالت: فاخطبها إذا قدمتَ. ففعلتُ، فأبوا ذلك، فلم أزل حتى زوجونيها.

● ٢٢٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال: قال سلم بن قتيبة: لقيني إياس بن معاوية(٢)، وأنا لا أعرفه، ولا يعرفني، فقال: ابن قتيبة

---

(١) من مشاهير القافة العرب، وهو الذي قال لذي الرمّة إنك لتنعت الفلاة (الثعلبية) نعتاً لا تكون منيتك إلا بها، فمات فيها حين نفرت ناقته منه وعليها طعامه وشرابه، ولم تكن نفرت منه من قبل. (الأغاني ١٦/ ١٢٦).

(٢) هو أياس بن معاوية بن قرة بن أياس، قاضي عمر بن عبد العزيز على البصرة، وكان صادق الظن، =

أنت؟ قلت: نعم. قال: عرفتك بشبه عمكَ عمرو بن مسلم[1].

قال: قلتُ: رحمك الله، وأين أنا من عمي، وعمي رجل ضخم أمعز[2]، وأنا آدم نحيف الجسم؟

قال: فقال إياس بن معاوية: ليس القياس على هذا.

● ٢٢١ ـ حدّثني الزبير، قال: حدّثني سفيان بن عيينة قال: قال محمد بن سوقة[3]:

أقبلنا من مكة من حج أو عمرة، فلما كنا بالثعلبية[4] أتى رجل منا حلبساً فسأله عن شيء، فخطّ له ونظر فقال: أما إنك لا تدخل الكوفة حتى تصيب مالاً (١٢١ ظ /). فلما صرنا بالنجف، تلقّاه رجل فأخبره: أنّ أخاه مات فورّثه مالاً كثيراً، ورواه المدائني عن أبي اليقظان: تصيب مالاً مع مصيبة.

● ٢٢٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن محمد عن مسلمة بن محارب قال:

خرج عمر بن عبيد الله بن معمر[5]، ومالك بن خداش الخزاعي غازيين، فمرّا بامرأة وعليها جماعة، وهي تخطُّ لهم، فنظر إليها وضحك مستهزئاً بها، فقالت: أيها الضاحك، أما والله لا تخرج من سجستان حتى تموت فيتزوج هذا الرجل امرأتك، وأشارت إلى عمر، فمات بسجستان، وتزوج امرأته عمر، وهي رملة بنت عبد الله بن

= وفاته سنة ١٢٢. (انظر أخباره في المعارف ٤٦٧ وأخبار القضاة ١/ ٣١٢).

(١) في الأصل و ب: سلم، وهو تحريف، لأنه عمرو بن مسلم بن عمرو الباهلي أخو قتيبة. (انظر الطبري ٦/ ٤٥٤ و ٧/ ٣٠ ـ ٣٣).

(٢) أمعز: شديد.

(٣) هو أبو بكر محمد بن سوقة الغنوي الكوفي العابد. كان بزازاً، أدرك أنس بن مالك، وعامة روايته عن كبار التابعين. (صفة الصفوة ٣/ ٦٥).

(٤) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة. (ياقوت).

(٥) هو عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي القرشي، من القادة الشجعان الأجواد، وكان من رجال ابن الزبير، وقد ولاه البصرة وولاه مصعب فارس سنة ٦٨. (انظر أخباره في الطبري ج ٥ و ٦).

خلف الخزاعي.

● ٢٢٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله قال: قال شيخ من بني سعد بن بكر:

مرَّ زيد بن الأخنس[1] برجل يضرب امرأة، فقال: ما هذه؟ فقالت أم الرجل: إنها أتته بأسود ثم أسود، ولم يكُ في جنسه أسود، فنظر إليها وإلى ابنها، فقال له زيد: لا تضرب المرأة، إنما أتيتَ من قِبل أمك. أبوك[2] عبدك الذي يرعى عليك، ثم مضى. قال: فسأل أمه عن ذلك، فأقرت له أنه أبوه.

● ٢٢٤ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

ومرَّ زيد بن الأخنس وافداً إلى عبد الملك بن مروان، فرأى صبية على ماء من المياه، فقال: بنت أمير المؤمنين والله. فلما قدم عليه، قال: يا أمير المؤمنين، ما بُنيّة لك، مررتُ بماء كذا وكذا، فإذا هي به؟ فسأل عنها، فوُجِدت من أمَةٍ كانت لعبد الله قد وطئها (١٢٢ و /) ثم خرجت لسبب من الأسباب.

● ٢٢٥ ـ قال أبو عبد الله الزبير عن شيخ من بني سعد قال:

أتى قاضٍ من قضاتنا بصبي قد شكَّ فيه أبوه، فدعا له القافة، فقالوا: شرِك فيه بربريٌّ. فسألوا أمَّه، فقالت: اشتراني البربري، ثم وقع بي، ثم اشتراني هذا، فوقع بي.

فقال القاضي: لو كنتما اجتمعتما لألحقته بكما، فأما إذا كنت وحدك فقد ألحقته بك.

● ٢٢٦ ـ حدّثني الزبير قال: وحدّثني أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني عن أبي إسحاق بن ربيعة قال:

حججتُ فصحبني رجل من قريش فقال: لي ابن أشكُّ فيه، فبعث إلى

---

(١) زيد هذا هو زوج الصدوف التي قالت: لا ناقة لي في هذا ولا جمل في قصة طريفة، فسارت مثلاً. (انظر الميداني ٢/ ٢٢٠ والمستقصى ٢/ ٢٦٧).

(٢) في ب: والدك.

مُلأه[1]، فلم يترك أحداً من أهله إلا أثر فيها أثرة وأثر المشكوك فيه، فلما قضينا النسك بعث إلى رجل منهم، فنظر، فقال: هذا أثر المشكوك فيه، وهذا أبوه، وهذه أمّه، وهذا أخوه.حتى[2] ألحقه بقرابته من أبيه، وألحقه بأبيه.

● ٢٢٧ ـ حدّثني الزبير قال: سمعت المدائني يقول:

كان أبو جعفر المنصور ولّى الحسن بن زيد المدينة، ثم غضب عليه فعزله وبيعت أمواله، فاشترى رجل من أهل المدينة أمةً له، فلما أرادها قالت: إنّ ابن الحسن بن زيد قد وقع بي، وبي حَمل، فكفّ عنها، فوضعت غلاماً، فخرج به إلى ولد الحسن، فخرجوا جميعاً، فأتوا والي مكة، فبعث إلى شيخ من القافة، فقالوا: إنّ هذا الغلام له نسب يلحقه برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو تنفيه منه. قال: فخرج (١٢٢ ظ /) الشيخ يتخطّى الناس ويفرق، فأخذ بيد الغلام فقال: هذا عمّه فصيح به فتركه، ثم أتى[3] آخر قال: هذا عمه. فصيح به فتركه، حتى عدّد ولد الحسن غير أبيه، وأراه كان متكئاً، فرفع رأسه، فقال الشيخ: الله أكبر، هذا أبو الغلام، فألحق به.

آخر الجزء السابع عشر من أجزاء أبي عبد الله بن الكاتب.

وكان في آخره هذا آخر الرابع من أجزاء الدمشقي.

وأول الجزء الثامن عشر من أجزائه، وترجمته الأول من الخامس من أجزاء الدمشقي من الموفقيات. وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين[4].

● ٢٢٨ ـ حدّثنا الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله عن جدي عبد الله بن مصعب قال:

دخل ابن السمّاك[5] على أمير المؤمنين هارون الرشيد حين ولي الخلافة، في

---

(١) كذا في المخطوطة.
(٢) في ب: قد.
(٣) في ب: ثم نأى.
(٤) انفردت نسخة الأصل بعنوان صغير هو (أول الخامس) كما انفردت بهذا التقسيم.
(٥) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجيل، واعظ وراوية كوفي، قدم بغداد في عهد =

شهر رمضان، وليس عنده أحد غير يحيى بن خالد البرمكي، فقال أمير المؤمنين: يا ابن السمّاك، إنّ أمير المؤمنين لم يزل يذكرك وهو إذ ذاك ولي عهد المسلمين، فلما استخلف أمير المؤمنين، أحبَّ أن تكون منه في هذا الشهر قريباً، لِما بلغ أميرَ المؤمنين من صلاحك في نفسك، وحسن ذكرك.

فقال ابن السماك: أما ما ذكر أمير المؤمنين من صلاحنا في أنفسنا، فذلك ستر الله، والله يا أمير المؤمنين، لو يطّلع الناس منا على ذنب واحد، ما ثبت لنا قلب على مودّة، ولا لسان على مدحة، وقد خفت من الستر الفتنةَ، ومن المدح الغرّةَ، فأنا خائف أن أهلك بينهما، وأن أعطب من قلة الشكر[1] عليهما، ثم سكت ابن السماك.

فقال أمير المؤمنين: تكلم يا ابن السمّاك.

قال: وقد هيّأتُ له كلاماً كان عندي[2] مصوناً، فذهب والله عليّ، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يرضَ لخلافته على عباده، غيرك فلا ترضَ لله إلاّ بطاعته، وبما يرضيه عنك، فإنك ابن عمِّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأحق (١٢٣ و /) الناس بذلك.

يا أمير المؤمنين، من عمل في فكاك رقبته في أيام مهله من قبل حضور أجله كان خليقاً أن يعتق نفسه. يا أمير المؤمنين، من أذاقته الدنيا حلاوتها بركونٍ منه إليها، أذاقته الآخرة مرارتها بتجانفه عنها[3]، وما استوى الطعمان في عذوبتهما، ومرارتهما.

يا أمير المؤمنين، إني أنشدك الله، أن تقدم غداً[4] على جنة، عرضها السماوات والأرض، ليس لك فيها نصيب. إنك يا أمير المؤمنين، قد دُعيت إلى الجنة، ونُدبت إليها، فلا تقصرنّ بنفسك في الطلب، فإن الحجّة لك ألزم، وهي عليك أعظم.

= الرشيد، وطالما وعظه، مكث في بغداد مدة ثم عاد إلى الكوفة وتوفي بها سنة ١٨٣. (تاريخ بغداد ٢٨٩٥ وصفة الصفوة ٣/ ١٠٥).

(١) سقطت كلمة (الشكر) من ب.

(٢) في ب: عنده.

(٣) ابتداءً من (من أذاقته) إلى آخر العبارة في أدب الدنيا والدين للماوردي ط ٩ ص ١٠٤.

(٤) سقطت (غداً) من ب.

يا أمير المؤمنين، تواضع لله، فإنه مَنْ تواضع لله، رفعه الله، إنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خرج وهو يريد قباء فلقيه رجل من أهلها معه إناء فيه لَبن قد خاض فيه عسلاً فناوله إياه، فلما تذوّقه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: طعامان وشرابان في إناء واحد، لا حاجة لي به، وإن كنت لا أحرّمه، ولكن أحبّ أن يراني الله متواضعاً، فإنّ مَنْ تواضع لله رفعه الله[1]. يا أمير المؤمنين، واللّهِ لو لبست الغليظ لكان أحسن عليك من الدقيق، دع مواليك فليجرّوا الخزوز والبزوز[2]، وكن على التواضع من الله، فإنّ الله لا يضيع أجر مَن أحسن عملاً. واللّهِ إن أكباداً باتت تخفق جوعاً أشبعتها وأرويتها، إن ذلك لسريعٌ في الخبر، هم رعيّتك يا أمير المؤمنين، وبين يديك، فألِن عِطفك، واخفض لهم (١٢٣ ظ /) جَناحك، واكسُ العراة، وأشبع البطونَ، فإنك يا أمير المؤمنين إنما تموت وحدك، وتُقبر وحدك، وتُبعث وحدك، وتُحاسب وحدك، واذكر المقام بين يدي الجبار، والوقوف بين الجنة والنار، فإنك لا تقدم إلاّ على نادم مشغول، ولا تخلّف إلا جاهلاً مغروراً، وإنّا وإياك في دار سَفر، وجِيران ظعن، وقد أبلغ الريق وأرخي الخِناق، فمن لم يعمل فيما مضى من أجَلِه، فليستدرك في قليل ما بقي من رمقه، فإنه بلغني يا أمير المؤمنين: أن ثلاثةً من العبَّاد اجتمعوا، قد أنحلتهم العبادة، ويبست جلودهم على أعظمهم من حَرِّ الصوم، فقيل لأحدهم: فيمَ عبادتك، رحمك الله؟ فقال: شوقاً إلى الجنة، قد أهلكني الشوق إليها لا أنتفع بشيء حتى أعلم أني قد وصلتُ إليها.

وقيل للآخر: فيمَ عبادتك؟ قال: فَرَقاً من النار، قد أهلكني الفرق منها، لا أنتفع بشيء حتى أعلم أني قد نجوتُ منها.

وقيل للثالث: فيمَ عبادتك؟ قال: استحياء من الله، ومن الوقوف بين يديه، لما عندي من الذنوب والعيوب، لا أنتفع بشيء حتى أعلم أني قد نجوتُ من ذلك الموقف.

يا أمير المؤمنين، إنّ الموت أضرّ بالدنيا، وفضح أهلها، فبينما المرء مَهيب

---

(١) الحديث في الجامع الصغير ٢/ ١٥٣.

(٢) الخزوز: واحدها الخز، نوع من الثياب، وكذا البزوز.

عزيز إذ صار في التراب مَهيناً[1] ذليلاً، بينما هو ذو الجمع والتبَع، إذ تفرّق عنه ذلك أجمع، إنما هو دبيب من سَقم حتى يؤخذ بالكظم وتزلّ القدم، ويقع الندم، فلا توبة تُنال، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال، إنما هي لحظة حتى يخرس اللسان، ويصم السمع (١٢٤ و /) ويعمى البصر، ويذهل العقل، فكم من معاين لرسل ربه قد صغرت الدنيا في عينه في جنب الذي نزل به، ندم[2] المسكين، فلم ينفعه ندمه، في منهاجه. فقال في كتابه ـ جل ثناؤه ـ ﴿حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ قال: ربِّ ارجِعونِ﴾[3]. ما يصنع بالرجعة المسكين؟ أراد أن يرجع إلى داره فيبدّد ما جمع من ماله، فأبى عليه ذلك.

يا أمير المؤمنين، إنهم ندموا في ثلاثة مواطن: ندموا عند الموت، وندموا وهم في النشور، وندموا وهم في النيران، فقال تقدّست أسماؤه: ﴿حتى إذا جاءَ أحدَهم الموتُ، قال: ربّ ارجِعون لعلّي أعمل صالحاً﴾ فأخبرك أنه لم يكن من أهل الصلاح. وقال ـ جل ثناؤه ـ ﴿وأنفقوا ممّا رَزقناكُم من قَبلِ أنْ يأتيَ أحدَكم الموتُ، فيقول: ربّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريبٍ، فأصدَّق وأكنْ من الصالحين﴾[4] هذا عند الموت.

وقال تبارك وتعالى، وهم في النشور: ﴿ولو تَرى إذْ المجرمونَ ناكِسو رؤوسِهم عندَ ربِّهم، ربَّنا أبصَرنا وسَمِعنا فارجِعنا نعمَلْ صالحاً إنّا مُوقنون﴾[5].

وقالوا ﴿وهُم يَصطرخُون فيها: ربَّنا أخرجنا نعملْ صالحاً غيرَ الذي كُنا نَعملُ﴾[6]. فنظر امرؤٌ لنفسه، وبادرَ امرؤ بعمله من قبل أن يؤخَذ بالكظم، فمن استطاع أن يعمل عملَ من مات وأدخل النار، وعاين بلاياها ثم سأل الرجعة، وأجيبت دعوته، ورجع إلى دنياه بعد موته، فليفعل.

---

(١) سقطت كلمة (مهيناً) من ب.
(٢) سقطت كلمة (ندم) من ب.
(٣) سورة المؤمنون آية ٩٩.
(٤) سورة المنافقون آية ١٠.
(٥) سورة السجدة آية ١٢.
(٦) سورة فاطر آية ٣٧.

قال: فبكى أمير المؤمنين بكاءً شديداً، فقال: (١٢٤ ظ /) ابن السماك: إنا بعدُ لم نخرج من الدور، وإنا بعدُ لم نصر إلى القبور، وإنا بعدُ لم نختبر عظائم تلك الأمور، ورسول ربنا ـ جل ثناؤه ـ إلينا سريع، وكُلنا بسرعته جاهل مغرور.

قال: فقال يحيى بن خالد، قم يا ابن السماك، فقد شققتَ على أمير المؤمنين. قال: فنهضتُ وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، حتى خرجت واتبعني يحيى بن خالد فقال: يا ابن السماك، أنت[1] متكلم أهل الكوفة، ولو قلتَ: إنك متكلم أهل الدنيا لصدقتُ، دخلت على مَلك حدَث السنِّ لم يحزن قط، والله إنه ليموت له الولد النفيس فيُرى مبتهجاً، ولا يُظهر حزناً، فدخلتَ عليه في أول وهلة فذكّرته الحسابَ والموت والبعث والميزان[2]، فكلَّمت قلبه، فإن رجعتَ إليه فارفق به.

قال ابن السماك: فقلت: يا أبا علي، إنك قد أصبحت في موضع قد كان فيه قبلك، وهو كائن فيه قوم بعدك، وقد مضى القوم بالمدائح والمعائب، فإن استطعت إذ صرتَ بالمنصب الذي أنت فيه أن تعمل عملاً يكرم مدخره، ويحسن منتشره فافعل. قال: ثم انصرفتُ.

● ٢٢٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو غزية عن محمد بن إسحق، قال: حدّثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال:

سمعت علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ قال: لقد غدوتُ في غداة شاتية جائعاً خصيراً، وأيم الله لو كان في بيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طعام لأطعمت منه، وقد أخذتُ إهاباً (١٢٥ و /) معطوناً[3] فجئت وسطه، ثم شددته عليّ بخوص ليدفّيني ألتمس كسباً لعلّي أجد شيئاً آكله، فمررت بيهودي، وهو في حائط له، ينزع منه بيده يسقيه، فاطّلعت عليه من ثلمة في الحائط. قال: يا أعرابي ما لك؟ هل لكَ في كلِّ دلو بتمرة؟ فقلت: نعم افتح الباب. ففتحه لي، فدخلت، فأعطاني دلواً، فجعلت كلما نزعت دلواً أعطاني تمرة، حتى إذا امتلأت كفّي طرحتُ إليه دلوه،

---

(١) في ب: أنتم.
(٢) في الأصل: والنيران. وما أثبتناه عن ب أحسن.
(٣) الإهاب المعطون: الجلد المدبوغ.

وقلت: حسبي. ثم أكلتهنّ، وحمدتُ الله، وشربت من الماء الذي نزعت بكفي حتى رويت، ثم أقبلت حتى جئت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فوجدته في المسجد جالساً مع الناس، فجلست إليه، فبينا نحن عنده إذ طلع مصعب بن عُمير[1] في بردة له خلق مرقوعة بفرو.

قال: فجاء وهو مستحٍ يتقصّى الناس، حتى جلس في أدناهم، ورآه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فذكر ما كان فيه من النعمة، وذكر ما أصابه من الجهد في الإسلام.

قال: فذرفت عينا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم قال: توشكون أن يغدو أحدكم في حُلّة، ويروح في أخرى، وأن يُغدا على أحدكم بجفنة، ويُراح عليه بأخرى، ويستر بينه كما يستر الكعبة، أفأنكم يومئذ خير، أم أنتم اليوم؟

قال: قلنا: يا نبي الله، نحن يومئذ خير منا اليوم، كُفينا المؤونة، فتفرغنا للعبادة.

قال: بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ[2].

● ٢٣٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو غزية عن إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجّاج عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (١٢٥ ظ /) قال[3]:

قالت لي مولاة لنا: ما يمنعك من فاطمة بنت رسول الله ـ ﷺ ـ فإنها تُخطب إليه؟

قال علي عليه السلام: فواللّٰهِ ما زالت بي حتى دخلتُ على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الإجلال، ما ليس لأحد، فجلستُ بين يديه وأفحمت فلم

(١) مصعب بن عمير بن هاشم العبدري، أحد السابقين إلى الإسلام، كان فتى مكة شباباً وجمالاً وتيهاً، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب، فكان أعطر أهل مكة. قتل يوم أحد ومعه لواء المسلمين. (الاستيعاب ٣/ ٤٤٨ والإصابة ٣/ ٤٠١).

(٢) انظر هذه القصة مختصرة في الإصابة ٣/ ٤٠١.

(٣) انظر قصة زواجه في الإصابة ٤/ ٣٦٥. ومسند أحمد ٦/ ٧٨.

أقدر على الكَلام، فقال لي: ما لك يا أبا الحسن؟ هل لك من حاجة؟ فسكتُّ، حتى أعاد ذلك ثلاث مرات، ثم قال: فلعلك تريد فاطمةَ؟ قال: فقلت: نعم.

قال: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: ما فعلت درعٌ كنتُ سلحتكها؟[1] فقلت: عندي. قال: فاذهب بها إليها فاستحلّها بها.

● ٢٣١ ـ وذكر ابن إسحق عن عبد الله بن أبي بكر قال:

قال علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ: لما أردت أن أجمع فاطمة أعطاني رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مِصراً من ذهب، فقال: ابتع بهذا طعاماً لوليمتك.

قال: فخرجت إلى محافل الأنصار، فجئتُ إلى محمد بن مسلمة[2] في جَرين له قد فُرّغ من طعامه، فقلت له: بعني بهذا المصرّ طعاماً، فأعطاني، حتى إذا جعلتُ طعامي قال: من أنت؟

قلت: علي بن أبي طالب. فقال: ابن عمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ؟ فقلت: نعم.

قال: وما تصنع بهذا الطعام؟ قلت: أعرّس. فقال: وبمَن؟ فقلت: بابنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله.

قال: فهذا الطعام، وهذا المصرّ الذهب، فخذه، فهما لك. فأخذته ورجعت، فجمعت (١٢٦ و /) أهلي إليّ، وكان بيت فاطمة لحارثة بن النعمان[3]، فسألت فاطمةُ النبيّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يحوّله. فقال لها: لقد استحييتُ من

---

(١) في ب: سلحتها. وفي الإصابة: فما فعلت الدرع التي أصبتها؟ يعني من مغانم بدر. وصحب النبي ﷺ هو وأولاده، وكان من فضلاء الصحابة استخلفه الرسول.

(٢) هو محمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري الأوسي، شهد بدراً ﷺ على المدينة في بعض غزواته، وكان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين توفي سنة ثلاث وأربعين. ترجمته في الاستيعاب ٣/ ٣١٥ والإصابة ٣/ ٣٦٤.

(٣) هو حارثة بن النعمان بن نفيع الأنصاري، من بني النجار ممن شهد بدراً، أدرك خلافة معاوية ومات فيها بعد أن ذهب بصره. (الإصابة ١/ ٢٩٨).

حارثة ممّا يتحوّل لنا عن بيوته.

فلما سمع بذلك حارثةُ انتقل منه، وأسكنه فاطمة[1]، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأتي الأنصار في دورهم فيدعو لهم بالبركة.

فيجتمعون إليه، فيذكّرهم ويحذّرهم وينذرهم، ويأتونه بصبيانهم.

● ٢٣٢ ـ أنشدني الزبير قال: أنشدني محمد بن الحسن قال:

سمعت عبد الرحمٰن بن أبي الزناد ينشد لكنانة بن أبي الحُقيق اليهودي[2]:

أرقتُ وأمسيت رهن الفراش ... من حرب قومي ومن مغرم
ومن سفهِ الرأي بعد الهدى ... وعمه الرشاد فلم يُفهم
فلو أنّ قومي أطاعوا الحليم ... لم يتعدَّ ولم يظلم[3]
ولكنَّ قومي أطاعوا الغواة ... حتى تعكّس أهل الدم[4]
وأودى السفيه بأمر الحليم[5] ... فانتشر الأمر لم يُبرم

● ٢٣٣ ـ وأنشدني الزبير لأبي همهمة[6]:

إخوةٌ ما حضرتُ سرونَ برون ... فإنْ غبت فالسّباع الجياع
يأبنوني حتى إذا عاينوني ... بان فيهم تضاؤل واختشاع
فهم يغمزون منّي قناةً ... ليس يألونَ غمزها ما استطاعوا
ما كذا يفعل الكرام ولكنْ ... هكذا يفعل اللئام الرِضاع

---

(١) في الإصابة: فبلغ حارثة فجاء فقال: يا رسول الله، والله الذي يأخذ أحب إليّ من الذي يدع. فقال: صدقت بارك الله فيك.

(٢) هو كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير، من يهود يثرب الذين أسهموا في التآمر على الإسلام والمسلمين في عصر الرسالة انظر ترجمته في المرزباني ٢٤٦ حيث أورد له الأبيات ٣ ـ ٥ وانظر الأغاني ٢١/ ٩٢. وابن هشام في مواضع عديدة.

(٣) في ب: فلم أرقومي. وفي المرزباني: لم يتعدوا.

(٤) في المرزباني: تعكظ.

(٥) في المرزباني: برأي الحليم.

(٦) في الأغاني (بولاق) ١٨٦/٥ أبو همهمة مغنٍ أسود من أهل المدينة ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء.

● ٢٣٤ ـ (١٢٦ ظ /) وأنشدني الزبير للحزين الدئلي[١]:

كـأنمـا خُلقـت كفّـاه مـن حَجـرٍ ... فليـس بيـن يـديـه والنـدى عمَـل
يـرى التيمـمَ فـي بَـرٍّ وفـي بَحـرٍ ... مخـافـة أن يُـرى فـي كفّـه بلـل

● ٢٣٥ ـ وأنشدني للحزين أيضاً[٢]:

لا بـارك الله فـي كعـبٍ ومجلسهـم ... مـاذا يجمِّـع مـن لـؤم ومـن وَضـع
لا يـدرسـون كتـاب الله بينهـم ... ولا يصومون من حِرص على الشبع

● ٢٣٦ ـ أنشدني أبو عبد الله الزبير قال:

أنشدني التيميّ[٣] في الفضل بن الربيع الحاجب[٤]:

لعمـرُك مـا الأشـراف فـي كـل بلـدة ... وإنْ عظمـوا للفضـل إلاّ صنـائـع
تـرى عظمـاء النـاس للفضـل خُشَّعـاً ... إذا مـا بـدا والفضـل لله خـاشـع
تـواضـع لمّـا زاده الله رفعـةً ... وكـل عـزيـز عنـده متـواضـع[٥]

● ٢٣٧ ـ وأنشدني الزبير:

لـم يكـن حـادثٌ يشتِّـتُ شَعبـاً ... لا ولا وحشـةٌ تجـرُّ التجـافـي
فتعـالـوا نـردُّ حلـو التصـافـي ... ونُميـت الجفـاء بـالألطـاف

● ٢٣٨ ـ أنشدني الزبير قال:

---

(١) الحزين لقب غلب عليه واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك الكناني من شعراء الدولة الأموية، حجازي مطبوع، وكان هجّاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه القليل ويتكسب بالشر والبيتان في المؤتلف والمختلف ص ١٢٢ ترجمته في الأغاني (بولاق) ١٤/ ٧٦.

(٢) البيتان في الأغاني ١٤/ ٨٠ وفيه مرّ الحزين الدئلي على مجلس لبني كعب بن خزاعة وهو سكران فضحكوا عليه فوقف وقال: وفيه (من ضرع) مكان (من وضع).

(٣) التيمي هو أبو محمد عبد الله بن أيوب مولى بني تيم، كوفي من شعراء الدولة العباسية كان خليعاً ماجناً وصّافاً للخمر مدح البرامكة. ترجمته في الأغاني ١٨/ ١١٥.

(٤) الأبيات في الأغاني ١٨/ ١١٦.

(٥) في الأغاني: وكل جليل.

أنشدني بعض أهل المدينة:

إذا شئتَ أن تلقى بناناً مخضّباً وعينين دعجاوين فالقَ المواليا

وما بالموالي من دناة تعيبهم ولا قِصَرٌ عن أن ينالوا المعاليا

(١٢٧ و/)

يقولون مولاةٌ فلا تقربنّها ألا ليتنا كنا جميعاً مواليا

● ٢٣٩ ـ أنشدني الزبير لإبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب(١):

إنّ التي فخرت عشيّةَ زرتُها بكلامها الفتّان والإعراض

فخرت عليك بأنها عربيّة فتعرّضت لمُفاخِر نقّاض(٢)

فأجبتها إني ابن كسرى وابن مَنْ دان الملوكُ له بغير تراض

فتطأطأت وتضاءلت من زهوها لفخار أصيدَ للذرى خفّاض

ولقد أقي عِرضي بما ملكت يدي وأرى العَروض وقايةَ الأعراض(٣)

● ٢٤٠ ـ أنشدني أبو عبد الله الزبير قال:

أنشدني الكثيري(٤):

الموت أجمل بالفتى من خُطّة في الناس خوفَ شنارها يتقنّع(٥)

شتّان من أعطى الرجال ظلامةً حذر البلاء وآخرٌ لا يخضع

ليس الجزوع بمفلتٍ من يومه والحرُّ يصبر والأنوف تَجدّع

فتح الإله عداوةً لا تُتقى وقرابة يُدلي بها لا تنفع

● ٢٤١ ـ أنشدني الزبير قال:

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب، شاعر له شعر في ٧٠ ورقة، وكتاب رسائل، وله تقدم في البراعة والبلاغة. (الفهرست ١٧٩ ومعجم المؤلفين ١/١٤).

(٢) البيت الثاني والثالث والخامس في معجم البلدان ٤/٧٨ وفيه: فخرت عليّ.

(٣) في معجم البلدان: ولقد أتى (تحريف) .. إن العروض.

(٤) في ب: الكثير.

(٥) في ب: خوف شرارها.

أنشدني إبراهيم بن عبد الرحمٰن الكثيري:

وددت وكاتب الحسنات قلبي تقلّبه يداكِ فتنظرينا
إلى أثر العلاقة في فؤادي وصدع الحبِّ في كفّي مبينا

● ٢٤٢ ـ وأنشدني أبو عبد الله في هذا:

وددتُ وكاتب الحسنات أني ومن أهوى بمنقطع التراب
(١٢٧ ظ /)
نعيشُ الدهر ما عشنا جميعاً ونُقرَن يوم نُبعَث للحساب

● ٢٤٣ ـ أنشدني الزبير قال:

أنشدني المساحقي[1] عبد الجبار بن سعيد بن سليمان للمجنون[2]:

فلو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا
ومن دون رمسينا من الأرض منكب[3]
لظلّ صدى رمسي ولو كنت رِمّةً
لصوتِ صدى ليلىٰ يهشُّ ويطرب

● ٢٤٤ ـ أنشدني الزبير قال: أنشدني المساحقي:

تقول سليمى حلّ أهلك فارتحل
وهل لكِ هل تدرين ويحكِ من أهلي[4]
وما لي أهلٌ غير ظهرِ مطيّتي
تروح وتغدو ما يحلُّ لها رحلي

---

(١) في ب: عبد الجبار بن سليمان. وقد روى عنه ابن سلام في طبقاته ص ٣٩٤ وله روايات كثيرة جداً في الأغاني.

(٢) المجنون، يريد به الشاعر العاشق قيس بن الملوح بن مزاحم بن عدس، من بني عامر بن صعصعة. وانظر الاختلاف في شخصه في ترجمة مجنون بني عامر في الأغاني ١/١٦٧ والبيتان له من قصيدة طويلة. انظر مجنون ليلى لمحمود كامل فريد ص ٨٦.

(٣) في المصدر السابق: فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ... ومن بين ...

(٤) في ب: وما لي هل تدرين ويحك من أهلي.

● ٢٤٥ ـ أنشدني الزبير قال:

أنشدني حسن بن داود الجعفري لعرارة الخياط[١]:

صحبتك عشراً بعد عشرين حُجّة ... على غير تجريب لقد كنتُ جاهلا
فلما فتحت الكفَّ عمّا طويتها ... عليه وما أمّلتُ لم ألفِ طائلا

● ٢٤٦ ـ وأنشدني الزبير لحُميد بن ثور[٢]:

لا يُبعد الله الشبابَ وقولنا ... إذا ما صبونا صبوةً سنتوب
ليالي أبصار الغواني وسمعها ... إليّ وإذريحي لهنّ جَنوب
وإذ ما يقول الناس شيء مهوّن ... علينا وإذ غصنُ الشباب رطيب

● ٢٤٧ ـ حدّثني الزبير قال: سمعت محمد بن سلام الجمحي يقول: قدم عثمان بن عمارة[٣] أخو أبي الهيذام المرّي[٤]، وكان والياً على سجستان أيام الرشيد، فحُبس بخمس مائة ألف درهم، وسبعين ألف درهم، فقدِم يزيد بن مزيد من أرمينية، فأخبروه، فحملها إليه، فامتنع من قبولها، ثم قال: ولكن أحمل لي هذه الأبيات، (١٢٨ و /) فأوصلْها إلى أمير المؤمنين:

أغثني أميرَ المؤمنين بنظرةٍ ... تزول بها المخافةُ والأزل
ففضلك أرجو لا البراءة إنه ... أبى اللّهُ إلا أن يكون لك الفضل
فإنْ لا أكن أهلاً لِما أنت أهله ... فأنت أمير المؤمنين له أهل

● ٢٤٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح عن مسلم بن عبد الله قال:

---

(١) هكذا اسمه في الأصل. وفي ب لغزارة.

(٢) الأبيات في ديوانه ص ٥٢.

(٣) عثمان بن عمارة بن حريم بن عمرو بن الحارث الغطفاني المرّي، والي سجستان سنة ١٥٧، وفي زمنه ثار في خراسان الحصين الخارجي، فأرسل له عثمان جيشاً فهزمه الحصين. (ابن الأثير ٥/ ٨٩ والطبري ٧/ ٦٢١).

(٤) اسمه عامر، كان رأس المضرية في الشام، وأحد فرسان العرب المشهورين ولم يذكر عنه أنه انهزم قط، توفي سنة ١٨٢. (الشعر والشعراء ٧٣١ وانظر الأعلام ٤/ ٢٣).

بينا الزبير في بعض مغازيه إذ اصطفى جاريةً. قال: فتخلّف عن العسكر، فنال من الجارية، ثم ركب يريد الجيش فعرض له لصّان في الطريق، فقالا: أطعمنا، فرمى إليهما[1] بسفرته، فقالا: أكسنا، فرمى إليهما بثوبين كانا معه، فقالا: خلِّ عن الظعينة، فقال لها: تنحي، ثم شدَّ عليهما فأبانهما بضربة واحدة.

● ٢٤٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر قال:

وفد الصقب النهدي[2] على النعمان بن المنذر، ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما البراء بن عمرو، والآخر الحارث بن مازن، وكانا شريفين، وكان الصقب قصيراً أفوه دميماً أسود أعور، فجلسوا بفناء قصر النعمان، وقد سمع النعمان بشرف الصقب ومنزلته في قومه، فقال لإذنه: ائذن للصقب.

قال: فخرج واعتمد رجلاً عظيماً جسيماً، فقال: ادخل، وهو يظنّه الصقب، فدخل فقال له النعمان: أأنت الصقب؟ قال: لا ولكني البراء بن عمرو النهدي. فقال: اجلس، فجلس (١٢٨ ظ /) ودعا له بلبن، فشربه. ثم قال للآذن: ائذن للصقب. فخرج، فاعتمد آخر جميلاً جسيماً. فقال: ادخل فدخل، فقال: أأنت الصقب؟ قال: لا ولكني الحارث بن مازن النهدي. قال: اجلس، ودعا بلبن فشرب، ثم قال: نوّه بإذن الصقب. فنوّه به، فدخل فلما رآه النعمان ازدراه، ونبّت عينُه عنه، فقال: أأنت الصقب؟ ثلاث مرات. قال: نعم. قال: تسمع بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه[3]. قال: أبيت اللعن، الرجال ليس بمسوك يُستقى فيها الماء، وإنما المرء

---

(١) في ب: إليهم.

(٢) قال ابن دريد في الاشتقاق ٣٢٠. ومن رجالهم (أي بني نهد) الوافد إلى النعمان واسم، الصقب خيثم بن عمرو، وكان سيد بني نهد قد أخذ مرباعهم دهراً، وله حديث في دخوله إلى النعمان. وقال قوم: بل اسمه البراء بن عمرو.

(٣) مثل معروف أورده الميداني ١/١١٨. ونسب الخبر إلى المنذر بن ماء السماء واسم صاحب الحادثة فيه شقة بن ضمرة. والخبر في البيان والتبيين ١/١٧١ وسماه ضمرة بن ضمرة. إلا أنه استدرك على ذلك فقال: واليمانية تجعل هذا للصقب النهدي، فإن كان كذلك فقد أقروا بأن نهداً من معد. والمعيدي: تصغير رجل منسوب إلى معد. انظر اللسان (معد).

بأصغريه: قلبه ولسانه، إذا نطق نطق ببيان[1]، وإذا قاتل قاتل بجَنان.

قال: إنه لكما تقول، فكيف نظرك في الأمور؟

قال: أنقُض فيها المفتول وأبرم منها المسحول، وأحلها إلى أن تحول، ثم انظر إلى ما تحول، وليس لها بصاحب من لم يكن له نظر في العواقب.

قال: فأخبرني عن الفقر الحاضر، والعجز الظاهر.

قال: الفقر الحاضر، المرء لا تستغني[2] نفسه، وإنْ كان ذهباً جليسه. فأما العجز الظاهر، فالشاب الضعيف، اللزوم للحليلة، التبوع[3] لها، الذي يحوم حولها، إنْ غضبت أرضاها، وإنْ رضيت فداها، فذاك الذي لا كان، ولا ولدت النساء مثله.

قال: فأخبرني عن السوءة السوءاء والداء العياء.

قال: السوءة السوءاء الحليلة السليطة، السَلْفَع[4] القصيرة، التي تغضب من غير غضب، وتعجب من غير عجب، فصاحبها لا ينعم بالُه، ولا يصلح حاله، إن كان مقلاً عيّرته، وإنْ كان ذا مال لم ينفعه ماله (١٢٩ و /)، فتلك التي أراح الله منها بعلها، ولا متّع بها أهلها، وأمّا الداء العياء فجار السوء، الذي إنْ خالطته ظلمك[5] وإنْ غبت عنه سَبَعك[6]، وإنْ قاولته بهتك. فإذا كان ذلك جارك، فأخل له دارك، وعجّل منه فرارك، فإن[7] ضننت بالدار كنت كالكلب الهرّار، فأقمت بذلٍّ وصغَار.

● ٢٥٠ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

وقال معاوية بن أبي سفيان لصحار العبدي[8]، وكان أزرقَ[9]: يا أخا عبد القيس.

---

(١) في ب: بلسان.

(٢) في ب: لا يستغني.

(٣) في ب: المتبوع. تحريف.

(٤) السلفع: الصخّابة البذيئة، السيئة الخلق.

(٥) في ب: قطعك.

(٦) سبعك: شتمك.

(٧) سقطت (فإن) من ب.

(٨) هو صحار بن عباس (أو عياس) بن صيخر بن شراحيل بن منقذ العبدي، صحابي له أخبار حسان، وكان بليغاً مفوهاً، ونسّاباً، وكان عثمانياً، توفي نحو ستة وأربعين بالبصرة. (الإصابة ٢/ ١٧٠).

(٩) انظر هذه المحادثة في البيان والتبيين ١/ ٩٦ و ٤/ ٤٦ وعيون الأخبار ٢/ ١٧٢ والإصابة ٢/ ١٧٠ =

قال: على ذاك قطع سيري - يعني قلادته - وما عبد القيس عليّ بعارٍ.

قال: يا أحمر. قال: الذهب أحمر.

قال: يا أزرق[1]. قال: البازيّ[2] أزرق.

قال: أنتم أخطب العرب؟ قال: إن ذلك ليقال.

قال: فما الخطيب فيكم؟ قال: مَن ردَّ بقليل الجواب كثير النطق.

قال: ما هذه البلاغة فيكم؟ قال: كلام يعتلج على قلوبنا فنقذفه كما يقذف البحرُ الموجَ.

قال: فما إلا بلاغ؟ قال: أن تسرع فلا تبطىء، وتقول: فلا تخطىء[3].

● ٢٥١ - حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلاّم قال:

كان يقال: اتّقِ القرشيَّ ما لم تكن له عندك يد، فإذا كانت له عندك يدٌ فأمنه[4] فإنه لا يكدّرها.

● ٢٥٢ - حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلام قال:

كان عبّاد بن منصور الناجي[5] قاضياً، فتقدّم إليه رجلان، ادّعى أحدهما على صاحبه كفالة، فقال: إنما أنا كفيل، وليس الحقّ عليّ.

قال: أقول لك ما قال العربي، وما قال الفارسي، قال العربي[6]:

إذا ما المرء كان له كفيل فأفلس أو لوى غرم الكفيل

= والصناعتين ٣٢. والعقد الفريد ٢/١١٩.

(١) سقطت (يا أزرق) من ب.

(٢) في الإصابة: القطامي أزرق.

(٣) في العيون والبيان: أن تجيب فلا تبطىء. وفي الصناعتين. قدّم وأخّر في العبارة.

(٤) في ب: فأمنها.

(٥) عباد بن منصور الناجي، تولى قضاء البصرة في زمن الأمويين والعباسيين. (انظر أخباره في أخبار القضاة ٢/ ٤٣).

(٦) سقط هذا السطر من ب.

(١٢٩ ظ /) وقال الفارسي: بانياز دَسْتَ الريش[١].

● ٢٥٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلّام عن حماد بن سلمة قال:

كان رجل في الجاهلية له محجن يسرق به مَتاع الحاج، فإذا قيل له: تسرق الحاج؟! قال: ما أسرق، إنما يسرق محجني.

قال حماد: لو كان هذا حيًّا اليوم، كان من أصحاب أبي حنيفة.

● ٢٥٤ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلام، قال: حدّثني محمد بن حفص أبو اليقظان قال:

عُزّي خالدٌ على ربعيّ ابنه، فتمثّل أبيات أبي خراش الهذلي[٢]:

فـــوالله لا أنســـىٰ قتيـــلاً رزيتـــه بجانب قُوسي ما مشيت على الأرض

قال: فعلم والله أنه سيكذب فقال:

علـــى إنّهـــا تعفـــو الكلـــوم وإنمـــا
نُـوكَّـل بـالأدنـى وإنْ جـلَّ مـا يمضـي[٣]

● ٢٥٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلام قال: حدّثني سهل بن طلحة قال:

---

(١) ورد النص الفارسي هكذا في المخطوطة وهو واضح الحروف. وقد عرضناه على الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور أحمد ناجي القيسي فبيّنا أن التحريف قد أصاب الكلمة الأخيرة وأوضحا أنه إذا افترض أن هذه محرفة من (مريش) أمكن أن يكون معناها فعل نهي من المصدر ريشتن الذي يأتي بمعنى (ريختن) وهو الصبّ. فيكون معنى الجملة الفارسية: لا تصبّ مع المحتاج: أي لا تأكل مع المحتاج، لأنه سيأكل أكثر منك فتكون الخسارة عليك.

(٢) هو خويلد بن مرة، شاعر مخضرم، نهشته حية، فمات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (الشعر والشعراء ٥٥٤).

(٣) والبيتان في الشعر والشعراء وديوان الهذليين ١٥٧/٢. قالهما في رثاء أخيه عروة. وقوسي: ببلاد السراة من الحجاز.
ورواية الثاني في ب: بل أنها تعفو. وفي الشعر والشعراء: بلى أنها.

قال خشرم: دخلتُ الجنة فما رأيت فيها مولى.

قال: قلت: صعدتَ الغرف؟ قال: لا. قلتُ: الموالي في الغرف.

● ٢٥٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلام عن يونس قال: لما مات المهلّب قال نهار بن توسعة[١]:

لقد ذهب الغزو المغرّب للغنى ... ومات الندى والجود بعد المهلّب[٢]
أقاما بمرو الروذ رهينَي حَفيرةٍ ... وقد غُيّبا عن كلّ شرق ومغرب

فلما كان قتيبة بخراسان، وفتح ما فتح قال[٣]:

ما كان مذ كنّا ولا كان قبلنا ... ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم

(١٣٠ و /)

أشدّ على الأعداء فينا بسيفه ... وأكثر فينا مقسماً بعد مقسم

قال: أين هذا من قولك: لقد ذهب الغزو؟ قال: ذاك كان غزواً وهذا حشر.

فلما ولي نصر بن سيار، أتاه خلف الأقطع[٤] فأحسن إليه فقال:

نهارٌ أمات الجودَ حيناً ولم يكن ... لصاحبنا علم بما في المغيّب
لقد رجع الغازون واستؤنف الغنى ... بنصرٍ وعاش الجود بعد المهلّب

● ٢٥٧ ـ حدّثني الزبير قال: قال خلّاد الأرقط[٥]:

قال مروان بن أبي حفصة[٦] لخلف[٧]: أصدقني عن شعري، فإنَّ الناس

---

(١) نهار بن توسعة بن أبي عتبان من بكر بن وائل، وكان أشعر بكر بن وائل في خراسان من شعراء الدولة العباسية، انظر الشعر والشعراء ٤٤٨ والمؤتلف والمختلف ٢٩٦.

(٢) البيتان في الأمالي ٢/١٩٨ وفيه: الندى والحزم. والثاني: رهن ضريحه. والأول في الشعر والشعراء وروايته: ألا ذهب.

(٣) البيتان في الأمالي ورواية الأول: ولا كائن من بعد مثل ابن مسلم.
والثاني: أعم لأهل الشرك مثلاً بسيفه. وهما في الشعر والشعراء أيضاً.

(٤) هو خلف بن خليفة، كان أقطع اليد. شاعراً مطبوعاً ظريفاً. (الشعر والشعراء ٦٠٢).

(٥) هو خلاد بن يزيد الأرقط، أحد رواة القبائل، والعارفين بالقبائل والأشعار. (الفهرست ١٥٦).

(٦) الشاعر الأموي المعروف مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، وهو مولى مروان بن الحكم، وكان أعتق أباه يوم الدار. (الشعر والشعراء ٦٤٩).

(٧) الحادثة في الأغاني ٩/٤١ برواية خلاد بن الأرقط أيضاً.

يغلطون في أنفسهم، والناس يلقونني بما أحبّ، فأصدقني عن نفسي، فأنشده قصيدته هذه:

حتـــى إذا وردت أوائـــل خيلِـــه   جَيحـان بـثّ علـى العـدوّ رعَـالهـا[1]

فقال: أنت فيها أشعر من الأعشى في قصيدته:

رحلـت سميّـة غـدوةً أجمـالهـا[2]

● ٢٥٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلام عن عثمان بن عبد الرحمٰن الجمحي عن عوف قال:

قدم رجل من الشام من آل أبي صفرة، فكان يحدّث عن عتبة بن ربيعة، وهند ابنة ربيعة، وأبي سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، إلى أن قال لي رجل: ما تقول في كذا؟ فقلت: قال ابن سيرين كذا[3].

وقال: وسألني آخر فقال: ما تقول في كذا؟ فقلت: قال الحسن. فتعرضوا إليّ وتركوه، فقال: ألا تعجب من هؤلاء؟ أحدّثهم عن هند، وأبي (١٣٠ ظ /) هند، وزوج هند، وهذا يحدّثهم عن عِجلين من أهل ميسان، فيقومون إليه ويتركونني!

● ٢٥٩ ـ حدّثني الزبير قال:

أنشدني محمد بن سلّام لبعض الشعراء في مَعن بن زائدة:

بـــأيّ الخلتيـــن عليـــك أثنـــي   فـإنـــي عنـــد منصـــرفـــي مســـؤول

أبـــالحسنـــى فليـــس لهـــا ضيـــاء   علـــي فمـــن يصـــدّق مـــا أقـــول؟

---

(١) البيت من قصيدة طويلة في مدح المهدي أوردها الشريف المرتضى في أماليه في مواضع عديدة هي ١/ ٥٤٠ و ٥٥٣ و ٥٦٦ و ٥٦٩.
وجيحان: نهر بالمصيصة بالثغر الشامي، ومخرجه من بلاد الروم ويصب في بحر الشام.
والرعال: واحدها الرعيل، وهو القطعة من الخيل تتقدم العسكر.

(٢) هو الشاعر الجاهلي المعروف أبو بصير ميمون بن قيس. والبيت في ديوانه وتمامه فيه: غضبي عليك فما تقول بدالها.

(٣) ابن سيرين: أبو بكر محمد بن سيرين البصري كان من سبي ميسان، عرف بتعبير الرؤيا والزهد. توفي سنة ١١٠. (صفة الصفوة ٣/ ١٦٤).

● ٢٦٠ ـ حدّثني الزبير قال:

دخل جدي عبد الله بن مصعب[١] على المهدي، فتكلّم بكلام، فلما انصرف لقيه مَن سمع كلامه، فقال: يا أبا بكر، اكتبني ذلك الكلام الذي تكلمتَ به. قال: ما أحفظه، ولا أعرفه، إنما كان كلاماً عنَّ ففنَّ[٢].

● ٢٦١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه قال:

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان، وعنده جماعة، فيهم مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فأوسع له معاوية، فجلس معه على سرير، فلما انصرف عبد الله بن الزبير أقبل مروان على معاوية فقال:

للّـــهِ درّكَ مـــن رئيـــس قبيلـــة تضـع الكبيـر ولا تـربـي الأصغـرا

فقال معاوية:

نفــس عصــام ســوّدت عصــامــا[٣]

● ٢٦٢ ـ حدّثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو ضمرة عن أسامة بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة:

إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ (١٣١ و /) قال: «إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ولا يُثرب عليهـا. ثـلاثـاً، فـإنْ زنـت الـرّابعـة فليبعهـا، ولـو بضفيـرٍ مـن

---

(١) عرف عبد الله بن مصعب بحسن كلامه، حتى قال فيه عبد الرحمٰن الحزامي: كنا نأتي مسجد رسول الله ﷺ فنجلس فيه، ما ينزعنا إلى الجلوس فيه إلا استماع كلام عبد الله بن مصعب وألفاظه. (انظر جمهرة نسب قريش ١/ ١٣٤).

(٢) فنّ: وأفنن أخذ في فنون من القول:

(٣) تمام الرجز:

نفــس عصــام ســوّدت عصــامــا وعلّمتــه الكــر والاقــدامــا

والرجز للنابغة الذبياني وعصام هو عصام بن شهبر حاجب النعمان بن المنذر، وقد كان غلب على أمر النعمان، ولم يكن لآبائه شرف. فشرف بنفسه. (عيون الأخبار ١/ ٢٢٧ والمستقصى ٢/ ٣٦٩ والفاخر ١٤٥ و ١٥٣).

شَعر»[1].

● ٢٦٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مَن سمع عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه، قال:

قال لي [أبو] عمر بن عبد العزيز: هل لك أنْ أبيعك نَعَماً من نَعم الصدقة[2]، وأنسئك النصفَ؟.

قال: فقال عروة: والله ما يسرّني أنّ صدقات مضر الحمراء كلها لي، لشهدتُ أباك ـ يعني مروان ـ على هذا المنبر أمر للناس[3] بنصف عطائهم.

وقال: إنّ المال قصّرَ، وقد أمرتُ لكم بالنصف الأخير من صدقات مال اليمن.

قال: فوثب الناس فقالوا: لا والله ما نريد، ذاك[4] مال الصدقة، وإنما مالنا مال الخراج.

فبلغ ذلك معاوية، فأمر لهم معاوية بمال الخراج.

● ٢٦٤ ـ قال الزبير:

كان عندي سيف طلحة بن عبيد الله، اشتريته، فبعث الخليفة جعفر المتوكل على الله يطلبه مني بثمن، فأهديته إليه، وكان عند آل عبد الله بن جحش[5] السيف الذي يسمى (العرجون)، وكان سببه أن سيف ابن[6] جحش انقطع يوم أحد، فأعطاه

(١) الحديث في البخاري ٩/٢١٣، ونصه فيه: سئل الرسول ﷺ عن الأمة إذا زنت ولم تحصن. قال: «إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير» ويثرب: يلوم ويعيّر بالذنب.
(٢) في ب: الصدق. تحريف.
(٣) في ب: الناس. تحريف.
(٤) في ب: ذلك.
(٥) أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً واستشهد في أحد وكان أول أمير في الإسلام، وعقدت له أول راية في الإسلام في سرية نخلة. (انظر المغازي ١/١٣ والاستيعاب ٢/٢٦٣ والإصابة ٢/٢٧٨).
(٦) سقطت كلمة (ابن) من ب.

رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عرجون نخلة، فصار في يده سيفاً، يقال: إنّ قائمته منه، فبيع من بُغا التركي بمائتي دينار[١].

● ٢٦٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إبراهيم بن المنذر قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب قال:

أتيتُ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، فإذا هو كالمغتاظ، فقلت: ما لكَ؟ فقال: دخلت (١٣١ ظ /) على عاملكم آنفاً، يعني عمر بن عبد العزيز، ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٢]، فسلّمتُ فلم يردَّ عليّ فقلت[٣]:

مُسَّا تراب الأرض منها خُلقتما ... وفيها المعاد والمصير إلى الحشر[٤]
ولا تعجبا أن تؤتيا فتكلّما ... فما حُشي الأقوام شراً من الكبر[٥]
فلو شئتُ أدلى فيكما غير واحد ... علانية أو قال عنديَ في السرّ
فإن أنا لم آمرْ ولم أنه عنكما ... ضحكتُ له حتى تلجَّ ويستشرى

قال ابن شهاب: فقلت له: سبحان الله، ومثلك ـ يرحمك الله ـ في سنك وفضلك يقول الشعر؟ قال: إن المصدور إذا نفث برأ[٦].

● ٢٦٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال:

سمعت رجلاً من أهل مكة يقال له أبو الماهر يقول: قدم المنصور للحجِّ، فكان

(١) قصة السيف في الاستيعاب نقلاً عن الموفقيات. وفي الإصابة برواية الزبير أيضاً. وبغا هذا، هو بغا الكبير أبو موسى التركي مقدم قواد المتوكل توفي سنة ٢٤٨: (الشذرات ٢/١١٧).

(٢) كان يقال لعبد الله المطرف من حسنه وجماله. وأمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب. (نسب قريش ١١٢).

(٣) انظر القصة في البيان والتبيين ١/٣٥٦ وأمالي المرتضى ٢/ ٦٠ وشعره ١٩.

(٤) في البيان: منه خلقتما . . وفيه المعاد.

(٥) في البيان والأمالي.
ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما ... فما خشي الإنسان شراً من الكبر
وفي شعره:
ولا تأنفا أن تسألا وتسلّما.

(٦) في البيان: إن المصدور لا يملك أن ينفث. وفي نكت الهميان: لا بد للمصدور أن ينفث.

يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل مستتراً من الناس، فيطوف بالبيت، ويصلّي ويدعو، لا يعرف موضعه، فإذا أضاء الفجر عاد إلى دار الندوة، وجاء المؤذنون فسلّموا عليه، وأقيمت الصلاة، فيخرج فيصلي بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر، فطاف بالبيت، فسمع رجلاً في الملتزم[١] يقول[٢]: اللهمّ إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يَحولُ بين الحقِّ وأهله من الطمع.

قال: فاقتصد المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرجَ من الطواف فجلس ناحيةً من المسجد، وأرسل إلى الرجل، فقال له: أجب أمير المؤمنين (١٣٢ و /) فصلى ركعتين، واستلم الركن، وأقبل مع الرسول، فسلَّم عليه[٣]، فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحقّ وبين أهله[٤] من الطمع؟ فوالله لقد حشوتَ مسامعي ما أرمضني[٥] وأقلقني[٦].

قال: يا أمير المؤمنين، إنْ أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها، وإلاّ احتجزتُ منك، واقتصرت على نفسي، ففيها شاغل عن سوى[٧] ذلك.

قال المنصور: فأنت آمنٌ على نفسك. فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق، فأظهر طمعه في الأرض والفساد والبغي لأنتَ.

قال: ويحك، وكيف يدخلني الطمعُ والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض في يدي[٨]!!

---

(١) الملتزم: ما بين باب الكعبة والحجر الأسود.

(٢) النص في عيون الأخبار ٢/ ٣٣٣ وشرح نهج البلاغة ٥/ ٣٠٤. والعقد الفريد ١/ ٣٠٤ والمحاسن والمساوىء ٣٣٩ برواية المفضل الضبي عن المسيب بن زهير.

(٣) في عيون الأخبار وشرح نهج البلاغة: بالخلافة.

(٤) في المحاسن والمساوىء: ما هذا الكلام الذي سمعتك تلفظ به آنفاً عند الركن.

(٥) أرمضني: أغاضني وآلمني.

(٦) سقطت كلمة (وأقلقني) من المصادر الأخرى.

(٧) سقطت كلمة (سوى) من ب. في المحاسن وشرح النهج: فلي فيها شاغل.

(٨) في أكثر المصادر السابقة: عندي.

فقال: يا أمير المؤمنين، وهل دخل أحداً[1] من الطمع ما دخلك!؟ إن الله ـ تبارك وتعالى ـ استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من جصٍّ وآجر، وأبواباً من حديد، بعضها على إثر بعض، وحجبةً عليها في أيديهم السلاح، ثم سجنتَ نفسك فيها، واحتجبت بها عنهم، وبعثت عمّالك في جباية الأموال وجمعها وحشرها إليك، وقوّيتهم بالرجال والكرّاع، وأمرت بألاّ يدخل عليك من الناس إلاّ فلاناً وفلاناً، لنفرٍ يسير، ونهيتهم أن يوصّلوا إليك مظلوماً أو ملهوفاً أو جائعاً أو عارياً أو ضعيفاً فقيراً، له (١٣٢ ظ /) في هذا المال الذي قِبلك حقٌّ[2]، فجبى عمّالك الأموال وجمعوها وحشروها إليك، فأودعتها الخزائن بمدينتك، ولم تعطها أهلها، فلما رآك ـ يا[3] أمير المؤمنين ـ هؤلاء النفرُ الذين استخلفتهم لنفسك، وخصصتهم ببرِّك، وآثرتهم على رعيتك، تجم[4] الأموال وتجمعها، وتستأثر بها، فلا تقسّمها على أهلها، وتمنعهم حقوقَهم منها، قالوا: هذا قد خان اللّهَ فمالنا لا نخونه، وقد سجن نفسه، وأمكنتنا منه[5] الفرصة، واطّلعنا منه على العورة! فتوازروا[6] ـ يا أمير المؤمنين ـ على أن لا يصل إليك من علم خبر الناس إلا ما أحبوا، وأنْ لا تطّلع من أمورهم إلاّ على ما أرادوا، وأنْ لا يخرج لك عامل فيخالف أمورهم[7]، ويطرح رأيهم، إلاّ قصبوه[8] عندك، واغتابوه[9]، حتى تسقط منزلته، ويتّضح أمره[10]، فأجمع رأيهم وأمرهم على ذلك، وانتشر لهم بذلك ـ يا أمير المؤمنين ـ عند الخاصّة والعامة من رعيتك، أنهم يضرّون

(١) في ب: أحد.
(٢) في أكثر المصادر: ولا أحد ممن له في هذا المال حق.
(٣) سقطت (يا) من ب.
(٤) في المصادر الأخرى: تجبي. وتجمّ: تكثّر.
(٥) في ب: فيه.
(٦) في المصادر الأخرى: فأتمروا.
(٧) في المصادر الأخرى: أمرهم.
(٨) قصبوه: عابوه وشتموه. وفي العقد: ألاّ خونوه. وفي شرح نهج البلاغة: بغضوه.
(٩) في عيون الأخبار والعقد: ونفوه. وفي شرح النهج: وبغوه الغوائل.
(١٠) في عيون الأخبار وشرح النهج: ويصغر قدره.

وينفعون عندك من شاؤوا، وأنك تقبل قولهم، وتعمل برأيهم، فأعظمهم مَنْ من وراء بابك، وخافوهم فكان أول مَن صانعهم من الناس ودراهم عمّالك، فأرسلوا إليهم بالهدايا، ليقووا بها على ظلم رعيتك، فامتلأت الأرض من طمعك الحاجز بينك وبين الحق، بغياً وفساداً، وصار ـ يا أمير المؤمنين ـ هؤلاء النفر الذين سجنت نفسك لهم بطمعك شركاءك في سلطانك، يكسبون لك الآثام، ويطوّقونك الخطايا، ويحمّلونك الأوزار، وأنت غافل (١٣٣ و /) أو متغافل، كأنك لا تعلم أنه إن ظلمَ أحد من عمالك أحداً من رعيتك، أو قويٌ من جندك غصب ضعيفاً من ذوي العَهد، فجاءك متظلّماً، أنه يُحال بينك وبينه، وإنْ أراد أنْ يرفع إليك قضيةً عند ظهورك، وجدك قد نَهيتَ عن ذلك، ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن أتى ذلك الرجل بمظلمة لمسلم أو معاهِد، وبلغ ذلك بطانتك، أتوا الرجل فسألوه أنْ لا يرفع مظلمته، فإنّ الذي يتظلم منه له به حرمة. وما حرمته قدم خيانته، فأجابهم صاحب المظالم إلى ذلك، واختلف المظلومُ أياماً يلوذُ به، ويشكو إليه[1]، فيعتلّ عليه، ويدفعه ويمنّيه، فإذا ظهرتَ صرخَ بين يديك مستغيثاً، فضُرب وجُعل نكالاً لغيره، وأنت ـ يا أمير المؤمنين ـ تنظر إليه، وتحتجُّ عليه بأنك قد وقفتَ له رجلاً ينظر في ظلامته، فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؟

يا أمير المؤمنين[2] قد كانت بنو أمية على ما كان فيهم، وكانت العرب بطانتها، لا تنهى مظلوماً عن رفع مَظلمة، ولقد كان يأتي المظلوم في عصر بني أمية من أقاصي الأرض حتى إذا وصل إلى باب سلطانهم نادى: يا أهل الإسلام. فيقولون: مالكَ؟ مالكَ؟ ليس في ذلك طلبُ ثوابٍ إلاّ التماس مكارم الدنيا. فيقول أخي إليّ في الإسلام كذا وكذا، فيبتدر بعضُهم بعضاً المنطقَ عند سلطانهم، فيقولون: بالباب رجل يشكو كذا وكذا، فينظر في ظلامته وينصف. (١٣٣ ظ /) وقد كنت ـ يا أمير المؤمنين ـ أسافر إلى أرض الصين، فقدمتُها في بعض أسفاري، وقد أصيب مِلكُهم بسمعه،

(١) هكذا في المخطوطة. وفي المصادر الأخرى: فإن المتظلم منه له بهم حرمة، فأجابهم خوفاً منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه.

(٢) سقطت هذه الفقرة المتعلقة بالأمويين من جميع المصادر الأخرى.

فبكى يوماً بين يدي وزرائه[1]، فقالوا له: ما أبكاك أيها الملك لا بكت عيناك؟ قال: أما إني لستُ أبكي للبليّة التي نزلت بي، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ ولا أسمع صوته، ثم قال: أما إذا ذهب سمعي فإنّ بصري لم يذهب، نادوا في الناس: ألاّ يلبس ثوباً أحمر إلاّ مظلوم، ثم كان يركب [الفيل][2] طرفي النهار [وينظر][3] هل يرى مظلوماً.

يا أمير المؤمنين، هذا مشرك بالله، قد غلبت رأفتُه بالمشركين شحَّ نفسه، وأنت مؤمن بالله، ثم أنت ابن عمّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ[4] فلا يغلبنّك شحُّ نفسك، فتدَع[5] الرأفةَ بالمسلمين[6]، فإنك ـ يا أمير المؤمنين ـ لا تجمع الأموال إلاّ لواحد من ثلاث. إن قلتَ: أجمعه لولدي فقد أراك الله عِبراً في الطفل الصغير، يسقط من بطن أمه ما لَه مالٌ، وما من مال إلاّ عليه يدٌ حاوية، ودونه يد شحيحة عليه، فلا يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه، فلستَ ـ يا أمير المؤمنين ـ الذي تعطي، بل الله الذي يعطي من يشاء ما يشاء، وإن قلت: إنما أجمع الأموال لتشييد مُلكي[7]، فقد أراك الله عِبراً في بني أميّة، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة، وما استعدوا من الخيل والرجال والكُراع حين أراد الله بهم ما أراد، وما ضرّك وولد أبيك من الضعف وقلة (١٣٣ ظ /) الجدّ، والخمول حين أراد الله بكم ما أراد؟ وإنْ قلتَ: إنما أجمع الأموال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما من غايات الدنيا غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، ولا بعدها غاية هي أجسم منها، لا تنجو إلا بما تعمل من العمل الصالح.

ثم قال: يا أمير المؤمنين، هل تعاقب مَنْ عصاك من رعيتك بأشد من القتل؟

---

(١) في المصادر الأخرى: فبكى يوماً بكاءً شديداً، فحثه جلساؤه على الصبر فقال.
(٢) ما بين الحاصرتين تكملة من المصادر الأخرى.
(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من المصادر الأخرى.
(٤) في المصادر الأخرى: ثم من أهل بيت نبيه.
(٥) في ب: فقدم.
(٦) في المصادر الأخرى: لا تغلبك رأفتك بالمسلمين.
(٧) في المصادر الأخرى: لتشديد السلطان.

قال: لا. قال: فكيف تصنع بالملِك الجبّار الذي خوّلك مُلك الدنيا، وهو لا يعاقب مَن عصاه بالقتل، ولكن يعاقبهم بالخلود في العذاب الأليم؟! وقد رأى - جلّ ثناؤه - ما قد عقد عليه قلبك، وأضمرَتْه جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحته يداك، ومشت إليه رجلاك، وما حملت على ظهرك، فماذا تقول إذا انتزع الملِك الجبّار ملك الدنيا من يدك، ودعاك إلى الحساب فيما خوّلكَ؟ هل يغني عنك ما شححتَ عليه من ملك الدنيا؟

فبكى المنصور، وقال: ليتني[1] لم أخلَق في الدنيا، ثم قال: كيف أحتال [لنفسي][2]؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أضررت بآخرتك، فنلتَ من دنياك، فاضررْ بدنياك تنلْ من آخرتك.

قال: فكيف أصنع فيما خُوّلتُ ولم أرَ من الناس إلا خائناً[3]؟.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ للناس أعلاماً يفزعون إليهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمورك يسدّدوك.

قال المنصور: قد بعثتُ إليهم، فهربوا مني. قال: هربوا مخافةَ أن تحملهم على مثل ما ظهر من فعل عمّالك[4]، ولكن (١٣٤ ظ/) افتح الأبواب، وسهّل الحجاب، وانتصرْ للمظلوم، واقمعْ الظالم، وخذ الفيء والصدقات، مما حلَّ وطاب، واقسمه بالعدل والحق، وأنا الضامن[5] على الذين هربوا منك أن يأتوك ويشايعوك على صلاح أمورهم وأمورك، وصلاح رعيتك.

فقال المنصور: أللهم وفّقني لأن أعمل بما قال هذا الرجل. وجاء المؤذّنون، فسلّموا عليه، وأقيمت الصلاة، فصلّى بالناس، ثم عاد إلى مجلسه من المسجد فطلب

---

(١) في المصادر الأخرى: يا ليتني.

(٢) ما بين الحاصرتين تكملة من المصادر الأخرى.

(٣) سقطت من المصادر الأخرى من قوله: فقال يا أمير .... إلى (خائناً).

(٤) في المصادر الأخرى: قال خافوا أن تحملهم على طريقتك.

(٥) في المصادر الأخرى: وأنا الضامن عنهم أن يأتوك.

الرجلَ فلم يوجد، فقال بعض الناس: نظنه رجلاً من الأبدال، وقال بعض الناس: نظنه الخضر عليه السلام[1].

● ٢٦٧ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب قال[2]:

قال شبيب بن شيبة لأبي جعفر: يا أمير المؤمنين إن الله ـ تبارك وتعالى[3] ـ يوم[4] قسّم أقسامه بين خلقه لم يرضَ لك منها إلاّ بأعلاها وأسناها، فلم يجعل فوقك في الدنيا أحداً، فلا ترضَ لنفسك إذ فعل بك ذلك أنْ يكون فوقك في الآخرة أحد، وأتّقِ الله يا أمير المؤمنين، فإنها وصيّة الله، إليكم جاءت، ومنكم قُبلت، وإليكم تُردّ.

● ٢٦٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن المخزومي عن جعفر بن محمد قال:

قال محمد بن علي لابنه: يا بُنيّ، إذا أنعم اللّهُ عليك نعمةً فقل: الحمد لله. وإذا أحزنك أمرٌ فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله. وإذا أبطأ عليك رزق فاستغفر الله.

● ٢٦٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إبراهيم بن المنذر عن عبد الله بن وهب عن زيد بن أسلم[5] أنه قال لبنيه: (١٣٥ و /)

يا بَنيّ لا تَعلّموا العلم لاثنتين: لا تَعلّموه للتماري، ولا للتباهي، ولا تدَعوه رغبةً عنه ولا استحياءً من تعلمه.

● ٢٧٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي قال:

---

(١) سقطت هذه الفقرة من جميع المصادر الأخرى.

(٢) الخبر في المحاسن والمساوىء ٤٣٥ والعقد الفريد ١/ ٣٠٧ ومقامات العلماء ٧٧ ولكن المخاطب فيهما هو الخليفة المهدي وليس أبا جعفر.

(٣) سقطت من العقد الفريد وفي المحاسن: جل وعز.

(٤) في ب: فلم. وفي المحاسن: يوم.

(٥) زيد بن أسلم حبشي بجاوي، كان والده قد اشتراه الخليفة عمر رضي الله عنه فصار من مواليه، كثير الرواية عنه، وزيد كثير الرواية عن أبيه. (المعارف ١٨٩).

لا يكون المعروف معروفاً إلا باستصغاره وتعجيله وكتمانه.

● ٢٧١ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني قال:

كان أسماء بن خارجة[١] يقول[٢]: لا أشتم أحداً، ولا أمنع سائلاً أقدر على إعطائه، فإنما يشتمني أحدُ رجلين: كريم كان شتمُه إياي زلّة منه، فأنا أحقّ من غفر له، أو لئيم قاده إليّ لؤمه، فلا أرى[٣] عِرضي لعرضه خطراً، وإنما يسألني أحد رجلين: كريم أصابته خَلَّة، فأنا أحقُّ مَن أعانه، أو لئيم أفتدي منه عِرضي.

● ٢٧٢ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني مبارك الطبري قال:

كتب بعض العلماء إلى المنصور يعزيه، أما بعد: فإن أحق الناس ـ يا أمير المؤمنين ـ بالرضا والتسليم لأمر الله، من كان إماماً بعد الله، ولم يكن له إمام إلاّ الله.

● ٢٧٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن الأثرم قال: حدّثني هشام بن محمد عن أبيه محمد بن السائب قال[٤]:

كان رجل من بقايا عادٍ ممّن نجا مع هود ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقال له حمار بن مويلع[٥]، وكان أشدَّ أهل زمانه وأمنعه، وكان قد حمى جوفاً من أرض عاد ينبت حُرَّ الشجر، وكان يزرع في نواحيه، وكان أخصب وادٍ في ذلك الزمان، وبه ماء مَعين، وكان يكرم الضيف، ويرعى من استرعاه (١٣٥ ظ /) في ذلك الجوف، وكان طوله مسيرة يوم، وعرضه فرسخين للراكب المجدّ، يسير الراكب من أسفله إلى أعلاه، ومن أعلاه إلى أسفله، فهو فيما شاء من رعي وشجر، وكان مؤمناً موحِّداً

---

(١) أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، كان من سادات العرب، وأشراف أهل الكوفة، فارساً شجاعاً كريماً. مدحه كثير من الشعراء في العصر الأموي. (انظر الأغاني ١٣/ ٣٥).

(٢) بعض قوله في المبرد ١/ ٢١٠ مع اختلاف في الألفاظ.

(٣) في ب: فلا أرضى.

(٤) القصة في الفاخر ص ١٢ ومعجم البلدان ٢/ ١٥٧ و ٣/ ٧٥٢ برواية ابن الكلبي أيضاً. والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٩٨ و ٢٩٥.

(٥) ذكر صاحب الفاخر بعد ذكر القصة كاملة: وفي قول شرقي بن القطامي حمار بن ملك بن نصر من الأزد، والقول الأول أشبه بالحق. وفي ياقوت ٢/ ١٥٧ سمّاه حمار بن طويلع.

أربعين سنة، وله بنون عشرة، ومعه نُفيرٌ من أهل بيته، فخرج بنوه في سفر لهم، فأصابتهم صاعقة، فماتوا كلهم، فأسف وغضب وقال: لا أعبد الله أبداً . . فرجع إلى عبادة الأوثان[1]، وكفر كفراً عظيماً، ومنع الضيافة ممن مرَّ به من الناس، ودعا من أرعاه من الناس إلى عبادة الأوثان، فمَن أجابه تركه وأقرّه، ومن أبى عليه قتله وأخذ ماله، وقد أدركه أوائل قبائل مُهرة، وهي كُورة من كُوَر اليمن، فأقبلت نارٌ من أسفل الجوف بريح عاصف، فأحرقت الجوف بما فيه، ومَن كان معه في عبادة الأوثان قال امرؤ القيس[2]:

ووادٍ كجوف العير قفرٍ قطعته ... به الذئبُ يعوي كالخليع المعيّل

وقال عواء بن ضمضم المهري:

وقفت على رسم لأسماء دارس ... أسائله وليس في الدار مأنسُ
تحمّل منها ساكنوها فأصبحت ... كجوف الحمار ليس فيها معرسُ
وقد كان جوفُ العير للعين منظراً ... أنيقاً وفيه للمجاور منفَسُ

(١٣٦ و /) وقال قفارة بن ميساك الكندي في الجاهلية[3]:

مررت بجوف العِير وهي حثيثة ... وقد خلّقت بالأمس محل القراضم[4]
تُخاف من المصلى عدوّاً مكاشحا ... ودون بني المصلى هذيل بن ظالم[5]
ومالي بجوف العِير من متلدِّد ... مسيرة يوم للمطيّ الرواسم[6]

القراضم: من مهرة، حيٌّ يقال لهم بنو قرضم، ومصلى بطن، ومتلدد متلفّت،

---

(١) سقطت العبارة ابتداءً من (فرجع) من ب.
(٢) البيت في معلقته. انظر المعلقات العشر ص ٦٥ وروايته في الفاخر:
وخرق كجوف العير قفر قطعته ... بأتلع سام ساهم الوجه حسّان
(٣) الأبيات في معجم البلدان ١٥٨/٢. وقدم لهما بقوله: وأنشد ابن الكلبي لفارس ميسان الكندي جاهلي. وهي في المستقصى ٩٨/١ غير منسوبة.
(٤) في ياقوت: ومرت. وفي هامش المستقصى: على هامش الأصل: ومرت. وفي ياقوت: هجل القراضم. وفي المستقصى: هجل الضراغم.
(٥) في المصدرين السابقين: هديد بن ظالم.
(٦) في المستقصى: مسيرة شهر.

ويقال لناحيتي العنق: اللديدان[1].

وقال عياض بن عَديّ، وكان رجلاً من حاءٍ وحكم، وهم حيّ من اليمن يقال: حاءٌ وحكم حيّان من العرب، وهم: خلف الحكم بن سعد العشيرة، وكانوا على أرض لهم يقال لها: البوباة[2]، وكانوا يبغون فيها فاحترقت فقال عياض:

ألم ترَ للبوباة كيف تنكّرت ... معالمها من حيٍّ حاءٍ ومن حكم
وصبّحها يومٌ عصيبٌ فأصبحت ... كجوف الحمار جَدبة ما بها علم
خراباً يباباً ليس فيها معرِّس ... لمقتبسٍ ناراً إذا نازل أزم

● ٢٧٤ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح قال[3]:

خرج الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس، ومعه سيّد الحيرة في عِيرٍ له، يريد العراق في تجارة له، وكان سوق الحيرة سوقاً تجتمع إليها العرب كل سنة، وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم[4] من طيىء ربع الطريق طمعة لهم، وذلك لأنّ ابنة سعد بن حارثة من لأم كانت عند النعمان، (١٣٦ ظ /) فكانوا أصهاره فمرّ الحكم بن أبي العاص بحاتِم بن عبد الله، فسأله الجوار في أرض طيىء حتى يصل إلى الحيرة، فأجاره، وأمر حاتم بجزور فنُحرت ثم طُبخت أعضاءاً فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج، وهو ابن عمّه، فلمّا فرغوا من الطعام، طيّبهم الحكمُ من طِيبه ذلك، فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم، وليس مع حاتم من بني أبيه غير ملحان، وحاتم على ظهر راحلته، ومعه فرسه يُقاد، فأتاه بنو لأم، فوضع حاتم سفرته، فقال: أطعموا حيّاكم الله. فقالوا: مَنْ هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء

---

(١) كذا في معاجم اللغة.

(٢) البوباة: صحراء بأرض تهامة وهي بلاد بني سعد بن بكر بن هوازن.

(٣) الخبر في الأغاني ٢٦٩/١٧ (دار الكتب) عن ابن الأعرابي وابن السكيت. وديوان حاتم ص ٢٤ ط الأهلية ببيروت.

(٤) في الأغاني: لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان بن حبيب بن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيء.

جيراني، فقال له سعد: فأنت تجير علينا في بلادنا؟! فقال: أنا ابن عمّكم، وأحقُّ مَن لم تخفِروا ذمّته. فقالوا: لستَ هناك، وأرادوا أن يفضحوه كما فُضِح عامر بن جوين، فوثبوا عليه، فتناول كندي[1] بن حارثة بن لأم حاتماً، فأهوى إليه حاتم بالسيف، فأطار أرنبة أنفه، فوقع الشرُّ حتى تحاجزوا، فقال حاتم[2]:

وددتُ، وبيـــت الله، لـــو أنّ أنفــه
هـواء فما مَـتَّ المخـاط مـن العظـم[3]

ولكنمـا لاقــاه سيــفُ ابــن عمّــه
فـأبقـى ومـرَّ السيـف منـه علـى الخَطـم[4]

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة، فنُماجدك بها، ونضع الرّهن، ففعلوا، ووضعوا تسعة أفراس رهناً على يدي رجل من كلبٍ يقال له: امرؤ القيس بن عَديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم من جَناب[5]، ووضع حاتم فرسه، ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحِيرة، وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائي، فخاف أن يعينهم النعمان (١٣٧ و /) بن المنذر، ويقوّيهم بماله وسلطانه، للصِّهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياسٌ بن قبيصة رهطه من بني حيّة، وقال: يا معشر بني حيّة، إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم حاتماً، ويصنعوا به كما صنعوا بعامر بن جوين، وحاتم وحده معه رجل من قومه، فأعينوا ابنَ عمكم في مجاده[6].

فقام رجل من بني حيّة فقال: عندي مائة ناقة سوداء، ومائة ناقة حمراء، ومائة ناقة أدماء[7].

وقام آخر فقال: عندي عشرة حُصن على كل حصان منها فارس مدجج، لا يُرى

---

(١) في ب: سعد بن حارثة.

(٢) البيتان في ديوانه ١١٨.

(٣) مت العظم: سال ما فيه من الودك.

(٤) في الديوان والأغاني: فأبّ ومرّ. والخطم: مقدم الفم والأنف.

(٥) في الأغاني: وهو جد سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما.

(٦) سقط ما بعد (ابن عمكم) من الأغاني. وورد فيه: ابن عمكم في مجاده أي مماجدته.

(٧) في الأغاني: ومائة ناقة حمراء أدماء.

منه إلاّ عيناه.

وقال حسان بن حنظلة الخير[1]: قد عرفتم أنّ أبي مات وترك عليّ كَلّاً كثيراً، ولكن عليّ كلّ خمرٍ وطعام ولحم يباع في سوق الحيرة.

ثم قال إياس: عليّ مثل جميع ما أعطيتم، وما في سوق الحيرة[2]. قال: ولا يعلم حاتم بشيء مما صنعوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبّار، ابن عمّ له بالحيرة، وكان كثير المال، فقال: أعني في مخايلتي[3] وأنشده[4]:

يا مالِ! إحدى خطوبِ الدهر قد طرقت
يـا مـالِ! مـا أنتـمُ عنهـا بـزحـزاح[5]
يـا مـالِ! جـاءت حيـاضَ المـوت واردةً
مـن بيـن غمـرٍ فخضنـاه وضَحضـاح[6]

فقال له مالك: ما كنت لأحرب نفسي ولا عيالي، وأعطيك. فانصرف عنه[7]، وأتى حاتم بن عبد الله ابن عمٍ له يقال له: وهم بن عمرو وكان مصارماً له يومئذ، لا يكلّمه، فقالت امرأته: أي وهم، هذا والله أبو سفّانة، حاتم قد طلع. فقال: ما لنا ولحاتم، أثبتي النظر. فقالت: هو واللّهِ هو، لا شك (١٣٧ ظ /) فيه. فقال: ويحكِ هو لا يكلّمني، فما جاء به إليّ؟

فأقبل[8] حتى سلّم عليه، فرحّب به وقال: ما جاء بك يا حاتم؟ فقال: أخطرتُ[9] عن حسبي وحسبك. فقال: الرحبُ والسعة. هذا مالي ـ وعنده يومئذ

---

(١) في الأغاني: جبلة الخير. وأورد رواية الموفقيات في الهامش.
(٢) في ب: ولا في. وسقطت هذه الجملة من الأغاني.
(٣) المخايلة: المفاخرة. وقد شرحت كذلك في الأغاني.
(٤) البيتان في ديوانه ٦٨.
(٥) في الديوان: إحدى صروف . . . بنزاح ويا مال: ترخيم يا مالك.
(٦) الماء الغمر: الكثير. والضحضاح: القليل.
(٧) في الأغاني بيتان لمالك في ذلك.
(٨) في الأغاني: فنزل.
(٩) في الأغاني: خاطرت على.

سبع[1] مائة بعير ـ فخذها مائةً مائةً حتى تذهب الإبل، أو تصيب الذي تريد.

فقالت امرأته: إي وهم، أتخرجنا من مالنا فنبقى عالةً؟ فقال: إليك عني، فوالله ما كان ما عندك ليردّني عمّا قِبلي[2]. فقال حاتم[3]:

ألا أبلغا وهمَ بن عمرو رسالةً فإنكَ أنتَ المرء بالخير أجدر
رأيتك أدنى من أناس قرابةً[4] وغيرك منهم كنتُ أحبو وأنصر
إذا ما أتى يومٌ يفرِّق بيننا بموتٍ فكن يا وهمُ ذو تتأخر[5]

ثم قال إياس بن قبيصة: احملوني إلى الملِك، وكان به نِقرس، فحُمل حتى دخل عليه، فقال: أنعم صباحاً أبيتَ اللعن. فقال له النعمان: حيّاك إلٰهك.

فقال له إياس: أتمد أختانك بالمال والخيل، وجعلتَ بني ثُعَل[6] في قعر الكنانة؟ أظنَّ أختانُك أن يصنعوا بحاتم ما صنعوا بعامر بن جوين، ولم يشعروا أنّ بني حية بالبلد. فإن شئتَ ـ والله ـ ناجزنك حتى تسفح الأودية [دماً][7] فليحضروا مِجادَهم عند مجمع العرب، فعرف النعمان الغضبَ في وجهه وكلامه، فقال له النعمان: يا حليمنا لا تغضب[8]. فأرسل النعمان إلى سعيد بن حارثة وأصحابه: انظروا ابن عمكم حاتماً فأرضوه، فإني ـ والله ـ ما أنا بالذي (١٣٨ ظ /) أعطيكم مالي تبددونه[9]، وما أطيق بني حيّة. فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا: أعرِض عن هذا المِجاد وندَعُ لكَ أرش[10] أنفِ ابن عمّك[11].

---

(١) في الأغاني: وعدته يومئذ تسعمائة.

(٢) في الأغاني: يا حاتم، أنت تخرجنا من مالنا وتفضح صاحبنا يعني زوجها.

(٣) الأبيات في ديوانه ٩٢.

(٤) في الديوان والأغاني: أدنى الناس منا.

(٥) في الديوان والأغاني: يتأخر. وشرحها في نص الأغاني: ذو في لغة طي: الذي.

(٦) بنو ثعل: بطن من طيء. انظر الإنباه لابن عبد البر ١١٢.

(٧) ما بين الحاصرتين تكملة من الأغاني.

(٨) في الأغاني: يا أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك.

(٩) في الأغاني: تبذرونه.

(١٠) أرش: ديّة.

(١١) في الأغاني: عمنا.

قال: لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم. فتركوا أفراسهم وأرش أنف صاحبهم، وقالوا: أبعدها[1] الله، فإنما هي مقاريفُ، فعمد حاتم إليها، فعقرها، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر، فقال حاتم يخاطب أوس بن حارثة[2]:

هـا إنمـا مُطـرت سمـاؤكـم دمـاً ... ورفعـتَ رأسـك مثـل رأس الأصيـد
ليكـون جيـرانـي أُكـالاً بينكـم ... بُخـلا لكنـديّ وسبّـي مـزنـد
وابـن النجـود إذا غـدا متبـاطنـاً ... دخن القدور وذي العجان الأربد[3]
ولثـابـتٍ عينَـي حـر متمـاوت ... والمعـط أوس إذ عـرا المقلـد[4]
بلّـغ بنـي لأم بـأنّ جيـادهـم ... عقـرى وأنّ مِجـادهـم لـم يـرشـد[5]
أبلـغ بنـي ثُعـل بـأنـي لـم أكـن ... أبـداً لأفعلهـا طـوال المُسنـد
لأجيئهـم فـلاً وأتـرك صحبتـي ... نهبـاً ولـم تعـد بقـائمـة يـدي[6]

كندي بن حارثة بن لأم، ومرثد بن أوس بن حارثة بن لأم.

ابن النجود: الأفوه بن حارثة بن لأم، والنجود بنت ثور من بني ريف بن مالك، والعجّان: سعد بن حارثة بن لأم.

● ٢٧٥ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح عن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه قال: قال الوليد جده ـ وهو مولى أبي هريرة ـ سمعت محرز بن (١٣٨ ظ /) أبي هريرة يحدّث قال[7]:

كان رجل يقال له: أبو الخيبري، مرّ مسافراً ونفر من قومه بقبر حاتم، بمكان

---

(١) في الأغاني: قبحها الله وأبعدها.
(٢) الأبيات في الديوان ٧٦ عدا البيت الرابع.
(٣) في ب: وابن العذوّر وفي الديوان: متلاطماً. العذور: السيىء الخلق. والعجان: الأست.
(٤) في الأغاني: جلد متماوت .. وللعط أوس قد عوى.
(٥) في الديوان والأغاني: أبلغ .. خيولهم .. لم يمجد.
(٦) في ب: ولم تغدر وفي الديوان: لا جئتهم.
(٧) الخبر في الأغاني ١٧/ ٣٧٤ بسلسلة رواة الزبير. والشعر والشعراء ص ١٧٠ وتهذيب ابن عساكر ٣/ ٤٢٨ والخزانة ١/ ٤٩٤.

يقال له: تبعة، حوله أنصاب نوائح من حجارة كأنهن نساء[١]، فنزلوا به، فبات أبو الخيبريّ ليلته كلها يناديه بأعلى صوته: أبا جعر[٢] أقرِ أضيافك، أبا جعر أقرِ أضيافك، استهزاء به وسخرية.

قال: فينادىٰ في سواد الليل: مهلاً ما تكلّم من رِمّة بالية! والرمة: العظم البالي، وجمعها: رمم. فيجيب المنادي ردّاً عليه فيقول: إن طيئاً تزعم أنه لم ينزل به أحدٌ إلاّ قراه، فأجيب: ارقدْ فإنه سوف يقريك، فلما كان من آخر الليل قام أبو الخيبري حتى إذا كان في السَّحر هبَّ فزعاً وهو يصرخ بأعلى صوته[٣]: راحلتاه، راحلتاه، فقال له أصحابه: ويلك، ما دهاك؟ قال: خرج ـ والله ـ حاتم من قبره بالسيف، وأنا أنظر إليه حتى عقر ناقتي.

قالوا: كذبتَ ـ والله ـ لا يخرج ميّتٌ من بطن قبرٍ مرسوس[٤] عليه. قال: بلى ـ والله ـ لقد فعل. فنظروا إلى راحلته فوجدوها عقرى لا تنبعث، فقالوا: فقد ـ والله ـ قراكَ فعمدوا إليها فنحروها، فظلّوا يومهم ومن عندهم معرّسين عليها يأكلون من لحمها، ثم ساروا عند آخر النهار، وأردفوه خلف أحدهم، وهم سائرون في بلاد طيء، فساروا ما شاء الله[٥]، فنظروا إلى راكب قد أقبل كأنه يريدهم، فلما انتهى إليهم، فإذا هو عدي بن حاتم[٦]، وهو راكب بعيراً، قارنٌ جملاً أسود، وقد قرنه بحبل يقوده[٧]، (١٣٩ و /) حتى إذا دفع إليهم قال: إنكم القوم الذين نزلوا بقبر حاتم؟ قالوا: نعم. قال: فأيكم أبو الخيبزي؟ قالوا: هذا. قال: إن حاتماً أتاني في منامي، فذكر لي تنقّصك له، وشتمك إياه، وأخبرني: انه قرى راحلتَك أصحابك[٨]،

(١) كذا في ديوانه ٣٠ (لندن) وفي المصادر الأخرى: أنصاب متقابلات . . . نساء نوائح.
(٢) كذا في الأغاني، وفي ب: جعفر، وفي الشعر والشعراء: أبا عدي. وابن عساكر: أبا العجراء.
(٣) في الأغاني: وثب فجعل يصيح.
(٤) مرسوس: من رس الميت أي قبر.
(٥) في الأغاني: ثم أردفوه وانطلقوا فساروا . .
(٦) في الأغاني: راكباً قارناً جملاً أسود فلحقهم.
(٧) في ب: القوم.
(٨) في الأغاني: راحلتك لأصحابك. وفي الشعر والشعراء: قراك وأصحابك راحلتك.

وأنشدني في النوم أبياتاً، وردّدها عليّ مراراً حتى حفظتها عنه، وقد أخلفك مكان راحلتك هذا الجمل الأسود، فاقتعده.

فقالوا: أنشدنا ما قال من الشعر، وما حفظت عنه. فأنشدهم[1]:

أبـــا خيبـــريّ وأنـــت امـــرؤ ... ظلـــوم العشيـــرة شتّـــامهـــا[2]
مـــاذا أردتَ إلـــى رِمّـــة ... بـــداويـــةٍ صَخِـــبٍ هـــامهـــا[3]
تبغـــي أذاهـــا وتغتـــابهـــا ... وحـــولـــكَ غـــوثٌ وأنعـــامهـــا[4]
وإنـــا لنُطعـــم أضيـــافنـــا ... مـــن الكُـــوم بـــالسيـــف نعتـــامهـــا[5]

الكوم: الإبل العظام الأسنمة.

وأخذ أبو الخيبري من عدي الجمل واقتعده.

● ٢٧٦ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال[6]:

اجتمع عند معاوية بن أبي سفيان جماعة، فتذاكروا الجود والسخاء، فقال رجل من القوم: أجود الناس حيًّا وميّتاً حاتم. قال معاوية: فكيف ذلك؟ فوالله إن الرجل من قريش ليعطى في مجلس واحد ما لم يكن حاتم يملك مثله ولا قومه.

فقال الرجل: أخبرك يا أمير المؤمنين بجود حاتم، إما حيًّا فقد بلغك وإما ميتاً، فإنّ نفراً من بني أسد مروا بقبر حاتم مسافرين (١٣٩ ظ /) ورئيسهم رجل يكنى أبا الخيبري، فنزلوا بقبره معرّسين وقالوا: والله لنبخلنّه، ولنخبرن العرب أنا نزلنا بحاتم فسألناه القِرى فلم يقرنا، وأرادوا عيبه وتهجينه، فجعلوا ينادونه في سواد الليل: أيا

---

(١) الأبيات في ديوانه ص ١٢٠.

(٢) في الديوان: أبا الخيبري وفي ب: لوّامها.

(٣) في ابن عساكر: تبغي لي الذنب عند المبيت وحولك طيء وأنعامها في الديوان بدوية: وفي الأغاني: ببادية، وتاريخ دمشق: أتيت بصحبك تبغي القرى.

(٤) في الديوان والأغاني: تبغي أذاها واعسارها.

(٥) في ابن عساكر: فإنا سنشبع أضيافنا. ونأتي المطي فنعتامها.

(٦) الحادثة في الأغاني ١٧/ ٣٩٢. إلا أنه ذكر البيت الأول فقط.

حاتم ألا تقري أضيافك، فإذا هم بصوت منادٍ في جوف الليل:

أبـــا الخيبـــري وأنـــت امـــرؤ ظلـــوم العشيـــرة لـــوّامهـــا[1]
مـــاذا أردتَ إلـــى رمّـــة بـــداويـــةٍ صَخِـــبٍ هـــامهـــا
تبغـــي أذاهـــا وتغتـــابهـــا وحـــولـــكَ غـــوثٌ وأنعـــامهـــا[2]
وإنـــا لنطعـــم أضيـــافنـــا مـــن الكـــوم بـــالسيـــف يعتـــامهـــا

فهبّوا من الليل ينظرون، فوجدوا ناقة أحدهم تكوس عقيراً[3]، فعجب معاوية من حديثه، ومن كان معه[4].

● ٢٧٧ ـ قال أبو عبد الله الزبير[5]:

العرب تتحدث بأشياء هي عندها صحيحة، وقد نطقت بذلك أشعارها، وتمثلت به ولا تكاد النفس تصدّق بها، وأحسب أمرَ حاتم حيلةً من ورثته ونسبوه إليه، والله أعلم، أو من الجنّ، وهو عندي أشبه، وقد[6] كان حاتم شاعراً وجواداً، وكان شعره يشبه جوده، وكان حيث ما نزل لم يخفَ منزله[7]، لبذله الطعام، وكان شجاعاً مظفراً كريماً، وآلى[8] أن لا يقتل واحدَ أمه، ولا يأسره، من ذلك قوله:

(١٤٠ و /)

أمـــاويّ إنـــي رُب واحـــدِ أُمـــه أجـرتُ فـلا قتـلٌ عليـه ولا أَسـر[9]

وكانت قدوره التي يطبخ فيها الجُزر من نحاس عظاماً لا تزول عن الأثافي[10]،

---

(١) في ب: خيبري. وفي الديوان والأغاني: شتامها.
(٢) في الديوان: تبغي أذاها واعسارها.
(٣) في الأغاني: تكوس على ثلاثة أرجل عقيراً. وتكوس: تمشي على ثلاث قوائم.
(٤) في الأغاني: فعجب القوم من ذلك جميعاً.
(٥) سقطت كلمة (الزبير) من ب.
(٦) ورد هذا النص في الأغاني عن ابن الأعرابي ١٧/ ٣٦٦.
(٧) في الأغاني: عرف منزله.
(٨) في الأغاني: وأقسم.
(٩) في الأصل: أما وأبي إني. تحريف. وهو من قصيدة طويلة في ديوانه ٨٤.
(١٠) ذكر ذلك ابن قتيبة في الشعر والشعراء أيضاً ص ١٦٥.

ولها أسماء، فاسم إحداهن ثفال، والأخرى مشبعة، والأخرى ربلة، والأخرى هواد.

وكان إذا أهلّ الشهر الأصمُّ، وهو رجب، الذي كان[1] مضر تعظّمه في جاهليتها، كان ينحر كل يوم جزوراً، ويطعمها الناس ويجتمعون إليه فيه[2].

وكانت[3] أمه النوار[4]، رأت في منامها، وهي حامل به، فقيل لها: غلام سمح يقال له حاتم الأقل ـ أي يكون واحداً في جوده ـ أحبُّ إليكِ، أم غلمة عشرة كالناس، ليوث ساعة البأس، ليسوا بأوغال، ولا أنكاس؟

قال أبو عبد الله: الأوغال: الذين يدخلون مع القوم من غير أن يُدعوا، فيشربون. والأنكاس: الجُبن الضعاف.

فقالت: بل حاتم أحبّ إلي، فولدت حاتماً، فلما شبّ وترعرع أقبل يخرج بطعامه، فإن وجد أحداً يأكل معه أكل، وإن لم يجد أحداً يأكله معه ألقاه.

فلما رأى ذلك أبوه من فعله، وأنه يبدّد طعامه قال له: إلحق بالإبل، فخرج إليها ليقوم في رعيها، ووهب له أبوه جارية وفرساً وفلوها، وكان اسم أبيه عبد الله، فلما أتى الإبل، وصار فيها، طفق يلتمس الناس ليُقريهمْ فلا يجدهم، ويأتي الطريق فيقف عليها، فلا يجد عليه أحداً، فبينا هو في تلمسه الناس إذ بصر بركبٍ مقبلين، فأتاهم، فلما بصروا به قالوا: يا فتى هل من قِرى؟ قال: أتسألونني القِرى وقد ترون الإبلَ؟! نعم وكرامةً (١٤٠ ظ /) انزلوا، وكانوا ثلاثة نفر يريدون النعمان بن المنذر بالحيرة، وهم: عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم الأسديّان، وزياد بنْ جابر[5]

---

(١) في ب: كانت.

(٢) النص في الأغاني أيضاً ١٧/ ٣٦٦.

(٣) النص في الأغاني أيضاً.

(٤) هذا وهم. لأن أمه عتبة في جميع المصادر. الشعر والشعراء والأغاني. ومجمع الأمثال ١٦٧. وخزانة الأدب ٤/ ١٦٦. ونوار امرأته في الشعر والشعراء ١٦٦ وصاحب الأغاني لم يذكر أيا من هذين الاسمين في هذه القصة حين رواها.

(٥) لم أر أحداً سمى أباه جابراً غير الزبير. فأبوه في جميع المصادر القديمة والحديثة معاوية. (انظر ابن سلام ٤٣ وابن قتيبة ٩٢ والأغاني ٩/ ١٦٢).

القيسي، وهو النابغة نابغة بني ذبيان[1] فنزلوا فانتحرَ لهم ثلاثة جُزر[2]، لكل واحد منهم جزوراً، فقال عبيد بن الأبرص: إنما سألناك القِرى اللبن، والذي كنا نكتفي به بكرة إذا كنتَ لا بدّ أردت بقِرانا الطعام.

قال حاتم: قد عرفت ذلك ولكني رأيت وجوهاً لا يشبه بعضها بعضاً، وألواناً مختلفة، فظننتُ الأنساب مفترقة، والبلد غيرَ جامع لكم، فأحببتُ أنْ يذكر كلُّ رجل منكم إذا هو أتى قومه ما رأى، فإن مرَّ بي نزل.

فلما أكلوا وشربوا من اللبن وشبعوا وارتووا، قال عبيد بن الأبرص فيه شعراً يمتدحه فيه، فيذكر حسن فِعاله، وحسن إضافته إيّاهم، وقال بشر بن أبي خازم أيضاً يمتدحه، وقال النابغة أيضاً يمتدحه. فلما سمع ما قالوا قال[3]: إنما أردتُ إكرامكم والإحسانَ إليكم فلكم الآن الفضل، أقسمُ بالله لأضربنّ عراقيبها من آخرها أو تقوموا إليها فتقسموها، بينكم أثلاثاً على ما أحببتم، فقاموا إليها فاقتسموها فأصاب كلَّ رجل منهم تسعٌ وثلاثون[4] ناقة، ومضوا في سفرهم، حتى وصلوا إلى النعمان بالحيرة، وإنّ أبا حاتم عبد الله بلغه ما فعل حاتم بالإبل فأتاه فقال له: يا بني ما فعلتَ بالإبل؟ قال: يا أبت طوّقتَ [بها][5] طوقَ الحمامة، وحويتَ بها مجد الدهر، لا يزال رجل يحمل فينا بيت شعر بمكان إبلك[6]. (١٤١ و /).

قال: أبإبلي أردتَ المجدَ؟ قال حاتم: نعم. فقال أبوه: واللّهِ لا أسكن معك في بلد أبداً.

قال حاتم: إذاً واللّهِ لا أبالي ذلك. فخرج أبوه وترك حاتماً ومعه جاريته وفرسه وفلوها، وأقبل ركبٌ من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان بن المنذر، فلقوا حاتماً،

---

(١) الثلاثة شعراء جاهليون معروفون.

(٢) في الأغاني ثلاثة من الإبل.

(٣) في الأغاني: أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل علي.

(٤) في الأغاني: فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً.

(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من الأغاني.

(٦) في الأغاني: طوقتك بها طوق الحمامة مجد الدهر، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى علينا عوضاً من إبلك.

فقالوا: إنا تركنا قومنا يثنون عليك، وقد أرسلوا معنا إليك برسالة. قال: وما هي؟ فأنشده الأسديّون شعراً لعبيد بن الأبرص ولبشر بن أبي خازم الأسديين[١] يمتدحانه فيه، وأنشد القيسيون شعر النابغة يمتدحه فيه، فلما أنشدوه قال: حاجتكم؟ قالوا: إنَّ لنا لحاجة. قال حاتم: وما هي؟ قالوا: صاحب لنا قد أرجل، وإنا لنراك معسراً من المال ـ يعنون من الإبل ـ فقال حاتم: خذوا فرسي هذه فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوها، فعمدت الجارية إلى فلوها فربطته بثوبها، كي لا يتبع أمّه، فأفلت وتبعَ أمه، فاتّبعته الجارية لتردّه، فقال حاتم: ما لحقكم من شيء فهو لكم فذهبوا بالفرس وفِلوها وبالجارية، ومضوا في مسيرهم ذلك فمرّوا بعبد الله أبي حاتم، فعرف الفرس وفلوها والجارية، فقال: من أين أصبتم هذا الذي معكم؟ ومَنْ أعطاكم؟ قالوا: مررنا بفتى كريم جواد وسيم، فسألناه فأعطانا، وأعطانا[٢] ما لم نسأله.

قال: وأين تركتموه؟ قالوا: بموضع كذا وكذا سالماً[٣].

وقال حاتم في مسير أبيه وتحوله عنه، وما صنع بالإبل[٤]: (١٤١ ظ /)

وإنــي لَعــفٌّ الفقــر ملتمــس الغنــى
وتــاركُ شكــل لا يــوافقــه شكلــي

وشكلــيَ شكــلٌ لا يقــوم بمثلــه
مــن النــاس إلاّ كــلّ ذي ثقــة مثلــي[٥]

ولــي نيقــة فــي المجــد والبــذل لــم يكــن
تــأنقهــا فيمــن مضــى أحــدٌ قبلــي[٦]

وأجعــل مــالــي دون عِــرضــي جُنّــةً
لنفســي وأستغنــي بمــا كــان مــن فضلــي

---

(١) في الأصل الأسديون. تحريف.
(٢) سقطت كلمة (وأعطانا) من ب.
(٣) في ب: نائماً.
(٤) الأبيات في ديوانه ١٠٥ والأغاني.
(٥) في الديوان والأغاني: نيقة مثلي.
(٦) سقط البيت من الأغاني. وفي الديوان: لم تكن. والنيقة: التأنق في الملبس.

ومـا ضـرّنـي إن سـار سعـدٌ بـأهلـه
وأفـردنـي فـي الـدار ليـسَ معـي أهلـي
سيكفـي ابتنـائـي المجـدَ سعـدَ بـن حشـرج
وأحمـل عنكـم كـلَّ مـا ضـاع مـن ثِقـل[١]
ولـي مـع بـذلِ المـالِ والجـود صـولـة
إذا الحـربُ أبدت عـن نـواجـذهـا العُصـل[٢]

● ٢٧٨ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال[٣]:

اجتمع عند معاوية بن أبي سفيان قوم فتذاكروا ملوك العرب حتى ذكروا الزبّاء بنت عفزر، فقال معاوية: إني لأحبّ أن أسمع حديث حاتم طيىء وماوية بنت عفزر، وكانت تلقّب بالزباء، وكان اسمها ماوية.

فقال رجل من القوم: أفلا أحدّثك يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى.

قال: فإن ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج من أرادت، وأنها بعثت غلماناً لها، وأمرتهم أن يأتوها بأوسم مَن يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم، فقالت له: استقدمْ إلى الفراش، فقال: حتى أنبئك بحالي. فقعد على الباب، فقال: إني أنتظر صاحبين لي. فقالت: دونك فاستدخل المِجمر.

فقال حاتم: استي لم تُعوَّد المجمر. فأرسلها مثلاً (١٤٢ و /) وارتابت به، وسقته خمراً، فجعل يهريقه تحت الباب ولا تراه، تحت الليل. ثم قال: ما أنا بقارٍ ولا ذائق خمراً[٤] حتى أنظر ما فعل صاحباي. فقالت: إنّا سنرسل إليهما بقِرى.

---

(١) في الديوان: كل ما حل من أزلي. وسعد بن الحشرج جد الشاعر. ونصبه على النداء ويقول شيخو: وهذا الشعر يدل على أن جده صاحب هذه القصة معه لا أبيه.
(٢) في الأصل: مع بذلي المال. العصل: المعوجة مع صلابة.
(٣) الحادثة في الأغاني ١٧/ ٣٨٠ وابن قتيبة ١٦٦ (مختصرة) وشعراء النصرانية ١/ ١٠٧.
(٤) في الأغاني: ما أنا بذائق قرى ولا قار.

فقال: ليس بنافعي شيئاً[١] حتى آتيهما[٢]، فأتاهما، فقال: أفتكونان عبدين لابنة عفزر يرعيان عليها[٣] أحبّ إليكما أم تقتلكما؟

فقالا: كلّ هذا نقصُّه، أي نتّبع أثره، ولَبعض الشر أهون من بعض.

فقال حاتم: فشأنكما والرحيل والنجاء في البلاد عنها هرباً، فأنشأ حاتم يقول في ذلك يذكرها في شعره وما حبس نفسَه عن الريبة، وإنه عفيف ليس ممن يأتي الريب. وابنة عفزر كانت بالحيرة، وكان النعمان من يأتيه يريد كرامته أنزله عليها فقال[٤]:

حنّت إلى الأجبال أجبال طيءٍ
وجنّت جنوناً أن رأت سوط أحمرا[٥]

أحمر: قال عمي: رجل من العرب كان يسوق لحاتم إذا وفد إلى الملوك، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: أحمر: اسم رجل كان يعمل السياط في الجاهلية.

فقلت لها: إن الطريق أمامنا ... وإنا لمحيُو أرضنا إن تَيسَّرا[٦]
فيا أخوينا من جديلة إنما ... تُسامان ضيماً مستبيناً فتنظرا[٧]
فما نكراه غير أنّ ابنَ مِلقَط ... أراه وقد أعطى المقادة أوجرا[٨]
وإني لمزجاء المطيّ على الوجا ... وما أنا من خِلّانكِ ابنةَ عفزرا[٩]
وما زلتُ أسعى بين نابٍ ودارة ... بلَحيان حتى خِفتُ أنْ أتنصّرا[١٠]

---

(١) في ب: شيء. تحريف.

(٢) في الأغاني: أو آتيهما.

(٣) في الأغاني: ترعيان غنمها.

(٤) ديوانه ص ٨١ والأغاني ١٧/ ٣٨٠.

(٥) في ديوانه ط الأهلية. وط عطوي والأغاني:
حننت إلى الأجبال أجبال طيء ... وحنت قلوصي إن رأت سوط أحمرا

(٦) في الأصل: محيّوا ربنا وفي الديوان والأغاني: لمحيو ربعنا.

(٧) في الديوان والأغاني: فيا راكبي عليا جديلة ..

(٨) في المصادر السابقة: أعطي الظلامة. وأوجر: خائف.

(٩) في المصادر السابقة: لمزج للمطي.

(١٠) في هامش الأصل: بلحيان قصر بالحيرة.

(١٤٢ ظ /)

وحتى حسبتُ الليل والصبح إذ بدا حصانين مشتالين جوناً وأشقرا[١]
وإني لوهّابٌ قطوعي وناقتي إذا ما انتشيت والكميتَ المصدرا[٢]
لَشِعبٌ من الريّان أملكُ بابه أنادي به أهل الكبير وجعفرا[٣]
أحبُّ إليّ من خطيبٍ لقيته إذا قلتُ معروفاً له قال منكرا[٤]
تُنادي إلى جاراتها: إنّ حاتماً أراه لعمري بعدنا قد تغيّرا
تغيّرتُ إني غيرُ آتٍ دنيّة ولا قائل يوماً لذي العُرف منكرا
رأتني كأشلاء اللجام ولن ترى أخا الحرب إلاّ ساهم الوجه أغبرا[٥]
أخا الحرب إن عضّت به الحرب عضّها وإن شمّرت عن ساقها الحربُ شمّرا[٦]
متى تبغِ ودّاً من جديلةَ تلقه مع الشن منه باقياً متأثرا
فإلاّ يعاودنا جَهاراً نلاقهم لأعدائنا ردءاً دليلاً ومنذرا[٧]
فلا تسأليني واسألي أيَّ فارس إذا الخيل جالت في قَناً قد تكسرا
ولا تسأليني واسألي [بيَ][٨] صحبتي إذا ما المطيّ بالفلاة تَضوّرا
ولا تسأليني واسألي أيّ ياسرٍ إذا ورقُ الطلح الطوال تحسّرا[٩]
فلا هي ما ترعى جميعاً عِشارها ويُصبح ضيفي ساهم الوجه أغبرا
متى ترني أمشي بسيفيَ وسطها تَخفني وتُضمر بينها أن تُجزَّرا

---

(١) في الأغاني والديوان: سيالين.
(٢) انفرد الزبير بن بكار وابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/١٦٩ برواية هذا البيت. وفي هامش الأصل: المصدّر: المرتفع الصدر.
(٣) في الديوان: آل الكبير.
(٤) في الديوان والأغاني: خطيب رأيته . . تبدل منكرا.
(٥) في المصادر السابقة: وإني كأشلاء. وأشلاء اللجام: سيور اللجام القديمة.
(٦) في المصادر السابقة: أخو الحرب.
(٧) في الأغاني: فإلا يفاذونا.
(٨) سقطت (بي) من الأصل.
(٩) في الديوان: أي فارس.

أي لا تخترط من الفرق[1].

إذا حـال دونـي مـن سُـلامـان رملـةٌ وجـدتُ تـوالـي الـوصـل عنـديَ أبتـرا

● ٢٧٩ ـ قال أبو عبد الله الزبير[2]:

إن حاتماً دعته نفسه إليها بعد انصرافه من عندها فأتاها فخطبها، فوجد عندها النابغة الذبياني (١٤٣ و /) ورجلاً من الأنصار من النَبيت، وهم من الأوس فقالت: انقلبوا إلى رحالكم، وذكر الحديث[3].

● ٢٨٠ ـ وقال غير أبي عبيدة فيما حدّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح قال: حدّثني جماعة من علماء طيىء قالوا:

كانت امرأة يقال لها: ماوية نذرت نذراً، لا يخطبها كريم إلاّ تزوجته، ولا يخطبها لئيم إلاّ جدعته، فتناذرها[4] الناس، فقدم عليها من الجبلين، جبلي طيىء، أوس بن حارثة بن لأم الجديلي[5]، وزيدُ الخيل النبهاني[6]، وهو رجل من طيىء، وحاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم، واسمه هزومه، وهو ابن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء، فقالت: ما جاء بكم؟ قالوا: أتيناك خُطّاباً.

قالت: وما الذي قد بلغ من فِعالكم أن اجترأتم على خُطبتي؟

فقال أوس بن حارثة: إني أَخذت ذات يوم من شاربي، فقالت لي سعدى أمي: إن لأخذك من شعر شاربك عليك حقاً، فتلقّطت ما كان سقط من شعر شاربي،

---

(١) سقط التعليق من ب.

(٢) سقطت كلمة (الزبير) من ب.

(٣) تكملة الحديث في الأغاني ١٧/٣٨٢. وسيأتي على تمامه الزبير بعد قليل أيضاً.

(٤) في ب: فتبادرها.

(٥) كان أوس بن حارثة سيداً مقدماً معروفاً بالكرم. الكامل ١/١٩٨.

(٦) هو زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب الطائي: شاعر جاهلي فارس مغوار مظفر شجاع بعيد الصيت. أدرك الإسلام ووفد إلى الرسول ﷺ سمي زيد الخيل لكثرة خيله: الأغاني ١٧/٢٤٦. وقد صنع ديوانه أخونا الدكتور نوري القيسي.

فأعتقتُ بكل شعرة سبية من العرب.

ولي أربعة آباء قد ربعوا الغوث وجديلة، ولي أربعة بنين كلهم مني خَلف.

قالت: أمسك. ثم أقبلت على زيد الخيل، فقالت: ما الذي جرّأكَ على خطبتي؟

قال: أنا زيد الخيل، وباسمي تَغير طيىء على العرب (١٤٣ ظ /)، ولي مرباع كلّ غارة، أخذتُ طريقي، ولم ألاحِ جاهلاً، ولم أمنع سائلاً. قالت: أمسك.

ثم أقبلت على حاتم فقالت: ما الذي جرّأك على خطبتي؟ قال: أنا حاتم طيىء الثعلي، وفدتُ على الحيّين: الغوث وجديلة، وأنهبت مالي ثلاث عشرةَ مرّة. حكّمتني طيىء في أموالها.

فقالت: قولوا شعراً، واذكروا فيه كريم فِعالكم ما يصدّق فيه قولكم، وائتوني به. فقال زيد الخيل[١]:

هلاّ سألتِ بني نبهانَ ما حسبي ... عند الطعان إذا ما احمرّت الحدَق
وآبت الخيلُ مبتلاّ سوالفها ... بالماء يسفح من لبّاتها العرَق[٢]
قد أطعنُ الفارس الحامي حقيقته ... نجلاء يذهب فيها الزيت والخرَق[٣]
وأطعن الكبشَ والخيلان واقفة ... يوم الأكُس به من نجدةٍ رَوَق[٤]

الكسّ: القصير الأسنان، والروق: الطول في الأسنان.

والخيلُ تعلم أني كنت فارسها ... والهامُ منا ومن أعدائنا فلَق[٥]

---

(١) النص في ديوانه ٧٦. وفيه مصادره كاملة.

(٢) في الديوان: وجاءت الخيل محمراً بوادرها. اللبه: وسط الصدر.

(٣) في الديوان: يهلك فيها الريب والحزق.

(٤) في الديوان:
والخيل تعلم أني كنت فارسها ... يوم الأكس به من نجدة روق

(٥) في الديوان:
وأضربُ الكبش والخيلان جانحة ... والهام منا ومن أعدائنا فلق

إذ قال أوسٌ أما من طيءٍ رجلٌ ... يحمي الذمار وبيضُ القوم تأتلق
والجار يعلم أني غير خاذله ... إن ناب دهر لعَظم الجار معترق[1]
إذ لا أرى المال ربّاً بل أرى غَبناً ... بُخلا به ومنايا القوم تعتلق[2]
هذا رضائي فإن ترضى فراضيةٌ ... أو تسخطي فإلى مَن تُعطف العنق[3]

فقال أوس: والله يا زيد لقد أطريتَ نفسك بالثناء، وخصصتها بالكرم، ولستُ أقول مثل مقالتك، ولكني أقول: (١٤٤ و /)

أماويَّ لم يخطبك من حيّ مذجحٍ ... كأوس بن لأم أو كزيد وحاتم
فإن تنكحي زيداً ففارس طيّء ... إذا الحرب يوماً أقعدت كل قائم
ومعقل نبهان الذي يُتّقىٰ به ... ردىٰ الدهر عند الحادث المتفاهم
وإن تنكحي ماوية الخير حاتماً ... فما مثله فينا ولا في الأعاجم
فتى لا يزال الدهرَ أعظم همّه ... فِكاك أسير أو معونة غارم
رأى أن ما يبقى من المال هالك ... فأعطى ولم يحفل ملامة لائم
وإنْ تنكحيني تنكحي غير فاحش ... ولا حافرٍ جرف العشيرة هادم
ولا متّقٍ يوماً إذا الحرب شمّرت ... بأنفسها نفسي فِعالَ الأشائم
وإن طرق الأضياف ليلاً وعرّسوا ... وجدتِ ابن سُعدى بالقِرى غير عاتم[4]
فأي امرىءٍ أهدى لك الله فاقبلي ... فإني كريمٌ من عروق الأكارم

وقال حاتم طيىء في ذلك:

سَلي الأقوام يا ماويَّ عني ... وإنْ تسأليهم فاسأليني
تخبرك المعاشر والمصافي ... وذو الرحم الذي قد يجتديني
بأني لا يَهرُّ الكلب ضيفي ... ولا تُقضى نجيُّ القوم دوني

(١) معترق: قد أكل ما على العظم من اللحم.
(٢) في الديوان: إذ لا أرى المال رباً بل أرى عتباً.
(٣) في الديوان: هذا الثناء.
(٤) عاتم: محتبس ومبطىء.

أي لا يتناجون في الأمر من غير أنْ أشهدهم[1].

ولا أعتـــلُّ مـــن قَنـــع بمنـــع إذا نـــابـــت نـــوائـــب تعتـــرينـــي

(١٤٤ ظ /) القنع: الطعام الكثير[2].

وإنـــي قـــد علمـــت إزاءُ طـــيٍّ وتـــأبـــى طـــيٌّ أن تستطينـــي

إزاؤها: القائم بأمرها[3].

إذا عـــوراء مـــن جنـــبٍ أتتنـــي عـــن الأذنيـــن قلـــت لهـــا أنفُـــذينـــي

الجنب: البعيد، ويقال: القريب.

عُنيـــتُ بهـــا كـــأنْ قيلـــت لغيـــري ولـــم يعـــرقْ لهـــا منّـــي جبينـــي[4]

إذا أنـــا لـــم أرَ ابـــن العـــمِّ فـــوقـــي فـــإنـــي لا أرى ابـــن العـــمِّ دونـــي

ومـــن كـــرمٍ يجـــور علـــيّ قـــومـــي وأيُّ الـــدهـــر ذو لـــم يحســـدونـــي

وذو الـــوجهيـــن يلقـــانـــي طليقـــاً وليـــس إذا تغيَّـــب يـــأتلينـــي[5]

بصُـــرتُ بعينـــه فصفحـــت عنـــه محـــافظـــةً علـــى حسَبـــي وديـنـــي[6]

وليســـت شيمتـــي شتـــمُ ابـــن عمّـــي ولا أنـــا مخلـــفٌ مَـــنْ يـــرتجينـــي[7]

فأطرقت ماوية طويلاً تفكّر في مدحهم أنفسهم، لا تجيبهم، ثم دفعت رأسها فقالت: انصرفوا حتى أفكّر في نقائبكم وتطريتكم أنفسكم، فانصرفوا عنها.

ثم[8] إنّ حاتماً دعته نفسه بعد انصرافه أنْ يرجع إليها، فرجع إليها فخطبها إلى

(١) سقط الشرح من ب.
(٢) سقط السطر من ب.
(٣) سقط السطر من ب.
(٤) البيت في ديوانه ١٢١ وصدره فيه: وعابوها عليّ، فلم تعبني.
(٥) البيت في الديوان أيضاً وفيه: وذي الوجهين ... يأتسيني.
(٦) البيت في الديوان. وفيه: نظرت بعينه فكففت عنه.
(٧) البيت في ديوانه. وفيه: وما من شيمتي.
(٨) حادثة رجوعه إليها في الأغاني ١٧/ ٣٨٢ والشعر والشعراء ١٦٧.

نفسها، فوجد عندها النابغة ورجلاً[1] من الأنصار من النبيت، وهم قبيلة من الأنصار. قالت لهم: انقلبوا إلى رحالكم وليقل كلُّ رجل منكم شعراً يذكر حُسن فعاله وكرمه، وخلائقه ومنصبه، فإني لا أتزوج إلاّ أكرمكم حسَباً، وأعلاكم منصباً، وأشعركم شعراً[2] فانصرفوا، ونحر كلٌّ واحدٍ منهم جزوراً، وبلغ ماوية ذلك، فلبست ثياباً لأمةٍ لها واتبعتهم، فأتت النبيتي متنكّرة[3]، واستطعمته من جزوره فأطعمها ثيلَ جزوره[4]، والثيل: القضيب. فأخذته.

ثم انتهت إلى النابغة، نابغة بني ذبيان، فاستطعمته، فأطعمها ذنَب جزوره، فأخذته، ثم أتت حاتماً، فوجدته قد نصب قدره، فاستطعمته، فقال لها: اصبري أعطيك ما يبهجك[5]. فانتظرت حتى بلغت قدوره، فأطعمها من عَجُز الجزور، وقطعةً من السنام، ومثلها من المِخدش، وهو عند الحارك[6]. ثم انصرفت، وأهدى كل رجل منهم إليها ظهر جمله، وأهدى إليها حاتم مثل ما أهدى إلى جاراته[7]. وكان حاتم إذا هو نحر وأطبخ لا يَدَع جاراته إلا بهديّة، وصبّحوها جميعاً. فاستنشدتهم، فأنشدها النبيتيّ:

هلا سألتِ بني النبيت ما حسَبي[8] عند الشتاء إذا ما هبّت الريح
وردّ جازرُهم حرفاً مصرّمة[9] في الرأس منها وفي الأطلاء تمليح
وقال رائدهم سِيّانَ مالهم مثلان مثلٌ لمن يرعى وتسريح

الصرار: الذي يُشدُّ على ظهر الناقة ليصرَّ لبنها في ضرعها ليجتمع محفوظاً.

---

(١) في الأصل: ورجل، تحريف.
(٢) في الأغاني: فإني أتزوج أكرمكم وأشعركم.
(٣) سقطت كلمة (متنكرة) من المصدرين السابقين.
(٤) في المصدرين السابقين: ثيل حمله.
(٥) في المصدرين السابقين: قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به.
(٦) الحارك: أعلى الكاهل. وعظم مشرف من جانبيه، والمخدش: الكاهل.
(٧) في الأغاني: وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها.
(٨) في الشعر والشعراء: هلا سألت ـ هداك الله ـ ما حسبي. وفي الأغاني: النبتيين.
(٩) الحرف: الناقة المهزولة. مصرمة: معظمة.

إذا اللقاح غدت ملقىً أصرّتها[١] ولا كريمَ من الولدان مصبوح

فقالت: لقد ذكرت مكرمةً[٢] إنْ صدَّق قيلَك فعلُك.

ثم استنشدت النابغة، فأنشدها يقول[٣]:

هلّا سألتِ بني ذبيان ما حسبي إذا الدخان تغشّى الأشمط البَرَما[٤]

البَرم: الذي لا يدخل مع القوم في أيسار جزورهم، وجمعه أبرام[٥].

وهبّت الريح من تلقاء ذي أرلٍ تُزجي مع الليل من صُرّادها صِرَما[٦]
إنـي أسامح أيسارى وأمنحهم مثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدما[٧]

(١٤٥ ظ /) فلما أنشدها، قالت: ما ينفكُّ الناس بخير ما حييتَ لهم، ثم قالت لحاتم: يا أخا طيىء أنشدني، فأنشدها[٨]:

أماويّ قد طال التجنُّب والهجر وقد عذرتني في طِلابكمُ العذر
أماويّ إما مانع فمبيّنٌ وإما عطاءٌ لا ينهْنِهُهُ الزجر[٩]
أماويّ إني لا أقول لسائل إذا جاء يوماً: حلَّ في مالنا نذْر[١٠]
أماويّ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق به الصدر[١١]
أماويّ إن يُصبح صدايَ بقفرة من الأرض لا ماء لدي ولا خمر[١٢]

---

(١) أصرة: جمع صرار الذي شرحه في النص.

(٢) في الأغاني: مجهدة.

(٣) ديوان النابغة ص ٦٦ (الأهلية بيروت).

(٤) الأشمط: الذي خالطه الشيب.

(٥) سقط هذا السطر من ب.

(٦) أرل: جبل بأرض غطفان. والصراد: سحاب لا ماء به. صرم: واحدها صرمة وهي قطع السحاب.

(٧) في الديوان والأغاني وابن قتيبة: إني أتمم. وأيسار: مقامرون.

(٨) ديوانه ٨٣.

(٩) في ب: منهنهة.

(١٠) في الديوان: نزر.

(١١) في الديوان: حشرجت نفس.

(١٢) في الديوان: ماء هناك ولا خمر.

تَري أنّ ما أنفقتُ لم يكُ ضرّني[1] … وأنّ يدي مما بخلتُ به صِفر

أماويَّ إني رُبَّ واحدِ أمه … أجرتُ[2] فلا قتل عليه ولا أسر

وقد علم الأقوام لو أنّ حاتماً … أراد ثراءَ المال كان له وَفر

وإنيَ لا آلو بمالي صَنيعة … فأوّلُه زادٌ وآخرُه ذُخر

يُفكّ به العاني ويؤكل طيّباً … وما إنْ تعرّته القِداح ولا الخمر[3]

ولا ألطمُ ابنَ العمّ إن كان إخوتي[4] … شهوداً وقد أودى بإخوته الدهر

ولا آخذ المولى لسوء بلائه … وإن كان محنوّ الضلوع على عمر[5]

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى … وكلاًّ سقاناه بكأسيهما الدهر[6]

فما زادنا بغياً على ذي قرابة … غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

إذا أنا دلاّني الذين أحبهم … لملحودةٍ، زُلجٍ جوانبها غُبر[7]

(١٤٦ و /)

وأثنوا بما قد يعلمون وغَيره … وما إنْ ندى ما ترين ولا سُخر[8]

وقاموا على أرجائه يدفنوني … يقولون: قد أودى السماحة والذكر

وراحوا سِراعاً ينفضون أكفّهم … يقولون: قد أدمى أظافرنا الحفر[9]

إذا المرء أثرى ثم لم يكُ ماله … غنىً لأدانيه فحالفه العسر[10]

---

(١) في ب: ضائري.

(٢) في الأغاني: أخذت.

(٣) في الديوان: تعريه.

(٤) في الديوان والأغاني: ولا أظلم.

(٥) البيت ليس في ديوانه ولا في الأغاني. ولكنه في ابن عساكر. وفيه ولا أخذل. وفي البيت أقواء.

(٦) سقط البيت من ب. وهو في الديوان (جميع الطبعات مع اختلاف بالرواية).

عنينا زماناً بالتصعلك والغنى … كما الدهر في أيامه العسر واليسر

لبسنا صروف الدهر لينا وغلظة … وكلا سقاناه بكأسيهما الدهر

(٧) الملحودة: القبر. الزلج: المزلقة والصخرة الملساء.

(٨) البيت ليس في ديوانه ولا في أي مصدر ذكر النص، وكذا ما بعده.

(٩) في الديوان: راحوا عجالا . . قد دمّى.

(١٠) البيت ليس في الديوان ولا في المصادر الأخرى.

فلما فرغ حاتم من إنشاده الشعر، دعت لهم بالغداء، وقد كانت أمرت إماءها أن يقدّمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها حيث استطعمتهم، فقدّم الإماء إليهم ما أمرتهن، فلما وضعن[1] الإماء بين أيديهم ذلك عرف كلُّ رجل منهم ما كان أطعمها، فنكّس النبيتيّ والنابغة رأسيهما[2]، فلما رأى حاتم ذلك رمى بالذي قدّمن الإماء إليهما[3] وقدّم إليهما ما كان بين يديه.

فقالت[4]: إن حاتماً لأكرمكم وأشعركم وأجودكم، رجل كريم النسبة، تعرفه العامة كمعرفة الخاصة، له جودٌ ومعروفٌ وبذلٌ، قد قبلتُ حاتماً، ورضيتُ به، فقاما منصرفين مستحيين، ثم أقبلت على حاتم، فقالت: خلِّ سبيل امرأتك، فأبى أن يفعل، وأبت أن تزوّجه نفسها حتى يطلقها، فانصرف عنها.

ثم دعته نفسه بعد ذلك إلى تزوجها[5]، وحلّت بقلبه، وماتت امرأته، فزوّجته نفسها، فمكثت عنده زماناً، وابن عمٍّ لحاتم يقال له: مالك، قال لها: يا هذه ما تصنعين بحاتم، فوالله لئن ملكَ ليتلفنَّ، وإنْ لم يملك ليتكلفنَّ، ولئن مات ليتركنّ (١٤٦ ظ /) ولدك كَلّاً عليك وعيالاً على قومك، وأنا لكِ ناصح مشفق، ولك محبٌّ وامق، فطلّقي[6]، فأنا أتزوج بكِ، وأنا خيرٌ لك من حاتم، لأني أكثر منه مالاً، وأحسن منه حالاً، وأنا أمسكُ عليكِ وعلى ولدك ما لهم، وتعيشين معي عيشاً رغداً، فمالي لكِ، وأنا قعيد لكِ.

فلم يزل بها حتى طلّقت حاتماً، وقالت: واللّهِ لقد صدقتَ، وإنّ حاتماً لكما ذكرت.

قال أبو عبد الله: وكنّ النساء[7] هن[8] اللواتي يطلقن الرجال في الجاهلية،

---

(١) كذا في الأصل و ب.
(٢) في الأصل: رؤوسهما وفي الأغاني: النبيتي رأسه والنابغة.
(٣) كذا في نسختي المخطوطة وفي الأغاني: بالذي قدّم إليهما.
(٤) لا توجد هذه التفاصيل في الأغاني.
(٥) في ب: من بعد إلى ذلك.
(٦) النص من هنا ورد في الأغاني أيضاً ١٧/ ٣٨٧.
(٧) كذا في المخطوطة.
(٨) سقطت (هن) من ب.

فكان طلاقهن، إن كنّ في بيوت من شَعر أو غيره، حَوّلن بابه[١]، فإذا كان بابه من قِبل المشرق حوّلنه إلى المغرب، وإنْ كان من قِبل المغرب حَوّلنه إلى المشرق، وإن كان من قِبل اليمَن حوّلنه إلى قِبل[٢] الشام، فإذا جاء زوج المرأة ورأى ذلك عرف أنها طلّقته، فيدّع غشيانها، وكانت ماويّة من أجمل نساء زمانها[٣]، فأتاها حاتم فوجدها قد حوّلت خباءها فأنكر ذلك من شأنها، فهبط حاتم إلى بطن وادٍ من الأودية فنزل به، واغتمّ لذلك غمًّا شديداً، ولم تتهيّأ له حيلةٌ فيها[٤].

ودخل بها مالك، وجاء قوم سَفرٌ فنزلوا على باب[٥] الخباء، كما كانوا ينزلون كعاداتهم بحاتم، فما زال قوم ينزلون بعد قوم حتى توافوا قريباً من خمسين رجلاً، فضاقت بهم ماوية ذرعاً، فقالت لجاريتها: اذهبي إلى ابن عمي مالك، فقولي له، إن أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا، وهم في عداد خمسين رجلاً، فأرسل إلينا بنابٍ نُقرِهم (١٤٧ و/) ولبن نغبقهم. والناب: المسنة من الإبل، والغبوق: شرب اللبن بعد العشاء. وقالت لجاريتها: انظري[٦] إلى جبينه وفمه، فإن بادرك بالقول: إي نعم فاقبلي منه، وإن ضرب بلحيته على زَوْره، أو ضرب بيده إلى رأسه، فاقبلي ودعَيه[٧]. قوله لحيته على زوره: المعنى إنْ نكس رأسه وضرب بذقنه على صدره[٨].

فأتت الجارية مالكاً فوجدته متوسّداً وطَباً[٩] من اللبن، وتحت بطنه وطَبٌ آخر، وهو نائم فأنبهته، وبلّغته الرسالة فرفع يده إلى رأسه، فحكّ رأسه بيده، ونكس رأسه مفكّراً، فقالت له الجارية: إنما هي الليلة حتى تعلم الناس بمكان حاتم، ويبلغهم

---

(١) في الأغاني: حولن الخباء.
(٢) سقطت كلمة (قبل) من ب.
(٣) في ب: نسائها. تحريف.
(٤) في ب: فيها حيلة.
(٥) سقطت كلمة (باب) من ب.
(٦) سقطت هذه الكلمة من ب.
(٧) سقط ما بعد (أو) من ب. وفي الأغاني: وأدخل يده في رأسه فاقفلي.
(٨) هذا الشرح جعل في الهامش في نسخة الأصل.
(٩) الوطب: سقاء اللبن.

حاله. فقال: أقرئي على مولاتك السلام، وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلّقي فيه[١] حاتماً، وما عندي[٢] نابٌ مُسنّة قد تركت العمل، فاستحقّت النحر، وما كنتُ لأنحر صغيرةً بشحم كُلاها مقبلة للخير[٣]، وما عندي من اللبن ما يكفي أضياف حاتم.

فرجعت، فأخبرتها بما سمعت منه، وما رأت، وما ردّ عليها، فقالت: ويحكِ اطلبي حاتماً بالوادي، فإنْ وجدتيه فقولي: إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلةَ، وهم يرون أنك في منزلك كما كنتَ، فأرسل إلينا بنابٍ نُقرهم، ولبنٍ نُغبقهم، فإنما هي الليلة حتى يعرفوا حالك. فأتت الجارية الوادي فصرخت به، فسمع صوتها، فقال مجيباً لها: لبيكِ، قريباً دعوتِ، فانتبهت إليه فقالت: إن ماوية تُقرئك السلام وتقول: إن أضيافك قد نزلوا بنا، فأرسل إلينا بناب ننحرها (١٤٧ ظ /) لهم، وبلبنٍ نسقيهم، فأرسل إليها[٤] بناب، ثم قام إلى الإبل فأطلق اثنين من عقلهما، ثم صرخ بهما حتى انتهى إلى الخباء، ثم بادرهما فضرب عراقيبهما، فصرخت ماويّة من داخل الخباء تقول: لِهذا طلّقتك، وقالت: تبذّرُ مالَك وتتلفُ ما في يدك، وتترك ولدك من بعدك كَلاًّ على قومك.

فأنشأ حاتم يقول[٥]:

هل الدهر إلا اليوم أو أمسِ أو غدُ ... كـذاك الـزمـانُ بيننـا يتـردّد

يـردّ علينـا ليلـةً ثـم يـومَهـا ... فما نحن ما نبقى ولا الدهر ينفَدُ[٦]

لنـا أجـل مـا نتنـاهـى أمـامـه ... فنحـن علـى آثـاره نتـورّد[٧]

---

(١) في الأغاني: حاتماً فيه.

(٢) في الأغاني: فما عندي من كبيرة قد ...

(٣) في ب: أراها مقبلة للخير.
وفي الأغاني: لا نحر صفية غزيرة بشحم كلاها.

(٤) وفي الأغاني: فقال: نعم وأبي ثم قام ...

(٥) الديوان ٦٩ والأغاني ١٧/ ٣٨٩.

(٦) في الديوان: فلا نحن.

(٧) في ب: لنا أجل يقتادنا بزمامه.
وفي الديوان والأغاني: أما تناهى أمامه.

بنو ثُعَلٍ قومي فما أنا مدّعٍ ... سواهم إلى قوم ولا أنا مُسند(١)
بدرئهم أغشى دروء معاشرٍ ... ويَحنف عنّا الأبلخ المتعمّد(٢)
فمهلاً فدىً أمي ونفسي وخالتي(٣) ... ولا يأمرنّي بالدنيّة أسود
أألان إذ ذكيتُ واشتدّ جانبي ... أُسامُ التي أعييتُ إذ أنا أمرد(٤)
فهل تركت قبلي حضورَ مكانها ... وهل أنا إنْ أعطيتُ خسفاً مخلّد(٥)
ومعتسفٍ بالرمح من دون صَحبه ... تعسّفته بالرمح والقوم هجّد(٦)
فخرّ على حرّ الجبين وداده ... إلى الموتِ مطرور الوقيعة مِذود(٧)
فما رُمته حتى أزحتُ عويصَه ... وحتى علاه حالك اللون أسود(٨)
إذا كان بعض المال ربّا لأهله ... فإني بحمد الله مالي معبّد

(١٤٨ و /)

يُفكُّ به العاني ويؤكل طيّباً ... ويُعطى إذا ضنّ البخيل المصرّد(٩)
إذا ما البخيل الخبءُ أخمد ناره ... أقول لمن يصلى بناريَ: أوقدوا
توسّع قليلاً أو يكن ثمّ حسبنا ... ومُوقدها البادي أعفّ وأمجد(١٠)
فإنّ الجواد من تلفّتَ حوله ... وإنّ البخيل ناكسُ الطرف أقود(١١)

---

(١) في الديوان والأغاني: وما أنا مسند.
(٢) في الديوان: الأبلج. ويحنف: يميل. الأبلخ: المتكبر.
(٣) في الديوان والأغاني: فداك اليوم أمي وخالتي.
(٤) في الديوان: على جبن إذ كنت واشتد جانبي.
(٥) في ب: فما تركت. وعجزه في الديوان.
وهل من أبى ضيماً وخسفاً مخلّد. وفي الأغاني: وهل من أتى ضيماً وخسفاً مخلد.
(٦) في الديوان والأغاني:
ومعتسف بالرمح دون صحابه ... تعسفته بالسيف والقوم شهّد
(٧) مطرور الوقيعة: السيف.
(٨) في ب: حالك اللون أنكد.
(٩) في نسختي المخطوطة: إذا ظنّ. وفي الديوان: من البخيل المطرّد. والمصرد: المقلّل.
(١٠) في الديوان: الباري أعف وأحمد. وفي الأغاني: أحمد.
(١١) في الديوان والأغاني:
فمنهم جواد قد تلفت حوله ... ومنهم لئيم دائم الطرف أقود

كــذاك أمــور النــاس راضٍ دنيّــةً　　وســامٍ إلــى فــرعِ العــلا متــورّد
وداعٍ دعــانــي دعــوةً فــأجبتــه　　وهــل يــدَعُ الــداعيــن إلا اليلَنْــدد[1]

● ٢٨١ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عليّ بن المغيرة عن هشام بن محمد عن أبي مسكين قال[2]:

كانت سفانة بنت حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصِّرمة من إبله، فتهبها وتعطيها الناس، فقال حاتم: يا بنية، إنّ السخيّين إذا اجتمعا في مالٍ أتلفاه، فإما أن أعطي وتبخلين، وإما أنْ تعطي وأبخل، فإنه لا يبقى[3] على هذا شيء.

وكان[4] أبو جبيل، وهو عبد قيس بن خفاف البرجمي، أتى حاتماً في دماء حملها عن قومه، أسلموه فيها، وعجز عن أدائها، فقال: واللّهِ لآتينَّ مَن يحملها عنّي، وكان شاعراً شريفاً، فأتى حاتماً فقال له: قد كان بين قومي دماء، فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وإبلي[5]، فقدَّمتُ مالي، وكنتَ أملي[6]، فإن تحملها، فربَّ حقٍّ قد قضيتَه، وهمٍّ قد كفيته، وإنْ حال دون ذلك حائل، لم أذمَّ يومك، ولم آيسْ من غدك، ثم أنشد:

حملــتُ دمــاءً للبــراجــم جمّــة　　فجئتــك لمــا أسلمتنــي البــراجــم[7]

(١٤٨ ظ /)

وقالوا سفاهاً: لِمْ حملتَ دماءنا　　فقلــتُ لهــم: يكفــي الحمــالــة حــاتــم

---

(١) في الديوان: إلا المبلد، واليلندد: الخصم الشديد الخصومة.
(٢) النص في الأغاني ١٧/ ٣٧٧ برواية ابن الكلبي عن أبي مسكين.
(٣) سقطت عبارة (فإنه لا يبقى) من ب.
(٤) الحادثة في الأغاني ٧/ ١٥٢ (بولاق).
وعبد قيس شاعر جاهلي من بني حنظلة من البراجم قوم من تميم. (انظر الأصمعيات رقم ٨٧ والمفضليات رقم ١١٦).
(٥) في الأغاني: مالي وأهلي.
(٦) في الأغاني: فقدمت مالي وأخرت أهلي وكنت أوثق الناس به في نفسي.
(٧) في ب: ثلاثة دماء للبراجم همة.

متى آته فيها يقلْ لي مرحباً وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائم[1]
فيحملها عني وإنْ شئتُ زادني زيادةَ مَن جلّت إليه المكارم[2]
يعيش الندى ما عاش حاتم طيءٍ وإنْ مات قامت للسخاء مآتم
ينادين مات الجودُ معْك فلا ترى له مجيباً ما دام للسيف قائم[3]
وقال رجال أنهب الجودُ ماله[4] فقلت لهم: إني بذلك عالِم
ولكنه يعطى من أموال طيء إذا خلّف المالَ الحقوقُ اللوازم
فيعطي التي فيها الغنى وكأنّه لتصغيره تلك العطيّة جارم
بذلك أوصاه عَديٌّ وحشرجٌ وسعد وعبد الله تلك القماقم[5]

فقال له حاتم: إني كنتُ لأحبُّ أنْ يأتيني مثلك من قومك، هذا مرباعي من الغارة على تميم، فإنْ وفَت الحمالةُ، وإلاّ كمّلتها لك، وهي مائتا بعيرٍ سوى بنيها وفِصالِها، مع أني لأحبُ أن لا توئسَ قومَك بأموالهم، فضحكَ أبو جبيل[6]، ثم قال: لكم ما أخذتم منّا، ولنا ما أخذنا منكم، وأيُّما بعيرٍ دفعته إليّ وليس له ذنب في يد صاحبه، فأنت منه بريٌّ، فأخذها منه، وزاده مائة، وانصرف راجعاً إلى قومه فقال حاتم[7]:

(١٤٩ و /)

أتاني البرجميُّ أبو جُبيل[8] لهمٌّ في حمالته طويل
فقلت له خذ المِرباع دهراً[9] فإني لست أرضى بالقليل

(١) في ب: متى آته يوماً.
(٢) في الأغاني: من خيرت إليه.
(٣) في الأغاني: تنادين . . مجيباً له ما حام في الجو حائم.
(٤) في الأغاني: أنهب العام.
(٥) هؤلاء آباؤه. وقد مرّ نسبه في أول الحديث عنه.
القماقم: واحدها القمقام وهو السيد.
(٦) وفي الأغاني: جميل.
(٧) أخلّ بها ديوانه.
(٨) في الأغاني: جميل.
(٩) في ب: رهواً. وفي الأغاني: منها.

على حالٍ ولا عوّدتُ نفسي | على علاّتها عِللَ البخيل
فخذها إنها مائتا بعيرٍ | سوى النابِ الرَدِيّة والفصيل
ولا مَنٌّ عليك بها فإني | رأيت المَنَّ يُزري بالجميل[1]
فقام البرجميُّ وما عليه | من أعباءِ الحمالةِ من قتيل[2]
يجرُّ الذيلَ ينفضُ مِذرَوَيهِ[3] | خفيفَ الظهر من حملٍ ثقيل

● ٢٨٢ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح عن عامر بن صالح قال[4]:

كانت أمّ حاتم ذاتَ يَسارٍ، وأسخى الناس، وأقراهم[5] لضيفٍ، وكانت لا تُليق[6] شيئاً تملكه، واسمُها غنيّة بنت عفيف بن عمرو بن امرىء القيس بن عَديّ بن أخزم، فلمّا رأى إخوتها إتلافَها حجروا عليها، ومنعوها مالَها، حتى إذا ظنّوا أنها قد وجدت ذلك[7] أعطوها صِرْمَةً[8] من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن، كانت تأتيها كلَّ سنةٍ تسألُها. فقالت لها: دونكِ هذه الصِرْمةَ خُذِيها، فوالله لقد عَضّني من الجوع شيءٌ لا أمنع [معه][9] سائلاً أبداً، ثم أنشأت تقول[10]:

لعمري لَقدْماً عضّني الجوع عضّةً | فآليتُ ألاّ أمنعَ الدهرَ جائعاً
فماذا عسَيتُم أنْ تقولوا لأختكم[11] | سوى عذلِكم أو عذلِ من كان مانعا

(١) في ب: بلا منّ . . بالجزيل.
(٢) في ب: ففاء البرجمي. وفي الأغاني: فاب البرجمي.
(٣) المذروان: أطراف الالية بلا واحد. ويقال: جاء ينفض مذرويه أي باغياً متهدداً.
(٤) النص في الأغاني ١٧/ ٣٦٥ برواية العباس بن هشام عن أبيه.
(٥) في نسختي المخطوطة: وأقراه. والمثبت من الأغاني.
(٦) كذا في المخطوطة والأغاني. وفي هامش الأغاني روايتان: لا تملك. ولا تمسك.
(٧) في الأغاني: ألم ذلك.
(٨) الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشر إلى الثلاثين.
(٩) ما بين الحاصرتين تكملة من الأغاني.
(١٠) في شاعرات العرب ٩١: لعمركِ قدماً.
(١١) في الأغاني والشاعرات: فماذا عساكم.

(١٤٩ ظ /)

فقولا لهذا اللائمي اليوم: أعفِني — وإنْ أنت لم تفعل فعَضَّ الأصابعا
ولا[١] ما ترونَ اليوم إلاّ طبيعةً — فكيف بتركي يا ابن أمّ الطبائعا

● ٢٨٣ ـ حدّثني الزبير قال: أنشدني عمي مصعبٌ بن عبد الله لحاتم[٢]:

وعاذلةٍ هبّت بليلٍ تلومُني — وقد غاب عيّوقُ الثريّا فعرّدا[٣]
تلومُ على إعطائيَ المالَ ضِلَّةً — إذا ضنَّ بالمال البخيلُ وصرّدا[٤]
تقولُ: ألا أمسِك عليك فإنني — أرى المال عند الممسكين مُعبّدا
ذريني ومالي إنّ مالكِ وافرٌ — وكلُّ امرىءٍ جارٍ على ما تعوّدا[٥]
وإلا فكُفّي بعضَ لومكِ واجعلي — إلى رأي مَنْ تلحينَ رأيَكِ مسندا[٦]
ألم تعلمي أني إذا الضيفُ نابني — وعزَّ القِرى أقري السديفَ المُسرْهدا[٧]
وأني لأعراض العشيرة حافظٌ — وحقّهم حتى أكونَ مُسَوّدا[٨]
يقولون لي: أهلكتَ مالك فاقتصد — وما كنتُ لولا ما تقولون مُفسّدا[٩]
كلوا اليومَ من رزق العباد وأبشروا — فإنّ على الرحمٰن رزقكم غدا[١٠]
سأذخُرُ من مالي دِلاصاً وسابحاً — وأسمرَ خطّيّا وعضباً مهنّدا[١١]
فذلك يكفيني من المال كلّه — مصوناً إذا ما كان عندي مُتلِدا

---

(١) في الأغاني: وماذا ترون.
(٢) الديوان ٧٤.
(٣) عيّوق الثريا: النجم الذي يتلو الثريا ولا يتقدمها . . وعرّد: مال للغروب.
(٤) صرّد: قلّل العطاء.
(٥) في الديوان: ذريني وحالي.
(٦) تلحين: تلومين.
(٧) السديف: شحم سنام البعير. والمسرهد: المقطّع.
(٨) في الديوان: وألفي . . . حافظاً . . . المسوّدا.
(٩) في الديوان: سيّدا. يقال: فسّد الشيء أي أباره.
(١٠) في ب: من رزق الإله.
(١١) الدلاص: الدرع اللينة الملساء. السابح: الفرس. والأسمر الخطي: الرمح.

● ٢٨٤ ـ قال وأنشدني له[١]:

مهلاً نَوارُ، أقلي اللّومَ والعَذَلا ... ولا تقولي لشيءٍ فاتَ ما فعلا؟
ولا تقولي لمالٍ كنتُ أهلكه ... مهلاً وإنْ كنتُ أعطي الجِنَّ والخبلا[٢]
(١٥٠ و /)
يَرى البخيلُ سبيلَ المالِ واحدةً ... إنّ الجواد يرى في مالِه سُبُلا
إنّ البخيلَ إذا ما ماتَ يتبعُه ... سوءُ الثناء ويحوي الوارثُ الإبلا
اصدُقْ حديثك إنّ المرءَ يتبعُه ... ما كان يبني إذا ما نعشُه حُمِلا[٣]
لا تعذليني على مالٍ وصلتُ به ... رَحْماً وخيرُ سبيلِ المال ما وصَلا
يسعى الفتى وحِمام الموتِ مدركه ... وكلُّ يومٍ يُدَنّي للفتى أجلا[٤]
إني لأعلمُ أنّي سوف يُدركني ... يومي وأصبحُ عن دُنيايَ مُشتغلا
فليتَ شعري وليتٌ غيرُ مُدركَة ... بأيِّ حالٍ تُرى أضحىٰ بنو ثُعَلا[٥]
أغزوا بني ثُعَل فالغزو جَدُّكم ... عُدُّوا الروابي ولا تبكوا لمن قُتِلا[٦]
وَيْهاً فدىً لكم أمّي وما ولدت ... حاموا على مجدكم واكفوا من اتّكلا
إذ غابَ من غابَ عنهم من عشيرتنا ... وأبدت الحرب ناباً كالحاً عَصِلا[٧]
اللّهُ يعلمُ أني ذو محافظةٍ ... ما لم يُخنّي خليلي يبتغي بدلا
فإنْ تبدّل ألفاني أخا ثقةٍ ... عَفَّ الخليقة لا نِكساً ولا وكِلا[٨]

---

(١) الديوان: ١٠٤.
(٢) في الديوان: كنت مهلكه.
(٣) في الديوان: فاصدق.
(٤) في ب: يدركه. وفي الديوان: الأجلا.
(٥) في الديوان: لأي حال بها أضحى.
(٦) في ب: عدوا الروايا. وفي الديوان:
اغزوا بني ثعل فالغزو حظّكم ... عدوا الروابي ولا تبكوا لمن نكلا
(٧) العصل: المعوّج مع صلابة.
(٨) النكس: الجبان. الوكل: الذي يكل أمره إلى غيره.

● ٢٨٥ ـ قال: وأنشدني عمي له أيضاً(١):

أنــا المفيــدُ حــاتــمُ بــن سعــدِ	أعطــي الجــزيــلَ وأفــي بــالعهــدِ
وشِيمتــي البــذلُ وصِــدقُ الــوعــدِ	وأشتــري الحمــدَ بفعــلِ الحمــدِ

(١٥٠ ظ /)

أورثنــي المجــدَ بُنــاةُ المجــدِ	أبــي وجَــدّي حشــرجٌ ذو الــوفــدِ
هــلاّ ســألــتِ الــوفــدَ عنــي وحــدِي	كيــف طِعــانــي بــالقنــا وشَــدّي
وكيــف ضــربــي بــالحســامِ الفــردِ	وكيــف بَــذلــي المــالَ غيــر كَــدّي
وكيــف تضيــافــي وكيــف قصــدي	وكيــف إطــلاقــي وكيــف رِفــدي

● ٢٨٦ ـ وأنشدني له أيضاً(٢):

لا تَستُــري قِــدري إذا مــا طبختهــا	علــيّ إذا مــا تطبُخيــه حَــرام
ولكــنْ بهَــذاكَ اليفــاعِ فــأوقــدي	بجــزْلٍ إذا أوقــدتِ لا بِضَــرام(٣)

● ٢٨٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال(٤):

أغارت طيءٌ على إبل النعمان بن الحارث بن أبي شمرِ الجَفني(٥)، وقتلوا ابناً له، وكان الحارثُ إذا غضِبَ، حلفَ لَيقتلنَّ ولَيسبينَّ الذراري، فحلف لَيقتلنَّ من الغوث بن طيء(٦) أهل بيتٍ جميعاً، حتى لا يُبقي منهم مقاتلاً على دمٍ واحدٍ. فخرج يريد طيئيًا، فأصاب من بني عَديّ بن أخزم، قتل منهم سبعين رجلاً، وأصاب رئيسَهم، وهَم بن عمرو، وأصابَ رهطَ حاتم، وحاتمٌ يومئذٍ بالحيرة، عند النعمان بن

---

(١) المقطوعة مما أخلّ به الديوان.

(٢) الديوان ١١٧.

(٣) اليفاع: المرتفع من الأرض. والضرام: الدقيق من الحطب.

(٤) الحادثة وأشعارها في الأغاني ١٧/ ٣٧٥ والعفو والاعتذار ٢/ ٣٧٦.

(٥) النعمان بن الحارث بن الحارث الأعرج الأكبر بن عمرو بن محرق، كان أبوه الحارث الأعرج، خير ملوك الشام، وأيمنهم طائراً، وأبعدهم مغاراً وأشدهم مكيرة. (المعارف ٦٤٢).

(٦) (بن طيء) سقط من ب.

المنذر، فأصابتهم مقدّماتُ خيله، فلمّا قدِم حاتِمٌ الجبَلَين، حملت المرأةُ الصبيَّ من ولدها[1] فتقول: يا حاتم أسِرَ أبو هذا، وجعلت النساء تُكثر عليه. فلم يلبثْ إلاّ ليلةً حتى سار إلى النعمان، ومعه مِلحان بن حارثة (١٥١ و/) وكان لا يُسافرُ إلا وهو معه. فقال حاتم[2]:

ألا إنني قـد هـاجنـي الليلـةَ الـذّكـر ... وما ذاك من حبِّ النساء ولا الأشَرْ[3]

ولكنـــه ممـــا أصـــاب عشيـــرتـــي ... وقـومـي بـأقـرانٍ، حـواليهـم الصِّيَـرْ[4]

ليـالـيَ نُمسـي[5] بيـن جَـوٍّ ومِسْطَـحٍ ... نشـاوى لنـا مـن كـلِّ سـائمـة جـزرْ

فيـا ليـت خيـرَ النـاس حيًّا وميّتـاً ... يقـول لنـا خيـراً ويمضـي الـذي ائتمرْ

فـإنْ كـان شـرّاً فـالعـزاءُ فـإننـا[6] ... علـى وقعَـاتِ الـدهـرِ مـن قبلهـا صُبُرْ

سقـى اللّـهُ ربُّ النـاس سَحًّـا وديمَـةً ... جَنـوبَ السَّـرَاةِ مـن مـآبٍ إلـى زُغَـرْ[7]

بـلادَ امـرىءٍ لا يعـرف الـذمُّ بيتـه ... له المشربُ الصافي ولا المطعمُ الكدَرْ[8]

تـذكّـرتُ مـن وهْـم بـن عمـرٍو جـلادةً ... وجُـرأة مغـداهُ[9] إذا صـارخٌ بِكَـرْ

فـأبشِـرْ وقـرَّ العيـنَ منـك فـإننـي ... أحـيّ[10] كـريمـاً لا ضعيفـاً ولا حَصِـرْ

قال هذه القصيدة، ثم دخل على النعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني،

---

(١) في الأغاني: جعلت المرأة تأتيه بالصبي.

(٢) الديوان ٨٨.

(٣) الأشر: البطر.

(٤) في الديوان: ولكنني . . صبر بالباء مصحفة.
الأقران: الحبال. والصير واحدها الصيرة وهي الحظيرة. كذا شرحها الأصفهاني في الأغاني.

(٥) في الأغاني: نمشي. وهو ساقط من العفو والاعتذار.

(٦) في الديوان: شر.

(٧) مآب: بلدة بالبلقاء، وزغر: قرية بمشارف الشام. قاله ياقوت وأورد هذا البيت والذي يليه شاهداً.

(٨) في الديوان: وليس له الكدر. وفي الأغاني: ولا يطعم الكدر.

(٩) في الديوان: معداه. وفي الأغاني: مغزاه إذا صارخ. وفي العفو: مقدام.

(١٠) في ب: أؤاخي. وفي العفو: أتيت.

فأنشده، فأُعجِبَ به، واستوهبَ منه أسرى قومِه، فوهبهم له، وكان من وهَب له منهم بني امرىء القيس بن عَديّ ثم أنزله عنده، وأمر بحُسن ضيافته والإحسان إليه، وبتعهده، فحُمِل إليه الطعام والخمر[١]. فقال له مِلْحان: أتشربُ الخمرَ وقومُك أسرى في الأغلال؟ سَلْه[٢] أن يمنَّ عليهم، ويهبَهم. فدخل على النعمان الثانيةَ، وقال قصيدةً أخرى، فأنشده إيّاها[٣]:

إنّ امرأ القيس أضحت من صنائعكم ... وعبدَ شمس أبيتَ اللعن فاصطنعِ[٤]

(١٥١ ظ /)

إنّ عديًّا إذا ملكتَ جانبها ... من أمر غوث على مرأى ومُستمع

وقال أيضاً[٥]:

أتبع بني عبدَ شمس أمرَ إخوتهم ... أهلي فداؤك إنْ ضرُّوا وإن نفعوا

لا تجعَلَنّا ـ أبيت اللعنَ ـ ضاحيَةً ... كمعشرٍ صُلِموا الآذانَ أو جُدعوا[٦]

أو كالجناحِ إذا شُلَّت قوادمه[٧] ... صار الجناحُ لفضل الريشِ يتَّبع

فأطلق له النعمانُ بن الحارث بني عبد شمس، وهم بنو عبد شمس بن عديّ بن أخزم بن أبي أخزم [وبقي قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضيّ بن مالك بن ذُبيان بن عمرو][٨] بن ربيعة بن جرول الأجئي، وأمه من بني عديّ، وهو جَدُّ الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن[٩] جحدر[١٠]، فقال له النعمان: أبقي أحدٌ من قومِك؟ قال:

---

(١) اختصرت في الأغاني فجاءت: فوهب له بني امرىء القيس بن عدي ثم أنزله فأتى بالطعام والخمر.

(٢) في الأغاني: قم إليه فسله إياهم، فدخل عليه فأنشده.

(٣) الديوان ٩٩.

(٤) في الديوان: أضحى من صنيعتكم. وفي الأغاني: من صنيعتكم. فاصطنعوا.

(٥) سقطت العبارة من الأغاني فاختلفت القافية حين جعلها قصيدة واحدة.

(٦) في الديوان: ضاحكة: وصلموا: قطعت آذانهم. وجدعوا: قطعت أنوفهم.

(٧) في الديوان والأغاني والعفو: سلت.

(٨) يظهر أن الناسخ أسقط سطراً فأكملته من الأغاني.

(٩) سقطت (قيس بن) من ب.

(١٠) هو الشاعر الأموي المعروف: ولد ونشأ في الشام ثم انتقل إلى الكوفة، وانضمّ إلى الخوارج. انظر=

نعم. وأنشده حاتم[١]:

فككتَ عديّاً كلَّها من إسارها فأفضِلْ وشَفِّعني بقيسِ بن جحدر
أبوه أبونا فارعَ والأمُّ أمُّنا فأنعِمْ فدتكَ النفسُ نفسي ومعشري[٢]

فقال له النعمان: هو لك. ووهبه له مع جميع من أسرَ من قومِه. فقال حاتم يمدحُ النعمان بن الحارث، ويذكر ما منَّ عليه من فكاك قومِه، وهِبته إيّاهم له[٣]:

أبلِغ الحارث بنَ عمرو بأني حافظُ الودِّ مُرصِدٌ للثواب
ومجيبٌ[٤] دعاءه إنْ دعاني عجِلاً واحداً وذا أصحاب
إنّما بيننا وبينك فاعلم سَيرُ تسعٍ للعاجل المنتاب[٥]
فَثلاثٌ من الشراة إلى الحالة للخيل جاهداً والركاب[٦]
وثلاثٌ يرِدنَ تيماءَ رهواً وثلاثٌ يغرن بالإعجاب[٧]
(١٥٢ و/)
فإذا ما مررتَ في مُسبَطرٍّ فأجمح الخيلُ مثل جَمح الكِعاب[٨]
بينما ذاك أصبحتْ وهي عضدىٰ من سبيٍّ مجموعةٍ ونهاب[٩]
ليت شعري متى أرى قُبّةً ذات قلاع للحارث الحرّاب
في يفاعٍ وذاك منها محلٌّ فوق ملْكٍ يدين بالأحساب[١٠]

= الشعر والشعراء ٤٨٩ والأغاني ١٠/١٤٨.
(١) البيتان في ديوانه ٨٩ والشعر والشعراء ٤٨٩.
(٢) في جميع المصادر الأخرى:
أبوه أبي والأمهات أمهاتنا فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري
(٣) الديوان ٦٣.
(٤) في الأصل: ومجيباً، تحريف.
(٥) سقط البيت من ب.
(٦) في الديوان والأغاني: السراة. وفي الديوان: إلى الحلة. وفي الأغاني: الحلبط. وهي مواضع.
(٧) في الديوان: يغررن. والأغاني: يقربن. الرهو: السير السهل.
(٨) في الأغاني: مررن. ومسبطر: ممتد.
(٩) في الأصل: غضبى. وعضدى مكسورة الأعضاد.
(١٠) في ب: بالأصحاب.

أيهـا المُـوعـديّ فـإنّ لَبـونـي بيـن حقـلٍ وبيـن هضـب ذبـاب[1]
حيـث لا أرهـبُ العـدوّ وحـولـي مـن هضـابٍ محفـوفـة بهضـاب[2]

● ٢٨٨ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: أنشدني الزبير قال: أنشدني عمّي مصعب بن عبد الله لحاتم الطائي[3]:

ألا أرِقـتْ عينـي فبـتُّ أديـرهـا حِـذار غـدٍ وأحـج الأ[4] يَضيـرهـا
إذا النجمُ أمسىٰ مغربَ الشمس مائلا ولـم يـكُ بـالآفـاق بـرقٌ[5] يُنيـرهـا
إذا مـا السمـاءُ لـم تكـن غيـرَ جُلبة كجِـدّة بيـت العنكبـوت يُنيـرهـا[6]
إذا الـريحُ جـاءت مـن أمـام أطائـفٍ وأخلـف نـوء الشِعـر بَيـن دَبـورهـا[7]
فـإنّـا نُهيـن المـال مـن غيـر ضنّـة[8] ومـا يشتكينـا فـي السنيـن ضـريـرهـا
إذا مـا البخيـل الخـبُّ هـرّت كـلابُـه وشقّ على الضيفِ الغريبِ عَقورها[9]
فـإنـي جبـان الكلـب بيتـي مُـوطّـأ أجـودُ إذا مـا النفـس شـحَّ ضميـرهـا
وإنّ كـلابـي قـد أقـرت وعُـوّدت قليـلٌ علـى مـن يعتـرينـي هـريـرهـا
وما تشتكي قِدري إذا الناسُ أمحلت أؤثفُهـا طـوراً وطـوراً أميـرُهـا[10]

---

(١) في الأصل: ذناب. والأغاني: دباب. وذباب: جبل بالمدينة.
(٢) في الديوان:
حيـث لا أرهـب الخـزاة وحـولـي ثعليـون كـالليـوث الغضـاب
وفي الأغاني: لا أرهب الجرأة.
(٣) الديوان ٩٣.
(٤) في الديوان: أحجى بالآ.
(٥) في الديوان: بون.
(٦) جدة: حداثة. ينيرها: يجعل لها نيراً، وهو هدب الثوب ولحمته.
(٧) في الديوان: أخائف ... وألوت بأطناب البيوت صدورها. وفي ب: وأخلف يوم. وأطائف موضع. (ياقوت).
(٨) في ب: ضنّه. والظنة: القليل من الشيء.
(٩) في الديوان: بخيل الناس .. الضيف الضعيف. والعقور: الذي يعضّ.
(١٠) أؤثفها: اجعلها على الأثافي وهي حجارة الموقد. أميرها: آتيها بالميرة وهي المونة.

وأبــرز قِــدري بــالفنــاء[1] قليلُهــا يُــرى غيــرَ مَضنــون بــه وكثيــرهــا

(١٥٢ ظ /)

وليـس علـى نـاري حِجـابٌ يكفهـا لمستـوبِـصٍ ليـلاً ولكـنْ أشيـرهـا[2]

فـلا وأبيـك مـا يظـلُّ ابـنُ جـارتـي يطوفُ حوالي قِدرنا ما يطورها[3]

وإبليَ رهنٌ أن يَكون كريمُها[4] عقيراً أمـــام البيـــتِ حيـــن أثيـــرهـــا

ومـا تشتكينـي جـارتـي غيـرَ أنّنـي[5] إذا غـاب عنهـا بعلُهـا لا أزورُهـا

سيبلُغهـا خَيـري ويـرجِـع بعلُهـا إليهـا ولـم تُقصَـر علـيّ ستـورهـا

وخيـلٍ تنـادي للطعـان شَهِـدتُهـا ولـو لـم أكن فيها لساء عـذيـرها[6]

وعَـرْجَلـةٍ شُعـثِ الـرؤوس كـأنهـم بنو الجنِّ لم تُطبَخ بقدرٍ جَزورها[7]

شهـدت ودعـوانـا أميمـةَ أننـا بنو الحرب نصلاها إذا اشتدّ نورها[8]

علـى مُهـرةٍ كبـداءَ قـوداءَ ضـامـرٍ أميـنٍ شظـاهـا، مطمئـن نسـورهـا[9]

وغَمـرة مـوتٍ ليـس فيهـا هـوادةٌ تكون صدورَ السمهريّ جُسورُها[10]

صبـرنـا لهـا فـي نهْكِهـا ومُصـابهـا بـأسيـافنـا حتّـى يبـوخ سعيـرُهـا

وخُـوصٍ دقـاقٍ قـد حـدوتُ بفتيـةٍ عليهنّ إحداهنّ قد حُلَّ كُورُها[11]

---

(١) في الديوان: بالفضاء.

(٢) في الديوان: حجاب يكنّها . . . ولكن أنيرها. المستوبص: المستضيء بالنار ليلاً.

(٣) يطورها: يحوم حولها.

(٤) في الأصل: أن يكوس.

(٥) في الديوان: غير أنها.

(٦) عذيرها: نصيرها.

(٧) العرجلة: جماعة المشاة.

(٨) في الديوان: وعوّانا أميمة . . إذا اشتدّ.

(٩) في الديوان: كبداء جرداء. وفي الأصل: مطمئن ستورها. والكبداء: المرتفعة الكبد. وقوداء: منقادة. والشظى: عظم صغير لازق بالركبة أو الذراع. والنسور: جمع نسر وهو لحمة في باطن حافر الفرس.

(١٠) في الديوان: يكون صدور المشرفيّ.

(١١) في الديوان: لفتية. والخوص: واحدها الخوصاء وهي الغائرة.

وقـد عِلمـت غـوثٌ بـأنّـا خيـارُهـا إذا أعلمـت بعـد النجـيّ أمـورهـا[1]
وأنـي امـرؤ مـن عُصبـةٍ ثُعليّـةٍ كـريـم غنـاهـا مستعـفّ فقيـرهـا[2]
وأقسمـتُ لا أعطـي الملـوك ظُـلامـةً وحـولـي عَـديٌّ كهلُهـا وغـريـرُهـا[3]

● ٢٨٩ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: أنشدنا الزبير قال: وأنشدني عمي لحاتم[4]:

أهـاجـك نصـبٌ أم بعينـك عـائـر إلى الصبحِ لم ترقدْ فيومُك ساهر
(١٥٣ و /)
ومـا هـاجنـي ذكـرُ النسـاء وإنّنـي طـروبٌ ولكـن غيـرُ ذلـك ذاكـر
فمـن مبلـغٌ عنّـا سلامـان مـالِكـاً[5] وسنبـسَ هـل حـاذرتـمُ مـا أحـاذرُ
أحـاذرُ يـومـاً أن تسيـرَ قبـائـلٌ تُـورّثُ شنـوءاً بينهـم وتُظـاهِـر[6]
وأبلـغْ أبـا النعمـان عنّـي رسـالـةً وذو الحِلم[7] قد يُرعى إلى من يؤامر
فليـت أبـا النعمـان بُيّـن قبـرُه وكيـف تجيـب للـدعـاء المقـابـر
فلـو كـان حيًّا قـد أبـات عـدوّهـم[8] علـى آلـةٍ حـدبـاء ممّـا يحـاذر
بـأنّ بنيـهِ قـد تنـاءوا بـدارهـم فحـورانُ أدنـى دارهـم فـأبـايـر
ألا هـل أتـى قـومـي بـأنّ محـاربـاً تـدبـر منهـا الصهـو بـادٍ وحـاضـر
وحُلّـت بـلا جـارٍ مبـاءاة نبتـلٍ وحُلّـت جُـديّـاتٌ وحُلّـت مصـاخـر
وأرسلـت الأشـواك جنبـي بـواعـة عـزيـن وتـرعـى بـالـرداة العشـائـر

(١) في الديوان: بأناسراتها .. بعد السرار. وغوث: هو غوث بن أدد بن زيد أخو طيء بن أدد. (المعارف ١٠٤).
(٢) في الديوان: أبت لي ذاكم أسرة ثعليّة ...
(٣) في الديوان: لا أعطي مليكاً.
(٤) هذه القصيد مما أخلّ به الديوان من شعره.
(٥) في ب: عني. وسلامان: موضع.
(٦) الشنوء: البغضاء.
(٧) في ب: الحكم.
(٨) في ب: فقد كان.

وهُـم سَلبـوا زيـداً غـداة قُـراقـر[1] رواحلَـه والمـوتُ بـالنـاس حـاضـر
فلـم يُغـنِ زيـداً يـومَ ذلـك نفـره[2] وأفلتهـم يعـدو بـه ثَـمَّ ضـامـر
بـزخَـةَ مـن جَـرم يمنّـون جيفـةً[3] ولـم ينجهـم مـن آل بـولانَ واقـر
فـأيـن بنـو العـلاّت إنـي عهِـدتُهـم إذا مـا انتـدوا فيهـم نـدىً وبـوادر
وأيـن بنـو هنـدٍ ألا حـيَّ منهـمُ فيسعـوا علـى مـا كـان قـدّم عـامـر
وألهـى بنـي العـلاّت عنـا وحـارثـاً عبـائـر تُحـدي خلفهـنَّ الأبـاعـر[4]
وحنّـوا إلـى فـتٌ بجنبـي بسيطـةٍ[5] كمـا حـنَّ لـلأكـلاء نيـبٌ صـوادر
(١٥٣ ظ /)
أبعـد بني رومـان شـدّوا حبالهـم[6] بحبـل بنـي جَـذْعـاءَ لـم يتـزاجـروا
يقـول لهـم أوسٌ تعـالـوا جُنيبـةً ألا إنمـا أوس وجـدُّكَ فـاجـر
أيفعلهـا فـي النـاس قـومٌ عمـارة لهـم نسـبٌ، ولا نسـاءٌ حـرائـر[7]
تبيّـنْ فـإنّ الحكـم يهـدي مـن العمـى إذا مـا التقينـا أيّنـا أنـت ضـائـر
فـإنْ لا تجيبـونـا تصـرّ خيـامنـا إلـى مـذحـج إنّ الأمـورَ دوائـر
وينـأى حبيـبٌ عـن مـزار حبيبـه وتـرمـح حميـرٌ دوننـا وأبـاقـر
وينـأى قبيـلٌ لا قـرابـةَ بينهـم لهـم نسـبٌ فـي أصـل غـوث مـآثـر
وإنْ تـذهبـوا إلـى ديـاف وأرضهـا لنيّتكـم فـإنّ أصلـي يحـابـر
فمَـن مبلـغٌ عنـي جـديلـة مـالكـاً ومـا إن أحـبّ أن تُـؤدّى الهـواجـر
فتـاللّـهِ هـل كنّـا اختلفنـا وأنتـمُ علـى النصـر مـا دام الليـالـي الغَـوابـر

---

(١) قراقر: أحد أيام ذي قار. انظر العقد الفريد ٣/ ٩٥.
(٢) في ب: نقرة.
(٣) زخّة: اسم موضع في بلاد طيء، ويوم من أيام العرب. (ياقوت).
(٤) في الأصل: عيائر. تصحيف. والعبائر: واحدها العبور وهي الجذعة من الغنم.
(٥) فتّ: انتشار والنيب: واحدها الناب وهو الناقة المسنة.
(٦) في ب: شدوا رحالكم.
(٧) كذا في الأصل.

وهـل تَعلمـون إذ نـزلنـا وأنتـمُ[1] وليـس لنـا إلاّ الإلـهُ مُنـاصـر
عطـاؤكـمُ زَوْلٌ ويُـرزأ مـالكـم فـإنـي بكـم ولا محـالـة سـاخـر
فلمـا أخـذتـم مـا أردتُـم لقـومِكـم وأدركتـمُ ثـأراً وأُدرك واتـر
قلبتـم لنـا ظهـر المِجـنّ عـداوةً[2] فـأيـديكـمُ بـالنصـر عنّـا شـواجـر

● ٢٩٠ ـ حدثنا أحمد بن سعيد قال: أنشدنا الزبير قال: وأنشدني عمي أيضاً له[3]:

صحا القلبُ عن هندٍ وعن أمّ عامر وكنـتُ أراه عنهمـا غيـرَ صـابـر[4]
ودبّـت وُشـاةٌ بيننـا وتقـاذفـت[5] نـوَى غُـربـةٍ مـن بعـد طـول التجـاور
(١٥٤ و /)
وفتيانِ صِدْقٍ ضَمهم دَلَجُ السُّرى[6] علـى ذُقُـنٍ مثـل السهـام ضـوامـر[7]
فلمّـا أتـونـي قلـتُ: خيـرُ معـرِّس ولـم أُطّـرِحْ حـاجـاتِهـم بمعـاذِر
وقمـتُ لمـوشـيّ المتـون كـأنّـه[8] شهـابُ غضـاً فـي كـفّ سـاعٍ مبـادر
فيشقـى بـه عـرقـوب كـومـاءَ جَبْلـةٍ عقيلـةِ كـومٍ كـالهِضـاب بَهـازِر[9]
فظـلَّ عُفـاتـي مُكـرَمـيـن وطـابخـي فـريقـان منهـم: بيـن شـاوٍ وقـادر[10]

---

(١) في ب: إذا.
(٢) أي تغيّرتم علينا، وساء رأيكم فينا. وأصله مثل. انظر المستقصى ٢/١٩٨.
(٣) الديوان ٨٥.
(٤) في الديوان:
صحاب القلب من سلمى ومن أم عامر وكنـت أرانـي عنهمـا غيـر صـابـر
(٥) في الديوان: ووشّت.
(٦) في الديوان: على مسهمات كالقداح ضوامر دلج السرى: سير الليل.
(٧) الذقن: واحدها بكسر الذال وتسكين القاف. وهو البعير يحمل عليه ثقل ولا يقدر ينهض فيعتمد بذقنه على الأرض. ومنه المثل: مثقل استعان بذقنه.
(٨) في ب: بموشي. وموشي المتون: السيف.
(٩) في الديوان: ليشقى . . عقيلة أدم. وكوماء جبلة: ناقة غليضة. وبهازر: واحدها بهرزة وهي الناقة السمينة الضخمة.
(١٠) قادر: يطبخ في القدر.

شـاميّـةٌ لـم تُتّخـذْ لـدحَـامـس[1] الطبيـخِ ولا ذمّ الخليـط المجـاور
يقمّــص دهــداق البَضِيـع كـأنـه[2] رؤوس القطا الكدر الدقاق الحناجر
كـأنّ هبيـرَ اللحـمِ فـي فَـوَراتها[3] إذا استحمشت أيـدي نسـاءٍ حـواسـر
كأنّ أنيضَ اللحم حين تغطمطت[4] ريـاحُ عبيـرٍ بيـن أيـدي العـواطـر
إذا أنـزلـت كـانـت هـدايـا وطُعمـة[5] ولـم تُختـبَزن دون العيـون النـواظـر
ألا ليـت أنّ المـوت كـان حِمـامُـه ليـالـيَ حـلَّ الحـيُّ أكنـافَ حـامـر[6]
ليـالـيَ يـدعـونـي الصِّبـا فـأجيبـه[7] حثيثـاً ولا أرعـي إلـى قـول زاجـر
ودويّــةٍ قفْــرٍ تعــاوى سبــاعُهــا عُـواءَ اليتـامـى مـن حـذار التّـراتـر[8]
قطعــتُ بمــرداةٍ كـأن نُسُــوعهـا[9] تُشـدُّ علـى قَـرْم عَلَنْـدي مخـاطـر

● ٢٩١ ـ وأنشدني عمّي لحاتم يرثي مِلحان بن حارثة بن سعد بن حشرج:

لِيَبْـكِ علـى مِلحـان ضيـف مـدفـعٌ وأرملـةٌ تُـزجـي مـع الليـل أرمـلا
(١٥٤ و/)
إذا ارتحــلا لــم يجـدا بيـتَ ليلـةٍ ولــم يلبسـا إلاّ بِجـاداً وخيعـلا[10]
وأوصيتنـي أنْ أرفـعَ الظـنّ صـاعـداً وصـاتـك واستُـودعـتُ تُـربـا وجنـدلا
فلا انفكّ رِمسٌ بين أضرع فاللّوى يصـــبُّ عليـــه الله وَدْقـــاً مُجلّـــلاً

● ٢٩٢ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

---

(١) في الديوان: يتخذ له حاسر. والدحامس: الأسود من كل شيء.
(٢) يقمّص دهداق البضيع: يحرك قطع اللحم.
(٣) في الديوان: كأن ضلوع الجنب.
(٤) في الديوان: كأن رياح اللحم. والأنيض: العصعص. وتغطمطت: اشتد عليها غليان مائها.
(٥) في الديوان: استنزلت.
(٦) في الديوان: حابر. وحامر: موضع على الفرات.
(٧) في الديوان: يدعوني الهوى.
(٨) التراتر: الشدائد.
(٩) المرداة: الصخرة. شبّه بها الناقة. النسوع: السير. والعلندي: الشديد.
(١٠) البجاد: كساء مخطط. والخيعل: الفرو أو ثوب غير مخيط الفرجين.

غزا حاتم، فأصاب راحلةً لبعض الملوك على ماءٍ يقال له: المزاج، فقال[1]:

فلـو شهِـدَتْنـا بـالمـزاج لأيقنـت | على ضُـرنـا أنّـا كـرامُ الضَّـرائـب[2]
عشيّـةَ قـال ابـنُ الـذميمـةِ عـارضٌ | إخـالُ رئيـس القـوم ليـس بـآيـب[3]
ومـا أنـا بـالسـاعـي بفضـل زِمـامهـا | لأُشرِعَها في الحوض قبل الركائب[4]
ومـا أنـا بـالطّـاوي حقيبـةَ رَحلِهـا | لأبعثهـا خِفّـاً وأتـرُكَ صـاحبـي[5]
إذا كنـتَ ربّـا للقَلـوص فـلا تـدَعْ | رفيقَـك يَمشـي خلفها غيـرَ راكـب[6]
أنِخْهـا فـأرْدِفـه فـإنْ حملَتكمـا | فـذاك وإنْ كـان العقـابُ فعـاقـب[7]
ومـرقَبَـةٍ دون السمـاء عَلـوتُهـا | أقلِّـبُ طَـرْفي فـي فضـاء سَبـاسـب[8]
وما أنّا بالماشي إلى بيتِ جارتي | طَـروقـاً أحيّيهـا كـآخَـر جـانـب[9]
ولسـتُ إذا مـا أحـدثَ الـدهـرُ نكبةً | بـأخضـعَ ولاّج بيـوتَ الأقـارب[10]
إذا أوطـنَ القـومُ البيـوتَ وجـدتَهـم | عُمـاةً عـن الأخبـار خُـرقَ المكـاسـب

● ٢٩٣ ـ أنشدني الزبير قال: أنشدني عمّي له[11]:

وأشعـث مِعـزالٍ يُسـوّقُ هجمـةً | بـوادٍ تغشّـته السَحـابـةُ مـن عسـلِ[12]

(١٥٤ ظ /)

---

(١) الديوان ٦٤. والمزاج: موضع في طريق الكوفة. وقيل في شرقي المغيثة.
(٢) في الديوان: ولو شهدتنا. والضرائب: السجايا.
(٣) في الديوان: ابن الذئيمة عارق.
(٤) في الديوان: لتشرب ما في الحوض.
(٥) في الديوان: لأركبها خفاً.
(٦) القلوص: الناقة الشابة.
(٧) العقاب: المناوبة في الركوب.
(٨) المرقبة: موضع المراقبة. سباسب: مفازات واحدها سبسب.
(٩) جانب: غريب.
(١٠) في ب: يرون الأقارب. تحريف.
(١١) هذه الأبيات مما أخل به الديوان.
(١٢) الهجمة: من الإبل أوّلها.

أتيحَ لـه مـن أرضـه وسمـائـه ... حَمامٌ وما يـأمر بـه اللّـهُ يفعـل
وكـان يخـالُ الأرض قفـراً بـريّـةً ... ومَـن لا يخـف زَوَّ المنيّـةِ يجهـل[1]
فمـا راعَـهُ إلاّ علـوُّ جَبينـه ... بعضبٍ جلت عنه مداوسُ صيقل[2]
فخـرَّ وألقـى ثـوبَـه وتـركتُـهُ ... لـدى شجَراتٍ كـالعكـي المجـدّل[3]

● ٢٩٤ ـ وأنشدني الزبير قال: أنشدني عمي له[4]:

إذا مـا بـتُّ أختـل عِـرسَ جـاري ... لِيُخفينـي الظـلام فـلا خَفيـتُ[5]
أألفضـحُ جـارتـي وأخـونُ جـاري ... فـلا وأبيـكَ أفعـلُ مـا حَيِيـتُ[6]

● ٢٩٥ ـ أنشدنا الزبير قال: وأنشدني عمي له[7]:

وخرْق كنصل السيف قد رامَ مَصْدفي ... تعسَّفتُـه بـالـرمح والقـومُ شُهَّـدِي[8]
فخـرَّ علـى حُـرِّ الجبيـن بضـربـة ... تقُطُّ صِفـاقـاً مـن حشـاً غيـر مبلـد[9]
فمـا رُمتُـه حتـى تـركـتُ عـويصَـه ... بقيَّـة عِـرق يحفِـزُ التُّـربَ مِـذود[10]
وحتـى تـركـتُ العـائـداتِ يعـدنَـه ... يقُلـن فـلا تبعـدْ وقلـتُ لـهُ ابْعـد[11]
فطـافـوا بـه طـوفيـن ثـم نمـوا بـه ... إلـى ذاتِ إلجـافِ بـزَخّـاءَ قُـرْدُد[12]

---

(١) الزوّ: القرينان وكل زوج. وفي هامش الأصل: الزوّ. القدر.
(٢) المداوس: واحدها المدوس وهو المصقلة التي تصقل السيف.
(٣) المعكي: المقيّد.
(٤) الديوان ٦٦.
(٥) في ب: عرسي. تحريف. وأختل: أخادع.
(٦) في الديوان: معاذ الله أفعل.
(٧) الديوان ٧١.
(٨) الخريق: الكريم. مصدفي: مصرفي وصدي.
(٩) في الديوان: غير مسند. تقط: تقطع الصفاق: الجلد الذي يمسك البطن.
(١٠) في الديوان وشعراء النصرانية: عرف.
(١١) في ب: العاديات. تحريف. وفي الديوان: ينادين لا تبعد.
(١٢) في الديوان وشعراء النصرانية: أطافوا .. ثم مشوا. الجاف: الحفر وعني به القبور. وزخاء: موضع. والقرود: ما غلظ وارتفع من الأرض.

ومَـــرقبـــةٍ دون السمـــاءِ طِمِـــرّةٍ		سبقتُ طلوع الشمس عنها بمرصَد[1]
وِســادي بهــا جَفْــنُ الســلاح وتــارةً		علــى عُــدَوَاء الجنْــب غيــرُ مُــوسَّــد[2]

● ٢٩٦ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال[3]:

لمّا وقع حربُ الفساد، خرج حاتم حتى نزل في بني بدر بن عمرو زمن احتربت جديلة وثُعَل، وكان ذلك زمن الفساد، وكان نزول حاتم في بني بدر بن (١٥٥ و/) عمرو على عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري[4]، فأحسنوا جِوار حاتمٍ، وأكرموه، فقال حاتم في ذلك:

إنْ كنـــت كـــارهـــةً لعيشتنـــا[5]		هـــاتـــي فحُلّـــي فـــي بنـــي بـــدر
جـــاورتُهـــم زمـــن الفســـاد فنِعـ		ـــمَ الحي فـــي العـــوصـــاء واليُسـر
فسُقيـــتُ بـــالمـــاء النّميـــر ولـــم		أتـــركْ أواطِـــسَ حمـــأةِ الجَفْـــر[6]
ودُعيـــتُ فـــي أولـــى النـــديّ ولـــم		يُنظـــرْ إلـــيَّ بـــأعيـــنٍ خُـــزر[7]
الضـــاربـــون لـــدى أعنّتهـــم		والطـــاعنـــون وخيلُهـــم تجـــري
والخـــالطـــون نَحيتَهـــم بنُضـــارهـــم		وذوي الغنـــى منهـــم بـــذي الفقـــر[8]

آخر الجزء الثامن عشر من أجزاء أبي عبد الله بن الكاتب وأول الجزء التاسع عشر من أجزاء أبي عبد الله الكاتب. وترجمته الثاني من الخامس من أجزاء الدمشقي. وهو آخر الموفقيات. والحمد لله والصلاة على محمد النبي وآله وسلم.

---

(١) في الأصل: عنه. وفي الديوان وشعراء النصرانية: منها بمرصد والطمّرة: المرتفعة.
(٢) عدواء: الأرض اليابسة الصلبة.
(٣) الديوان ٨٧. وفيه جاور حاتم في بني بدر من احترب من جديلة وثعل، وكان ذلك زمن الفساد، فقال يمدح بني بدر.
(٤) يقال كان اسمه حذيفة فلقب عيينة لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه. أدرك الإسلام، وكان من المؤلفة قلوبهم. ارتدّ في زمن أبي بكر ثم تاب. (الإصابة ٣/ ٥٥).
(٥) في الديوان: معيشتنا.
(٦) أواطس وجفر: موضعان. وحمأة: الطين الأسود.
(٧) الندي: المجلس.
(٨) في الديوان: الضاربين. الطاعنين. والخالطين.

● ٢٩٧ ـ وقال: حدّثني الزبير قال: حدّثنا محمد بن الضحّاك بن عثمان بن عبد العزيز بن محمد الذراوردي عن هشام بن محمد عن أبيه عن عائشة:

أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دخل عليها، وعندها بعضُ نسائه فقال: يا عائشة، أنا لكِ كأبي زَرْع لأمّ زَرْع[١]. قالت: يا رسول الله، وما حديثُ أبي زرعٍ وأمّ زرع؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: إنّ قريةً من قرى اليمنِ كانَ بها بطنٌ من بطون أهل اليمن، فكان منهم إحدى عشرة امرأةً، وإنّهنَّ خرجن إلى مجلس لهنَّ، فقال بعضُهنَّ لبعضٍ: تعالَيْن فلنذكرْ بعولتَنا بما فيهم، ولا نكذب، فتبايعنَ على ذلك، فقيل للأولى: تكلّمي بنعت زوجك. فقالت[٢]: الليلُ ليلُ تهامةَ، والغيثُ غيثُ عمامَة (١٥٥ ظ /) لا حَرٌّ ولا وخامة[٣].

وقيل للثانية: تكلّمي، وهي عمرة ابنة عمرو فقالت[٤]: المَسُّ مَسُّ أرنب، والرِّيحُ ريحُ زَرْنَب، أغلبُه والناسَ يغلب، وقيل للثالثة: تكلّمي، وهي حُيَيّ بنتُ كعبٍ، فقالت: مالكٌ وما مالكٌ[٥]، ذو إبلٍ كثيرات المَبَارِك، قريبات المَسارِح، إذا سمعنَ صوتَ[٦] المِزْهَرِ، أيقنَّ أنهنَّ هوالكُ، وقيل للرابعة: تكلّمي، وهي مهرد ابنة أبي هزومةَ، فقالت: زوجي لحمُ جملٍ غثٌّ، على جبلٍ وعْرٍ، لا سهلٌ فيُرتقى[٧]، ولا سمينٌ فيُنتقى، وقيل للخامسة: تكلّمي، وهي كبشة. قالت:

زوجي رفيعُ العمادِ، عظيمُ الرَّمادِ، قريبُ البيت من النادي. وقيل للسادسة: تكلّمي، وهي هندٌ، فقالت[٨]: زوجي كل داءٍ له داءٌ، إنْ حدّثته مسكَ، وإنْ مازحتُه فلك، والأجمعَ كلاًّ لكِ. وقيل للسابعةِ: تكلّمي، وهي بنت أوس بن عبد،

(١) الحديث في البخاري ٧/ ٣٥. ومسلم ٢/ ٣٧٥.
(٢) اختلف الترتيب في الصحيحين عما ورد هنا. ولم يذكر أسماء الزوجات.
(٣) في البخاري: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة.
(٤) سقط ما بعد (زرنب) من الصحيحين. والزرنب: شجر طيب الرائحة.
(٥) في الصحيحين: أضافا عبارة مالك خير من ذلك.
(٦) سقطت كلمة (صوت) من ب.
(٧) في الصحيحين: فينتقل.
(٨) في الصحيحين: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء، كل داء له داء، شجّك أو فلّك أو جمع كلا لك.

فقالت[1]: زوجي إذا أكل لفَّ، وإذا شربَ اشتفَّ، وإذا رقدَ التفَّ، ولا يُدخلُ الكفَّ فيعرف البثَّ. وقيل للثامنة: تكلّمي، وهي حُبيّ بنت علقمة، فقالت[2]: زوجي إذا خرج أسد، وإذا دخل فهد، ولا يَسألُ عمّا عهد، ولا يرفعُ اليوم لغد. وقيل للتاسعة[3]: تكلّمي. فقالت: زوجي لا أذكرُه، ولا أبثُّ خبرَه، أخافُ أنْ لا أذرَهُ. إنْ أذكرهُ أذكر عُجَره، وبجرَه. وقيل للعاشرة: تكلّمي، وهي كبشة ابنة الأرقم، فقالت[4]: نكحتُ العشنّقَ، إنْ سكتُّ عَلَّقَ، وإنْ تكلّمتُ طلّق. قيل[5] لأمِّ زرعٍ، وهي (١٥٦ و /) أمُّ زرعٍ بنتُ أكيمل بن ساعد: تكلّمي. فقالت: أبو زرع وما أبو زرع، وجدني في أهلِ غُنيمةٍ بشِقٍّ فنقلني[6] إلى أهل صهيلٍ وأطيطٍ ودائس ومُنقٍّ، ملأ من شحمٍ عضديهْ، وأناسَ من حُلِّي أذنيه[7]، وبجَّحَ نفسي فتبجّحتُ إليه[8]، وأنا أنام وأتصَبّحُ، وأشربُ فأتقمّحُ، وأقولُ ولا أقبَّح[9]، بنتُ أبي زرعٍ، وما بنتُ أبي زرع، مِلءُ إزارِها، وصفر ردائها، وزَيْنُ أمهاتها ونسائها، خرج من عندي أبو زرع، والأوطابُ تُمخَضُ، فإذا هو بأمّ غلامين كالفهدين، ترمي من تحت خصرها بالرمّانتين[10]، فتزوَّجها وطلّقني، فاستبدلت بعده، وكلٌّ بدلٍ أعور، فتزوّجتُ شابّاً سَرِيّاً، ركبَ أعوجيّا، وأخذ خطياً، وأراح نَعماً ثريّا. وقال: كلي أمَّ زرعٍ ومِيري أهلَك، فجمعتُ أوعيتَه، فما تعدلُ وعاءً واحداً من أوعية أبي زرع.

---

(١) في الصحيحين: . . وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف.

(٢) في الصحيحين: إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد.

(٣) في الصحيحين: زوجي لا أبث خبره إني أخاف . . .

(٤) في الصحيحين: زوجي العشنق.

(٥) في الصحيحين: قالت الحادية عشرة زوجي أبو زرع.

(٦) في المصدرين السابقين: فجعلني.

(٧) وفيهما: عضديّ . . آذنيَ.

(٨) وفيهما: فبجحت إليّ نفسي.

(٩) وفيهما: أم أبي زرع، فما أم أبي زرع عكومها رداح وبيتها فساح، ابن أم زرع فما ابن أم زرع، مضجعة كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع، طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها، جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثاً، لا تبث حديثنا تبثيثاً ولا تنفث ميرتنا تنفيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً.

(١٠) وفيهما: فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين.

● ٢٩٨ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال[١]:

لمّا قدم مصعبٌ بن الزبير الكوفة دخل عليه عبد الله بن الزَّبير الأسديّ فقال له مصعَبٌ: أنت عبد الله بن الزَّبير الأسديّ[٢]؟ قال: فوجِل منه، ثم قال: نعم. قال: أأنت الذي تقول[٣]:

إلى رَجَبٍ أو غُرّةِ الشهرِ بعده   تُوافيكمُ بيضُ المنايا وسُودُها[٤]
ثمانون ألفاً دِينُ عثمان دِينُها   مُسوَّمةٌ جبريلُ فيها يقودُها[٥]

قال: قد كان ذاك[٦]. قال: فإنّا قد غفرنا لك ذنبَك، وأمرنا لك بمائة ألف درهم. قال: فخرج وهو يقول[٧]:

جزىٰ اللّهُ خيراً مُصعباً إنّ خيرَه   ينال به الجاني ومَنْ ليس جانيا
(١٥٦ ظ /)
ويعفو عن الذنبِ الذي يعلمونه   ويُعطى من المعروف ما ليس فانيا

قال: فلما كان بعد ذلك، وقُتل مصعب بن الزبير، اجتاز بابن ظبيان عُبيد الله بن زياد[٨]، فسلّم على عبد الله بن الزَّبَير، وفد عَمي، فقال لقائده: من هذا؟ قال:

---

(١) النص في الأغاني ١٣/٣٨ وبرواية الزبير بن بكار مع اختلاف بسيط.
(٢) سقطت كلمة (الأسدي) من ب.
(٣) الأبيات في الأغاني من قصيدة طويلة ١٣/٣٨. وانظر شعره ص ٧٤.
(٤) في الأغاني:
إلى رجب السبعين أو ذاك قبله   تصبحكم حمر المنايا وسودها
(٥) في الأغاني:
ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم   كتائب فيها جبرئيل يقودها
(٦) في الأغاني: فقال أنا القائل كذلك، وإن الحر ليأبى الغدرة، ولو قدرت على جحده لجحدته، فاصنع ما أنت صانع. فقال: ما أصنع بك إلاّ خيراً أحسن إليك قوم فأحببتهم وواليتهم ومدحتهم ثم أمر له بجائزة وكسوة، وردّه إلى منزله مكرماً.
(٧) شعره ص ١٣٨.
(٨) هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي العائشي، كان شجاعاً فتاكاً، وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان وهو الذي قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك. (الطبري ٧/١٨٦ (الحسينية)).

عبيد الله بن ظبيان، قال: بلّغنيه. فلما صار إليه قال(١):

أبـا مطـر شُلّـت يميـن تقـرّعـت ... بسيفِك رأسَ ابـنِ الحـواريّ مُصعب
ولا ظفـرت كفّـاك بـالخيـر بعـده ... ولا زِلـتَ تسعـى فـي تبـابٍ مُتبَبِ
قتلـتَ امـرءاً كـانـت نـوافـلُ فضلِـه ... تجـودُ على مَـنْ بيـن شـرقٍ ومغـرب
أغـرّ كـأنّ البـدرَ سُنّـةُ وجهـه ... إذا مـا بـدا فـي الجحفـل المتكتّـب

قال: قد كان ذاك فما أفلحنا، ولا أنجحنا، فهل من مخرج؟

قال: سَبقَ السيفُ العَذْلَ(٢).

● ٢٩٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني العتبي عن أبيه قال(٣):

وقع مِيراثٌ بين ناسٍ من آل أبي سفيان [وبني مروان](٤) فتشاحُّوا فيه، وتضايقوا فلما قاموا، أقبل عمرو بن عُتبةُ(٥) على ولدِه فقال: إنّ لقريش دَرَجاً تزلُّ(٦) عنها أقدامُ الرجال، وأفعالاً تخشعُ لها رِقابُ الأموال، وألسناً(٧) تكلُّ معها الشِّفارُ المشحوذةُ، وغاياتٍ تقصرُ عنها الجيادُ المنسوبة، فلو كانت الدنيا لهم، لضاقت عن سعة أخلاقهم، ولو احتفلت الدنيا ما تزيّنت إلاّ بهم(٨). ثم إنّ أناساً منهم تخلّقوا بأخلاق العوامّ، فصار لهم رِفقٌ باللؤم، وخُرق بالحرص، فلو أمكنهم قاسموا الطيرَ أرزاقَها، إنْ خافوا مكروهاً تعجّلوا له الغمّ(٩)، وإنْ عُجّلت لهم (١٥٧ و/) نعمةٌ أخّروا عليها

---

(١) شعره ٥٧.
(٢) في الأغاني: لا نجاة هيهات. سبق السيف العذل. والمثل في المستقصى ٢/ ١١٥ يضرب في الأمر الذي لا يقدر على ردّه.
(٣) الخبر في عيون الأخبار ٣/ ١٨٢ برواية العتبي ولباب الآداب ٣٤٤ والعقد الفريد ٢/ ٤٠.
(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من عيون الأخبار. وفي العقد الفريد: بني هاشم وبني أمية.
(٥) هو عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، كان ممن خرج مع ابن الأشعث وقتل. (المعارف ٣٦٥).
(٦) في عيون الأخبار: تزلف.
(٧) في ب: وألسنة.
(٨) سقطت كلمة (الدنيا) من عيون الأخبار.
(٩) في عيون الأخبار والعقد: الفقر.

الشكر، أنضاء ذِكر العجز[١]، وعَجَزة حَمَلةِ الشكر.

● ٣٠٠ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: وحدّثني أبو عبد الرحمٰن عن أبيه قال:

قطع عبد الملك بن مروان عن آل أبي سفيان أشياء كان يُجريها عليهم، لتباعدٍ كان بينه وبين خالد بن يزيد[٢]، فدخل عليه عمرو بن عتبة فقال: يا أميرَ المؤمنين، أدنى حقِّكَ متعبٌ، وتقصِّيه فادحٌ، ولنا مع حقِّك علينا حقٌ عليك، لقرابتِنا منك، وإكرام سَلَفِنا لك، فانظرْ إلينا بالعين التي نظروا بها إليك، وضعنا بحيث وضعَتْنا الرحِمُ منك، وزِدنا بقدرِ ما زادك اللّهُ. فقال عبد الملك: أفعلُ، وإنما يستحقُّ عطيّتي مَنْ استعطاها، فأمّا مَنْ ظنَّ أنه يستغني بنفسه فسنكِلهُ إلى ذلك. يعرّض بخالدٍ، ثم أقطع عَمراً[٣] هِزَاردرّ[٤]. قال: فبلغ ذلك خالد بن يزيد، فقال: أبالحرمانِ يهدّدني؟ يدُ الله فوق يده مانعةٌ، وعطاؤه دونه مبذولٌ، فأمّا عمرو فقد أعطى من نفسِه أكثرَ ممّا أخذ.

● ٣٠١ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال:

كتب عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر[٥] من الحبس إلى أبي مسلم، صاحب الدولة[٦]: من الأسير في يديه بلا ذنبٍ إليه، ولا خِلافٍ عليه، أمّا بعدُ: فآتاكَ

---

(١) وفي عيون الأخبار: فكر الفقر. وفي العقد: أنضاء الفكر.
وفي لباب الآداب: أنضاء فكر العقل.

(٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية. كان له معرفة بالطب والكيمياء وفنون من العلم. وله رسائل حسنة توفي سنة خمس وثمانين، وقيل إحدى وتسعين. (الشذرات ١/ ٩٦).

(٣) سقطت هذه الكلمة من ب.

(٤) هزاردر: موضع بالبصرة. والكلمة فارسية معناها ألف باب. (ياقوت).

(٥) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، من فتيان بني هاشم وأجوادهم وشعرائهم، ولم يكن محمود المذهب في دينه، وكان يرمى بالزندقة، وقد خرج بالكوفة ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان فأخذه أبو مسلم فقتله هناك. (الأغاني ١١/ ٧٢).

(٦) الرسالة في البيان والتبيين ٢/ ٨٥ وبعضها في الأغاني ١١/ ٧٥ ومما قال صاحب الأغاني: (رسالته المشهورة).

اللَّهُ حِفظَ الوصيّةِ، ومنحك نصيحة الرعيّة، وألهمكَ عدلَ القضيّة، فإنّك مستودَعٌ ودائع، ومَولى صنائع، فاحفظ ودائعَك، وأصلح صنائعك[1]، فإنّ الودائعَ عاريةٌ، والصنائعَ رعيّةٌ[2]، فلا النعمُ علينا وعليك بمنزور[3] (١٥٧ ظ /) نَداها، ولا مبلوغٍ مداها، فنبِّه للتفكر قلبَك، واتقِّ اللَّهَ ربَّك، وأعطِ من نفسِك مَنْ هو تحتك من العفو ما تُحبُّ أنْ يُعطيك مَنْ هو فوقك من العدل والرأفة والأمن من المخافة، فقد أنعمَ اللَّهُ عليك بأنْ فوّضَ أمورنا إليك، فاعرفْ لنا حقَّنا[4]، فإنّ علينا من نقل الحديد وثِقَله أذىً شديداً، مع معالجة الأغلال، وقِلّة رحمة العُمّال، الذين تسهيلُهم الغلظة، وتيسيرُهم الفظاظةُ، وإيرادهم علينا الغموم، وتوجيههم إلينا الهموم، وزيادتهم الحراسة، وبشارتهم الإياسة، فإليك نَرفعُ كُربة الشكوى[5]، ونشكو شدّة البلوى، ومتى تميل إلينا طرْفاً، وتردنا منك عطفاً[6]، تجدْ عندنا نُصحاً، ووداً صريحاً[7]، لا يُضيع مثلُك مثلَه، ولا ينفي مثلُك أهلَه، فارعَ حُرمةَ مَنْ بحرمته أدركتَ، واعرفْ حُجّةَ من بحجّته فلَجتَ، فإنّ الناسَ من حوضِك رِواءٌ، ونحن منه ظِماء، يمشون في الأبراد، ونحجل في الأقياد[8]، بعد الخير والسَّعة، والخفض والدَّعة، واللَّهُ المستعانُ، وعليه التُّكلان، صريخ[9] الأخيار، ومُنجي الأبرار، الناسُ في دولتنا في رخاء[10]، ونحن منها في بلاءٍ، حيث أمنَ الخائفون، ورجع الهاربون. رزقنا اللَّهُ منك التحنُّنَ، وظاهرَ علينا منك التمنُّن، فإنّك أمينٌ مستودَع، ورائدٌ

---

(١) في البيان والتبيين: بحسن صنائعك.
(٢) في البيان: مرعية.
(٣) في البيان: فيه بمنزور. والمنزور: القليل.
(٤) في البيان والتبيين: فاعرف لنا لين شكر المودة، واغتفار مسّ الشدة، والرضا بما رضيت، والقناعة بما هويت فإن علينا من سهك الحديد . .
(٥) في البيان والتبيين: فإليك بعد الله نرفع.
(٦) في المصدر السابق: فمتى تمل إلينا طرفاً وتولنا منك عطفاً. وفي ب: تمد إلينا.
(٧) في المصدر نفسه: صحيحاً.
(٨) في المصدر نفسه: ونحن نرسف في الأقياد.
(٩) صريخ من الأضداد: المغيث والمستغيث، وأراد المعنى الأول هنا.
(١٠) في المصدر السابق: من دولتك.

مصطنَع[١]. فلما قرأ كتابه خافه فقتله[٢].

● ٣٠٢ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال: (١٥٨ و /)

قال عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان: دخلتُ على أبي، معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان وهو يجودُ بنفسه، وذلك أول ما ظهرت المُسودَة[٣]، فقال لي: يا عمرو أقُتِلَ مروان؟ قلت: نعم. قال: يا عمرو إنك خَلَفٌ، فلا تخلِف، إنه قد أتي ما لا أحبُّ أن أكونَ أُخرتُ عنه وأخِرتَ أنتَ لما أراك سَتتمنّى الموتَ معه، وتخاف الهلاكَ منه، وقد وقعتَ في بحرٍ عميقٍ، شديدِ الوصول إلى الساحل، والساحلُ وعرٌ مَهُولٌ، ومَنْ وقع بين البحر والوعر كانت راحتُه أنْ يموتَ، وهذه أيامُ حاجتِك إلى نفسك، وحاجةُ حُرمِك إليك، فافدِ حُرمَك بنفسك، وافدِ نفسَك بمالِك، وعِشْ حرّاً عن مِلك الطمع، وإنْ رددتَ الجوع بالماء. قال عمرو: فلما هلك أبي، وأنا حديثُ السنِّ منتشر الضياع[٤]، فكنت لا أنزلُ في قبيلة من القبائلِ إلاّ شُهِرَ أمري[٥]، فلما رأيت ذلك عَزمتُ[٦] على لقاءِ سُليمان بن علي[٧]، قال طارقٌ[٨] مولى عمرو بن معاوية: فوافيتُ عَمراً على باب سليمان بن علي، وهو يريدُ

(١) في المصدر نفسه: والسلام ورحمة الله.

(٢) انظر تفصيل قتله في الأغاني أيضاً.

(٣) المسوّدة: الجماعة الذين رفعوا الرايات السوداء مؤيدين الدعوة العباسية.

(٤) النص في البيان والتبيين ٢/ ٣٤٢ والأغاني ٤/ ٩٥ وفيهما: جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن، كثير العيال، منتشر الأموال.

(٥) في الأغاني: فما أكون في قبيلة إلا شهر أمري وعرفت. وفي البيان: فكنت لا أكون في قبيلة الأشهر أمري.

(٦) في البيان: فلما رأيت ذلك عزمت على أن أفدي حرمي بنفسي. قال المبارك: فأرسل إليّ أن وافني عند باب الأمير سليمان . . وفي الأغاني: وقد اعتزمت على أن أفدي حرمي بنفسي وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي فصر إليّ فوافيته . . .

(٧) سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، ولاه السفاح إمارة البصرة وعمان سنة ١٣٣ وظل فيها إلى أن عزله المنصور سنة ١٣٩ فلم يزل في البصرة إلى أن توفي سنة ١٤٢. (انظر المعارف ٣٧٥ والأعلام ٣/ ١٦٣).

(٨) في المصدرين السابقين: طارق بن المبارك.

الدخول عليه، وعليه سراويل يُمنةٍ، وطيلسان أبيض[١]، وكان يحبُّ أن يدخلَ عليه متنكراً، فلما رأيتُه قلتُ: إنّا لله، وإنا إليه راجعون ما تَصنعُ الحدَاثةُ بصاحبها[٢]! أهذه الثيابُ من لباس هذا اليوم؟ فقال: إنّه والله يا طارق ما تركتُ في منزلي شيئاً إلاّ وهو أشهر مما ترى. قال طارق: فأخذتُ طيلسانه وأعطيتُه (١٥٨ ظ /) طيلساني وشمّرتُ سراويله حتى بلغتُ به كعبَه[٣]. ثم دخل، وجلستُ أنتظرهُ، فلما خرج قلت له: أخبرني بما جرى بينكما. قال: دخلتُ عليه وهو لا يعرفني ولا أعرفه، فقلت له: إنّ البلاء لفظني إليك[٤]، وفضلُك دَلّني عليك، وأقامني رجاؤك بين يديك، فإمّا قبلتَني غانماً، وإمَّا رددتَني سالماً.

قال: ومَنْ أنتَ[٥]؟ قلتُ: أنا عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان. قال: اجلسْ، فتكلمْ آمناً غانماً، مرحباً بك، فما حاجتُك؟ قلتُ: إنّ الحُرمَ اللاّتي أنتَ أحقُّ بهنَّ منّا، وأولى الناس بهنَّ بعدَنا قد خِفنَ لخوفنا، ومَنْ خاف خيفَ عليه، قال: فوضع وسادتَه[٦]، وما أجابني إلاّ بدموعه على خدّيه.

ثم قال[٧]: تُصان ـ والله ـ حُرمك، ويُحقَن دمُك فكن[٨] آمناً كمستخفٍ، ومستخفياً كآمنٍ، فلو أمكنني ذلك في سائر قومِك فعلتُ. قال طارقٌ: فذهبتُ لألقي عليه طيلسانَه، وآخذ طيلساني، فقال: مهْ، إنّ ثيابنا إذا زايلتنا[٩] لم تعدْ إلينا. ثم كتب سليمانُ بن علي إلى أبي العباس: يا أميرَ المؤمنين، إنّه قد وفد إليّ وافدٌ من بني أميّة،

---

(١) في المصدرين السابقين: طيلسان أبيض مطبق، وسراويل وشي مسدولة.

(٢) في المصدرين السابقين بأهلها، إن هذا ليس لباس هذا اليوم.

(٣) في المصدرين السابقين: ولويت سراويله إلى ركبتيه.

(٤) في المصدرين السابقين: لفظتني البلاد إليك.

(٥) في الأغاني: ومن أنت فأعرفك. وفي البيان: ومن أنت أعرفك.

(٦) سقطت من المصدرين السابقين.

(٧) في الأغاني: يا ابن أخي يحقن الله دمك، ويحفظك في حرمك، يوفر عليك مالك. ووالله لو . . . وفي البيان رواية الأغاني عدا عبارة: يحقن والله دمك.

(٨) في البيان: فقلت: أكون متوارياً أو ظاهراً. قال كن متوارياً لظاهر. وزاد في الأغاني: وآمناً كخائف، ولتأتيني رقاعك.

(٩) في المصدرين السابقين: إذا فارقتنا لم ترجع إلينا. وبهذه العبارة تنتهي الحادثة فيهما.

وإنّا إنّما قاتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم، .ثم يجمعنا وإيّاهم عبدُ مناف، فحقُّ الرحِم أنْ تُبَلَّ ولا توبَس، وتوصَل ولا تُقطع، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أنْ يهبَهم لي ممتنًّا، ويجعلَ ذلك كتاباً عامًّا في بُلدانِ خلافته ليكون ذلك شكرَ نعمة الله عندنا فعلَ.

قال: فأجابه أبو العباس إلى ما سألَ (١٥٩ و /) فكان ذلك أوّلَ أمانِ بني أميّة.

● ٣٠٣ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال:

لمّا نزل بهشام بن عبد الملك الموتُ نظر إلى ولده يبكون حوله، فقال لهم: جاد لكم هشامٌ بالدنيا، وجُدتم له بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما اكتسبَ، ما أعظمَ منقلبَ هشام إنْ لم يغفر الله له.

● ٣٠٤ ـ حدّثني الزبير قال[1]:

وقفت عائشةُ على قبرِ عبد الرحمٰن بن أبي بكر فتمثّلَت:

وكنّا كندمانَيْ جَذيمَةَ حِقْبةً   من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا
فلما تفرَّقنا كأنّي ومالكاً   لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا[2]

● ٣٠٥ ـ ومرّ عليّ بن أبي طالب بقبر طلحة فتمثّل[3]:

وما تدري وإنْ أزمعتَ أمراً   بأيِّ الأرضِ يُدركُكَ المقيلُ

وتمثّل[4]:

---

(١) الخبر في الإصابة ٣/ ٣٤٠ والكامل للمبرد ١١٩٨.

(٢) البيتان لمتمم بن نويرة التميمي من قصيدة في رثاء أخيه مالك. (انظر ديوان مالك ومتمم ابني نويرة ص ١١١).

(٣) في شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٠٩ أن علياً ـ عليه السلام ـ مر بطلحة، وهو يكيد (يجود) بنفسه، فوقف عليه وقال: أما والله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرّعين في البلاد، ولكن ما حتم واقع ثم تمثل:
وما تدري إذا أزمعت أمراً . . .
ومعه بيتان آخران.
والبيت في الأغاني ٢١/ ٢٤٧ بدون نسبة.

(٤) البيت من قصيدة للشاعر المخضرم سلمة بن يزيد الجعفي في رثاء أخيه قيس. (حماسة أبي تمام ١/ ٤٥٥ وحماسة البحتري ١/ ٩١).

فتىً كان يُدنيه الغِنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويُبعده الفقر

● ٣٠٦ ـ ووقفت امرأة المغيرةِ بن شعبة[١] على قبره وهي أمُّ كثير الحارثيّة فقالت:

الجبلّ يحمله النفرْ قرمٌ كريمُ المعتَصرْ[٢]
أبكي وأندبُ صاحباً لا عين منه ولا أثرْ
قد خِفتُ بعدك أنْ أضام وأنْ أساء ولا أسَرْ
أو أنْ أسامَ بخطّتي ضيماً فآخذُ أو أذرْ
للّهِ دركُ قد غنَيتَ وأنتَ باقعة البشر[٣]

● ٣٠٧ ـ (١٥٩ ظ /) ووقف عليه مصقلة بن هبيرة الشيباني فقال[٤]:

إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً وخصيماً ألدَّ ذا مغلاق
حيّة في الوجار أربدلا ينفع منه السليمَ نفثُ الراقي

ثم قال: أما والله لقد كنتَ شديدَ العداوةِ لمن عاديتَ، كريمَ الأخوّةِ لمن آخيت.

● ٣٠٨ ـ ووقف الحجّاج على قبر ابنه أبان فتمثّل قولَ زياد الأعجم[٥]:

الآن لمّا كنتَ أكمل من مشىٰ وافترَّ نابُك عن شَباةِ القارح[٦]
وتكاملتْ فيك المروءةُ كلُّها وأعنتَ ذلك بالفعال الصالح[٧]

---

(١) هو الصحابي الداهية المعروف المغيرة بن شعبة الثقفي. ترجمته في الإصابة ٣/ ٤٣٢.
(٢) في ب: الجد. وفي هامش الأصل كتب حاشية هي: هكذا قال الزبير بالجيم والصواب بالحاء.
(٣) الباقعة: الرجل الداهية، والذكي العارف لا يفوته شيء ولا يدهى.
(٤) النص في الأغاني ١٤/ ١٤٤ وفيه: ووقف على قبره ثم قال: والله لقد كنت ـ ما علمت ـ نافعاً لصديقك، صابراً لعدوك، وما مثلك إلا كما قال مهلهل في أخيه كليب . . .
(٥) النص في تعازي المدائني ٥٨ والعقد الفريد ٢/ ٣ وفيهما اسم ابنه محمد. والراجح أنه الصحيح إذ لم أعثر لأبان على ذكر في أي مصدر.
(٦) في ب: كنت أجمل.
(٧) البيتان من مرثية رائعة في الأغاني ١٤/ ١٠٢ رثى بها المهلب بن المغيرة.

● ٣٠٩ ـ ووقفت جارية للحجاج على قبره فقالت[١]:

اليومَ يرحمنا من كانَ يغبطنا واليومَ نتبعُ من كانوا لنا تبعا

● ٣١٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو الحسن المدائني قال:

قال الحجّاجُ بن يوسف[٢]: ثلاثةٌ لو أدركتهم لقتلتُهم: مقاتل بن مسمع، فإنه أعطي مالاً كثيراً بفارس، فأجفلَ الناسُ عليه، فقال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾[٣]. تأوّل الفاسق كتابَ الله على غير تأويله، وعبيد الله بن زياد بن ظبيان[٤] التيميّ، فإنه صعد المنبرَ فتكلّم بكلام أعجبَ قومَه، فقالوا: أكثرَ اللّهُ فينا مثلَك. قالَ: لقد سألتم ربَّكم شَططاً[٥]. وأبو سمّال الأسديّ[٦]، فإنّ ناقتَه شردت، فقال: لئن لم يردذْها ربُّكم لا أصلي صلاةً، فتعلّقَ خطامُها بعرفجةٍ، فجاء حتى أخذها، فقال: علمَ ربُّكم أنّها مِنّي صِرَّي[٧].

● ٣١١ ـ (١٦٠ و/) حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني عبيد الله بن موسى بن طلحة قال: حدّثني زهير بن حسن مولى الربيع بن يونس قال: قدمَ الحجّاجُ على الوليد بن عبد الملك، فصلّى عنده ركعتين ثم وثبَ وركبَ الوليدُ فمشى الحجّاجُ بين

---

(١) في ب: ووقفت جارية على قبر الحجاج فقالت.

(٢) سقطت (بن يوسف) من ب. والخبر في العقد الفريد ١/ ٢٤٤ وفي عيون الأخبار ١/ ٢٧٠ وفيه: قال رجل للحجاج: أصلح الله الأمير كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل لو كان الله بلغني أربعة فتقربت بدمائهم إليه. قال: ومن هم؟ قال: مقاتل بن مسمع . . . والحوادث مختلفة قليلاً عما هنا.

(٣) سورة الصافات آية ٦١.

(٤) سقطت (بن ظبيان) من ب. ومكان (تأوّل) تمثّل. وعبيد الله هذا فاتك من الشجعان وهو قاتل مصعب بن الزبير. الطبري ٧/ ١٨٦.

(٥) في عيون الأخبار: لقد كلفتم الله شططاً.

(٦) في العقد: أبو سمّال الحنفي. وفي عيون الأخبار: أبو سمّاك. وفي اللسان مادة (صرى) موافق لرواية الموفقيات.

(٧) كذا في الصحاح واللسان. وهي كناية عن اليمين والعزيمة المؤكدة. وفي عيون الأخبار: إن يميني كانت صريّا. أما الرجل الرابع المذكور في المصادر الأخرى فهو معبد بن زرارة، وله قصة فخر.

يديه، وعليه درعٌ وترسٌ[١]، فقال الوليد: اركب يا أبا محمد. فقال: يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد، فإنّ ابن الزبير وابنَ الأشعث شغلاني عن الجهاد زمناً طويلاً، فعزم عليه الوليدُ فركب، ودخل مع الوليد فبينا هو يتحدّثُ، وهو يقول: فعلتُ بأهل العراق، وفعلتُ، أقبلت جاريةٌ فسَارَّت الوليدَ، ثم انصرفت فقال الوليد: يا أبا محمد، أتدري ما قالت الجاريةُ؟ قال: لا. قال[٢]: أرسلتْ إليّ أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان: إنّ مجالستَك هذا الأعرابيّ، وهو في سلاحه، وأنت في غِلالةٍ غررٌ، فأرسلتُ إليها: إنّه الحجّاجُ بن يوسف، فراعَها ذلك، وقالت: والله لإن يخلو بك ملَكُ الموت[٣] أحبُّ إليّ من أنْ يخلوَ بك الحجّاجُ بن يوسف، وقد قتلَ أحبّاءَ اللّهِ[٤]، وأهل طاعته ظلماً وعدواناً. فقال الحجّاجُ[٥]: يا أميرَ المؤمنين، إنّما المرأةُ رَيحانةٌ، وليست بقَهرَمانَةٍ، لا تُطلِعهنّ على أمرك، ولا تطمعهنّ في سرِّك، ولا تستعملهنّ بأكثرَ من زينتهنّ، ولا تكوننَّ لمجالستهنَّ بلزوم، فإنَّ مجالستهنَّ صَغارٌ وذلّة[٦]. ثم نهض وخرج، فدخل الوليدُ على أمِّ البنين، فأخبرها بمقالته. فقالت: فإني أحبُّ أنْ يأمرَه أميرُ المؤمنين (١٦٠ ظ /) بالتسليم عليّ، فسيبلغك الذي يكونُ بيني وبينه[٧]. فغدا الحجّاجُ على الوليد فقال: ائتِ أمَّ البنين[٨]. قال: اعفِني يا أمير

---

(١) في الأصل: وفرش.

(٢) الخبر في مروج الذهب ٥/ ٣٦٣ وهو في عيون الأخبار ١/ ١٦٩ وفيه: وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعث إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت: من هذا الأعرابي المستلئم في السلاح عندك وأنت في غلالة؟ فبعث إليها أنه الحجاج . . .

(٣) في عيون الأخبار: ملك الموت أحياناً.

(٤) في مروج الذهب: وقد قتل الخلق.

(٥) في عيون الأخبار: دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة . . فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوّك.

(٦) في مروج الذهب: فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك، ولا تطمعهن في غير أنفسهن، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن، إياك ومشاورتهن فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن. واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك.

(٧) في عيون الأخبار: حاجتي أن تأمره غداً بأن يأتيني مستلئماً.

(٨) في ب: أم المؤمنين. وفي الأصل: أم الوليد. وما أثبتناه في هامش الأصل. ومؤشر عليه بكلمة=

المؤمنين. قال: لتفعلنّ. فأتاها فحجبته طويلاً. ثم قالت: يا حجّاج[1]، أأنت الممتنُّ على أمير المؤمنين بقتل[2] ابن الزبير، وابن الأشعث؟ وكنتَ المولّى غيرَ المستعلى، أما والله لولا إنّ الله علمَ أنك أهونُ خلقه عليه، ما ابتلاك برمي الكعبة، وبقتل ابن ذات النطاقين. ابن حواريّ رسول الله[3] - ﷺ - فأمّا ابن الأشعث فلَعمري لقد استعلى عليك حتى عجعجتَ، ووالى عليك الهزائمَ حتى غوّثت. فلولا أنّ أميرَ المؤمنين نادى في أهل اليمن، وأنت في أضيقِ من القَرن فأظلتك رماحُهم، وعلاك كفاحُهم لكنت مأسوراً فيهم، قد أخذ الذي فيه عيناك، ومع هذا فإنّ نساءَ أمير المؤمنين قد نفضْنَ العِطرَ عن غدائرهنّ وبعنه في أعطيَةٍ أوليائه[4]، وأمّا ما أشرتَ به على أمير المؤمنين من قَطع لَذّاته، وبلوغ أوطاره من نسائه، فإن يكنْ إنما ينفرِجنَ عن مثل أمير المؤمنين فغيرُ مجيبِك إلى ذلك[5] وإن كنَّ إنما[6] ينفرجن عن مثل ما انفرجت به أمُّك البظراء، من ضَعف الغريزة، وقُبح المنظر في الخَلق والخُلق يا لُكع، فما أحقَّه أنْ يقتديَ بقولك[7]، قاتلَ اللّهُ الذي يقول، وسِنان غزالة الحرورية[8] بين كتفيك[9]:

= صح ومن مروج الذهب.

(١) في عيون الأخبار: له يا حجاج.

(٢) في عيون الأخبار: بقتال.

(٣) في المصدرين السابقين: سقط هذا الوصف ومكانه: أول مولود ولد في الإسلام وبعده في العيون: وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذّاته.

(٤) في عيون الأخبار: أعطية أهل الشام حين كنت في أضيق من القرن. وفي المروج: ولولا ذلك لكنت أذل من النقد.

(٥) في عيون الأخبار: عن مثله فغير قابل لقولك.

(٦) سقطت (إنما) من ب.

(٧) سقطت هذه العبارة ابتداءً من (وإن كن) من عيون الأخبار.

(٨) سقطت كلمة (الحرورية) من عيون الأخبار. وفي مروج الذهب: قاتل الله الشاعر، وقد نظر إليك وسنان غزاله.
وغزالة هذه زوجة شبيب الخارجي الذي عجز الحجاج عن قتله وهرب منه. وكانت من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم. (انظر مروج الذهب ٥/ ٣٢١).

(٩) الأبيات في ديوان الخوارج ص ١١٤ منسوبة لعمران بن حِطان.

أســدٌ علـيَّ وفــي الحــروب نعــامــةٌ ربــداء تنفــرُ مــن صفيــر الصــافــر[1]

(١٦١ و /)

هلاّ برزتَ إلى غزالة في الوغىٰ؟ أم كـان قلبـك فـي جَنـاحـي طـائـر[2]

صَــدَعــتْ غــزالــةُ قلبــه بفــوارسٍ تــركــتْ نــواظــرَه كــأمــسِ الــدابــر

ثم أمرت جاريةً لها فأخرجته، فلما دخل على الوليد قال:

ما كنتَ فيه يا أبا محمد؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما سكتَتْ حتى كان بطنُ الأرض أحبَّ إليّ من ظهرها. قال: إنها ابنةُ عبد العزيز بن مروان[3].

● ٣١٢ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلاّم قال:

هنّأ رجلٌ رجلاً في مجلس الحسن بمولودٍ فقال: هنّاكه الله، وهنّاهُوك حتى تكون كه ويكون كك. فقال الحسن: والله ما يبالي رجلٌ، أطمطم بالفارسيّة، أم تكلّم بمثل كلامك.

● ٣١٣ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال[4]:

دخل عمرو بن معديكرب الزبيدي على عمر بن الخطاب، وعنده الربيعُ بن زياد[5]، وشَريك بن الأعور[6] الحارثيان، فسلّمَ عليه، ثم قال: يا أميرَ المؤمنين أَأبرامٌ بنو مخزوم؟ قال: وما ذاك يا أبا ثور؟ قال: دخلتُ على خالك أبي سليمان ـ يعني

---

(١) في عيون الأخبار: فتخاء تنفر من. وفي مروج الذهب: فزعاء تفزع من.

(٢) في عيون الأخبار: هلا كررت على غزالة ... في جوانح طائر.

(٣) في مروج الذهب: فضحك الوليد حتى فحص برجليه ثم قال: يا أبا محمد إنها ابنة عبد العزيز.

(٤) الحادثة موجزة في الأغاني ١٤/١٣٧.

(٥) هو الربيع بن زياد بن أنس بن الديان الحارثي، أدرك الرسول ﷺ، ولا عبد الله بن عامر سجستان سنة ٢٩. وله مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخبار كثيرة. (ترجمته في الإصابة ١/٤٩٢).

(٦) هو شريك بن أبي الأغفل بن سلمة الشاعر، وفد على رسول الله ﷺ. قيل، أنه شهد فتح مصر. أشار ابن حجر إلى قصة عمرو هذه وحضوره في الإصابة نقلاً عن كتاب الجليس للمعافى. (انظر الإصابة ٢/١٤٧).

خالد بن الوليد ـ فأتاني بثورٍ وقوسٍ وكعبٍ، فأطعمنيه. فقال عمر: إن في ذلك لسَعَةً. فقال: يا أمير المؤمنين، لك، أو لي، قال: بل لي ولك. قال: كلا يا أمير المؤمنين، فلقد رأيتُني آكلُ الجَذْعةَ[١] حتى أنقَّها عظماً عظماً (١٦١ ظ /) وأشربُ التبنَ[٢] من اللَّبن، رثيئةً وصريفاً[٣]. قال: فنظر عمرُ إلى الربيع بن زياد كالمتعجب من قوله. فقال الربيعُ: يا أمير المؤمنين إنّه لكذاك[٤]، وإنّ الخيل لَتتقي ذُراه إذا كان بين الصَّفين وانتعلت الخيلُ الدماءَ، على أنّه قد نقض إلّنا، وقطع أواصرَنا. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين، جاورتُ هذا الحيّ من بني الحارث بن كعب عشرين سنةً فمشوا إليّ بالضرّاء، ودَبوا[٥] إليّ الخمرَ، فلما بدت لي ضباب صدورهم، وحسك قلوبهم، أوجرتُهم أمرَّ من نقيع الحنظل، فقال شريكُ بن الأعور: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا أعجز[٦] نا لمّا أخذته أنيابنا، وكلمته[٧] أظافرُنا. فقال عمرو: إليك يا ابن الأعور، فإني لا أجلس على الدُبر، ولا أغمز غمزَ التين، ولا يُقعقعُ لي بالشنان. قال: فلما خشي عمرُ أنْ يتفاقم الأمرُ بينهم، ويخرجوا إلى ما هو أعظم من هذا. قال: إيهاً عنكم الآن. فأقبل على عمرو فقال: يا أبا ثور، لقد حدّثت عن نفسك بمأكلٍ ومشربٍ، ولقد لقيتَ الناس في الجاهلية والإسلام. فأخبرني[٨]: هل صدفتَ عن فارس قطّ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، قد كنتُ أكره الكذبَ في الجاهليةِ وأنا مشركٌ. فكيف إذ هداني اللّهُ للإسلام[٩]؟ ولقد قلتُ ذات يومٍ لخيلٍ من بني أسد[١٠]: هل لكم في الغارة؟ قالوا: على مَنْ؟ قلتُ: على بني البكّاء. قالوا: مغارٌ بعيد، على شدّةِ

---

(١) الجذعة: الدابة الصغيرة.

(٢) التبن: القدح العظيم، وقيل: يروى العشرين.

(٣) الرثيئة: اللبن الذي حلب على حامض فخثر. والصريف: اللبن ساعة حلبه.

(٤) في ب: لذاك.

(٥) في ب: ودنوا.

(٦) في ب: أعجز لما.

(٧) في ب: وحطمته.

(٨) المحادثة في الأغاني ١٤/١٣٧ مع اختلاف بسيط.

(٩) في الأغاني: إني لم أستحل الكذب في الجاهلية، فكيف أستحله في الإسلام.

(١٠) في ب: بني زبيد. وفي الأغاني: قلت لجبهة من خيلي خيل بني زبيد أغيروا بنا على بني البكاء.

كلَبٍ، وقلةِ سلَبٍ.

قلت: فعلى مَنْ؟ قالوا[1]: على هٰذا الحيِّ من كنانةَ، فإنّه بلَغنا أنّ رجالهم خُلوفٌ. فخرجتُ في (١٦٢ و /) خيلٍ حتى انتهيتُ إلى وادٍ من أوديتهم، فدُفعتُ إلى قومِ سُراةٍ. فقال عمر: وما أدراك أنهم سُراة؟ قال[2]: انتهيت إلى قُبابٍ عظيمةٍ من أدمٍ، وقدورٍ مثفأة، وإبل وغنمٍ. فقال عمر[3]: هذا لعمري علامةُ اليُسر. وقال عمرو: فانتهيتُ إلى أعظمها قبة. فأكشفها عن جارية مثل المهاة، فلما رأتني، ضربَت يدَها على صدرها، وبكت. فقلتُ: ما يُبكيك؟ قالتْ: ما أبكي لنفسي ولا على المال. فقلتُ: علامَ تبكين؟ قالت: على جَوارٍ أترابٍ لي، قد ألفتُهنَّ، وهنَّ في هذا الوادي. قال: فهبطتُ الواديَ على فرسي، فإذا أنا برجلٍ قاعدٍ يخصِفُ نعْلاً له، وإلى جانبه سيفٌ موضوع، فلما رأيتُه علمتُ أنَّ الجارية قد خدعتني، وماكرتني. فلما رآني الرجلُ قام غيرَ مكترثٍ، ثم علا رابيَةً، فلما نظر إلى قُباب قومِه مُطَّرحةً، حمَل عليّ وهو يقول[4]:

قـد علمـت إذ منحتنـي فـاهـا ... ولحقتنـي بكـرة رداهـا
إنـي سـأحمـي اليـوم مِـن حِمـاهـا ... يـا ليـتَ شِعـري مـا الـذي دهـاهـا

قال: فقلتُ مجيباً له:

عمـرو علـى طـول السـرى دهـاهـا ... بـالخيـل يـزجيهـا علـى وجـاهـا
حتـى إذا حـلَّ بهـا احتـواهـا

ثم حملتُ عليه وأنا أقولُ[5]:

---

(١) في الأغاني: فقلت: فعلى بني مالك بن كنانة.

(٢) في الأغاني: قال رأيت مزاود خيل كثيرة وقدورا وقباب أدم ..

(٣) الرواية مختلفة في الأغاني عما ذكر الزبير في هذه المحاورة.

(٤) في الأغاني: فلما رأى الخيل تجري بفمه استعبر باكياً وأنشأ يقول:

قـد علمـت إذ منحتنـي فـاهـا ... أنـي سـأجـري اليـوم مـن مجـراهـا
يا ليت شعري اليوم من دهاها

(٥) في الأغاني: فحمل عليّ وهو يقول:

أهـزّ نضـر العيـش فـي دار قـدم ... أفيـض دمعـاً كلمـا فـاض انسجـم =

أنــا ابــن عبــد الله محمــودُ الشِيَــم   مــؤتَمــنُ الغيــبِ وفــيٌّ بــالــذِمــم
مــن خيــر مَــنْ يمشــي بســاقٍ وقــدم

فحمل عليّ وهو يقول[1]: (١٦٢ ظ /)

أنــا ابــنُ ذي الأقيــال أقيــال البُهَــم   مَــنْ يلقنــي يــودِ كمــا أودت إرم
أتــركــه لحمــاً علــى ظهــر وضَــم[2]

قال: فاختلفنا ضربتين[3]، فأضربه أحذر من العَقْعَق[4]، ويضربني أثقف من الهرِّ[5]، فوقع سيفُه في قَرَبُوس[6] سرجي فقطع القَرَبوسَ، وعضَّ بكاثبةِ الفرَس[7]، فوثبتُ على رجليَّ قائماً، وقلت[8]: يا هذا، ما كان ليلقاني من العرب إلا ثلاثة: الحــارث بــن ظــالــم للســنِّ والتجــربــة[9]، وعــامــر بــن الطُفيــل للشــرف

= .... ومــوف بــالــذمــم
....   كــالليــث إن هــمّ بتقضــام قضــم

(١) في الأغاني: فحملت عليه وأنا أقول:
أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصم   أنــا ابــن ذي الآكــال قتّــال البهــم
مــن يلقنــي يــود كمــا أودت إرم   أتــركــه لحمــاً علــى ظهــر وضــم
(وانظر تخريج النص في ديوان عمرو ١٦٨).

(٢) الوضم: ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير. وتركهم لحماً على وضم: أوقعهم فذللهم وأوجعهم.

(٣) في ب: بضربتين.

(٤) أصله مثل: هو أحذر من عقعق. قيل ذلك لأنه يتعرف بإصابته ثقافة الرامي لشدة حذره واحترازه. (المستقصى ١/ ٦٢).

(٥) الذي في كتب الأمثال: أثقف من سنور: الثقف: الأخذ بسرعة. يقال: رجل ثقف لقف، إذا كان جيد الحذر في القتال. ويقال: هو السريع الطعن. (الميداني ١/ ١٥٧ والمستقصى ١/ ٤١).

(٦) القربوس: حنو السرج.

(٧) الكاثبة من الفرس: المنسج.

(٨) في الأغاني: فقلت: ويحك من أنت، فوالله ما ظننت أحداً من العرب يقدم عليّ إلا ثلاثة.

(٩) في الأغاني: للعجب والخيلاء.
والحارث: هو الحارث بن ظالم بن يربوع المري، شاعر جاهلي عرف بوفائه وبفتكه، حتى ضرب به المثل في ذلك.

والنجدة[1] وربيعة بن مكدَّم للحياء والبأس[2]، فمَن أنت، ثكلتك أمُّك؟ قال: بل مَنْ أنت، ثكلتك أمّك؟ قلت: أنا عمرو بن معديكرب. قال: وأنا ربيعةُ بن مكدَّم. قلت: فاختر مني إحدى ثلاثِ خِصالٍ: إمّا أنْ نضطربَ بسيفينا حتى يموت الأعجلُ منّا، وإمّا أن نصطرعَ، فأيّنا صرعَ صاحبَه قتله، وإمّا المسالمةُ. قال: ذاك إليك. فاخترْ. قلتُ: إنّ بقومِك إليكَ حاجةً، وبقومي إليّ حاجة، والمسالمةُ خيرٌ لي ولك. ثم أخذت بيده فأتيت به أصحابي، وقلت لهم: خلّوا ما بأيديكم، فلو رأيتم ما رأيتُ لخلّيتم وزِدتم. سَلوني عن فرسي ما فعلَ. قال: فتركنا ما بأيدينا وانصرفنا راجعين[3].

● ٣١٤ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الضحاك الحزامي قال: حدّثني أبي عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت عن أبي بكر (١٦٣ و /) بن معمر بن عبد الله بن زيد بن خارجة بن زيد[4] بن أبي زهير، أخي بني الحارث بن الخزرج عمّا تكلّم به جَدُّه زيد بن خارجة[5] بعدما مات وعظاً. قال[6]:

= انظر أخباره في بحث الأستاذ عادل البياتي بمجلة كلية الآداب عدد ١٥.

(١) في الأغاني: للسن والتجربة.
وعامر: هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، الشاعر الجاهلي، وكان فارس قيس، وكان عامر أتى النبي ﷺ فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأمر من بعد، وأسلم. فقال النبي ﷺ: «اللهم اكفني عامراً، واهد بني عامر» . . فطعن في طريقه فمات. (أخباره في الشعر والشعراء ٢٥٢).

(٢) في الأغاني: للحداثة والصرامة.
وربيعة: هو ربيعة بن مكدم بن عامر من كنانة، أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين، وهو شاعر جاهلي أيضاً. (أخباره في الأغاني ١٤/ ١٣٠).

(٣) تختلف هذه المحاورة قليلاً في الأغاني عما هنا، ورويت بأسلوب آخر في سمط اللآلىء ٢/ ٩١.

(٤) سقطت (بن خارجة بن زيد) من ب.

(٥) هو زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك الأنصاري الخزرجي. شهد أبوه أحداً وشهد هو بدراً. قال ابن عبد البر في الاستيعاب هو الذي تكلم بعد الموت لا يختلفون في ذلك، وذلك أنه غشى عليه قبل موته، وأسرى بروحه، فسجى عليه بثوبه، ثم راجعته نفسه فتكلم بكلام حفظ عنه في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم مات من حينه، روى حديثه هذا ثقات الشاميين عن النعمان بن بشير، ورواه ثقات الكوفيين عن يزيد بن النعمان بن بشير عن أبيه. (الاستيعاب ١/ ٥٤١ والإصابة ١/ ٥٤٧).

(٦) انظر حديثه في الاستيعاب والمغانم المطابة ٢٨ والسمهودي ٢/ ١٢٢ ومن عاش بعد الموت ١٥.

قال: أيُّها الناسُ أنصتوا. ثم قال: اللّهُ أكبرُ، أحمد رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الكتاب الأول[1]، صدقَ صدقَ، ثم قال: جيفتان قد أصلّتا، وهما يرجوان رحمةَ الله، أبو بكر صاحبُ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الضعيفُ جسمه، القويُّ في نفسه، وعمرُ بن الخطاب أقوى الرجال، القويُّ الأمينُ، الذي لا يبالي في الله لومةَ لائم، ثم ذكر عثمان، ثم قال: أميرُكم اليوم، له عليكم السمعُ والطاعةُ، اسمعوا وأطيعوا أيها الناسُ، أقبلوا على أميركم، ثم أعاد ذكرَ عثمان بن عفّان، أميرُكم، له عليكم السَمعُ والطاعةُ، أنتم على منهاج عثمان بن عفّان، اسمعوا له وأطيعوا، اللّيِّنُ يُعافي الناسَ، ويُنفقُ المالَ، فمن تولّى فلا يعهدنَّ. ثم قال[2]: بئر أريس وما بئر أريس. ثم ذكر الصحيفة التي كتب بها عمرو بن أبي العاص الثقفي إلى عثمان قبل أن يأتي خبرُه عن فتحٍ فتحَ اللّهُ للمسلمين، ونصرِه إياهم. ثم قال: إنما كان الناسُ سَواءً، ولكنما يفضّل بين الناس أعمالُهم. وقال: جيء بالنبيّين والشُهداء، يُرى مع كلِّ نبيٍّ أمّته جثيًّا. وقال: هذه الجنةُ وهذه النارُ. ثم قرأ من القرآنِ آياتٍ: ﴿كلاّ إنّها لظىً، نزّاعَةً لِلشّوى، تدعو مَنْ أدبرَ وتولّى﴾[3]. وقال: جاءت الفتنةُ ثم ذكر الشهداءَ، ثم كبّر فقال: خارجةُ بن زيد[4]، (١٦٣ ظ /) وسعدُ بن

---

(١) في الاستيعاب: أحمد أحمد في الكتاب الأول صدق صدق. أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق، عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول صدق صدق، عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع وبقيت ثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس. ا هـ. وشبيه بهذا في المغانم المطابة والسمهودي.

(٢) في المغانم المطابة والسمهودي: وأبيحت إلا حما بئر أريس وماء بئر أريس.
والذي في معجم البلدان: بئر أريس بئر بالمدينة ثم بقباب مقابل مسجدها. قال أحمد بن يحيى بن جابر: نسبت إلى أريس، رجل من المدينة من اليهود، عليها مال لعثمان بن عفان رضي الله عنه، وفيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في السنة السادسة من خلافته، واجتهد في استخراجه بكل ما وجد إليه سبيلاً، فلم يوجد إلى هذه الغاية فاستدلوا بعدمه على حادث في الإسلام عظيم، وقالوا: إن عثمان لما مال عن سيرة من كان قبله، كان أول ما عوقب به ذهاب خاتم رسول الله ﷺ من يده. وقد كان قبله في يد أبي بكر ثم في يد عمر رضي الله عنه.

(٣) سورة المعارج آية ١٥ ـ ١٧.

(٤) استشهد في أحد، وهو صهر أبي بكر. (الإصابة ١/٣٩٩).

الربيع[١]، وعبد الله بن رواحة[٢]، وخلّاد بن سويد[٣]، وثابت بن قيس بن شمّاس[٤] وعبادة بن قيس[٥]. وقال: خلَت اثنتان، وبقيت أربع، انفضّ الناسُ فلا نظام لهم، وأكل قويُّهم ضعيفَهم، وقال الناس: هذا أمرُ الله، وقامت الساعة.

قال: وقال إبراهيم: وأخبرتني جدّتي أم سعد بنت سعد بن الربيع: إنّها كانت عند زيد بن خارجة حين توفي، وحين تكلّم بهذا الكلام، فأخبرتني ببعض ما أخبرني أبو بكر بن معمر، ولم تع ذلك كلَّه. قال عبد الرحمٰن: وكان أبو الزناد يحدّث نحو حديث إبراهيم بن يحيى، إلا أنّ أبا الزناد كان يقول: صدق صدق[٦]. وكان يقول: كنا أخوةً ثلاثةً، جيفتان قد اصلّتا، والثالثةُ ينتظرُ رحمةَ ربّه[٧]، وإنّه كان يقول: فمن خالفه فلا يعهدنّ به، وأنه كان يقول: يا عبد الله بن رواحة، هل رأيتَ لي خارجة وسعداً، ثم كبّر، فكأنه رآهم فقال: هذا فلان وفلان، للنفر الذين سمّاهم إبراهيمُ. وأنه كان يقول: جاءت الفتنة كأنها قِطعُ الليل. وأنّه كان يقول: كان أمرُ اللّهِ قدراً مقدوراً، لا أعلمه إلاّ ردّدها ثلاثاً. وأنه كان يزيدُ في صفةِ عمر، أنْ يقول: الذي يمنعُ الناسَ أن يأكل قويُّهم ضعيفَهم، وأنه كان يقول: مضت أربعٌ وبقيت ثمان.

---

(١) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي أحد نقباء الأنصار استشهد بأحد. (الإصابة ٢/ ٢٤).

(٢) الشاعر المشهور، ومن السابقين الأولين من الأنصار، استشهد بمعركة مؤتة. (الإصابة ٢/ ٢٩٨).

(٣) هو خلّاد بن سويد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً واستشهد يوم قريظة. (الإصابة ١/ ٤٤٩).

(٤) هو ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرىء القيس الأنصاري الخزرجي، خطيب الأنصار، بشره الرسول ﷺ بالجنة في قصة شهيرة رواها أهل الحديث. استشهد يوم اليمامة. (الاستيعاب ١/ ١٩٣ والإصابة ١/ ١٩٧).

(٥) في ب: جعل الناسخ كلمة (بن) بين شماس وعبادة. وهذا خطأ وقد ذكرنا نسب ثابت بن قيس، وعبادة هذا هو عبادة بن قيس بن عبسة بن أميّة بن مالك الأنصاري الخزرجي، استشهد بمؤتة. وقيل اسمه عباد. (الإصابة ٢/ ٢٥٨).

(٦) في ب: صدق بن يحيى.

(٧) في ب: رحمة الله.

● ٣١٥ ـ قال: قال أبو الزناد[١]:

توفي في ذلك الزمانِ بعد وفاة زيد[٢] رجلٌ آخرُ، فكبّر ـ فيما بلغنا ـ بعد وفاته، فاستمعوا له. فقال: صدق زيدٌ بنُ خارجة. لم يبلغنا[٣] أنه زاد على ذلك.

وتوفي رجلٌ ثالثٌ (١٦٤ و/) فقال ـ فيما بلغني ـ[٤]: لقيتُ ربّي، ولقيني برَوحٍ ورَيحانٍ، وربًّا غيرَ غضبان، والأمرُ أيسرُ ممّا تظنون، فلا تغترّوا.

● ٣١٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني ميمون الحضرمي[٥] قال:

أردتُ الحجَّ، فقالت لي امرأةٌ كنتُ أتحدّثُ إليها: أقِمْ فطفْ ببيتي سبعةَ أشواطٍ كما يطوفون بالبيت، وأركضْ بعيرَك به كما يُركضون إبلَهم، واحلِق رأسَك كما يحلقون رؤوسَهم، وارمِ جارتَنا التي تسعى بنا كما يرمون الجِمارَ، وقبّلني كما يُقبّلون الركن. [قال][٦]: ففعلتُ، فقلتُ في ذلك:

قد كنتُ أجمعتُ حجَّ البيتِ أطلبُه ... والقلبُ عن حجِّ ذاك البيت مشتجر
أرى خلافاً ذهابَ البيت أطلبُه ... وها هُنا بيتُ جملٍ ما له ستر[٧]

---

(١) في الاستيعاب ١/ ٥٥٢: قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني خطمة فسجى بثوب، فسمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق وكانت وفاته في خلافة عثمان.

(٢) في ب: بعد وفاته.

(٣) في ب: لم يبلغني سلفنا.

(٤) وفي الاستيعاب أيضاً: قال ربعي بن خراش: مات أخ لي كان أطولنا صلاة، وأصومنا في اليوم الحار. فسجّيناه وجلسنا عنده فبينما نحن كذلك، إذ كشف عن وجهه ثم قال: السلام عليكم. قلت: سبحان الله أبعد الموت؟ قال: إني لقيت ربي فتلقاني بروح وريحان، ورب غير غضبان، وكساني خضراً من سندس واستبرق، أسرعوا بي إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فإنه قد أقسم أن لا يبرح حتى أدركه أو آتيه، وإن الأمر أهون مما تذهبون إليه، فلا تفترقوا. ثم والله كأنما كانت نفسه حصاة فألقيت في طست.

(٥) هو ميمون بن عبد الله بن ضماد والحضرمي نسبة إلى حضرموت، وهو أخو العلاء بن الحضرمي المستجاب الدعوة وإلى البحرين. وبئر ميمون بمكة منسوبة إلى ميمون، حفرها بأعلى مكة في الجاهلية وعندها قبر أبي جعفر المنصور. (المعارف ٢٨٣ ومعجم البلدان ١/ ٢٣٦).

(٦) ما بين الحاصرتين تكملة من ب.

(٧) في ب: حج بيت ما له ستر.

لله سبعـــةُ أطـــوافٍ أطـــوفُ بـــه كمـا يطـوفـون شـدّاً لسـتُ أقتصـر
ورمـي جـارتهـا جَهـدي كـرمّيهـم[1] رؤوس الجِمـار التـي تُـرمـىٰ وتُبتَـدَر
فسـوف أحلـقُ راسـي مثـل حلقِهـم حتـى يكـرّوا وراسـي مـالـه شَعَـر
وسوف أركضُ نضوي مثل ركضهم حتـى يكـرّوا وهـو مستنقَـصٌ دَبـر
كـانـت مناسكُهـم تقبيلَهـم حجَـراً ومـن يقبّلـك لا يعـرض لـه حجـر
لـو كـان أدركهـا عثمـانُ أو عمـر مـا حـجَّ غيـرَك عثمـانٌ ولا عمـر

قال: فلقيني أبو بكر بن محمد بن موسى بن عمران البكري فقال: ما حملكَ - رحمك الله - على أنْ أخرجتَ أبا بكر مما أدخلت فيه الشيخين؟ قال: قلتُ: يرحمك اللَّهُ، إني لم أخرجه ممّا يتنافسُ الناسُ فيه.

● ٣١٧ - أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني محمد بن إسماعيل (١٦٤ ظ /) بن جعفر بن إبراهيم قال: حدّثني عبد العزيز بن عمران[2] قال:

كنتُ مع أبي باليمامة، وقد وفدَ على السَّريّ بن عبد الله[3] فأنشدنا ابن هرمةَ[4]:

هجـــوتُ الأدعيـــاءَ فنـــاصبَتْنـــي معـاشـرُ خِلتُهـا عَـرَبـاً صِحـاحـا
فقلـتُ لهـم وقـد نَبحُـوا جميعـاً علـيّ فلـم أجـبْ لهـم نبـاحـا
أأنتـــم منهـــمُ فـــأصـــد عنكـــم وأنسبكـــم لنسبتهـــم صُـــراحـــا
وإلاّ فـــاحمـــدوا رأيَّ فـــإنّـــي[5] أزحـــزحُ عنكـــم الابـــن القبـــاحـــا
وحسبـــكُ تهمـــةً لصحيـــح قـــومٍ يمـدُّ علـى أخـي سقـمٍ جَنـاحـا[6]

---

(١) في ب: ورمى جاراتها.
(٢) عبد العزيز بن عمران قائد عباسي معروف في عصر المأمون. (الأغاني ٩٠/ ٣١).
(٣) السريّ بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب أحد الولاة العباسيين ولى على اليمامة. وللمنصور على مكة سنة ١٤٣. انظر الطبري ٧/ ٥١١ و ١٤٩.
(٤) الشاعر المعروف أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية والنص في ديوانه ص ٨٢. (ترجمته في الشعر والشعراء ٦٣٩ والأغاني ٤/ ١٠٢).
(٥) في ب: فإنني.
(٦) في الديوان: تعدّ.

● ٣١٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني هارون بن عبد الله الزهريّ عن رجل قد أسماه نسيته، كان مع السَريّ بن عبد الله[١] قال:

كان السريّ بن عبد الله يقولُ[٢]: لَوددتُ أنّ ابن هرمة أتاني فأقول له: لو كتبتَ إليه فيقول: أكرهُ أنْ يكلّفني ما لا أطيق. فكتبتُ أنا إلى ابن هرمة، فأبى أن يأتيه إلاّ أن يكتب إليه، ثم غُلب صبرُه، فشخص إليه، فلما قدمَ دخلتُ على السري، فأخبرته فسُرَّ بذلك، وأذن للناس فدخل عليه ابنُ هرمة، وكان ذميماً، فقعد وقعد راويتُه ابنُ زبَنّج[٣] وكان جميلاً وسيماً. فقال له ابن هرمة: إني قد مدحتك أصلحك الله. قال: فأنشدْ. فقال: هذا ابن زبنج[٤] يُنشدُ. فأنشد ابن زبنّج. فقال له: مرحباً يا أبا إسحق، ما حاجتُك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً. قال: بل حرٌّ كريمٌ. قال: ما تركتُ لي مالاً إلاّ رهنتُه، ولا صديقاً إلاّ كلّفتُه. قال: حتى كان لي ريّانٌ وغالبٌ (١٦٥ و /) وهما مالان عظيمان[٥]، جعل السلطانُ غلتهما لصدقاتِ النبيِّ ـ ﷺ ـ يُنفق عليها[٦]، فما يخرج يُطعمه الناسُ. قال: وكم دَيْنُك؟ قالَ: سبع مائة دينار. قال: هو عليّ[٧]. قال: فمكث ابن هرمة أياماً. ثم قال لي: لقد غرضتُ[٨]. فقلتُ: قل شعراً تذكرْ فيه غرضك، وأنشده إياه، فقال[٩]:

إنّ الحمامةَ في نخلِ ابنِ هدَّاجِ   هاجت فؤادَ سقيمِ القلبِ مُهتاجِ[١٠]

---

(١) سقط من ب ابتداءً من الزهري. وقد سمى الأصفهاني في الأغاني ٤/١٠٨ هذا الرجل حين نقل الخبر عن الزبير: أبا زريق.

(٢) الخبر في الأغاني ٤/١٠٨.

(٣) في الأغاني: ربيح. تصحيف. وانظر الديوان ص ٣٨.

(٤) السطر مضطرب في الأصل. وسقط سطر من ب ابتداءً من (وكان جميلاً).

(٥) في الأغاني ـ الدار ـ حتى كأنّ له ديّاناً وعليه مالاً. فقال له السري: وما دَينك؟

(٦) في ب: عليهما الصدقات ينطق عليهما. وهو وهم من الناسخ.

(٧) في الأغاني: قال: قد قضاها الله جل وعز عنك.

(٨) في الأغاني: قد اشتقت. والغرض: الشوق.

(٩) الديوان ٧٦.

(١٠) في الديوان: أألحمامة .. هاجت صبابة عاني القلب مهتاج.

أمـا مخبـِّـرٌ أنَّ الغيـثَ قـد نُتجـت منـه عِشـارٌ تمـامـاً غيـرَ إخـداج[1]
شقّـت سـوائفُهـا بـالفَـرْش مـن ملَـلٍ إلـى الأعـارف مـن حَـزْنٍ وأولاج[2]

وقال فيها:

هـاجَ العيـيُّ إلـى شـوقٍ فهيَّجنـي فعجت من قلبٍ ماضٍ غير مُنعاج[3]
وابـن الـزبنَّـج ممّـا قـد يهيّجنـي بحلـق منتحـبٍ بـالليـل نشّـاج

فأمر له بدَينه، وأمر له بمالٍ غير ذلك، أراه إنْ شاء الله ألفَ دينار[4].

● ٣١٩ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال[5]: حدّثني إبراهيم بن حمزة عنَ المغيرة بن عبد الرحمٰن المخزومي عن عبد الله بن عمرو بن حفص، عن عبيد الله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ أنّه قال:

ما أسكَرَ كثيرُه فقليلُه حرامٌ[6].

● ٣٢٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني إسماعيل بن أبي أويس عن عبد العزيز بن المطّلب عن موسى بن عقبة عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه قال:

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: كلُّ مسكرٍ حرامٌ، وكلُّ مُسكرٍ

---

(١) في ب: تمام. وفي الديوان: أم المخبّر ـ قد وضعت . . تماماً. والعشار: واحدها العشراء، وهي الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية، أو هي كالنفساء من النساء. والإخداج: إلقاء الناقة ولدها قبل تمام الأيام.

(٢) في الأصل: شقت سوائبها. وفي الأغاني: شوائفها. والمثبت من الديوان. والسوائف: واحدها السائفة. ما استرق من أسافل الرمل. والفرش: موضع بالحجاز. والأعارف: جبال باليمامة. وأولاج: واحدها ولجة (بالتحريك). كهف تستتر فيه المارة من مطر وغيره، ومنعطف الوادي.

(٣) في الديوان: هاج الصبي . . فعشت من قلب. والمنعاج. الذي ثقل قلبه من أكل لحم الضأن.

(٤) في الأغاني: فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه، ومائة دينار يتجهز بها، ومائة دينار يعرض بها أهله، ومائة دينار إذا قدم أهله. قوله يعرض بها أهله أي يهدي لهم بها هدية.

(٥) من هنا اضطرب ترتيب الأوراق في الأصل. فقد جعلت هذه الورقة بعد الورقة رقم ٣٦. وطمس الجزء الأعلى منها الذي فيه هذا الخبر.

(٦) الترمذي ٨/٥٨ والجامع الصغير ٢/١٢١.

خمر[١].

● ٣٢١ ـ (١٦٤ ظ /) أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أخي هٰرون بن أبي بكر عن محمد بن المغيرة بن إسماعيل المخزومي عن عمر بن أبي بكر المؤملي عن سعيد عن عبد العزيز التنوخي القاضي، عن عبيد الله بن عزفجة الواشجي[٢] من الأزد، من أهل حمص قال:

كنتُ فيمن كان يحرسُ خشبةَ عبد الله بن الزبير، فدارت عليّ النوبةُ ليلةً، فبينا أنا بين النائم واليقظان، إذا رجلٌ يهمس همساً خفيًّا حتى وقف واضعاً يده عليها، فاعتمد ساعةً، ثم قال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين، ورحمةُ الله وبركاته، عوّضكَ اللّٰهُ الجنةَ من قتلتك، وأثابك سوءَ مثلتك، فقد كنتَ للحقّ إماماً، تجمعُ بين طرَفي ليلتِك الصِنَّبرة[٣] قائماً، وبين طرَفي يومِك القائظ صائماً، تغضبُ في الله، وترضى له، حَدِباً شفيقاً، تُنفّسُ كلَّ خِطةٍ مربّةٍ[٤]، وتحبسُ السِربَ دون الكلأ الوبيل، إنْ رتع لم تَذعره، وإنْ سكنَ لم تُنفره، وإنْ بغا كنت له مرتاداً، ترامّه ويُرَامّك على ذلك، ما كنّا وكنتَ حتى قعد بنا جَدُّنا، ونابكَ جَدُّك ﴿مع الذين أنعمَ اللّٰهُ عليهم من النبيّين والصِّـدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ، وحَسُـنَ أولئك رفيقا﴾[٥] قال: ثم ولّى واندفع يقولُ:

أَالحــقُّ أم لا إن خيــر خيــارنــا ... صــريــعٌ علــى أيــدي العــداة ينفــل
تهــاداه ذؤبــان العشــائــرِ بينهــا ... ويَفْــري لــه بــالفــأس جــذع مــرقــل
أطــوداً منيفــاً مشمخــراً ممــرّدا ... رســا أصلــه بــالأرض لا يتحلحــل
علــوتــم بــه جِــذعــاً ليُعــرف إنّمــا ... يُبــان الــذي يخفــىٰ ولا يُتــأمّــل

(١) الترمذي ٨/ ٥٥ والجامع الصغير ٢/ ٧٨ ونص الحديث فيه: كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة. وورد نصه في محاضرات الراغب ٢/ ٦٦٨.
(٢) في ب: الأشجي.
(٣) الصنبرة: الشديدة البرد.
(٤) المربّة: المعقّدة.
(٥) سورة النساء آية ٦٩.

(١٦٦ و /)

فلـولا جـزاءُ الله كـلاًّ بفعلـه ... لعـاش وأوديتـم ولله مـوئـل
فلله عينـا مَـن رأى مثـلَ خيـرنـا ... قتيـلا وهـادى النـاس عـرفـاً جبـأل

قال: فاتبعته حتى أخذته، فقلتُ له: مَن أنت؟ قال: رجلٌ من قريش، ثم أنا ابن أبي ثور العامري، فإنْ لم تكونوا رويتُم يا أهل الشام من دمائنا، فاشربوا ما بدا لكم.

قال: قلتُ: إنك لَمستميتٌ! قال: فهل إلى المنيّة من سبيل؟ قال عبيد الله بن عرفجة: فوالله ما منعني من قتله إلاّ الإبقاءُ على نفسي.

● ٣٢٢ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن المخزومي قال: حدّثني محمد بن موسى بن سلمة مولى منبوذ قال:

عزل عثمان بن عفّان عمرو بن العاص[١] عن مصر واستعمل عليها عبد الله بن سعد بن أبي سَرح[٢]، فدخل عمرو المدينةَ، فدخل على عثمان، فقال له عثمان: كيف تركتَ عبد الله بن سعد؟ قال: تركتُه أميراً على عمله، جاهلاً بنفسِه، وليس ذلك بشرِّ عُمّالِك. قال: شتمتنا يا عمرو.

قال: إنّ المعزول غضبانٌ، ولا أحسَبُني فعلتُ. فقال له عثمان: يا أبا عبد الله، إنّ الناس قد كثروا عليّ فاخرج حتى تعذرَني عندهم. فخرج عمرو، فصلّى مع الناس العصرَ، فلما سلّمَ الإمامُ قام إلى المحراب، فحمدَ اللّهَ، وأثنى عليه ثم[٣] قال: يا أصحاب محمدٍ، يا معاشرَ المهاجرين والأنصار إن منكم لمَنْ سبقني فرأى قبلي، ورأيتُ بعده (١٦٦ ظ /) واللّهِ ما رأيت خصاصةً إلا ألصقها رسولُ الله ـ ﷺ ـ بنفسه وأهل بيته دون المسلمين، ولا رأيت خيراً قطّ إلاّ عمَّ به رسول الله ـ ﷺ ـ المسلمين، أوَ كذاك ذاك، وقد رأيتموه؟ قالوا: اللهمّ نعم، فجزاه اللّهُ عن هذه الأمّةِ خيراً.

قال: ثمّ وليكم أبو بكرٍ، فسار بسيرته، وحذا حذوه، وسلك سبيله، وشمّرَ في

---

(١) انظر قصة عزله في الطبري ٤/٤٥٣.

(٢) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري. شهد فتح مصر واختلط بها وله مواقف محمودة في الفتوح توفي بعسقلان سنة ست وثلاثين. (الإصابة ٢/٣٠٩).

(٣) سقطت (ثم) من ب.

أمرِ الله، حتى قبضَه اللَّهُ إليه في خَلق ثويبٍ، ما له رداءٌ، أفكذاك ذاك[1]، وقد رأيتموه؟ قالوا: اللهمّ نعم، فرحمه الله، وجزاه عن الأمّة خيراً. قال ثم وليكم من بعده ابنُ حنتمة[2]، عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ فبعجَت له الأرضُ أمعاءَها، وفلذَت له كبدَها، ونكتت له مخّتها، وأبرزت له شحمتها، وتزيّنت له بزُخرفِها، وأمطرت عليه جوداً، وولدت له تماماً، فدرّت له غزراً، فقبضَ منها قبضاً، ومصّ ثديها مصًّا، ومشىٰ في ضحضاحها، وتنكّبَ غمرَتَها مشمِّراً إزارَه حتى خرج منها، وما ابتلّت قدماه، أو كذاك ذاك. وقد رأيتموه؟ قالوا: اللهمّ نعم، فرحمه اللَّهُ، وجزاه عن هذه الأمّة خيراً. قال: ثم وَليَكم من بعده عثمان، فعرفتم وأنكرتم، وقال وقلتم، تلومونه ويعذرُ نفسَه.

قالوا: فمه؟ قال: فارفقوا به، فإنّ الكسيرَ يجبَر، وإنّ الحسيرَ يبلُغ، وإنّ الهزيل يَسمن. أقول قولي هذا وأستغفر اللَّهَ لي ولكم. قال: فقيل لعثمان: ما بلغَ منك أحدٌ ما بلغَ عمرو. فلما دخل عليه قال: يا عمرو (١٦٧ و /) قمِلَتْ فروتُك منذُ عزَلناك عن مصرَ. قال: إنّك إمامٌ، ولا يجمُل بي شتمُك، ولقد قلتُ بأحسن ما حضرني، ولو حضرني غيرُ ذلك لفعلتُ.

● ٣٢٣ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن سلاّم عن أبي اليقظان قال:

لمّا هربَ يزيد بن المهلّب وإخوتُه من حبس الحجّاج استجاروا سليمان بن عبد الملك، وهو بفلسطين[3]، فبلغ ذلك الحجّاجَ فكتب إلى الوليد[4]: يا أمير المؤمنين، إنّ آل المهلب خانوا مال الله، ولحقوا بسليمان[5]. وقد كان بلغ الوليدَ هربُ يزيد وإخوته، فخشي أنْ يأتي يزيدُ خراسانَ، فينقضها عليه، فلما بلغه مكانُه عند سليمان أعجبَه ذلك.

---

(١) في ب: أو كذاك ذاك.

(٢) هي أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية. (الإصابة ٢/ ٥١١).

(٣) كان ذلك في سنة تسعين. وانظر تفصيل هروبهم في الطبري ٦/ ٤٤٨.

(٤) انظر هذه المكاتبات في جمهرة رسائل العرب ٢/ ٢٧٨ وفيه مصادرها.

(٥) في الجمهرة: وهربوا مني ولحقوا بسليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، وأن أمير المؤمنين أعلى رأياً.

وكتب سليمان إلى الوليد: أمّا بعدُ: يا أمير المؤمنين، فإنّ يزيد بن المهلّب وإخوته لجأوا إليّ، وقد أمّنتهم، وخَفِرتهم، وقد كان الحجّاج أغرمَهم ستةَ آلاف ألف درهم، وأدّوا منها ثلاثة آلاف ألف، وبقيت ثلاثة آلاف ألف درهم، فهي عليّ، والسلام.

فكتب إليه الوليدُ: أمّا بعدُ: فوالله لا أؤمنَّ يزيدَ ومَنْ معه حتى تبعثَ بهم إليّ.

فكتب إليه سليمان: أمّا بعدُ: يا أمير المؤمنين فإنك إن حملتني على أنْ أبعثَ بهم، قدمتُ عليك معهم[1].

فكتب إليه الوليد: والله لئن قدمتَ عليّ معهم لا أومنهم أبداً، فابعث بهم إليّ في وثاق. قال: فبعث بهم سليمانُ مع ابنه أيوب. وقال لابنه: يا بُنيّ إذا أردتَ الدخولُ على عمّك فادخل أنت ويزيد في سلسلةٍ، واقرن نفسَك معهم ففعل أيوب (١٦٧ ظ /) ذلك. قال: فلما رأى الوليدُ ابنَ أخيه مع يزيد في سلسلة قال: لقد بَلغنا مبلغاً شاقًا. ثم تكلّم أيوب بن سليمان فقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك، لا تُخْفِر ذمّةَ أخيك[2]، فإنّك أحقُّ مَنْ منعها، ولا تقطعْ رجاءَ مَنْ رجا السلامةَ في جواره لمكانه منك[3]، ولا تُذلَّ من أمَّلَ العِزَّ في الانقطاع إليه بعزّه منك[4]. ثم دفعَ إليهِ كتابَ سليمان، فإذا فيه: أمّا بعدُ: يا أمير المؤمنين فوالله إنْ كنتُ لأظنُّ ـ لو استجار بي عدوٌّ قد نابذَك[5]، وجاهدك، فأنزلتُه، وأجَرْته ـ أنك لا تُذلّ جاري، ولا تُخفر جواري، على أني لم أجِر إلاّ امرءاً مسلماً، سامعاً مطيعاً، حسنَ البلاء والأثر في الإسلام، وفي طاعتنا، هو وأبوه، وأهل بيته[6]، وقد بعثتُ به إليك، فإنْ كنتَ يا أمير المؤمنين إنما تغزو[7] قطيعتي، وإلا خفار بذمّتي، وإلا بلاغ في مساءتي، فقد قدرتَ

(١) في الجمهرة: ولئن أنا بعثت به إليك لأجيئن معه، فأنشدك الله أن لا تفضحني ولا تخفرني.
(٢) في الجمهرة: ذمة أبي.
(٣) في الجمهرة: جوارنا لمكاننا.
(٤) في الجمهرة: إلينا لعزنا بك.
(٥) نابذك: خالفك وعصاك.
(٦) سقطت (وأهل بيته) من الجمهرة.
(٧) تغزو: تقصد.

إنْ فعلتَ، وأنا أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من احتراز[1] قطيعتي، وانتهاك حُرمتي، وترك برّي وصِلتي، فوالله يا أميرَ المؤمنين، ما تدري ما بقاؤك ولا بقائي، ولا متى يُفرّق الموتُ بيني وبينك، فإنْ استطاع أميرُ المؤمنين[2] أنْ لا يأتيَ علينا أجلُ الوفاة إلاّ وهو لي واصل، ولحقّي مؤدٍ، ولقرابتي حافِظٌ[3]، وعن مساءَتي نازعٌ، فليفعلْ، فوالله يا أمير المؤمنين ما أصبحتُ بشيء من أمور الدنيا ـ بعد تقوى الله ـ أسرّ[4] مني برضاك وسرورك، وإنّ رضاك مما ألتمس به رضوانَ الله (١٦٨ و /) فإنْ كنت يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر صلتي ومبرّتي[5] وإعظام حقّي فتجاوزْ لي عن يزيد وأهلِ بيته[6]، وكلُّ ما طالبتهم[7] به فهو عليّ، والسلام. فلما قرأ الوليدُ الكتاب قال: لقد شققنا على أبي أيوب.

ثم دعا أيوب بن سليمان فقرّبه وأدناه، ثم تكلم يزيد بن المهلب فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ بلاءكم عندنا ـ أهل البيت ـ[8] أحسنُ البلاء، فمن ينسَ ذلك فلسنا ناسيه، ومن يكفره[9] فلسنا كافريه، وقد كان من بلائنا أهلَ البيت في طاعتكم، والطعن في أعدائكم في المواطن العِظام، وفي المشارق والمغارب، ما المِنّة[10] فيه علينا عظيمة. فقال له الوليدُ: اجلس، فجلس، فآمَنه وكفَّ عنه، وعن أهل بيته[11]، وردّهم إلى سليمان.

وكتب الوليدُ إلى الحجّاج: أمّا بعدُ: فإنّ أمير المؤمنين لم يصل إلى يزيد

---

(١) في الجمهرة: احتراد. وهي رواية الطبري أيضاً. وتعني قصد. وفي ابن خلكان ٢/ ٢٧٠ اختيار.
(٢) في الجمهرة: أدام الله سروره.
(٣) سقطت هذه العبارة من الجمهرة.
(٤) في الجمهرة: بأسر.
(٥) في الجمهرة: ومسرتي.
(٦) سقطت (وأهل بيته) من الجمهرة.
(٧) في الجمهرة: طلبته.
(٨) سقطت (أهل البيت) من الجمهرة.
(٩) في الجمهرة: يكفر.
(١٠) في الجمهرة: ما ان المنة.
(١١) (وعن أهل بيته) ساقطة من الجمهرة.

وإخوته مع سليمان، فلا تعرض لهم، ولا تراجعني فيهم[1] والسلام.

● ٣٢٤ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني العُتبي قال: حدّثني أبي عن هشام بن صالح عن أبيه عن سعد القصر قال[2]:

دخل يَعلىٰ بن مُنْيةَ[3] على معاوية بن أبي سفيان فقال: يا أميرَ المؤمنين إني هززتُ ذوائبَ الرجالِ إليك، إذ لم أجدْ مُعوّلاً إلاّ عليك، وما زلتُ أستدلُّ[4] المعروفَ عليك وأجعلُ النهار إليك مطيّتي، فإذا ألوى بي الليلُ، فقُبض البصرُ، وعفّا الأثرُ، أقام بدني وسافر أملي، يقودني نحوك رجاءٌ، ويسوقني إليك بلوى، فالنفس مستبطئة، والاجتهادُ (١٦٨ ظ /) عاذرٌ، وإذا بلغتك فقط. فقال معاوية: أحطظْ عن راحلتكَ رحلها. ثم قال: يا كعب، أعطه ثلاثين ألفَ درهم، فلما ولّى شوّال[5]، وليوم الحمل ثلاثين ألفاً أخرى ثم قال: إلحَق بصِهرك عتبة[6]. وكان عتبةُ متزوجاً بابنة يعلى. قال: فخرج إلى مصر، فلما دخل على عُتبة قال له: أصلحك اللّهُ إنّي سِرتُ إليك شهرين أخوضُ فيهما المتالفَ، ألبس أرديَة الليل مرّةً، وأسير في لُجج السوادِ أخرى، مُوْقراً[7] من حسنِ الظنّ بك، هارباً من دَينٍ قد آدنى[8] بعد غناءٍ جَدعْنا به أنوفَ الحاسدين، فلم أجد إلاّ إليك مهرباً وإلاّ عليك مُعوّلاً. فقال: مرحباً، وأهلاً، إنّ الدهر أعاركم غنىً، وخلطكم بنا، ثم استردّ ما أمكنه أخذَه، وقد أبقى لكم منّا ما لا ضَيعة عليكم بعد[9] ما بقيت النعمةُ علينا، وأنا رافعٌ يدي ويدَك بيد[10] الله.

---

(١) في الجمهرة: فاكفف عنهم واله عن الكتاب إلى فيهم.
(٢) الخبر مختصر في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/ ٥٣٥.
(٣) صحابي معروف بالغنى والسخاء. انظر الاستيعاب ٣/ ٦٢٤. ولم يسمه صاحب محاضرات الأدباء وقال: دخل رجل.
(٤) في ب: استبدل.
(٥) كذا في النسختين.
(٦) هو عتبة بن أبي سفيان.
(٧) موقر: رزين.
(٨) آدني: أثقلني.
(٩) في ب: معه.
(١٠) في ب: ويد الله.

ثم قال له: كم أعطاك أميرُ المؤمنين؟ قال: ستين ألفاً. فأمر له بمثلها.

● ٣٢٥ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال:

دخلت ليلى الأخيليّة على مروان بن الحكم، فقال لها مروان: ويحكِ يا ليلى أكان توبةُ كما نعتِّ؟ قالت: أصلحك اللّهُ، والله ما قلتُ إلا حقاً، ولقد قصّرتُ، وما رأيتُ رجلاً قطّ كان أربطَ جأشاً على الموت منه، ولا أقلَّ انحياشاً حين تحتدمُ براكاء[1] الحربِ، ويَحمي الوطيسُ، وتَهِرُّ الكماةُ أقرانَها، كان ـ والله ـ[2] كما قلتُ[3]:

فتىً لم يزلْ يزدادُ خيراً لدُن نشا ... إلى أنْ علاهُ الشيبُ فوق المسائح[4]
شجاعٌ إذا الهيجاء شبّت مُشايحٌ ... إذا حاد عن أقرانِهِ كلُّ شائح[5]

(١٦٩ و /)

تراه إذا ما الموتُ دَرَّ بودقِه ... ضروباً طَليٰ أقرانِه بالصفائح[6]
فعاد حميداً لا ذميماً فعالُه ... وَصولاً لقُرباه يُرى غيرَ كالح[7]

فقال لها مروان: يا ليلى كيف يكونُ توبةُ كما تقولين، وكان خارباً[8]؟ قالت: أصلحكِ اللّهُ، ما كان خارباً، ولا للموتِ هائباً، ولكنه فتىً كانت فيه جاهليّةٌ، ولو طال عمرُه، وأنساه الموتُ لارعوى قلبُه، ولقضى من لهوِ نحبه، ولكنّه كما قال ابن عمّه سَلَمة بن زيد بن عبد الله:

---

(١) براكاء الحرب: ساحة القتال.
(٢) سقط القسم من ب.
(٣) الديوان ص ٦٢ وفيه مناسبة النص أيضاً.
(٤) المسائح: واحدها المسيحة وهي الذؤابة.
(٥) في الديوان: لدى الهيجاء ثبت .. إذا انحاز .. سابح. والمشايح والشائح: المقاتل والجاد في الأمور.
(٦) في الديوان: الموت حلّ بورده .. ضروباً على أقرانه. الودق: المطر. الطلي: الشخص.
(٧) في الديوان: فعاش حميداً.
(٨) خارب: لص. وفاسد في دينه.

لِلَّــهِ قــومٌ غــادروا ابــنَ حُميِّــرٍ أخـاهـم صـريعاً بـالسيـوف البـواتـر
لقـد غـادروا حـزمـاً وحلمـاً ونـائـلاً وصبراً على اليوم العَماس القُماطر[1]
إذا هـابَ وِردَ المـوتِ كـلُّ صَفنـددٍ[2] عظيـم الحـوايـا خيـرُه غيـرُ حـاضـر
مضـى قُـدُمـاً حتـى يُعـامِسَ حميـه وجـاد بسيـبٍ فـي السنيـن القـواسـر
يـرى الجـود مـالاً يحتـويـه وصبـره على الموت حقّاً فاعتلى كلَّ فاخر

فقال لها مروان[3]: أبىٰ اللَّهُ يا ليلى إلاّ ما أراد، فأعوذ باللَّهِ من درَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، فوالله لقد هلك توبةُ، وإنْ كان لمن فتيان العرب وسباعهم، ولكنّه أدركه الشقاءُ فهلك، وهو ذميمُ الفِعال، وترك لقومه عداوةً أخرى الليالي، ثم بعث إلى أناسٍ من بني عَقيل، فقال لهم: والله لئن بلغني عنكم أمرٌ أكرهه من أجل توبة لأصلبنّكم على جذوع النخل فإيّاكم ودعوى الجاهلية، والتشَبُّه (١٦٩ ظ /) بأهلها، فإنّ الله ـ تعالى ـ قد جاء بالإسلام، وهدم ذلك كلَّه، وإنّ توبةَ قُتل، وكان لله عدوّاً خارباً، لا يأمنُ جارُه بوائقَه، فالحمد لله الذي كفى المسلمين شرَّه، ثم قال:

مضـى لا حميـداً يـرتجيـه صـديقُـه ولا خـائفـاً منـه العـدوُّ المحـاربُ

قال أبو عبد الله الزبير: وهذا البيتُ لابن البرصاء المرّي[4] قاله لأحمر بن سالم المرّي[5] الذي يقول[6]:

---

(١) يوم عماس وقماطر: يوم حرب شديد.
(٢) الصفندد: الضخم الأحمق.
(٣) انظر خبر مقتل توبة بن الحمير في الأغاني ١٠/ ٦٩.
(٤) هو شبيب بن يزيد بن جمرة المري، والبرصاء أمه لقبت بذلك لبياضها وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية بدوي لم يحضر إلا وافداً أو منتجعاً. والبيت أخل به شعره المجموع. (الأغاني ١١/ ٩٣).
(٥) الأحمر بن سالم المري شاعر أموي مدح عبد الملك وهجا الحجاج فأحرقه في النار بالعراق. (تهذيب ابن عساكر ٢/ ٣٣٢).
(٦) الأبيات ١ ـ ٤ في الحماسة البصرية ١/ ١١٣ و ١، ٤ في المختار من شعر بشار والأول في تهذيب ابن عساكر ٢/ ٣٣٢. و ١، ٤ بدون نسبة في حماسة أبي تمام ٢/ ٣٣٠.

مقِـلٌّ رأى الإقـلالَ عـاراً فلـم يـزلْ		يجـوبُ بـلاد الله حتـى تمـوَّلا[1]
إذا جـاب أرضـاً أو ظـلامـاً رمـتْ بـه		مهـامـه أخـرى عِيشُـه متقلقِـلا[2]
ولـم يُثنـه عمّـا أراد مهـابـةً		ولكنْ مضى قُدماً وما كان مسبَلا[3]
فلمـا أفـاد المـال جـاد بفضلـه		لمـن جـاءه يـرجـو جَـداه مـؤمّـلا[4]
وأعطـى جـزيـلاً مـن أراد عطـاءه		وذو البخل مذموماً يرى البخل أفضلا
كئيبـاً فمـا يُـرجـا بخيـرٍ ولا يُـرى		بجـود لمـن يـرجـو جَـداه تفضُّـلا
فشتّانَ ذو البخل الذميمُ وذو الندى		إذا ذكـرا أو نـازعـا المجـدَ محفـلا
يقـال ذميـمٌ ليس يُـرجـا فضـولـه		قطـوبٌ إذا مـا جئتـه متـوسِّـلا
بـداك بـلا والبخـلُ منـه سجيّـةٌ		فمـا يستطيـعُ الجـودَ إلاّ كـلا ولا
وذو الجـود يُعطـي ضـاحكـاً متبـرّعـاً		إذا جـاد أمسـى للتبـرع أجمـلا
يرى الحقَّ بذلَ المال والجودَ بالندى		إذا البـاخـلُ الهيّـابُ عـن ذاك أجبـلا
(١٧٠ و /)
فللـه مفقـودٌ جـوادٌ بمـالـه		لقـد مـات محمـودَ الفِعـال مُـرقّـلا
فـلا زال يُسقـى مستهـلاً سحـابُـه		يدَ الدهر حتى يبعث اللّهُ قُرمُلا[5]
ولا زال مـذكـوراً بخيـرٍ وصـالـحٍ		حميـداً ثنـاه مجـدُه لـم يُحلحـلا[6]
ولا زال ذو البخـل الضَّنيـنُ بمـالـه		ذميمـاً إذا سـام الـرجـال مُـذلّـلا
مضـى وبقـى مـا كـان حـاز لـوارثٍ		فأعطى ذوي الأرحام يوماً وأفضلا
فقيل جزى الرحمٰنُ خيراً أخا الندى		ولا زال ملعـونـاً أخـا البخـل مُتبـلا

قال: فدخل الأحمرُ بن سالم المرّي على عبد الملك بن مروان فقال له: يا

(١) في أبي تمام: كريم راى الاقتار . . . أخا طلب للمال . .
(٢) في البصرية: . . أرضاً يتتويها رمت . . فتغلغلا.
(٣) في ب: مبسلا. وفي البصرية: وإن كان مسبلا.
(٤) في أبي تمام:
. . . عاد بفضله		على كل من يرجو.		وجداه: عطاؤه.
(٥) في القاموس: قرمل كقنفذ ابن الحميم ملكٌ بعد مرثد بن ذي جدن.
(٦) في ب: لن يحلحلا.

أحمر كيف قلتَ:

مقلٌّ رأى الإقلال عاراً فلم يزل ... يجوبُ بلادَ اللّهِ حتّى تموّلا

فأنشده، فأصغى إليه مطرقاً، فلما فرغ قال له: حاجتُك؟ قال: أنت أمير المؤمنين أعلى بالجميل عيناً، فافعل ما أنت أهلُه، فإني لِما أوليتني غيرُ كافرٍ.

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، وألحقه في الشرف، فخرج من عند عبد الملك وهو يقولُ:

بكفّ ابن مروان حَييتُ وناشني ... إلهيَ من دهرٍ كثيرِ العجائب

فأدركني والركنُ مني مضعْضعٌ ... وقد أشرف الأعداء من كلّ جانب[1]

وقالوا هو المريُّ سيّدُ قومِه ... عُروقٌ نمتْه من لؤيّ بن غالب

فقلت بحمد الله لا حَمدِ غيره ... وحَمد ابن مروان نجوتُ وصاحبي

من الليث إذ نحّى إليّ بنانه ... وكان أليماً أخذه للمحارب[2]

(١٧٠ ظ /)

فأفلَتُّ منه بعدما قد تشبّث ... بشلْوي منه موجَدات المخالب[3]

وكان ابن مروان يرأبُ الثأي ... ويُشعبُ ما أعيا به كلُّ شاعب[4]

ويُعطي المنى من جاءه متنصِّفا ... وفوق المنىٰ ورغبةَ المتراغب

وكم لابن مروان على الناس من يدٍ ... إذا ذُكرت لم تُخزه في المحاصِب

تداركَ دينَ الله إذ هُدّد ركنُه ... وأطمع فيه كلُّ نكسٍ وجانب

بحزمٍ وجدٍّ لا يُجارى وجدّةٍ ... وصبرٍ على وقع السيوف القواضب

وحلمٍ عن الجهّال إذ شنفوا له ... وساروا بجمعٍ مُطلخمٍّ الكتائب[5]

---

(١) في ب: وأدركني.

(٢) في ب: نحى عليّ . . . للتجارب.

(٣) الشلو: العضو والجسد من كل شيء.

(٤) في ب: ما يعيا. والثأي: الإفساد.

(٥) في ب: مطلخم صياهب. ومطلخم كمطرخم مسود.
وصياهب: واحدها صيهب. وهو اليوم الحار. والموضع الشديد.

فنــازلهــم بــالسيـفِ صلتــاً ونــاصـرٌ مــن الله إنّ الله ليـــس بغـــائـــب
فــولّــى جمـوعُ المحلـديـن وأدبـروا كما أدبرت ملْ الأُسدِ نور الثعالب[1]
وقـــوَّم ديـــن الله مـــروانُ وابنُـــه ولـم يَـرْجُمـا مـا جمّعـوا بـالتكـاذب
همّـا صـدقـا الأعـداءَ فـي مُـرجحنَّـةٍ تولّوا حذارَ الشرمحيّ الضُّباضِب[2]

الشرمحي من الرجال: التام الجميل الكريم[3].

ولـو وقفـوا صـاروا حـديثـاً لخَلفِهـم كمـا حـدّث الأقـوامُ عـن أهـل مـأرب
وقـام لنـا مـن بعـدُ مـروانُ وابنُـه بحـزمٍ ورأيٍ غيـر هَـدٍّ مـوارب
فـبدوّخَ مـن عـادى الإلٰـه بصـولـةٍ يبصبـصُ منهـا كـلُّ خِـرقٍ محـارِب

فلما أنشد عبد الملك قال: أحسنت، ويحكَ يا ابن سالمٍ، هل كنت هيّأتَ شيئاً مما قلتَ قبل اليوم؟ قال: لا. قال: ويحك[4] فقد أمكنك القول، فلا تكثِر، وقليلٌ كافٍ خيرٌ من كثيرٍ[5] غير شافٍ. ثم أمرَ له بخلعة، وأربعة آلاف درهم وحمله. فقال: الزمْ بابي، وإيّاكَ وأعراضَ الناس، فإني أرى لك لساناً (١٧١ و /) لا يدَعُك حتى يوقعَك في ورطة يوماً، فاحذر أنْ يوردَك شعرُك موردَ سوءٍ يصيّرك تحت كلكلِ هزبرٍ أبي شبل يضغمُك ضغْماً لا بقيّة بعد ضغمه فيك. فلم يلبث الأحمر بن سالم أنْ قدم العراق فهجا الحجاج بن يوسف وقال في هجائه له:

ثقيـفٌ بقـايـا مـن ثمـودٍ ومـالهـم أبٌ مـاجـدٌ مـن قيـس عيـلان يُنسـب
إذا انتسبـوا فـي قيـس عيـلان كُـذّبـوا وقـالـوا ثمـودٌ جـدّكـم والفخـرنـب
هـمُ ولـدوكـم غيـر شـكٌّ فيمّمـوا بـلاد ثمـودٍ حيـث كـانـوا واعـذبـوا
وأنـت دعـيٌّ يـابـن يـوسـف فيهـمُ زنيـمٌ إذا مـا حُصّلـوا تتـذبـذبُ

---

(١) في ب: جموع المدبرين.
(٢) مرجنحة: من الفعل ارجحن أي مال واهتز، وجيش مرجحن ورحيً مرجحنة ثقيلة. والضباضب: الفحّاش الجريء.
(٣) سقط هذا السطر من ب.
(٤) سقط سطر من ب ابتداءً من (يا ابن سالم).
(٥) سقط الجار والمجرور من ب.

فطلبه الحجّاج، وأجعلَ فيه، وتقدم إلى سائر عماله أنْ لا يُفلته[1]، فأخذه صاحبُ هِيت، ووجَّه به مقيَّداً، فلمّا أُدْخل على الحجّاج. قال: ما جزاؤك عندي إلاّ أن أعذّبَك بما اختاره اللَّهُ لأعدائه من أليم عذابه، فأُحرِق بالنار.

وقال الحجّاج متمثّلاً[2] بقول ابن مخلاة الكلبيّ[3] يهجو هَمّام بن قَبيصة النّميري[4]، وكان همام ضربه على وجهه ضربةً شترَ عينه، فلم يزل أشتر حتى مات، فقال:

بما جرَمتْ كفّاكَ لاقيتَ ما ترى — فلا يبعدُ الرحمٰنُ غيرَك هالكا
غمصتَ نعيماً لم تكن أنتَ أهله — فصادفتَ ليلاً موجه الركن تامكا[5]
فقضقضَ ركناً طال ما كان آيباً — وأصبح تذروه الرياحُ سوامكا
(١٧١ ظ /)
فبُعداً لمن يبكيك ما هبّت الصَبا — وسُحقاً فقد لاقيت ليثاً مُعارِكا

قال أبو عبد الله الزبيرُ: وكان الأحمرُ بن سالم والعلاء بن عتواره الليثيّ مع ابن الزبير، فلما قُتل ابن الزبير لحق الأحمرُ ببشر بن مروان، فطلبه إبراهيم بن عربي فظفر به، فبعث به إلى الوليد بن عبد الملك فطلب إليه فيه، فأمنه، وأمّا ابن عتوارة فقتله بعد ذلك شبيب الحروريّ مع الحجّاج، وكان ابن عتوارة شجاعاً وهو الذي يقول:

ما أبالي إذا لبستُ سِلاحي — وركبتُ الجوادَ ما قُلتما لي

---

(١) في ب: يفلتهم.
(٢) سقطت كلمة (متمثلاً) من ب.
(٣) هو عمرو بن المخلاة الكلبي، شاعر أموي من تيم اللات بن رفيدة له مقطعات شعرية وأخبار في يوم مرج راهط الذي كان لمروان بن الحكم على الضحاك ابن قيس الفهري عامل يزيد بن معاوية. (الطبري ٥/ ٥٤٣ والأغاني ١٧/ ١٢).
(٤) أورد الطبري لهمّام خبراً سنة ست وخمسين فقال: دخل همّام بن قبيصة النمري فنظر إليه معاوية محمر العينين فقال: يا همّام إن عينيك لمحمرتان. قال همام: كانتا يوم صفين أشد حمرة فغمّ معاوية ذلك. وقد قتل في يوم مرج راهط. ورثاه ابن مقبل. (الطبري ٥/ ٣٠٦ وأنساب الأشراف ٥/ ١٣٦).
(٥) في ب: غمطت . . موجد الركن. تامك: طويل.

ما سئمتُ القتالَ مُذ كنت غَرّاً ... يافعاً لَذّتي مع الجهّال
أحسبُ الموت شربةً من عُقارٍ ... شُعشعت لي بماءِ عذبٍ زلال
فانقضت شِرّتي ولاح بياضٌ ... واضحٌ عمَّ مِفرقي وقَذالي[1]
وتجنّيتُ بعد حُسن قوامٍ ... بعدما كنتُ رائعاً للرجال
رُبَّ قَرنٍ رأيتُه مُسلحِبّا ... فوق عرنينه سفاه الشمال[2]
مُجلعِباً حشوتُه أزرقيّا ... صادقاً وقعُه غداةَ النزال[3]

● ٣٢٦ ـ حدّثني الزبيرُ قال: أنشدني عمي مصعب بن عبد الله لليلىٰ الأخيليّة في قتل عثمان رضي الله عنه[٤]:

قُتلَ ابنُ عفّانَ الإمامُ ... فضاعَ أمرُ المسلمينا[٥]
وتشتّتت سُبلُ الرشا ... د بصادرين وواردينا[٦]

(١٧٢ و /)

فانهض معاوي نهضة ... تُشفى بها الداءَ الدفينا
أنت الذي من بعدِه ... تُدعَىٰ أميرَ المؤمنينا

● ٣٢٧ ـ حدّثني الزبير قال: أنشدني عمّي لحسّان بن ثابت في قتل عثمان رضي الله عنه[٧]:

قتلتم وليَّ اللَّهِ في جوف داره ... وجئتم بأمرٍ جائرٍ غيرِ مُهتدي
فلا ظفِرت أيمانُ قوم تظاهرت ... على قتل عثمانَ الرشيدِ المسدَّد

---

(١) الشرة: بالكسر الشباب.
(٢) المسلحب: المستقيم.
(٣) المجلعب: الماضي الشرير.
(٤) سقطت عبارة (رضي الله عنه) من ب. والأبيات غير موجودة في الديوان. وهي في الاستيعاب ٣/ ٨٣.
(٥) في الاستيعاب: وضاع.
(٦) في الاستيعاب: الصادرين.
(٧) الديوان ٦٦. وسقطت عبارة (رضي الله عنه) من ب.

● ٣٢٨ ـ وأنشدني أيضاً لحسان بن ثابت في قتل عثمان رضي الله عنه[١]:

فكـفَّ يـديـه ثـم أغلـق بـابَـه ... وأيقـنَ أنّ اللّـهَ ليـس بغـافـل[٢]
وقـال لأهـل الـدار لا تقـاتلـوا ... عفا الله عن كلّ امرىءٍ لم يقاتل[٣]
فكيـف رأيـتَ اللّـهَ ألقـى عليهـم الـ ... ـعداوةَ والبغضاءَ بعـد التـواصـل[٤]
وكيـف رأيـتَ الخيـر أدبـرَ بعـده ... عـن النـاس إدبـار النَعام الجـوافـل[٥]

● ٣٢٩ ـ حدّثني الزبير قال:

سمعت سفيان بن عُيينة يقولُ: قيل لبعض السَلَف: أترجو الأجرَ فيما أحلَّ اللّهُ لك؟ قال: نعم، أرأيتَ لو فعلتَ شيئاً وهو حرامٌ، أكنتَ تخافُ الإثم؟ قال: نعم. قال: فارجُ الأجرَ فيما أحلَّ لك، كما تخافُ الإثم فيما حرّم اللّهُ ـ عزّ وجلّ ـ عليك.

● ٣٣٠ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال سمعتُ الواقدي يقولُ:

كان أبو شريح الخزاعي[٦] من عقلاء أهل المدينة فكان يقول: إذا رأيتموني أبلغُ

---

(١) سقط الترضي من ب.
والمقطوعة في ديوان كعب بن مالك ٢٦٤ منسوبة لكعب. وفيه مصادرها. وفي الاستيعاب: إنهما مما ينسب لكعب والأبيات ١ ـ ٣ مع بيت آخر في التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص ٣١٥ منسوبة للمغيرة بن الأخنس.
(٢) في ب والأغاني: كف. ولا يستقيم بها الوزن.
(٣) في الديوان: وقال لمن في داره.
والشاعر يشير في هذا البيت والذي قبله إلى ما رواه عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: كنت مع عثمان في الدار فقال: أعزم على كل من رأى لي عليه سمعاً وطاعة أن يكف يده ويلقي سلاحه فألقى القوم أسلحتهم. (العقد الفريد ٤/ ٢٩٤ ط ٢ (لجنة التأليف).
(٤) في الديوان: رأيت الله صب عليهم.
(٥) في الديوان:
وكيـف رأيـت الخيـر أدبـر عنهـم ... وولـى كـأدبـار النعـام الجـوافـل
(٦) اسمه خويلد بن عمرو، وقيل: عمرو بن خويلد وقيل كعب بن عمرو وقيل هانىء بن عمرو. صحابي أسلم قبل الفتح. وكان يحمل أحد ألوية بني كعب بن خزاعة يوم فتح مكة توفي بالمدينة سنة ثمان وستين.
=

بمن أنكحتُه أو نكحتُ إليه السلطانَ فاعلموا أني مجنونٌ فاكووني، وإذا رأيتموني (١٧٢ ظ /) أمنعُ جاري أن يضعَ خشبةً في حائطي فاعلموا أني مجنونٌ فاكووني، ومَنْ وجدَ لأبي شُريحٍ سمناً أو لَبناً أو جدايةً فهو له حِلٌّ فليأكله وليشربْه[١].

قال الواقدي: وكان له مالٌ بالمدينة فيه ما ذكرَ فكان الناس يرعَوْن فيه.

● ٣٣١ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني سليمان بن عياشٍ السعدي قال: حدّثني أبو وجزة قال:

لقيتُ النسّابةَ البكريّ بمنىً فسألتُه، فإذا هو أعلمُ الناس، فقلت له: أيّ الشعراءِ أغزلُ؟ قال: أصدقُهم وجداً، الذي إذا سمعتَ شعرَه أويتَ لقائله، أما يقفُ في سمعك قولُ حُجَازيّكم عمرو بن عجلان[٢]، واستخفّه مرّةَ الوجدُ فهرب، فوقع في أرض بني فزارة فقال:

بكـى فبكـت لـه أجبـالُ صُبْـحٍ ... وأسعـدت الجبـالُ بهـا مـروتُ[٣]
حجـازيّ الهـوى علـقٌ بنجـدٍ ... ضميـنٌ مـا يعيـش ولا يمـوت[٤]
فتـردعُـه الـدبُـورُ لهـا أجيـجٌ ... ويُسلمـهُ إلـى الـوجـد المبيـتُ
كـأن فـؤادَه كفّـا طـريـدٍ ... كـأنهمـا بشـاطـي البحـرِ حـوت
لهنـدٍ منـك عيـنٌ ذات سجـلٍ ... وقلـبٌ سـوف يـألـم أو يفـوت[٥]

= ونص الخبر في الاستيعاب برواية مصعب عن الواقدي. (الاستيعاب ٤/ ١٠٢ والإصابة ٤/ ١٠٢).

(١) الجداية: الغزال.

(٢) هو عمرو بن العجلان بن عامر بن برد من هذيل، يلقب (ذو الكلب) شاعر جاهلي قديم مغوار. أحب امرأة فقتل من أجلها. وضرب به المثل في ذلك. قال قيس بن ذريح:
وفـي عـروة العـذري إن مـتّ أسـوة ... وعمـرو بـن عجـلان الـذي قتلـت هنـد
(انظر أمالي القالي ٢/ ٢١٩ والأغاني ٢٠/ ٢٢ وديوان الهذليين ٣/ ١٣).

(٣) جبال صبح: في ديار بني فزارة.
والمروت: المفازة بلا نبات.

(٤) الضمين: والضمن العاشق.

(٥) هند: حبيبته التي قتل من أجلها ويقال لها أم جليحة من فهم.

إذا اكتنفـا بضـرّهمـا سقيمـاً يعـادي الـداء ليس لـه مُقيـت[1]

● ٣٣٢ ـ وأنشدني الزبير للمقنَّع[2]، وهو محمد بن عُمير بن أبي شمر الكِنديّ[3]:

ولا أحمـلُ الحِقـدَ القـديـمَ عليهـمُ وليس رئيسَ القوم من يحمل الحقدا
وليسـوا إلـى نصـري سِراعـاً وإن هُـمُ دعَـوْنـي إلـى نصـرٍ أتيتُهـمُ شَـدًّا[4]
(١٧٣ و /)
إذا أكلـوا لحمـي وفَـرْتُ لحـومَهـم وإنْ هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدا[5]
يعيّـرنـي بـالـدَّيْـن قـومـي وإنمـا ديـونـيَ فـي أشيـاءَ تُكسِبُهـم حمـدا[6]

وكان من أجمل أهل زمانه، وأحسنهم وجهاً، وأتمهم قامةً، فكان إذا كشف وجهه لُطمَ، فكان مقنّعاً دهرَه، فسمي بذلك المقنّع[7].

● ٣٣٣ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

ثلاثٌ من كنوز الجنّة: المصيبةُ والصدقة والمرض. وقال: ليس الحليمُ من ظُلمَ فحلمَ، وصبر حتى إذا قدر انتقم، ولكن من ظُلم فحلم حتى إذا قدر عَفا. وقال: صُنْ عقلك بالحِلم، ومروءَتك بالعَفاف، ونجدتَك بمجانبةِ الخُيلاء، ووجهَك بالإجمال في الطلب.

وقال: ما حُصِّنت النعَمُ بمثل المشاورة، ولا اكتُسِبت البغضاءُ بمثل الكِبر.

---

(١) في الأصل: تعاد.
(٢) شاعر أموي مقل، واختلف في اسم أبيه فقيل عمير، وقيل ظفر بن عمير. وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته. (الأغاني ١٥/ ١٥٧).
(٣) الأبيات من قصيدة طويلة في حماسة أبي تمام ٢/ ٣٢ وأمالي القالي ١/ ٢٨٠ والتذكرة السعدية ١/ ٢٨٧.
(٤) في الأمالي: أراهم إلى نصري بطاء وإن هم.
(٥) في الحماسة والأمالي: فإن أكلوا.
(٦) في الحماسة والأمالي: يعاتبني بالدين.
(٧) النص في الأغاني أيضاً.

● ٣٣٤ ـ أنشدني الزبيرُ لبعض المدنيّين:

أرى لـك أخـلاقـاً حِسـانـا قبيحـةً ... فـأنـت يقينـاً مثـلُ مـا أنـا واصـف
سخـيٌّ بخيـلٌ أحمـقٌ متظـرِّفٌ ... جبـانٌ شجـاعٌ مستقيم مخـالـف[١]
كـذلـك إنـي عـالـمٌ بـك جـاهـل[٢] ... كمـا أنّ قلبـيَ مُنكـرٌ لـك عـارف
تلوّنتَ حتى لستُ أدري من العمى ... أريحُ سكونٍ أنت أم أنت عاصف؟

● ٣٣٥ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

قال عمر بن عبد العزيز: اللهمّ إني أطعتُك في أحبِّ الأشياء إليك، وهو التوحيد، ولم أعصِك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفرُ، فاغفر لي ما بينهما.

● ٣٣٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني علي بن صالح قال: حدّثني جدي عن هشام بن عروة قال:

صلّى بنا يوماً من الأيام عبدُ الله (١٧٣ ظ /) بن الزبير فوجمَ بعد الصلاة ساعةً. فقال الناسُ: لقد حدَّث نفسه. ثم التفتَ إلينا، فقال: لا يبعدنَّ ابنُ هندٍ إنْ كانت فيه لمخارجٌ لا تجدُها في أحدٍ بعده، والله إنْ كنّا لنفرِّقه فيتفارقُ لنا، وما الليثُ الحربُ على براثنه بأجرأ منه، وإن كنّا لنخدعه وما ابنُ ليلَةٍ من أهل الأرض بأدهى منه، فيتخادعُ لنا، والله لوددتُ أنّا مُتّعنا به ما دام في هذا الجبل حجَرٌ، وأشار إلى أبي قُبيس[٣]، لا يتخونُ له عقلٌ، ولا تنقص له مرّةٌ. فقلنا أوحشَ واللّهِ الرجل.

● ٣٣٧ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني عليّ بن صالح قال: حدّثني جدّي عبد الله عن هشام بن عروة:

أنه كان يصلُ بهذا: كان والله كما قال بطحاء، وبطحاء رجلٌ من عذرة كان مدحَ معاوية فقال:

---

(١) في ب:
رجـل أحمـق متطـرق جبـان ... شجـاع مستقيـم مخـالـف
(٢) في ب: وإني عالم. تحريف.
(٣) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة.

رَكُـوب المنـابـر وثّـابُهـا		معـنٌ بخطبتـه مُجهـر
تَـريـعُ إليـه فصـوص الكـلام		إذا خطـل النشـر المهمـر

ثم يقول: كان والله كما قالت رُقَيقةُ[1]، وكانت امرأةً من قريش، وأمّها بنت أسد بن عبد العزّى أو بنت خويلد بن أسد:

ألا أبكيـه ألا أبكيـه		ألا كـلُّ الفتـى فيـه

● ٣٣٨ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو ضمرة قال: حدّثني ربيعةُ بن أبي عبد الرحمٰن[2] قال[3]:

لقد رأيتُ مشيخةً بالمدينة، وإنّ عليهم الغدائرُ، وإنّ عليهم الممصَّرُ[4] والمورَّد، وفي أيديهم المخاصِرُ[5]، وفي أيديهم أثرُ الحِنّاء في هيئة الفتيان (١٧٤ و /) ودِين أحدِهم أبعدُ من الثريّا إنْ أريد على دِينه.

● ٣٣٩ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن قال: أخبرني هبيرة بن مرّة القشيري قال:

كان لي غلام يسوق ناطحاً لي، فكان يرطنُ بالزنجيّة بشيء شِبه الشعر ولا أعرفُه، فجاءنا راعٍ يتفصَّح. فقلتُ له: تروي ما يقول هذا، وأخبرنا به. قال فإنه يقول:

أنـاخـوا بعَجْعـاج[6] قـلائـصَ سُهَّمـا		فقلـتُ لهـا إنّـي اهتـديـت لفتيّـةٍ
عيـونَ الأعـادي يجعـلْ الليـل سُلّمـا		فقالت كذاك العاشقون ومَنْ يخفْ

● ٣٤٠ ـ حدّثني الزبير قال: أنشدني عمي لعبد الله بن مصعب[7]:

---

(١) اسمها في شاعرات العرب ١١٢ رفيقة بنت تباتة.
(٢) هو ربيعة الرأي بن فرّوخ مولى آل المنكدر التيميين، وتوفي سنة ست وثلاثين ومائة بالأنبار في مدينة أبي العباس، وكان أقدمه للقضاء. وكان يكثر الكلام. (المعارف ٤٩٦).
(٣) الخبر في عيون الأخبار ١/ ٢٩٩.
(٤) في العيون: المعصفر. والممصّر: المصبوغ بالأحمر.
(٥) المخاصر: واحدها، المخصرة كمكنسة. وهي ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها.
(٦) العجعاج: ذات عجاج، والصياح من كل ذي صوت.
(٧) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير. شاعر خطيب فصيح، ذو عارضة وبيان وقد=

قـال عثمـانُ زُر حبـابـة بـالعـرصـة ... تُحـدث تحيَّـة وسـلامـا[1]
قلـت زرهـا واثـتِ أمَّ عـديّ ... تـرتـدي ليلـةً إلينـا الظـلامـا
ثـم نلهـو إلـى الصبـاح ولا نقـربُ ... فـي اللهـو والحـديـث حـرامـا
وصفـوهـا فلـم أزلْ ـ علـم الله ـ ... إليهـا مستـولِهـاً مُستهـامـا
هـل عليهـا فـي نظـرةٍ مـن جُنـاح ... مـن فتـىً لا يـزور إلاّ لمـامـا
حـال فيهـا الإسـلامُ دون هـواهُ ... فهـو هـوي ويـرقـبُ الإسـلامـا
ويميـلُ الهـوى بـه ثـم يخشـىٰ ... أنْ يطيـعَ الهـوى فيلقـى أثـامـا[2]

● ٣٤١ ـ حدّثني الزبير قال: أخبرني عمر بن أبي بكر المؤملي عن ابن[3] أبي عبيدة قال: قال يزيد بن عبد الملك[4]:

زعموا أنه لا يصفو لأحدٍ عيشٌ يوماً[5]. ثم قال: لا تخبروني غداً بشيء. وجلس مع حبابة فأكلا ثم أكلت حبابة رمّاناً فشرِقت بحبّةٍ فماتت. فمكثت ثلاثاً لا تُدفن، ثم غُسلت وأخرجت، فمرّ يزيد في جنازتها فلما دُفنت قال[6]:

فإن تسلُ عنكِ النفس أو تدَع الصّبا ... فباليأس يسلو عنك لا بالتجلّد[7]

= نادم أوائل الخلفاء العباسيين وتولى لهم أعمالاً. (الأغاني ٢٠/ ١٨٠).

(١) حبابة: مولدة من مولدات المدينة لرجل من أهلها يعرف بابن رمّانة، وقيل لغيره وكانت حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء. وكانت تسمى العالية ولما اشتراها يزيد بن عبد الملك سماها حبابة.
كذا في الأصل والبيت مكسور. (انظر الأغاني ١٣/ ١٥٤).

(٢) سقط هذا الخبر والشعر من ب.

(٣) سقطت كلمة (ابن) من ب.

(٤) طمست الكتابة في الأصل ابتداءً من هذه الكلمة إلى بداية الشعر. والخبر والشعر في الأغاني ١٣/ ١٦٥ برواية المؤملي عن أبي غانم الأزدي.

(٥) في الأغاني: زعموا أنه لا تصفو لأحد عيشة يوماً إلى الليل إلا يكدرها شيء عليه، وسأجرب ذلك.

(٦) في الأغاني: وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دفنت قال أصبحت والله كما قال كثير:

(٧) في الأغاني: فإن يسل عنك القلب.

وكــلُّ حميــم راءنــي فهــو قــائــلٌ من أجلكِ: هذا هامة اليوم أو غد[1]

● ٣٤٢ ـ حدّثني الزبير قال: أنشدني يونس بن عبد الله بن سالم ليزيد بن مارية، مولى الأنصار:

ورأت عُثيمـــةُ أننــــي متبـــذّلٌ نشـوانُ قـد أهلكـتُ مـالـيَ أجمـع
فتجهمتْنــي ثــم كــان جــوابهــا ارجـع بغيظـك ليس فيهـا مَطمـع[2]
(١٧٤ ظ /)
إنــا قــد أطـرفنـا سـواك محـدِّثـاً سمحـاً، سجيّتُـه مَـريٌّ مـرتـع[3]
قــد طــال مــا منّيتنـا وخـدعتنـا فـاذهـب بشعـرك فـابتـغِ مَـن تخـدعُ
حتـى متـى تهـذي بشعـرك عنـدنـا قـد مـلَّ سمعـي ليـت شعـرُك ينفـع
تـأتــي فتخبـرُنـا بـأنـك شـاعـرٌ والشعـر ليـس بنـافـعٍ للجُـوَّع[4]
اجعــل مكــان قصيــدةٍ هيّــأتهــا للقــوم أقـرن ذا قــوائــمَ أربــع
أمّــا الإهــابُ فقِــربــةٌ تسقيهــمُ واللحـم يُجعـل للقـديـد ويخلـع
والشحـــمُ تحملـــه جميعـــاً كلَّـــه فيكــون للمصبــاح شهــراً ينفــع
والـرأسُ فـي كـرشٍ فيصبـح عنـدنـا فهنـاك يُـروى مـا تقـول ويُسمَـع
والصوفُ يُجعَل في الوسائد نافعٌ وتـرى الأكـارع فـي الحشيش تـزلـع
والقَــرن تجعلــه نصــابــاً جيــداً فـإذا الـذي أهـديـتَ كـلٌّ ينفـع
أكثـرْ لهـنَّ مـن الـدقيـق وزَيتِـه والتمـرُ أوصـفُ بـالعيـال وأشبـع
فتكـــون فينـــا سيّـــداً مــا زرتنــا وتـرى عُثيمـةَ عنـد قـولـك تقنـع

● ٣٤٣ ـ حدّثني الزبير قال[5]: حدّثني عمي مصعب بن عبد الله قال:

---

(١) في ب: وكل خليل. راءني: رآني. واتبع الأصفهاني هذين البيتين بقوله: فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها.
(٢) في ب: فتهجمتني . . . ليس فينا مطمع.
(٣) مري: ذو عطاء. وفي الأصل: مري المرتع.
(٤) كذا في الأصل وفيه أقواء وكذا في البيت الذي يليه.
(٥) النص في تحفة العروس ٦٢. نقلاً عن الموفقياتِ.

حدّثني أبي[1] قال: حدّثني قُدامة بن إبراهيم الجمحي قال: وحدّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي[2] عن أبيه عن جدّه قال:

حضرتُ رجلاً من ربيعة الوفاةُ فقال لابنه: يا بنيَّ إذا حَزبكَ أمرٌ فاحكك ركبتيكَ بركبة من هو أسنُّ منك ثم استشرْه[3]. قال: فمات أبي، فأردتُ التزويج[4]، فجئت شيخاً من قومي، فجلستُ في ناديه، فلما قام مَنْ عنده، قال: ألكَ حاجةٌ يا ابن أخي؟ قلت: نعم يا عَمّ، إني (١٧٥ و /) أردتُ التزويجَ[4]. قال: أطويلةُ النسب أم قصيرتُه؟ [قلت:] فوالله ما اخترتُ ولا أدبتُ.

فقال: إني أعرفُ في العين إذا عرفت، وأعرفُ في العين إذا أنكرت، وأعرف في العين إذا لم تعرف، ولم تُنكر. فأما إذا عرفت فإنها تحاوصُ للمعرفة، وأمّا إذا أنكرتْ فإنها تجحظُ للنكرة، وإذا لم تعرف ولم تُنكر فإنها تسجو سجواً. يا ابن أخي إيّاك أن تَزوَّج إلى قومِ أهلِ دناءةٍ، أصابوا من الدنيا غَثَرَةً[5] فتشركهم في دناءتهم، ويستأثرون عليك بدنياهم. فقمتُ وقد اكتفيتُ.

● ٣٤٤ ـ حدّثني الزبيرُ قال: سمعتُ عمي مصعباً يقول:

قال مالك بن أسماء لهند[6]: أعطني صفة مسوحكِ[7]. قالت: لا أعطيكه تعلّمه جواريك ولا حياء لهنّ، فألحّ عليها. فقالت: ما أخذتُه إلاّ من شِعرك حيث تقول:

أطيبُ الطيب طيبُ أمّ أبان ... فأرُ مسكٍ بزنبقٍ مفتوق
خلّطته بعنبرٍ وبندٌ ... فهو أحوى على اليدين شريف

---

(١) سقطت كلمة (أبي) من ب.
(٢) سقطت هذه العبارة ابتداءً من (قال).
(٣) سقطت عبارة (ثم استشره) من ب.
(٤) في التحفة: التزوج.
(٥) الغثرة: سفلة الناس.
(٦) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري، شاعر إسلامي غزل، وكان الحجاج ولاه بأصبهان. بعد أن تزوج أخته هنداً. وكان حسن الصورة جميلاً. (الأغاني ١٦/ ٤١).
(٧) في ب: مسوكك.

قال لي عمي: وهي مسوح[1] أمّكَ.

● ٣٤٥ ـ حدّثني الزبير قال: أخبرني ثابت بن الزبير بن هاشم قال[2]:

قدم المأمون من خراسان معه بشاعرٍ، فلقيه أبو العتاهية، فقال له أبو العتاهية: مَنْ أشعرُ أنا أو أنتَ؟ قال: أنت أشعرُ وأولى بالتقدمة، ووقّره. فقال له أبو العتاهية: كم تقول في الليلة من بيت. قال: ربما أقمتُ على القصيدة لا تكون ثلاثين بيتاً[3] شهراً[4]. قال: فأنا أشعر منك، ربما دعوتُ الجاريةَ، فأمليتُ عليها خمسَ مائة بيتٍ. قال: فحميَ الخراساني (١٧٥ ظ /) وقال: لو كنتُ أرضى مثل شعرك لقلتُ في ليلةٍ خمسةَ آلاف بيتٍ[5]. قال: مثلُ أيّ شعر؟ قال: مثلُ قولك:

ألا يا عتبةُ الساعه أموتُ الساعةَ الساعه

قال: فاستضحك القوم منه.

● ٣٤٦ ـ حدّثني الزبير قال: حدّثني محمد بن الحسن المخزومي قال: حدّثني رجلٌ من إخواني من الزهّاد قال:

خرجنا مع رجلٍ من العُبّاد، يقال له: دَهْثَم[6]، والأرض تكاد تخشعُ لخشوعه، فإذا نحن برَجلٍ يضربُ عبداً له بالسوط، فوعظه دهثم، فقلب السوطَ، فوضعه بين أذنيه، فأسرعنا ونحن نريد أنْ نبلغَ منه. فقال لنا دهثم: مهلاً فإني سمعت[7] الله رضي وصيّة عبدٍ من عبيده حيث قال: ﴿يا بُنيَّ أَقِم الصلاةَ، وأمرْ بالمعروفْ، وانهَ عن

---

(١) في ب: مسوك.

(٢) الخبر في الأغاني ١١/١٧. والشاعر الذي تحادث مع أبي العتاهية فيه محمد بن مناذر. وفي ٢٩/١٧ رواية أخرى للخبر نفسه مع ابن مناذر أيضاً. والنص في الجليس الصالح ١/ ٥٣٠ نقلاً عن الزبير وبالسند نفسه.

(٣) سقطت عبارة لا تكون ثلاثين بيتاً، من ب.

(٤) في الأغاني: أقول في الليلة إذا سنح القول لي واتسعت القوافي عشرة أبيات إلى خمسة عشر.

(٥) في الأغاني: ألف بيت.

(٦) هو أبو العلاء دهثم بن قران العكلي روى عن أبيه ويحيى بن أبي كثير. (تهذيب التهذيب والبيان والتبيين ١/ ٣٦٥).

(٧) كذا في الأصل.

المنكَر، واصبرْ على ما أصابك، إنّ ذلك من عَزمِ الأمور﴾[1] فقد أمرَنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، فدعوني أصبر على ما أصابني.

● ٣٤٧ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثتني ظبية[2] مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت:

خرجت أنا ودهيَةُ مولاة محمد بن مصعب[3] إلى مسجد الفتح فوجدنا فيه ابن جُندَب[4] قد صلّى فيه ثم خرج، فقلت له: إي عمّ. فقال:

وإذا دَعَونَكَ عَمهُنَّ فإنّه ... نَسَبٌ يَزيدُكَ عندهنَّ خَبالا[5]

قالت: وأطلعتُ له يدي وقلتُ له: هذا الذي قلت:

يمشي إلى مسجد الأحزاب مختضبا

فقالت لي صاحبتي: أطعمتِه والله فينا. قالت: قلت لها: إنما (١٧٦ و /) يُطمَع في أهل الشرّ. قالت[6] فصَلّينا ثم خرجنا، فوجدناه قد عرّض يديه على باب المسجد وقال:

أي مَنْ يجمعُ المواسم أنتم ... حدّثينا حقّاً ولا تكذبينا

قالت: قلتُ له:

نحن من ساكني العراقِ وكنّا ... قبلها قاطنينَ مكةَ حِينا

قال: ألا تجلسنَ تحدثن ونُحدثكنّ، كما قال:

رطبُ السؤالِ له نعلان من بَقَرٍ ... حلوُ المزاحَةِ معسولُ الأماثيل

---

(١) سورة لقمان آية ١٧.

(٢) انظر بعض أخبارها مع مولاتها فاطمة في الأغاني ٥/١٣٩.

(٣) هو محمد بن مصعب بن الزبير.
انظر جمهرة نسب قريش ١/٣٣٦ ونسب قريش ٢٥٠.

(٤) في الأغاني ٨/ ١٣٠ عبد الله بن مسلم بن جندب وله خبر مع ظبية. وله أشعار وأخبار فيه ٥/ ١٤٥ و ٧/٨.

(٥) البيت للأخطل في ديوانه ١/ ١٠٧.

(٦) سقطت العبارة ابتداءً من (في أهل) من ب.

قالت: فأَبَينا، فذهبنا.

● ٣٤٨ ـ حدّثني الزبير قال[١]: حدّثني أبو الحسن المدائني قال[٢]:

لما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبد الملك بن مروان عبد الرحمٰن بن زيد الحَكمي في المسير إلى العراق، ومُناجَزَة مصعب بن الزبير فقال: يا أمير المؤمنين قد واليتَ بين عامين تغزوهما، وقد خَسرتَ خيلَك ورجالَك، وعامُك هذا عامُ جَدْبٍ، فأرحْ نفسَك وجسدَك، ثم ترى رأيَك[٣]. قال: إني أبادرُ ثلاثةَ أشياء: الشامُ أرضٌ المالُ بها قليلٌ، وأخافُ أن ينفد ما معي، وأشرافُ أهل العراق قد كتبوا إلي يدعونني إلى أنفسهم، وأهل العراقِ كلاّ ولا. وثلاثةٌ من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ قد كبرُوا، ونفدَتْ أعمارُهم، فأنا أبادر بهم[٤] الموتَ، أحبُّ أن يحضروا معي. ثم دعا يحيى بن الحكم[٥]، وكان يقولُ: مَنْ أراد أمراً (١٧٦ ظ /) فليشاورْ يحيى، فإذا أشار عليه بأمرٍ فليعملْ بخلافه. فقال: يا[٦] يحيى ما ترى في المسير إلى[٧] العراق؟ قال: أرى أنْ ترضى بالشام، وتُقيمَ بها، وتدَعَ مصعباً والعراقَ، فلعنَ الله العراقَ[٨]. فضحك عبد الملك، ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاورَه. فقال: يا أمير المؤمنين قد غزوتَ مرّةً فنصرك اللّهُ، ثم غزوتَ الثانية فزادك الله عزّاً، فأقم عامَك هذا. فقال لمحمد بن مروان: ما ترى؟ قال: أرجو أن ينصرَكَ اللّهُ، أقمتَ أم غزوتَ، فاغزُ عدوَّك وشمِّرْ، فإنّ اللّهَ ناصرُك.

---

(١) من هنا المنشور في المجلد (٣) من بحوث الجمعية الملكية للعلوم في جوتنجن.
(٢) الخبر في أنساب الأشراف ٥/ ٣٣ والأغاني ١٧/ ١٦١.
(٣) في الأنساب: فأرج الأمر سنة أو سنتين واسترح.
(٤) في ب: أبادرهم.
(٥) هو يحيى بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان بن الحكم. ولاه عبد الملك المدينة سنة ٧٥. وكان ممن قال شعراً ينكر على يزيد قتل الحسين رضي الله عنه. (انظر الطبري ٥/ ٤٦٠ و ٦/ ٢٠٢).
(٦) سقطت (يا) النداء من ب والمجلة.
(٧) سقط قوله (في المسير إلى) من ب.
(٨) سقط قوله (لعن الله العراق) من ب.

فأمرَ الناسَ، فاستعدّوا للمسير، فلما أجمع قالت عاتكة بنت يزيد[1]: يا أمير المؤمنين، وجِّه الجنودَ، وأقمْ فليس من الرأي أنْ يباشرَ الخليفةُ الحربَ بنفسه، قال: لو وجّهتُ أهل الشام كلّهم، فعلم مصعبٌ أني لستُ معهم، لهلك الجيشُ كلُّهم، وتمثّل:

ومُستخبِرٌ عنّا يريدُ بنا الردىٰ ومستخبراتٌ والعيونُ سَواكِبُ

قال: فقدّم محمد بن مروان، ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وبشرُ بن مروان، ونادى منادٍ، إنّ أميرَ المؤمنين قد استعمل عليكم سيّدَ الناس محمد بن مروان، وبلغ مصعبَ بن الزبير مسيرُ عبد الملك بن مروان، فأراد الخروج، فأبىٰ عليه أهلُ البصرة وقالوا: عدوُّنا مُطِلٌّ علينا، يعنون الخوارجَ، فأرسلَ إلى المهلب وهو بالموصل عامله عليها، فولاّه قتالَ الخوارج، وخرج مصعب فقال بعض الشعراء، وكان مصعبٌ يخرج إلى باجُمَيْرَا[2] يريد (١٧٧ و/) الشامَ ثم يرجعُ، [وأولها:

أبيتَ يا مصعبُ إلاّ سَيْرا][3].

أكلَّ عامٍ لكَ باجُميْرا تغزو بنا ولا تُفيدُ خَيرَا[4]

فأقبل عبد الملك حتى نزل الأَخْنونيّة[5]، ونزل مصعبٌ بمسْكِن إلى جنب

---

(١) هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، زوجة عبد الملك وأم أولاد يزيد ومروان ومعاوية وأم كلثوم. والخبر في الأغاني ١٧/ ١٦٢ وانظر الطبري ٦/ ٤٢.

(٢) باجميرا: موضع دون تكريت. في معجم البلدان: ذكر الأخباريون أن عبد الملك بن مروان كان إذا هم بقصد مصعب بن الزبير بالعراق يخرج كل سنة إلى بطنان حبيب، وهي من أدنى قنسرين إلى الجزيرة فيعسكر بها ويخرج مصعب إلى سكن فيعسكر بباجميرا من أرض الموصل كل واحد منهما يرى صاحبه أنه يقصده ولا يتم كل واحد منهما قصده. فإذا اشتد الشتاء وارتج الثلج انصرف عبد الملك إلى دمشق. ومصعب إلى الكوفة.

(٣) سقطت كلمة (وأولها) مع الشطر الذي يليها من الأصل والمجلة والأنساب والأغاني.

(٤) البيت في معجم البلدان ١/ ٤٥٥ منسوب لأبي الجهم الكناني. وهو في مروج الذهب ٥/ ٢٤١ برواية أخرى هي:

أبيت يا مصعب إلاّ مسيرا في كل يوم لك باجميرا

(٥) الأخنونية: موضع من أعمال بغداد. (ياقوت).

أوانا[١]، وخَندقَ خندقاً، ثم تحوَّل، ونزل دَيْرَ الجاثليق وهو بمسكِن، وبين العسكرَين[٢] ثلاثةُ فراسخ، ويقال: فرسخان. فقدّم عبدُ الملك محمدَ بن مروان وبِشرَ بن مروان، كلّ واحدٍ منهما[٣] على جُندٍ[٤] والأميرُ محمدٌ.

ووجّه مصعبٌ على مقدمته إبراهيمَ بن الأشتر[٥]. وكتب عبد الملك إلى أشراف أهل العراق يدعوهم إلى نفسه، ويُمنّيهم، فأجابوه واشترطوا عليه شروطاً، وسألوه ولاياتٍ، وسأله أربعون رجلاً منهم أصبهانَ. فقال عبد الملك: ما أصبهانُ هذه؟ تعجّباً من كثرة مَنْ يطلبها. وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر[٦]: لك ولاية ما سقى الفراتُ إنْ بايعتَني، فجاء إبراهيم بالكتاب إلى مصعب، فقال: هذا كتاب عبد الملك إليّ، ولم يخصَّني[٧] بهذا دون غيري من نظرائي، فأطعني فيهم. قال: أصنعُ ماذا؟ قال: تدعو بهم فتضرب أعناقَهم. قال: أقتلُهم على ظنٍّ ظننته؟ قال: فأوقِرْهم حديداً، وابعثْ بهم إلى أبيض[٨] المدائن حتى تنقضي الحربُ. قال: إذاً تفسُد قلوب عشائرهم، ويقولُ الناسُ: عبث مصعبٌ بأصحابه. قال: فإنْ لم تفعل واحدةً من هاتين، فلا تَمُدّني بهم، فإنهم كالمُومِسةِ تُريد كلَّ يوم خليلاً، وهم يُريدون كلَّ يومٍ (١٧٧ ظ /) أميراً. وأرسلَ عبدُ الملك رجلاً إلى مصعب فقال: أقرىء ابنَ أختِكَ السَّلامَ، وقلْ له: يَدَعُ أنْ يدعوَ إلى أخيه، وأدَعُ أنْ أدعو إلى نفسي، وأصيّر الأمر شورى[٩]. فأتاه فأبلغه فأبىٰ، فقدّمَ عبد الملك أخاه محمّد بن مروان، وقال: اللهمّ

---

(١) مسكن: موضع على نهر دجيل عند دير الجاثليق به كانت الوقعة بين مصعب وعبد الملك، فقتل مصعب وقبره هناك معروف. وأوانا: بليدة كثيرة البساتين والشجر نزهة من نواحي دجيل بغداد من جهة تكريت. (ياقوت).

(٢) سقطت كلمة (العسكرين) من ب.

(٣) سقط من ب ابتداءً من (وبشر).

(٤) في الأغاني: جيش.

(٥) هو إبراهيم بن الأشتر النخعي سيد النخع وفارسها، قتل مع مصعب سنة اثنتين وسبعين. (العبر ١/ ٨١).

(٦) خبر الرسالة في الأغاني ١٧/ ١٦٢ والكامل في التاريخ ٤/ ٣٢٥.

(٧) في الأغاني: لم يخصصني.

(٨) في الأغاني: أرض المدائن.

(٩) في الأنساب: فقال مصعب: قل له: السيف بيننا.

انصر محمداً، اللهمّ إن مصعباً يدعو إلى عبد الله وأدعو إلى نفسي، اللهمّ انصرْ خيرَنا لهذه الأمّةِ. وقدَّم مصعبٌ إبراهيم بن الأشتر[1] فالتقت المقدَّمتان، وبين عسكر مصعب وبين ابن الأشتر فرسخٌ، ودنا عبد الملك[2] فصار بينه وبين عسكر محمّد، فتناوَشوا، فقُتِل رجل على مقدّمة محمد يقال[3] له: فِرَاسٌ. وقُتل صاحب لواء بِشرٍ، وكان يقال له: أسيدٌ. فأرسلَ محمدٌ إلى عبد الملك رجلاً، فقال: قل له إن بِشراً ضيَّعَ لواءَه، فصيَّرَ عبدُ الملك الأمرَ إلى محمد، وكفَّ الناسُ، وتواقفوا، وجعل أصحابُ ابن الأشتر يَهمّون بهم[4]، ومحمّد يكفّهم، فأرسل عبد الملك إلى محمد: ناجزهم. فأبىٰ، فردّ إليه رسولاً آخر يشتمُ محمداً. فأمرَ محمدٌ رجلاً فقال: قفْ في ناسٍ من أصحابك، فلا تدَعَنَّ أحداً يأتيني من قِبَل عبد الملك. فوجَّه عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فلما رأوه أرسلوا إلى محمد: هذا خالدٌ بن عبد الله بن خالد بن أسيد. فقال: ردّوه بأشدّ ما رَددتم به مَن كان قبله. فلما كان قرب المساء. قال محمدٌ للناس: حَرِّكوهم[5]. فتهايج الناسُ، ووجّه مصعبٌ إلى إبراهيم عتّابَ بن ورقاء الرياحيّ[6]، فعجَّز إبراهيم بن الأشتر (١٧٨ و /) قال: قد قلتُ له: لا تمدّني بأحدٍ من هؤلاء. واقتتلوا، وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى الناس[7]، فقال: لا تنصرفوا حتى ينصرفَ أهلُ الشام عنكم. فقال عتّابٌ: ولِمَ لا ننصرف؟ فانصرفَ، وانهزمَ الناسُ حتى أتوا مصعباً، وصبر إبراهيمُ بن الأشتر حتى قُتل، فلمّا أصبحوا أمرَ محمدٌ رجلاً فقال: انطلق إلى عسكر مصعبٍ، فانظر كيف تراهُم بعد قتل ابنِ الأشتر.

---

(١) سقط قوله (إبراهيم بن الأشتر) من ب.

(٢) سقط من ب ابتداءً من (فرسخ).

(٣) سقط من ب ابتداءً من (على مقدمة).

(٤) في ب: به. وفي الأغاني: يهمون بالحرب.

(٥) في المجلة: احركوهم.

(٦) كنيته أبو ورقاء. وكان من أجود العرب، وكان الفرخان صاحب الريّ كفر فوجه إليه فقتله وفتح الري، وولي إصبهان في فتنة ابن الزبير. وولي المدائن وناحيتها. وأرسله الحجاج سنة ست وسبعين لحرب شبيب الشيباني الخارجي فقتله شبيب. (المعارف ٤١٥ والشذرات ١/ ٨٣).

(٧) في المجلة والأغاني: إلى الناس بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه في رأيه أن لا تنصرفوا . . .

قال: لا أعرفُ موضع عسكرهم. فقال له إبراهيمُ بن عربيّ الكِنانيُّ: انطلق، فإذا رأيتَ النخلَ فاجعله منك موضعَ سيفك يعني[1] يسارك، فانطلقْ حتى تطلعَ على العسكر. فمضى الرجلُ حتى أتى عسكرَ مصعب. ثم رجعَ إلى محمد فقال: رأيتُهم مُنكسرين. وأصبحَ مصعبٌ فدنا، ودنا منه محمدٌ حتى التقوا، فترك قومٌ من أصحاب مصعبٍ مصعباً، وأتوا محمّداً[2] فدنا محمدٌ فقال لمصعب: فداك أبي وأمي، إنّ القومَ خاذلوك فأبىٰ. فدعا ابنَه عيسى[3] فقال له: انظر ما يريدُ محمدٌ. فدنا فقال: إني لكم ناصحٌ، إنّ القومَ خاذلوكم، ولكَ ولأبيك الأمانُ. وناشدَه، فرجع إلى أبيه فأخبرَه. فقال: إني أظنُّ القومَ سَيَفُونَ، فإنْ أحببتَ أنْ تأتيَهم فأتِهم[4]. فقال: لا تُحدِّثُ نساءُ قريشٍ أني خذلتُك، ورغبتُ بنفسي عنك. قال: فتقدَّمْ حتى أحتسِبَك. فتقدّمَ، وتقدّمَ ناسٌ معه، فقُتل وقُتلوا، وترك الناسُ مصعباً حتى بقي في سبعةٍ، وجاء رجلٌ من أهل الشام ليحتزَّ رأس عيسى، فشدَّ عليه مصعبٌ فقتله، ثم شَدَّ (١٧٨ ظ /) على الناس فانفرجوا، ثم رجع فقعد على مِرْفَقة ديباجٍ، ثم جعلَ يشدُّ على أهل الشام، فينفرجون عنه، ثم يرجعُ فيقعد على المِرفقة، حتى فعلَ ذلك مراراً، وأتاه عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان[5]، فدعاه إلى المبارزة، فقال: اغرُبْ يا كلْبُ[6]. وشدّ عليه مصعبٌ فضربه على البَيْضة، فهشمها وجرحَه، فرجع عبيد الله، فعصبَ رأسَه، وجاء ابنُ أبي فروة[7]، مولى عثمان، وكان كاتباً لمصعب، فقال لمصعبٍ: جُعلتُ فداك، فقد تركَكَ الناسُ، وعندي خيلٌ مُقدَّحةٌ فاركبها وانجُ بنفسكَ[8].

---

(١) سقط قوله (سيفك يعني) من ب والأغاني.

(٢) سقط من ب ابتداءً من (مصعباً).

(٣) سقط من ب ابتداءً من (فأبى).

(٤) في الأغاني: القوم سبقونا. وفي الأنساب: تأتيهم فافعل.

(٥) عبد الله بن زياد بن ظبيان التيمي العائشي، كان أفتك الناس، وأخطب الناس كنيته أبو مطر. (انظر أخباره في البيان والتبيين ١/ ٣٢٥).

(٦) في أنساب الأشراف: يا كلب اغرب. مثلي يبارز مثلك لعمري لقد ألجأني الدهر إلى مبارزتك.

(٧) في أنساب الأشراف: عبد الله بن أبي فروة.

(٨) في أنساب الأشراف: . . تركك الناس وهذا الرجل ـ يعني عبد الملك. مستديم لك، لعلك تقبل أمانة وعندي خيل مقدّحة فاركب أيها شئت وانج بنفسك.

فدثَّ[1] في صدره، وقال: ليس أنا كالعبد أخيك[2]. ورجعَ ظَبيانٍ إلى مصعبٍ، فحملَ عليه، وزرقَ زائدةُ بن قُدَامةَ[3] مصعباً، ونادى: يا لَثارات المختار، فصرعه. وقال عبيد الله لغلامٍ له ديلميّ: احتزّ رأسَه. فنزل فاحتزَّه[4]. فحمله عبيدُ الله إلى عبد الملك[5].

وقال يزيد بن الرِّقاع العامليُّ[6]، وكان شاعرَ أهل الشام يذكرُ قتلَ مصعبٍ، وإبراهيم ومسلم[7]:

ونحــن قتلنــا ابــنَ الحــواريّ مصعبــاً أخــا أســدٍ والمــذحجــيّ اليمــانيــا[8]

---

(١) الدثّ: الرمي المقارب من وراء الثياب. والضرب المؤلم. والدفع.

(٢) في ب: وقال: العبد أخوك.

(٣) زائدة بن قدامة الثقفي. ابن عم المختار، وأحد قادته في حروبه. بعثه سنة ست وسبعين لحرب شبيب بن قيس الخارجي فقتله شبيب. (انظر شذرات الذهب ١/٨٣).

(٤) في الأنساب وضربه عبيد الله بن ظبيان حتى مات. ويقال: إن ابن ظبيان ضربه وزرقه زائدة أو رماه ونادى يا لثارات المختار فسقط ميتاً واحتز ابن ظبيان رأسه. ويقال: بل أمر غلاماً له ديلمياً فاحتز رأسه. وفي الطبري ٦/١٥٨ وأثخن مصعب بالرمي، ونظر إليه زائدة فشدّ عليه فطعنه وقال: يا لثارات المختار. فصرعه ونزل إليه عبيد الله بن زياد فاحتز رأسه.

(٥) سقط اسم (عبد الملك) من ب.

(٦) في أنساب الأشراف. وقال عدي بن الرقاع العاملي ولكنه في موضع آخر ينسبهما مع بيتين آخرين للبعيث اليشكري. وكذا في الطبري ٦/١٦٠ مع ثلاثة أبيات. وفي الأغاني: يزيد بن الرقاع العاملي أخو عدي بن الرقاع. ولم أر ترجمة ليزيد بن الرقاع. أما عدي فهو شاعر بني أمية عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي. وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك وكان منزله بدمشق وهو القائل في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومصعب من قصيدة طويلة.

لعمــــري لقــــد أصحــــرت خيلنــــا بــــأكنــــاف دجلــــة للمصعــــب

وهذا يرجح أن يكون هو صاحب البيتين المذكورين في الموفقيات. (انظر نسب قريش ٥/ ٢٨٤ و ٣٤٢ والأغاني ٨/ ١٧٨).

(٧) إبراهيم: هو إبراهيم بن الأشتر الذي ترجمناه من قبل. ومسلم: هو مسلم بن عمرو الباهلي، كان من صنائع معاوية وابنه يزيد وكان في ذلك اليوم في جيش مصعب فأتى به عبد الملك، وقد أخذ له منه الأمان. فقيل له أنت ميت لا ترجو الحياة لما بك من الجراح فما تصنع بالأمان. قال: ليسلم مالي ويأمن ولدي بعدي، فلما وضع بين يدي عبد الملك قال: قطع الله يد ضاربك كيف لم يجهز عليك أكفرت صنائع آل حرب عندك؟ فآمنه على ماله وولده. ومات من ساعته. (مروج الذهب ٥/ ٢٥٠).

(٨) في الطبري وأنساب الأشراف: نحن قتلنا مصعباً وابن مصعب. والنخعي اليمانيا.

ومـرّتْ عُقـابُ المـوت منّـا بمسلـمٍ   فـأهـوت لـه ظفـراً فـأصبح ثـاويـا[1]

قال أبو عبد الله الزبير: وهذا الشعرُ يُروىٰ للبَعيث اليشكريّ[2].

وقال عُبيد الله بن قيس الرقيّات[3] يرثي مصعباً، ويذمّ أهل العراق من بكرٍ وتميمٍ[4]:

لقـد أورثَ المِصْـرَيـن خـزيـاً وذِلّـةً   قتيـلٌ بـدَيـر الجَـاثِليـق مُقيـم[5]
فمـا قـاتلـتْ فـي اللّـهِ بكـرُ بـنُ وائـلٍ   ولا صبَـرَتْ عنـد اللقـاءِ تميـمُ[6]
فلـو كـان قيسيًّـا تعطّـفَ حـولـه   كتـائـبُ تَـردي تـارةً وتحـوم[7]
ولكنّـه رامَ القيـامَ فلـم يكـن   بهـا مُضـريٌّ يـومَ ذاك كـريـم[8]

وقال ابنُ قيس الرقيّات أيضاً[9]:

إنّ الـرزيّـةَ يـومَ مَسْكِـنَ والمصيبـةَ والفجيعـه
يـابـنَ الحـواريِّ الّـذي   لـم يَعْـدُهُ يـومُ الـوقِيعَـه[10]
يـا لهـفِ لـو كـانـت لـه   بـالـدَّيْـرِ يـوم الـدَّيْر شيعـه[11]

---

(١) في الطبري والأغاني: منا بمسلم، وفي الأنساب: قصداً بمسلم.

(٢) كذا في الأغاني برواية الزبير أيضاً، وفي نسب قريش.

(٣) اختلف في اسمه فقيل عبد الله وقيل عبيد الله وقد استوفى تحقيق ذلك البغدادي في خزانته ٣/ ٣٦٦ فلينظر هناك وهو ابن قيس بن شريح بن مالك وله أخ اسمه عبد الله وإنما سمى الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة يقال لهن جميعاً رقية وقيل لأن جدات له توالين يسمين رقية. شاعر غزل، وكان انقطاعه إلى آل الزبير فمدح مصعباً وهجا عبد الملك. (نسب قريش ٤٣٥ وابن سلام ٥٢٩ والأغاني ٤/ ١٥٥).

(٤) الديوان ١٩٦.

(٥) في الأصل والمجلة: حزناً وذلة. ويعني بالمصرين: البصرة والكوفة.

(٦) في الديوان: فما نصحت لله.

(٧) في الديوان:

ولـو كـان بكـريّـا تعطّـف حـولـه   كتـائـب يغلـي حميمهـا ويـدوم

(٨) في الديوان: ولكنه ضاع الذمام ولم يكن.

(٩) الديوان ١٨٤.

(١٠) في الديوان: أهل الوقيعه.

(١١) في الديوان . . . . بالطفّ يوم الطف شيعه.

قال أبو عبد الله الزبير: وقد ذكرنا في كتاب النسب من مراثيه شيئاً، ونحن ذاكرون ما لم نذكره في كتاب النسب[1].

● ٣٤٩ ـ وقال الحارث بن خالد المخزومي[2] في هجائه بني خالدِ بن أسيد، ويمدحُ آل الزبير، ويذكرُ صبرَهم في الحرب[3]:

هـلاّ صبـرتُـم بنـي السـوداءِ أنفسكـم   حتـى تمـوتـوا كمـا مـاتَـتْ بنـو أسـد
حـامـت بنـو أسدٍ عـن مجـدِ أوّلهـا   وأنتــم كنعــام القــاعــة الشّــرد[4]

● ٣٥٠ ـ وقال سويد بن منجوف السَّدوسيّ[5]، من أهل البصرة، يُحذِّرُ مصعباً أهلَ الكوفةِ وغدرَهم[6]:

فـــأبلـــغ مصعبـــاً عنّـــي رســـولاً   ولا تلقـــى النصيـــحُ بكـــلِّ وادِ[7]
تعلّـــم أنَّ أكثـــرَ مَـــنْ تُنـــاجـــي   وإنْ أدنيتَهـــم فهـــمُ الأعـــادي

● ٣٥١ ـ وصبر معه من أهل الكوفة إبراهيمُ بن الأشتر وحدَه، فقال الأقيشرُ[8]:

---

(١) سقط سطر من ب.

(٢) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. قتل جده العاص في بدر مشركاً، عاش في عصر بني أمية، وهو من شعراء قريش المعدودين، وأكثر شعره في الغزل. ولآه يزيد بن معاوية مكة. (انظر أخباره في الأغاني ٣/ ١٠٠).

(٣) البيت الأول في أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٣.

(٤) في ب: مجد سيدها . . كنعام القارع النرد. والقاعة: موضع.

(٥) سويد بن منجوف بن ثور السدوسي، كان من مقربي مصعب، ووصف بأنه خفيف اللحية ليس بذي منظر، وقد هجاه الأخطل وكذا جرير. (انظر الطبري ٥/ ٥١١ والأغاني ٧/ ١٨٤ والشعر والشعراء ٣٩٨).

(٦) البيتان في أنساب الأشراف أيضاً.

(٧) في الأنساب: ألا أبلغ. وفي المجلة والأنساب: ولن تلقى.

(٨) في الأنساب: وقال الأقيشر في أبيات له. ويقال: ابن الزبير. وفي الكامل في التاريخ ٤/ ٣٣٤ وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في إبراهيم بن الأشتر.
والأقيشر هو المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو الأسدي، والأقيشر لقب له لأنه كان أحمر الوجه أقشر. وعمر عمراً طويلاً فكان أقعد بني أسد نسباً. وهو شاعر كوفي خليع ماجن مدمن =

سأبكي وإن لم يَبكِ فتيان مذحج | فتاها إذا الليل التمام تأوّبا[1]
فتىً لم يكنْ في مِرَّةِ الحربِ خاملاً | ولا بمطيع في الوغىٰ مَنْ تهيَّبا[2]

(١٧٩ ظ /)

أمالَ بخوّار العِنان لِجَامَه | وقال لمنْ خفّت نعامتُه اركبا[3]
أبانَ أنوفَ الحيِّ قحطانَ قتلُهُ | وأنفَ نزارٍ قد أبانَ فأوعبا[4]
فمن كان أمسىٰ خائناً لأميره | فما خانَ إبراهيمُ في الحرب مُصعبا[5]

● ٣٥٢ ـ قال أبو عبد الله الزبير:

وصبر معه يحيى بن مبَشِّر، أحدُ بني ثعلبة بن يَربوع التميمي[6]: حتى قُتل. فقال أبو السفّاح بُكير بن مَعْدَان بن عميرة بن طارق اليربوعيّ يَرثي يَحيى، ويَذكر صبرَه حينَ قُتِل[7]:

صَلَّى على يحيى وأشياعِه | ربٌّ غفورٌ وشفيعٌ مُطاعْ
يا سيّداً ما أنتَ من سيّدٍ | مُوَطَّأ البيتِ رحيبِ الذراعْ

= لشرب الخمر. قال عنه عبد الملك: وأشعر الناس الأقيشر جمع أخباره وأشعاره الطيب العشاش ١٩٧١. (ترجمته في الأغاني ١٠/ ٨٤).
وابن الزبير الأسدي، شاعر أموي أيضاً كان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم فلما غلب مصعب على الكوفة أتى به أسيراً، فمنّ عليه، ووصله وأحسن إليه فمدحه وأكثر وانقطع إليه فلم يزل معه حتى قتل مصعب ثم عمي بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك. وظروف حياته أقرب إلى روح الأبيات المذكورة من ظروف حياة الأقيشر. جمع شعره الدكتور يحيى الجبوري. بغداد ١٩٧٤. (ترجمته في الأغاني ١٣/ ٣٣).

(١) في الكامل: لم تبك.
(٢) المرّة: القوة.
(٣) في ب: بخوران العنان.
(٤) أوعب: أخذ الشيء أجمع.
(٥) في الكامل: فمن يك.
(٦) انظر الطبري ٦/ ١٥٨.
(٧) في أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٩ وقال. أبو السفاح من ولد عميرة بن طارق اليربوعي. وروى الأبيات ١ ـ ٣.

قـــوّالِ معـــــروفٍ وفعّـــالـــه عَقّـــارِ مَثنـــى أمهـــاتِ الـــرِّبـــاعْ

الـــواضـــعِ الشِّيَـــزىٰ لأضيَـــافِـــه كـــأنهـــا أعضـــاد نهـــيٍ بِقـــاعْ[1]

يعـــدو فـــلا تكـــذبُ شَـــدَّاتُـــه كمـــا عـــدا الليـــثُ بـــوادي السِّبـــاعْ

يجمـــعُ حِلمـــاً وأنـــاةً معـــاً ثمَّـــتَ يَنبَـــاعُ انبيـــاعَ الشُجـــاعْ

لمّـــا جفـــا المصعـــبَ خُـــلاّنُـــه أدّى إليـــه الليـــلُ صـــاعـــاً بصـــاعْ

مـــن لـــم يكـــن ساء فقـــد ساءَنـــي تـــركُ أبَيْنَيـــكَ إلـــى غيـــر راعْ

إلـــى أبـــي طلحـــةَ أو واقـــدٍ وذاك عنـــدي حَـــقُّ عَيـــن الضِيـــاع

أبو طلحة وواقدٌ مولَيّان ليحيى كان أوصى إليهما، وأبو طلحة هذا جَدُّ أبي النضر يحيى بن كثير صاحب الحسن البصريّ، وكان يحيى بن مبشِّر من بني ربيعة (١٨٠ و /) بن حَصَبَة بن أرقم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع. وكان من أشراف أهل البصرة وكان خليفة بن حصن الثعلبيّ صاحبَ شُرط ابن زياد بالبصرة، فلما أُتي عبد الملك برأسِ لم يعرفه، فسأل عنه أصحابَه، فعرفه الحكمُ بن نُهيك الهُجيميّ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا ـ والله ـ الوفيُّ الكريم، هذا يحيىٰ بن مبشِّر اليربوعيّ، فأمرَ بهِ فأُجنّ، فقال جريرٌ بن الخطفىٰ يَرثيه[2]:

صلّـى الإلـهُ عليـك يـا ابـن مبشّـرٍ إمّـا ثَـويـتَ بملتقـى الأجنـاد[3]

والخيـلُ سـاطعـةُ الغبـار كـأنهـا قصَـبٌ يُحـرَّق أو رعيـلُ جَـراد

ثبْـتُ الطِّعـان إذا الكمـاةُ أزلّهـا عَـرَقُ المَنـون يجُلـن بـالألبـاد

مـأوىٰ الجيـاع إذا السنـونُ تتابعـت وفتـى الطّعـان عشيّـة العصـواد[4]

● ٣٥٣ ـ وقال سالم بن وابصة الأسديّ[5]: يمدح محمد بن مروان

---

(١) الشيزى: الجفنة من خشب الشيزى وهو (الآبنوس).

(٢) الديوان ١٢٤.

(٣) في الديوان: أنّى قتلت.

(٤) سقط قوله: (عشية العصواد) من ب: والعصواد: الحرب الشديدة. وفي هامش الأصل: العصواد الضجة والاختلاط في الحرب.

(٥) في ب: واصبة. تحريف.

وهو سالم بن وابصة بن عبيد بن قيس بن كعب الأسدي شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن=

ويذكرُ[1] قتلَه إبراهيمَ ومصعباً[2]:

أبلــغ أميــرَ المــؤمنيــن رســالــةً ... ليس المحامِرُ كالجَواد المُسَهب[3]
فــاذكــر ولا تجعــل بــلاء محمّــد ... والخاذليك لَدى الحَروب كجُندَب[4]
يُـدعـا إذا مـا الجيـش أحسِـنَ أدمُـه ... وإذا يكــونُ كــريهُــه لــم يُنــدب[5]
لا تجعلــــنَّ مــــؤنّـــلاً ذا أســـرَةٍ ... ضخمـاً سـرادقُـه وطـيء المـركـب[6]
يغدو إذا مـا الحـربُ أطفِـئَ نـارُهـا ... ويـروحُ مَـزهـوّاً عظيـمَ المـوكـب
كـأغــرَّ يتّخــذُ السيــوفَ سُــرادقــاً ... يمشــي بــرايتــه كمشــي الأنكــب[7]

(١٨٠ ظ /)

فتــح الإلٰــهُ بشــدَّةٍ لــك شــدَّهــا ... مــا بيــن مَشــرِقِهـا وبيــن المغــرب
لمــا لقينــا أهــلَ مسكِــنَ غُــدوةً ... كــالطَّــودِ فــي متهــوّل مُتنكّــب
تعــدو جيــادُهُــم بكــلِّ مُقصَّــصٍ ... جُـدِدِ الثيـاب وحنظلـي مُـذنَـب[8]
ومُحَــزّزيــنَ لِحــاهُــم خشبيَّــةٍ ... قتــلاهُــم مجهــولــةٌ لــم تُنســب

= مروان بن (انظر المؤتلف والمختلف ٣٠٣).

(١) سقط قوله (مروان ويذكر) من ب.

(٢) الأبيات ١ ـ ٦، ١١، ١٢ في أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٤ و ٤، ٥ في المؤتلف والمختلف ٣٠٢.
والأبيات ٤، ٦، ٧، ١١ في شرح الحماسة للمرزوقي ١٧٩٢.

(٣) في الأنساب: ليس المبلد كالجواد.
المحامر: الحصان سمن حتى صار كالحمار.
المسهب: الفرس الواسع الجري. الشديد.

(٤) في الأنساب: والخاذلية. وفي المجلة: لدى الحرور.

(٥) في الأنساب: تكون عظيمة.

(٦) في المؤتلف:
لا تجعلــــن منــــدّيــــاً ذا ســــرّة ... ضخمـاً منـاكبـه عظيـم المـوكـب
وفي الأنساب: لا تجعلن مؤنّثاً ذا سرّة.
وفي المرزوقي: مبدناً ذا.

(٧) في المرزوقي: بشدّة قد شدّها. والأنكب: المتطاول.

(٨) مقصقص: غليظ أو قصير أو عظيم الصدر.

والـيْ ابـنُ مـروان الأغـرُّ محمـد ... مـا بيـن أشتـرهـم وبيـن المصعَـب[1]
نفسـي فـداؤك يـومَ ذلـك مـن فتـىً ... يكفـي بمشهـدِه مكـانَ الغُيَّـب[2]

● ٣٥٤ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني أبو الحسن المدائنيّ عن عَوانة بن الحكم والشرقيّ بن القطامي عن أبي جيّان[3] الكلبي قال: حدّثني شيخٌ من أهل مكةَ قال:

لمّا أتيَ عبد الله بن الزُبير بقتل مصعب بن الزبير أضربَ عن ذكرِهِ أياماً، حتى تحدَّث به إماءُ مكة في الطُرق، ثم صعَد المنبَر، فجلسَ مَليًّا لا يتكلّمُ، فنظرتُ إليه، فإذا بدو الكآبةِ على وجهِهِ، وإذا جبينُه يَرشَحُ عرَقاً. فقلتُ لآخرَ إلى جَنبي: مالهُ، أتُراهُ يهابُ المنطقَ؟ فوالله إنه خطيبٌ أريبٌ، وإنه لتَهونُ عليه دُهاةُ الرجال عند الجِدالِ والنزالِ فما يهابُ؟

قال: أراهُ يُريد ذكرَ مقتلِ سيِّدِ العَرب المصعب، فهو يُقطعُ بذكره، وغيرُ مَلوم. فقام فقال[4]: الحمدُ للّهِ الذي له الخَلْقُ والأمرُ، ومُلكُ الدنيا والآخرةِ، يُؤتي المُلْكَ مَنْ يَشاءُ، وينْزعُ المُلْكَ ممّن يشاءُ، ويُعِزّ مَنْ يشاءُ، ويُذِلُّ مَنْ يشاءُ. ألا[5] وإنه يُذلِل اللّهُ ـ عزّ وجلّ ـ مَنْ كان (١٨١ و /) الحقُّ معه، وإنْ كان فرداً لا ناصرَ له[6]، ولم يُعزز اللّهُ مَنْ كان أولياءُ الشيطانِ معه، وإنْ كان في العَدد والعُدّة والكثرةِ[7]. وقال ابن الكلبيّ: وإن كان الأنامُ طُرّاً معه.

[إنه][8] أتانا خبرٌ من العراقِ، أهلِ الغدرِ والشِّقاقِ، سَرَّنا وساءَنا، أتانا أنّ مُصعباً قُتلَ ـ رحمةُ الله عليه ومغفرته ـ فأمّا الذي أحزننا من ذلك، فإنّ لِفراقِ الحميمِ

(١) في ب: بين ابن أشترهم. وفي المرزوقي: جمع ابن مروان.
(٢) في ب: بمشهدهم. تحريف. وفي الأنساب: حضور الغيّب.
(٣) في ب: جناب.
(٤) الخطبة في جمهرة خطب العرب ٢/ ١٧٥ وفيها مراجع تخريجها.
(٥) في الجمهرة: أما بعد.
(٦) في الجمهرة: مفرداً ضعيفاً.
(٧) في الجمهرة: فإنه لم يعز من كان الباطل معه وإن كان معه الأنام طرّاً.
(٨) سقطت من الأصل والمجلة.

لذعَةٌ، يجدُها حميمُه عند المصيبةِ، ثم يَرْعَوي من بعدُ ذو الرأي والدِّين إلى جميلِ الصبر[١]، وأمّا الذي سرَّنا من ذلكَ فإنّا قد علِمنا أنّ قتلَه شهادةٌ، وأنّ اللّهَ ـ جل ثناؤه ـ جاعِلٌ[٢] لنا وله ذلك خَيْرَةً ـ إنْ شاء الله ـ إنّ أهلَ العراق أسلموهُ وباعوه بأقلِّ ثمنٍ كانوا يأخذونَ منه، وأخبثِهِ[٣]، أسلموه إسلام النَّعَام المخطَّم[٤] فقُتل، ولئنْ قُتلَ لقد قُتِلَ أبوه وعمُّه وأخوه[٥]، وكانوا الخيارَ الصالحين، إنّا ـ والله ـ ما نموتُ حَبْجاً[٦]، ما نموتُ إلاّ قتلاً قتلاً، قَعْصاً قَعْصاً بين قَصدِ الرِّماح، وتحت ظِلال السيوف، ليس كما يموتُ بنو مروان، واللّهِ ما قُتلَ منهم رجلٌ في جاهليّةٍ ولا إسلامٍ قطّ. إنما الدنيا عاريةٌ من الملِك القهّارِ، الذي لا يزولُ سُلطانُه ولا يَبيد مُلكُه، فإنْ تُقبِل الدنيا عليَّ لا آخذُها أخذَ الأشِرِ البطِرِ، وإنْ تُدبر عنّي لا أبكِ عليها بكاءَ الخَرِف المُهتِرِ.

فقال له رجلٌ من عَدْوان، من أهل المدينة، يأمرُه بالصبر والجِدِّ في مناهضة عدوّه: (١٨١ ظ /)

لئـن مُصعـبٌ خلّـىٰ عليـكَ مكـانَـه ... لقـد عـاش عنـد النـاسِ غيـرَ مُليـم

وإنْ مصعـبٌ خـلّاك والحـربَ بعـده ... فـأنـت لـدى الهيجـاء غيـرُ سَـؤوم

فشمِّـر إلـى الأعـداء وانهـض بقـوّةٍ ... فـإنـك عنـد البـأس غيـرُ ذَميـم

وثِـقْ بـولـيِّ المـؤمنيـن فـإنّمـا ... يُحـامي علـى الأحسـابِ كـلُّ كـريـم

---

(١) في الجمهرة: وكريم العزاء.

(٢) في ب: عاجل. تحريف.

(٣) في المجلة: وأخفه.

(٤) في الجمهرة: النعم المخطّمة. والمخطم: الذي يوضع على أنفه الخطام، وهو ما يقتاد به.

(٥) أبوه: الزبير بن العوام قتل بعد اعتزاله أصحاب الجمل في طريقه إلى وادي السباع من قبل عمرو بن جرموز. وهو قائم يصلي.
وأخوه: هو المنذر بن الزبير. وهو يتلو عبد الله في السن، وكان مع أخيه حتى قتل في حصار حين بن نمير وهو حصار ابن الزبير الأول سنة أربع وستين.
وعمّه: عبد الرحمٰن بن العوّام. استشهد في معركة اليرموك.

(٦) الحبج: البغتة. والقعص: أصابته ضربة أو رمية فمات.

● ٣٥٥ ـ وقال أبو العبّاس الأعمى[١] في قتل مصعبٍ لمّا بلغه[٢]:

رحِمَ اللّهُ مُصعباً إنّهُ ما ت كريماً وعاش فينا كريما[٣]
طَلَبَ المُلكَ ثم ماتَ حِفاظاً لم يعشْ باخلاً ولا مَذموما[٤]
ليت مَنْ عاش بعده من بني العوامِ ماتوا وعاش فينا سليما
لن ترى مثلَه لدى الدهرِ نَدّاً أو تُزيلُ الرياحُ ذرواً يسوما[٥]
كم له من يدٍ على الناس بيضا ءَ قد أحيا بها عِظاماً رميما
ويدٍ غادرت حريباً سليباً ذا غناءٍ فعادَ وَغداً لئيما

وكان أبو العبّاس يهجو آل الزبير غيرَ مصعب، فإنه كان يمدحه، ويمدحُ بني أميّة، فدخل على عبد الملك بعد قتل مصعبٍ، فسأله عن قوله فيه. فقال: اعفني[٦]. قال: هات فلسنا نتهمُك، فأنشده هذه الأبيات، فقال له: صدقت[٧]، هو كما وصفت[٨]:

ولكنّه رامَ التي لا ينالُها من الناس إلاّ كلُّ خِرْقٍ مُعمَّم[٩]

---

(١) هو السائب بن فروخ، مولى جذيمة بن علي بن الدئل، من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين في مدحهم والتشيّع لهم وانصباب الهوى لهم توفي بعد سنة ١٢٦. (الأغاني ١٥/٥٩ ونكت الهميان ١٥٣).

(٢) البيت الأول والثاني في أنساب الأشراف ٣٤٩ والأول في الأغاني ١٥/ ٦٢.

(٣) في الأنساب أنه عاش جواداً وكان فينا كريماً وفي الأغاني:

يرحم الله مصعباً فلقد مات كريماً ورام أمراً جسيما

(٤) في الأنساب: مات فقيداً.

(٥) يسوم: جبل في بلاد هذيل. وقيل جبل قرب مكة لا ينبت فيه غير النبع والشوحط ولا يكاد أحد يرتقيه.

(٦) سقط قوله (فقال أعفني) من ب.

(٧) سقط قوله (قال له صدقت) من ب.

(٨) الخبر والبيت الأول في الأغاني ١٥/ ٦٢ والخبر بغير الشعر الذي تمثل به عبد الملك في أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٩.

(٩) الخرق: السيّد السخي كالخريق.

أراد أموراً لم يُردها إلهُهُ   فخرَّ صريعاً لليدين وللفم[1]

● ٣٥٦ ـ وقال رجلٌ من بني أسدٍ بن عبد العُزى يرثي مصعباً:

لعمرُكَ إنّ الموتَ منّا لمولَع   بكلّ فتىً رحْبِ الذراع أريب
فإن يك [أمسى][2] مصعبٌ نال حتفَه   لقد كان صُلْبَ العُود غيرَ هَيوب
جميلَ المحيا يَرهبُ القِرنُ درأه   وإنْ عضَّه دهرٌ فغير قَطوب[3]
أتاه حِمامُ الموت وسْطَ جنوده   فطاروا سلالاً واستقى بذَنوب[4]
ولو صبروا نالوا الحياةَ وسؤدداً   ولكنّهم طاروا بغير قلوب[5]

● ٣٥٧ ـ وقال البَعيث بن عمرو بن مرّة بن ودّ بن زيد بن مُرَّة بن سعد بن رفاعة بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر[6]:

نحن قتلنا ابنَ الحواريّ مُصعبا   أخا أسدٍ والمذحجيّ اليمانيا
وألوت عُقابُ الموتِ منا بمُسلم   فأهوت له ظُفراً فأصبح ثاويا
سقينا ابن سيدانٍ بكأسٍ رَويّةٍ   كفتنا وخيرُ الأمر ما كان كافيا[7]
ومرّت على الجبّار منّا سَحابةٌ   سقتْه ذعافيًّا من الموت قاضيا
طواغيتُ همْ كانوا الصناديد إذ بدَتْ   نواجدُ حربٍ تُمطِرُ الموتَ صافيا

● ٣٥٨ ـ وقال أيضاً:

سقينا بني العوّام كأساً مريرةً   مُسكِّرةً أمست عليهم أمرَّتِ[8]

---

(١) الأبيات في الأغاني ١٧/١٦٦.
(٢) ما بين الحاصرتين تكملة من الأصول الأخرى.
(٣) في ب: داره. وفي الأغاني: يوهن القرن غربه .... فغير هيوب.
(٤) في المجلة: شلالاً. وسلال: أي منسلّون وهم الهاربون خفية.
(٥) في الأغاني: نالوا حباً وكرامة. ولكنهم ولوا.
(٦) أورد ابن بكار البيتين الأول والثاني قبل قليل فانظر التخريج هناك في الخبر رقم ٣٤٨.
(٧) ابن سيدان: هو مطرّف بن سيدان الباهلي أحد بني جثارة ولاه المصعب شرطة العراق. (نسب قريش ٥/٢٨٤).
(٨) نصف الشطر الثاني بياض في ب.

لِمـا اكتسبـتْ أيـديهـمُ وصـدورُهـم مَـرَيْنـا لهـم حـربـاً عَـوانـاً فـدرّتِ
إذا ما رجَوْا أنْ تخمُدَ الحربُ عنهمُ شببْنـا لهـم نيـرانَهـا فـاستعَـرَّتِ
بفتيـانِ حـربٍ لقحـوهـا فـأصبحـت أصابت بني العوام حتى أضرَّتِ[1]
(١٨٢ ظ /)
أقمنا لهـم سُوقاً بهـا قـد تسوءهُـمْ وقـد نبحـتْ منهـا قـريـشٌ وهـرّتِ

● ٣٥٩ ـ وقد كان المصعبُ لمّا قدم الكوفة سأل عروةَ بن المغيرة بن شُعبة عن الحسين بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ[2] وقتلِه، فجعل يُحدّثه عن ذلك. فقال مصعب متمثلاً ببيتٍ قاله سليمان بن قُتّة[3]:

إنّ الألـى بـالطَّـفّ مـن آل هـاشـمٍ تـأَسَّـوْا فسَنُّـوا للكِـرام التَّـأَسِّـيَـا[4]

قال عروة: فعرفتُ أنَّ مصعباً لا يفرّ أبداً، فكان كذلكَ.

● ٣٦٠ ـ قال أبو عبد الله الزبير[5]:

ولما أجمع عبدُ الملك السَيرَ إلى مصعبٍ نهتْه عاتكةُ بنتُ يزيد، فأبىٰ عليها، فلمّا رأتْ جِدَّه في الخروج بكتْ[6]، فتمثَّلَ عبدُ الملك بشعر كُثيّر[7]:

إذا مـا أرادَ الغـزوَ لـم تُثـنِ همَّـه حَصَـانٌ عليهـا نَظْـمُ دُرٍّ يـزَيِّنُهـا[8]

---

(١) في ب: بفتيان صدق.

(٢) في ب: عليهما السلام. وعروة هذا كنيته أبو يعفور وقد استخلفه الحجاج على الكوفة سنة ٧٥ و ٧٦. (الطبري ٦/ ٢١٠، ٢٤٠).

(٣) الخبر والبيت في الأغاني ١٧/ ١٦٥ وأنساب الأشراف ٥/ ٣٤٤. والطبري ٦/ ١٥٦ والكامل ٤/ ٣٢٦ ولم ينسب البيت فيهما. والبيت في اللسان (أسى) من غير نسبة وفيه: التآسيا.

(٤) الطفّ: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كانت وقعة الطفّ المعروفة التي استشهد فيها الحسين بن علي رضي الله عنه. (ياقوت).

(٥) الخبر والشعر في أنساب الأشراف ٥/ ٣٧ والكامل في التاريخ ٤/ ٣٢٤.

(٦) في الأنساب: وبكى جواريها. وفي الكامل: وبكى جواريها لبكائها. فقال: قاتل الله كثير عزة لكأنه يشاهدنا حين يقول.

(٧) الديوان ص ٢٤٢.

(٨) في الأنساب: لم يثن رأيه. وفي الديوان: عزمه. وفي الكامل: عقد در.

نهتــهُ فلمّــا لــم تــر النهــيَ عــاقَــهُ　　بكــتْ فبكــى ممّــا عــراهــا قطينُهــا[1]

● ٣٦١ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني المدائني[2]:

إنّ زيادَ بن عمرو العَتكيّ[3] غدر بمصعبٍ، ولحِقَ بعبد الملك، فأقطعَه، ولما بلغ عبدَ الله بن خازم السَلَميّ[4] قتلُ مصعب. قال: أشَهِدَهُ المهلّبُ بن أبي صُفرةَ؟ قالوا: لا. قال: أفشهدهُ عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر؟ قالوا: لا. فقال:

خُــذيــه فجــرِّيــهِ سِبــاعُ وأبشــري　　بلحمِ امرئٍ لم يشهد اليومَ اصرُه[5]

ثم قال:

هُمامان لو دارت رحا الحربِ بَرْكَها　　لقاما ولو كان القيامُ على الجمر[6]

● ٣٦٢ ـ قال أبو عبد الله الزبير: قال أبو الحكم بن خلّاد بن قُرّة بن خالد السَّدوسيّ عن أبيه قال[7]: لمّا كان يومُ (١٨٣ و /) السَّبْخة[8] حين عَسكرَ الحجّاجُ بن

---

(١) في الأنساب: مما شجاها. وفي الكامل: مما عناها. وقطين: خادم.

(٢) الخبر والشعر في الطبري ١٥٨/٦ وأنساب الأشراف ٥/ ٣٤٥ والكامل في التاريخ ٤/ ٣٣٢.

(٣) هو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي الأزدي، رأس الأزد بعد مسعود. (الاشتقاق ٢٨٤ وانظر العبر ١/ ٨٠).

(٤) هو عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت أبو صالح، الأمير المشهور. يقال له صحبة. كان من أشجع الناس وولي خراسان عشر سنين، ولما وقعت فتنة ابن الزبير كتب إلى ابن خازم فأقره على خراسان فبعث إليه عبد الملك فلم يقبل فلما قتل مصعب بعث إليه عبد الملك برأسه فغسله وصلى عليه، وكان شاعراً. (الإصابة ٣/ ٢٩٢).

(٥) في ب: ناصره.
وفي الطبري والكامل: خذيني فجريني جعار وأبشري.
وفي الأنساب: خذيني فجريني ضباع.

(٦) البيت غير موجود في الطبري والكامل.
وفي المجلة والأنساب: قلوبهما حكّت. وفي الأنساب: على رجل.

(٧) الخبر في الأغاني ١٦٦/١٧ وبالسند نفسه.

(٨) يوم السبخة، كان بين الحجاج وشبيب بن يزيد الخارجي عام ٧٧ في موضع قرب الكوفة يقال له السبخة. (انظر الطبري ٦/ ٢٥٧).

يوسف يُريد شَبيباً الحروريّ، قال له الناسُ: أصلح الله الأمير لو تنحَيْتَ عن هذه العَذِرَة. فقال لهم الحجّاجُ: ما تُنحونَني إليه أنتن. والله ما ترك مصعبٌ لكريم مفرًّا. ثم تمثّلَ بيتاً قاله كَلْحبةُ العَرْنيّ[1]:

إذا المرءُ لم يغشَ المكاره أوشكتْ ... حِبالُ الهُوينَى بالفتى أن تَقَطَّعا[2]

● ٣٦٣ ـ وقال أعشى هَمَدان في قتل مصعب، وذِكْر قِصّته، وغدْرِ أهل العراق به، واسمُ الأعشى عبد الرحمٰن بن عبد الله بن الحارث[3]:

ألا مَنْ لهمٍّ آخرَ الليل مُنصِب ... وأمرٍ جليلٍ فادحٍ لي مُشَيِّب
أرِقتُ لِما قد غالني وتبادَرَتْ ... سواكبُ دمعِ العين من كل مَسكب
فقلتُ وقد بلّت سوابقُ عَبرتي ... رِدائي مقالَ الموجَع المتحوِّب
ألا بَهلةُ اللّهِ الذي عزَّ جارُه ... على الناكثين الغادرين بمُصعب[4]
جزى اللّهُ عنه جمعَ قحطانَ كلَّها ... جزاءَ مُسيءٍ قاسط الفِعل مُذنب[5]
وجمعَ معدّ قومِه غابَ نصرُهم ... غداةَ إذٍ عنه وربِ المُحصَب
جزاهم إلٰهُ الناس شرَّ جزائه ... بخذْلانِ ذي القربىٰ الأريب المدرَّب
إمامِ الهدى والحِلم والسِّلم والتُّقى ... وذي الحسَب الزاكي الرفيع المهذّب
لحىٰ اللّهُ أشرافَ العراق فإنهم ... همُ شرُّ قومٍ بين شرق ومَغرب

---

(١) اسم الشاعر محرف في الأغاني إلى كلمة (الكلبية).
وكلحبة لقب له واسمه هبيرة بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع. أحد فرسان تميم وسادتها. وشاعر محسن. (المؤتلف والمختلف ٢٦٤ والخزانة ١/ ١٨٧).
والبيت له من قصيدة في المفضليات ١/ ٤، ورغبة الأمل ١/ ١٨ والخزانة ١/ ١٨٨.
(٢) في المصادر الأخرى: لم يغش الكريهة.
(٣) أعشى همدان، يكنى أبا المصبح، شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية وكان زوج أخت الشعبيّ الفقيه، والشعبي زوج أخته، وكان أحد الفقهاء القرّاء ثم ترك ذلك وقال الشعر، وخرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج أسيراً فقتله صبراً. (المؤتلف والمختلف ١١ والأغاني ٥/ ١٤٦).
ومعظم القصيدة في ديوان الصبح المنير ٣١٢ ففيه الأبيات ١ ـ ٥٦.
(٤) في المجلة والديوان: الناكبين. وبهلة: لعنة.
(٥) في المجلة: جزى الله عنا.

هـمُ مكـروا بـابـنِ الحـواريِّ مُصعـبٍ   ولـم يستجيبـوا للصَّـريـخ المثـوّب[1]
دعاهم بأنْ ذودوا العِدى عن بلادكم   وأموالِكم في كلِّ أبيض مِقْضَب[2]

(١٨٣ ظ /)

فـولَّـوا ينـادي المـرءُ منهـم عشيـرَه   ألا خَـلِّ عنهـم لا أبـاً لـك واذهـب
جـزى اللَّـهُ حَجَّـاراً هنـاك مـلامـةً   وفـرخَ عُميـرٍ مـن مُنـاجٍ مُـؤلِّـب

حجّار بن أبجر العجليّ كوفيٌّ[3]، ومحمد بن عمير بن عُطارد الدارميّ[4] كوفيّ[5].

ومـا كـان عتَّـابٌ لـه بمنـاصِـح   ولا كـان عـن سعـيٍ عليـه بمُغْـرب

عتّابٌ بن ورقاء الرياحيّ كوفيٌّ[6].

ولا قَطَـنٌ ولا ابنُـه لـم يُنـاصحـا   فتبًّـا لسعـيٍّ الحـارثـيّ المتبِّـب[7]
ولا العَتكـيُّ إذ أمـال لِـواءَه   فـولّـى بـه عنـه إلى شـرِّ مـوكـب[8]

زياد بن عمرو العتكيّ[9].

---

(١) الصريخ: المستغيث. المثوب: الداعي.
(٢) في المجلة: بكل أبيض.
(٣) هو حجار بن أبجر بن جابر العجلي، مات أبوه أبجر على نصرانيته في زمن علي رضي الله عنه قبل استشهاده بقليل. (الإصابة ١/ ٣٧٣).
(٤) هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب التميمي. كان من أشراف الكوفة، وله مع الحجاج وغيره من أمرائها أخبار، وهو أحد أمراء الإمام علي رضي الله عنه بصفين، وعرف بجوده حتى قال فيه الشاعر:
علمـت معـد والقبـائـل كلهـا   أن الجـواد محمـد بـن عطـارد
(٥) سقط هذا التوضيح من ب.
(٦) سقط هذا السطر من ب.
(٧) هو قطن بن عبد الله بن حصين أبو عثمان الحارثي. ولاه عبد الملك الكوفة أربعين يوماً ثم عزله. وابنه عثمان الملقب ذو الغصّة، قاتل مع الحجاج شبيباً الحروري. (انظر الطبري ٧/ ١٥٨ و ١٦٦ و ٢٤٢).
(٨) في ب: مركب.
(٩) سقط هذا السطر من ب.

ولا ابنُ رُويمٍ لا سقىٰ اللّهُ قبرَه ... فباءَ بجَذْعِ آخرَ الدهرِ مُوعَبِ[1]

يزيد بن أبي رويم شيبانيّ كوفيّ[2].

وما سرّني من هيثمٍ فعلُ هيثمٍ ... وإنْ كان فينا ذا غَنَاءٍ ومنصِبِ

الهيثم بن الأسود النخعيّ[3].

ولكنْ على فيّاض بَكرِ بنِ وائلٍ ... سأُثني وخيرُ القول ما لم يُكذَّبِ[4]

دعا ابنُ الحواريّ الهُمامُ إمامَه ... ليمنعه من كلّ غاوٍ ومُجلِبِ[5]

فأضحى ابنُ تيم اللاّت أمنع مانعٍ ... لجارٍ بلا شكٍّ ومأوى المعصَّبِ[6]

فيا سائراً نحو المشاعر لا يَني ... ألا ارفعْ بهدلاءِ المشافر تنعبِ[7]

ألا وانْعَ خيرَ الناس حيّاً وميّتاً ... إلى أهل بطحاءِ قريشٍ ويثربِ

فِداً لكَ فاذكر زحفَه ومسيرَه ... يُزجّي الخيولَ مِقنباً بعد مِقنبِ[8]

سَما مُصعِداً بالجيش يَسري أمامَه ... إلى بطلٍ من آل مروان مُحلِبِ[9]

---

(١) موعب: يقال أوعب الجذع أي استأصله. فهو المستأصل.

(٢) هو يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الذي رفع على عمرو بن الحمق إلى زياد بن أبيه بأنه يفسد أهل الكوفة وذلك في سنة خمسين. وكان ممن كاتب الحسين بن علي من العراق بأن يقدم على جند له مجندة، وسقط هذا السطر من ب. (الطبري ٥/ ٢٣٦ و ٣٥٣).

(٣) هو أبو العريان الهيثم بن الأسود بن قيس بن معاوية بن سفيان النخعي، له قصة مع المغيرة بن شعبة لما كان أمير البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه وكان شاعراً. وقد بقي حتى علت سنّه. (الإصابة ٣/ ٥٨٥).
وسقط هذا السطر من ب.

(٤) في الأنساب: ويعني بفيّاض بكر عكرمة بن ربعي من بني تيم الله بن ثعلبة وكان جواداً. وروى في الديوان وأنساب الأشراف ٥/ ٣٤٩ بيتاً بعد هذا البيت هو:
ولا فعل داود القليل وفاؤه ... فقد ظلّ محمولاً على شرّ مركب

(٥) في ب: الهمام همامه.

(٦) في ب: ورب المعصب.

(٧) في المجلة والديوان: لا تني. تحريف.

(٨) المقنب: من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

(٩) في الأصول الأخرى: يسري ويغتدي. ومحلب: ناصر.

غـزا بجنـود الشـام يكبـدُ كبـدَهـا | يُجيـز إليهـم سبسباً بعـد سبسـب[1]
فلمـا تـوافينـا جميعـاً بمسكِـنٍ | عُصينـا بنـوعٍ مـن غـرَام معـذّب[2]
بمقتـل سـاداتٍ ومهلَـكِ مـاجـدٍ | رفيع الروابي مِحرَبٍ وابن مِحرَب

(١٨٤ و /)

هو الضيغمُ النَّهد الرئيسُ ابنُ مالك | إذا شـدَّ يـومـاً شـدّةً لـم يكـذّب
أتـى مُصعبـاً فقـال مـن كـان منهـمُ | فعـاقِبْ بوقـعٍ مَنْ بدا لك مُرهِب
وشُـدَّ علـى الأشـراف شـدّة مـاجـدٍ | وأعنـاقَهـمْ قبـل الصبـاحِ فضـرِّب
وإلاّ فكبكـبْ فـي السجـونِ سَرَاتهـم | إلى أنْ يفيق الناسُ تُصحبُ وتُرقب[3]
ودَعنـي وأهـلَ القـريتيـن أسِـر بهـم | وغـادرهُـم فـي محبـسٍ كـالمـؤدّب
مـلامَ مُلـحٌّ قـد أمِنـتَ اغتيـالـه | ومـا جـاهـلٌ بـالأمـر مثلُ المجـرِّب
فقـال لـه سِـر بـالجيـوش إلـى العِـدى | ونـاجِـزْ وقـارِع واصـدقِ القـومَ تغلِب
فـإنـي بحـقٍّ لسـتُ أبـداُ مُسلِمـاً | بغدرٍ ففي التقوى وفي الدين فارغَب
فسـارَ إلـى جمـع ابـن مـروان مُعلَمـاً | فنـاهضهـمْ والحـربُ ذاتُ تلهُّـب
وجـاهـدَ فـي فـرسـانـه ورجـالِـه | وأقـدمَ لـم ينكُـلْ ولـم يتهيّـب
فـلاقـىٰ أسيـدٌ يـوم ذلـك حتفَـه | وقطّـره مِنّـا فتـىً غيـرُ جـانـب[4]
أشـمُّ نـراه عـالـيَ الجسـم صَقْعبـاً | وبـالسيـف مِقـدامـاً نجيبـاً لمنجـب[5]
وكادت جموعُ الشام يشمُلها الرّدى | غَـداةَ إذٍ فـاسْمَـع أحـدّثْـك تَعجَـب
فلمـا رأى أبنـاءُ مـروان وقعَـه | بجمعهـمُ ظلّـوا بيـومٍ عَصَبْصَـب[6]
وأدبـر عنـه الغـادرُ ابـن القَبَعْثَـري | وما كان بالحامي ولا بالمذَبِّب[7]

---

(١) في ب: أتى بجنود. والسبسب: المفازة أو الأرض البعيدة.
(٢) نصف صدر البيت بياض في ب.
(٣) في المجلة والديوان: فبكت.
(٤) في هامش الأصل: أسيد صاحب لواء بشر بن مروان قتله ابن الأشتر. والجأنب: القصير القميء.
(٥) في ب: تراه. وصقعب: طويل.
(٦) يوم عصبصب: شديد.
(٧) في ب: وما كان بالجاني ولا بالمهذب.

غضبان بن القبعثري شيبانيّ كوفيّ[1].

وقد نقضَ الصفَّ ابنُ وَرقاءَ ثانياً   وغادره يدعو إلى جانب النَبي[2]
فثاب إليه كلُّ أروعَ ماجدٍ   صبورٍ على ما نابه متلَبّب

(١٨٤ ظ /)

فضاربَ حتى خرَّ غيرَ مُوائلٍ   إلى جانبٍ منه عزيزٍ ومنكِب[3]
وصُرِّع أهلُ الصّبر في الصف كلُّهم   وأجفلَ عنه كلُّ وانٍ محوِّب[4]
ولما أتىٰ قتلُ ابنِ الأشتر مُصعباً   دعا عندها عيسى فقال له اهرُب[5]
فقال: معاذَ اللّهِ لستُ بهاربٍ   أأهرُبُ إنْ دهرٌ بنا حان عن أبي[6]
فقال: تقدّمْ أحتسِبْك فأقبلتْ   إليه جموعٌ من كلابٍ وأذؤب
فقال لفجّار العِراقين أقدموا   فولّوا شِلالاً كالنَّعام المخضَّب[7]
وشدُّوا عليه بالسيوف فلم يرم   كليثِ العرينِ الخادرِ المتحرِّب
فضاربهم يحيى وعيسى أمامَه   وضاربَ تحت الساطع المتنصِّب[8]
فما برحوا حتى أزارهمُ القنا   شعوبٌ ومن يسلُبْ وجدِّك يُسلَب
فبكِّ فتىٰ دُنيا وذا الدّين مصعباً   وأعوِل عليه واسفحِ الدمع وانحَب[9]
لقد رحلَ الأقوامُ غَدْراً وغادَروا   بمسكِنَ أشلاءَ الهُمام المحجَّب[10]

---

(١) سقط هذا السطر من ب. والغضبان الشيباني: كان من زعماء المروانية في العراق، ممن كان يرعاهم عبد الملك. وقد حبسه الحجاج. (الطبري ٧/ ١٨٣ والبيان والتبيين ١/ ٣٧٦).
(٢) في ب: إلى جاهل. تحريف.
(٣) موائل: لاجيء. وطالب النجاة.
(٤) في ب: وصرع الصبر. والمحوب: الموجع.
(٥) في الديوان: دعا عنده.
(٦) في ب: جار عن أبي.
(٧) في المجلة: قدّموا.
شلالاً: متفرقين.
(٨) في هامش الأصل: يحيى بن مبشر تميمي قتل مع عيسى بين يدي مصعب.
(٩) في ب: وأسفح العين.
(١٠) إلى هنا تنتهي قصيدة الأعشى في الأصل والمجلة والديوان إلا أن المجلة والديوان أضافا بيتاً آخر=

صريع فتىً تسفي على وجهه الصَّبا ... وريحُ شمالٍ بعدها ريحُ أجنب
وأضحى بدَيْر الجاثليق مُلحّباً ... فلا يبعدنَّ من قتيلٍ مُلحّب[1]
سقى السارياتُ الجونُ جثمانَ مصعبٍ ... وأجلادَ عيسى المرتجىٰ صوبَ صَيِّب
وفتيانَ صدقٍ صُرّعوا ثَمَّ حولَه ... على الحقِّ مَنْ لا يعرف الحقَ يرتب
أمصعبُ مَنْ يحرب ويُذمم فعالُه ... فما كنتَ بالواني ولا المتحرّب
لقد عِشتَ ذا حزْمٍ وجودٍ ونائل ... فيا عجباً لدهرك المتقلِّب

(١٨٥ و/)

ألم تكُ مِعطاءَ الجزيل وناعشَ ... الفقيرِ ومأوى كلِّ عافٍ ومُجدِبِ
وكنا متى نعتبْ عليك ونلتمس ... جَداك ينلنا من جَداك وتعتب
فقد جاءنا من بعدك المعشرُ العدىٰ ... ووالٍ متى يُنطقْ حواليه يغضب
وإن تُلتمس منه الزيادةُ والجَدا ... ويُستمطر المعروف يغضبْ ويحرِب[2]
وتشمرْ بلا ذنبٍ أكفُّ غُزاتنا ... وتُقطَعُ أيديهم وشيكاً ويُصلب
فيا دهرَنا من قبلِ مقتلِ مُصعبٍ ... ألا ارجعْ بدنيانا الرفيعة تحصب
وبالأمنِ والعيش الذي حلَّ دونه ... فهذا زمانُ الخائفِ المترقِّب
فبُعداً لقومٍ أسلموا أمسِ مُصعباً ... بحدّ سنانٍ سمهريٍّ مُذرَّب
وللسيف نغشاه ويفري شؤونه ... وكان الحيا للمُفلح المتشعّب
ودانوا لطاغٍ قد أراق دماءَهم ... عسوفٍ صدوقٍ قاسطِ الفعل مُشغب
وقال لهم ذوقوا جنى ما غرستُمُ ... ألا رُبَّ بانٍ للعمارةِ مُخرِب

● ٣٦٤ ـ كان داودُ بن قُحذم، أحد بني قيس بن ثعلبة، أولَ مَن غدر بمصعب من أهل العراق. وقال ابن ظبيان:

= ليس من وزن ولا قافية النص ولا يستقيم معناه مع النص وهو:
وإني مما أخمد الحرب تارة ... وأحمل أحياناً عليها فأركب
علماً بأن هذا البيت في أول الصفحة من الأصل. وهي صفحة أقحمت في الترتيب إذ سقط من الأصل مقدار ورقتين.

(١) ملحّب: يقال لحبه بالسيف: ضربه. واللحم قطعه.
(٢) الجدا: العطيّة.

يـرى مُصعـبٌ أنـي تنـاسيـتُ نـابئـاً لبئـس لعمـر الله مـا ظـنَّ مصعـبُ[1]
فـــوالله مـــا أنســـاه مـــا ذرّ شـــارقٌ وما لاح في شرقٍ من الأرض كوكبُ
سطـــوتَ عليـــه ظـــالمـــاً فقتلتـــه فقصرُك مني .... [2]

● ٣٦٥ ـ حدّثني الزبيرُ قال: حدّثني أبو الحسن المدائني عن ابن عيّاش عن أبيه قال[3]:

كتب عبدُ الملك إلى إبراهيم بن الأشتر وهو مع مصعب كتاباً، فأتى به مصعباً قبل أنْ يقرأه، ففضّه مُصعبٌ فقرأه. فقال: يا أبا النعمان، أو ما تدري ما فيه. قال: لا. وما فيه؟ قال: يعرض عليك دجلةَ وما سقَت، أو الفراتَ وما سقى، فإن أبيتَ جمعَهما لك جميعاً. قال: ألقى اللَّهَ ـ تعالى ـ وأنا أجذم! لاها الله إذاً[4]. فقال مُصعب[5]: إنّ هذا لمّا يُرغبُ فيه. فقال إبراهيم: ما كان عبد الملك من أحدٍ أيأس منه مني، وما ترك أحداً ممن معك إلاّ وقد كتب إليه، فابعث إليهم، فضرِّبْ أعناقَهم. قال: كيف، ولم أستيقن؟ قال إبراهيم: أمّا إذا أبيتَ ذلك فابعث فأوقِرْهم حديداً، واطرحهم في أبيض كسرى، ووكّل بهم مَنْ يقوم بأمرهم، فإن ظفرتَ عفوتَ، أو عاقبت، وإن كانت الأخرى ضرِّب أعناقهم. قال: أخافُ أن يحتجّوا عليّ عند أمير المؤمنين، يقولون: حبَسَنا وفغلَ بنا. دعْ هذا عنك يا أبا النعمان، إنه واللَّهِ ما هو غيري أو غيرك. إمّا أن تسيروا، وإما أنْ أسيرَ. قال: إني لستُ بصاحبِ خيل، إنّما صاحبُ الخيل مَنْ كرَّ وفرَّ، وإنما أنا صاحب مزاحَفةٍ. قال: وكان إبراهيمُ إذا لقيَ الحربَ كان معه كرسيّان يحمل أحدَهما فيجلس عليه، ويقدّم الآخر، فإذا زحفَ القومُ

(١) نابىء: هو نابىء بن زياد بن ظبيان أخو عبيد الله، قتله مطرف بن سيدان حين كان على شرطة العراق، بأمر من مصعب لأنه قطع الطريق، وبسبب قتله لحق عبيد الله بعبد الملك. (انظر أنساب الأشراف ٥/ ٢٨٤).

(٢) في المخطوطة بياض. ولم أجد الأبيات في مصدر آخر.

(٣) مر خبر رسالة عبد الملك إلى ابن الأشتر، وخرّجتها هناك في الأغاني والكامل. وهو بنصه في أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٠ والعفو والاعتذار ٢/ ٣٨٥.

(٤) كذا في المخطوطة. وفي الأنساب: ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة.

(٥) في الأنساب: لم يجعل هذا الكلام لمصعب. بل وصل بينه وبين ما قبله.

جلس على ذا وقدّم الآخرَ. فقال له إبراهيم: أنت غداً مقتول بمضيَعةٍ. (١٨٦ و/) فقال مصعبٌ: والله لو لم أجد إلاّ أقذفَ بنفسي البحر بغضاً لأهل الشام لفعلتُ، ولو لم أجد إلا النملَ، لقاتلتُ بهن أهل [الشام][١]. فتقدّمَ، فلما اصطفّ الناسُ مال عتّابٌ بن ورقاء بالخيل فذهب بهم إلى أهل الكوفة، فجعَل إبراهيم يقولُ لرجلٍ رجلٍ: تقدّمْ. فيأبون عليه، فتقدمَ إبراهيمُ فقاتل حتى قُتل، ثم تقدّمَ الصفَّ مُصعبٌ فخذله الناسُ، فقال لحجّار بن أبجر العجليّ: تقدّمْ يا أبا أسيد. قال: إلى هذه العَذرة[٢]؟. قال: ما تَتأخرُ إليه أنتنُ. ثم أقبل على الغضبان بن القبعثري، فقال: تقدّم يا أبا الشّمط. فقال: ما أرى ذاك. فالتفتَ إلى قَطن بن عبد الله الحارثيّ، وهو على مَذحج وأسَد. فقال: تقدّم. قال: أسفكُ دماء مذحج في غير شيء[٣]. فقال مصعبٌ: أفٍّ لكم. ثم أقبل في عدّةٍ. فلما برز قال زياد بن عمرو العَتَكيّ لعبد الملك بن مروان: يا أميرَ المؤمنين، إنّ أبا البختَريّ، إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله[٤] كان لي صديقاً، وقد خفتُ أنْ يُقتَل، فآمنه. قال: هو آمنٌ. فأقبل زياد على فرسٍ له، فقال: يا أبا البختري إليّ أكلمك وأسائلك عن شيء، فأقبل، فلمّا اختلف رأسَا فرسيهما وضع يدَه في منطقته ثم جذبَه إليه، فقال إسماعيل: يا أبا المغيرة، أنشدكَ اللّهَ أن تليمَ اليوم[٥]. فقال: يا أبا البَختريّ، أنا أضنُّ بك من ذاك. ثم انطلق به عبد الملك فآمنه (١٨٦ و/) وأقبل محمد بن مروان، وكان على مقدمة عبد الملك، فقال لمصعبٍ. يابنَ عمّي، إنّ أميرَ المؤمنين يُؤمّنُك على كلِّ مالٍ ودمٍ أصبتَه. قال: أمير المؤمنين بالحِجاز. ورمى مصعبٌ من كلِّ وجهٍ، فأُثخنَ. فقال لابنه عيسىٰ: انصرف. فقال: لا واللّهِ لا تتحدّثُ بذلك النساءُ. قال: فتقدَّمْ أحتسبك. فتقدَّمَ فقاتلَ حتى قُتل. ثم أقبل عُبيد الله بن زياد بن ظبيان، وقد كان مُصعبٌ قتلَ أخاه النابىءَ، فدنا من مُصعبٍ، وقد كان أُثخن

---

(١) تكملة يقتضيها السياق، ومكانها بياض في المخطوطة.

(٢) في الأنساب والكامل ٣٢٦/٤: إلى هؤلاء الانتان.

(٣) في الكامل: فقال أكره أن تقتل مذجح في غير شيء.

(٤) انظر الطبري ١٥٩/٦.

(٥) في الطبري: أنشدك الله يا أبا المغيرة، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب. فقال: هذا أحبّ إلي من أن أراك غداً مقتولاً.

فلم يستطع [التقدمَ فقال][1] لفتيان قومه: شدّوا . . .[2] من ظهري، فتقدَّم، وما يحرّكُ مصعبٌ[3].

قال أبو عبد الله الزبير: لمّا تفرّق أهل العراق عن مُصعب، فلم يثبت معه إلاّ رجلان من أهل البصرة: يحيى بن مبشّر اليربوعي، ومسلم بن عمرو الباهلي، ومن أهل الكوفة: إبراهيم بن الأشتر. فقُتلوا جميعاً، وبقي مصعبٌ وحده في نفرٍ، فقاتل حتى عُقِرَ بهِ عيرُ فرسٍ، وصار يقعدُ على كرسيٍّ قد وُضع له، حتى يشدَّ على القوم فينفرجون له، ثم يعودُ إلى الكرسي، فلما رأوا أنهم لا يصلونَ إليه دَثّوه[4] بالحجارة، حتى أثخنوه فصُرِعَ، فشدّ عليه عبيدُ الله بن زياد بن ظبيان فقتله، ثم أتى عبدَ الملك برأسِه وذلك حيث يقولُ البجليُّ:

نحـــن قتلنـــا مصعبـــاً وعيســـى نحـــن أذقْنـــا مُضـــرَ التبئيســـا

(١٨٦ ظ /)

وقـــد قتلنـــا منهـــمُ رئيســـا

● ٣٦٦ ـ قال أبو عبد الله الزبير[5]:

وتنقّصَ رجلٌ مُصعباً عند عبد الملك فقال: إنه كان شِرِّيباً. فقال عبد الملك: أسكتْ لا أمّ لكَ. فلو علم مصعبٌ أنّ شربَ الماءِ يُنقِصُ من مروءته ما شرِبَه.

وقال الواقدي: قيل لعبد الله بن عمر: أيُّ بني الزبير أشجعُ؟ قال: ما منهما إلا شجاعٌ، وما منهما إلا مَنْ مشى إلى الموت وهو يراه.

● ٣٦٧ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني قال:

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة يقتضيها السياق. وفي المخطوطة بياض.
(٢) بعد هذه الكلمة بياض بمقدار كلمة.
(٣) إلى هنا ينتهي السقط من الأصل.
(٤) دثّ: ضرب.
(٥) الخبر في الكامل ٤/ ٣٣٣ مع اختلاف بالألفاظ.

أذن عبد الملك يوماً لخاصّته فأخذوا مجالسهم، فأقبل رجلٌ منهم على عَيْبِ مُصعبٍ بعد قتله، فنظر إليه عبد الملك نظر كراهةٍ لِما قال، وقال: أمسِك، أما علمتَ أنّ مَنْ صغّرَ مقتولاً فقد صغّر قاتله[1].

● ٣٦٨ ـ قال أبو عبد الله الزبير[2]:

قال المهلّبُ بن أبي صُفرةَ: أشجعُ الناس ثلاثةٌ: ابن الكلبيّة، وأحمر قريش، وراكبُ[3] البغلَةِ، فابنُ الكلبيّة مصعب بن الزبير، أفردَ في سبعةٍ، وأُعطي الأمان وولاية العراق، فأبىٰ، ومات كريماً. وأحمرُ قريشٍ عُمر بن عبيد الله بن مَعمَر، ما لقيَ خيلاً قطُّ إلا كان في سَرعَانِها[4]، وراكبُ البغلة عبّاد بن حُصين الحبَطي، ما كنا في كُربةٍ قطّ إلاّ فرّجها. قال: فقال الفرزدقُ، وكان حاضراً: ويحك فأين أنت عن عبد الله بن خازم السَلَمي، وعبد الله بن الزبير؟ فقال: ويحك إنما ذكرنا الأنسَ، فأمّا الجنُّ فلم نذكرهم.

● ٣٦٩ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني المدائني عن عَوانة بن الحكم، قال:

لمّا قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بن العاص[5] أذِنَ للناسِ إذناً عامّاً، فدخلوا عليه، وجُثّةُ عمرو في ناحية البيتِ، فلما أخذوا مجالسهم تكلّمَ عبد الملك (١٨٧ و /) فقال[6]: ارموا بأبصارِكم نحو مصارعِ أهلِ المعصية واجعلوا سَلفهم[7] لمن غَبرَ[8] منكم عِظةً، ولا تكونوا أغفالاً من حسنِ الاعتبار، فتنزلَ بكم

---

(١) الخبر في أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٧.
(٢) سقط قوله (قال أبو عبد الله) من ب ومكانه بياض.
(٣) سقط قوله (وأحمر قريش وراكب) من ب. ومكانه بياض.
(٤) سرعانها. أوائلها. ترجمته في التبيين في أنساب القرشيين ص ٢٩٥.
(٥) انظر تفصيل خبر قتل عبد الملك ابن سعيد بن العاص في سنة ٦٩ برواية عوانة بن الحكم أيضاً في الطبري ٦/ ١٤٠.
(٦) الخطبة في صبح الأعشى ١/ ٢١٨.
(٧) في صبح الأعشى: سلفكم.
(٨) غبر: بقي. وهي من الأضداد.

جائحةُ السطوة[1]، وتجوس خِلالكم بوادرُ النقمة، وتطأ رقابكم بثِقلها المعصيّة[2]، فتجعلكم هَمْداً[3] رُفاتاً، وتشتمل عليكم بطون الأرض أمواتاً. إيّاي من قول قائلٍ، وسفَهٍ[4] جاهلٍ، فإنما بيني وبينكم أنْ أسمعَ النعْرَة[5]، فأصمِّمُ تصميم الحسامِ المطرورِ[6]، وأصولُ صِيالَ الحَنِق الموتور. إنما هي المصافحةُ والمكافَحة بظُبات السيوف، وأسنّةِ الرماح، والمعاودة لكم بسوءِ الصَّباح، فتاب تائبٌ، أو هلك[7] خائب، والتوْبُ مقبولٌ، والإحسانُ مبذولٌ، لمن أبصرَ حظَّه، وعرفَ رُشدَه[8] فانظروا لأنفسِكم، واقبلوا على حظوظكم، وليكن أهل الطاعة منكم يداً على ذي الجهل[9] من سفهائكم، واستديموا النعمةَ التي ابتدأتكم برغد عيشها، ونفيس زينتها[10] فإنكم من ذلك بين فضيلتين، عاجلِ الخفض والدَّعَةِ، وآجل الجزاء والمثُوبة، عصمكم الله من الشيطان وفتنته ونزغِه، وأيَّدكم[11] بحسن معونته وحِفظه، انهضوا رحمكم الله لقبضِ أعطياتكم، غيرَ مقطوعةٍ، ولا مكدّرةٍ عليكم إن شاء الله.

قال: فخرج القومُ من عنده بِداراً، كلُّهم يخافُ أن تكون السطوة به.

● ٣٧٠ ـ أخبرنا أحمد بن سعيد قال: حدّثني الزبير قال: حدّثني أبو عبد الرحمٰن العتبي عن أبيه قال:

جلس الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك بن مروان مجلساً في زمانِ هشام (١٨٧ ظ /) بن عبد الملك، والوليدُ يومئذٍ وليُّ عهدٍ، وحضرَ معه في المجلس

---

(١) الجائحة: الشدة المجتاحة. وفي صبح الأعشى: السطوات.
(٢) في صبح الأعشى: العقوبة.
(٣) همد: من الهمود وهو الموت وذهاب الحياة.
(٤) في صبح الأعشى: ورشقة جاهل.
(٥) في المصدر السابق: النغوة.
(٦) المطرور: المشحوذ.
(٧) مكان قوله: تائب أو هلك. بياض في ب. وفي صبح الأعشى: وهدل خائب.
(٨) مكان قوله: حظه وعرف رشده. بياض في ب.
(٩) مكان قوله: منكم يداً على ذي الجهل. بياض في ب.
(١٠) مكان قوله: عيشها ونفيس زينتها. بياض في ب.
(١١) في صبح الأعشى: وأمدكم بحسن.

عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فتمازحا ساعة، وتذاكرا الشِّعرَ وأيّامَ العربَ، حتى أفضى بهما الحديثُ إلى أنْ قال الوليدُ بن يزيد لعبد الله بن معاوية: هل لك يا أبا معاوية إلى المنافرةِ والمفاخرةِ في مجلسنا هذا بكلام يحسُنُ إنْ رويَ، ويعذبُ إن حُكيَ؟ فقال عبدُ الله بن معاوية: فخري فخرُك، وذِكري ذكرُك، وما لأحدٍ منّا على صاحبه فضلٌ ولستُ آمنُ أنْ يُخرجنا ذلك إلى ما لا نُحبه، ولا نريده. فقال الوليدُ: نشدتُكَ باللّهَ أنْ يعرض هذا في نفسك، فإنه غيرُ كائنٍ. قال: فافتخرَ الوليدُ مبتدئاً فقال: أنا ابنُ يزيد السيّد العميد[1] مَنْ أناف ففاق شرفُه، وكرُم أصله وطرقُه. وسهُل بابُه وكفُّه، واشتدّ[2] من الضيم أنفه، هو الذي قُسمت منافعُه، وعمَّت صنائعه، وتتابعت وقائعُه[3] كانت إليه تعمدُ الوفودُ، وبسياسته تُراض الجنود وبأمره تُعهدُ العهودُ وتتضاءلُ عند رؤيتِه الأسُودُ. ثم لعبد الملِك الذي كان إذا سابقَ الأكفاءَ سبقَ، وإذا نطق صدقَ، ويَفري كلّما خلقَ، وتحيي مخائلُه إذا ودَقَ[4]، ويَرتِقُ إذا فُتِق، ولا يُفتَقُ ما رَتَقَ، كان تُهزَم الجيوشُ باسمِه، وتضلُّ الحلومُ في حِلمِه، ويعيشُ أهلُ الرأيِّ بعلمه، ويعدل في حُكمه وقسْمِه، ويَعرف فَضلَ أبيه وأمّهِ.

هو الذي قارعَ عن المُلك فَفَلَجَ[5]، وأدمجَ حبلَ الجماعةِ فاندمجَ، وأرْتَجَ[6] بابَ الباطل (١٨٨ و /) فارتُتِج، ولاقَ به[7] المُلكُ وابتهجَ. ثم لمروان بقيّة قريشٍ، وتالي القرآن، سَمَا للمُلكِ. فذلّلَ صَعبَه، وردَّ من كلِّ رئيسٍ شَغبَه، ونفّسَ عن كلِّ مكروب كرْبَه، وأيّدَ اللّهُ بالنصر حِزبَه، وورَّثَ الإمامةَ والخلافةَ عَقبَه، كان يُستَظَلُّ بظلِّه، ويفي بعهده ويَجبي المالَ من حِلِّه، ويضعُه في أهله، ويُعرف هدْيُه في سُبله، ثم للحَكَم الماجدِ العَلمِ، كان لا تخمدُ نيرانُه، ولا تُذمّ جَفانُه، ولا تؤمَنُ أضغَانُه،

---

(١) سقطت كلمة (العميد) من ب.
(٢) مكان قوله: وكفه واشتد. بياض في ب.
(٣) مكان قوله: وتتابعت وقائعه. بياض في ب.
(٤) ودق: قطر وأمطر.
(٥) فلج: ظفر وفاز.
(٦) أرتج: أغلق.
(٧) لاق به: لاذ به. ويرجح هنا أنه أراد من اللياقة.

ولا يُقدّرُ شانُه. ثم لأبي العاصِ، الكريمِ المحلِّ والعِراص، كان يُصدَرُ عن رأيِّه، ويوثّق برأيِّه، ويُعاشُ بحبائه، ويُؤمَن بغنائه ويُقتاسُ على بنائه. ثم لأميّةَ الذي ولي كلَّ عليَّةٍ، ولدَ القرومَ فأنجبَ، وغالىٰ بالحمدِ فأرغبَ، وزوّق عليه المجدُ وطنّب، وأورى زندَه وأثقبَ، وبذل ماله فأنهبَ. ثم لعبدِ شمسٍ فارجِ كلِّ لَبسٍ، لياذِ قريشٍ إذا حُصِّلوا، وحليمِها إذا جهلوا، وجبلِها إذا زُلْزلوا، وزعيمِها إذا احتفلوا[1] وربيعها إذا أمحلوا. وأفتخر بفتىٰ الفتيانِ، يزيد بن معاوية، كان سمحَ السُّمَحاء، ولبيبَ الألبّاء، الذي كمل الجود والأصالة والبراعة، ولدته القرومُ من قُضاعةَ. ثم[2] لقريع الأنام معاوية بن أبي سُفيان، مَن أثمنَ في المكارم جوهرُه، ثَمَّ غطّى[3] الفاخرَ مفخرُه[4]، وبَذَّ أخيارَ الناس خيرُه، وزهَا بهِ سريرُه ومِنبرُه. طُبعت على الحِلم سجيّته، وكملت أخلاقُه ومُروءَتُه، واستوت علانيتُه وسريرتُه، ورضيت بسياسته رعيّتُه، وحَبرُ الأشرافِ عطيّتُه. مَنْ طلب فأدرك بثأره، وشمَّرَ للحرب بأنصاره (١٨٨ ظ /) [وأخذَ الأمرَ من أقطاره][5]. ثم لصخرٍ معدِنِ النُبل والفخر، مفزعِ قومِه إذا رَهبُوا وغياثِهم إذا أجدبوا، ومِدْرَهِهم[6] إذا خطبوا، وفارسِهم إذا ركبوا، مُيسِّر كلّ عسيرٍ، ورئيس كل كبير، وبدرِ كلّ مُنير. ثم لحزبٍ، منفِّسِ كلّ كرْبٍ، قائدِ قومِه في الحقائق وعصمتهم في الوثائق، وحاميهم في المضايق، يعلو على المنازع في خِصامه، وتثبتُ قدمُه في مقامِه، وتُؤثَر أمثالُ كلامه، ويزدحمُ الناسُ على طعامه، وتتحدَّث المواسمُ بأيامه[7].

فلما فرغ الوليدُ، قال لعبد الله: تكلّمْ. فقال عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: أنا عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله، أنا ابن البدور الزواهر، والبحورِ الزواخر، والغيوثِ المواطر، والليوثِ الهواصر[8]، الذين برز في الجاهلية

---

(١) في ب: احتلفوا. تحريف.

(٢) مكان قوله: قضاعة ثم. بياض في ب.

(٣) الكلمة ساقطة من ب. ومكانها بياض. وهي غير واضحة في الأصل ورسمها يقرب ممّا أثبتّه.

(٤) مكان هذه العبارة بياض في ب.

(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من ب.

(٦) المدره: كمنبر السيد الشريف والمقدّم في اللسان.

(٧) في ب: الموسم.

(٨) في ب: الزاهرة .. الزاخرة ... الماطرة ... الهاصرة.

شأوهم، وأنافَ على كلِّ بناءٍ بناؤهم، وكان خيرَ الآباء آباؤهم. أنا ابنُ الفروعِ الزكيّةِ، والمصابيح المضيّةِ، والأشياخ الرضيّةِ، الهداةِ المهديّةِ، ضربوا بأسيافهم على التقىٰ، وأقاموا للناس معالمَ الهدى، واستنقذوهم من الضَلالةِ والردى، ودوّخوا صناديدَ العِدا.

أخرجَنا اللّهُ من أكرم طِينةٍ، واصطفانا من الجواهرِ المكنونة، واختَصَّنا بالوحي والدينونة، وجعلَ لنا السُّنَنَ المسنونةَ، ينزلُ وحي اللّهِ[1] في أبياتنا، ويُمليهِ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على آبائنا وأُمّهاتِنا، تحلُّ الملائكةُ بعقواتنا[2]، فلنا كلُّ فضلٍ معدودٍ، وسَناءٍ محمودٍ، ونحن (١٨٩ و /) زَينُ كل مشهود، وغرَّةُ كلِّ طارفٍ ومتلودٍ. منّا خِيرةُ اللّهِ المصطفى، ورسوله المُجتبىٰ، وأمينُه المرتضىٰ[3] والمؤثَرُ بسدرةِ المنتهىٰ، ـ ﷺ ـ ومنّا حمزةُ أسدُ الله وأسَدُ رسولِه[4] وحاميةُ المسلمين، وآفةُ المشركين، وسيّدُ شهداء العالمين كان في الجاهلية مَهيباً، ولِمالِه وهوباً، وفي الإسلام سبّاقاً خطيباً وعلى الأعداء أبّاءً صليبا[5]. ومنّا عليٌّ ذو السوابقِ الباسقة، والمناقبِ الفائقةِ، الذي ليست كسابقته سابقة، أقدمُ قريشٍ سَبْقاً وأعلمهم علماً، وأجودُهم فهماً، وأرجحهم حِلماً وأكرمُهم[6] بعد رسول الله ـ ﷺ ـ نَفساً، وأفضلهم ولَداً وعُرساً، وخيرُهم محتداً وجنساً. أصدقُ العرب بأساً وأشدُّهم مِراساً.

ومنّا العبّاس المفَضَّلُ بسريرته، المستمرُّ لمريرته[7]، المتحبِّب إلى عشيرتِه، كهفُ قريشٍ إذا استكهفوا، ورؤوفهم إذا استرأفوا، وعَدلُهم إذا استنصفوا.

ومنّا ابنُه عبد الله حِبْرُ الأحبار، وبِرُّ الأبرار، العالِمُ بكلِّ مشكلةٍ، والقائمُ بكلِّ معضلة.

---

(١) مكان قوله: ينزل وحي الله. بياض في ب.

(٢) العقوه: الدار والمحلة.

(٣) سقطت كلمة (المرتضى) من ب.

(٤) مكان قوله: وأسد رسوله. بياض في ب.

(٥) كذا في الأصل، ومكانها بياض في ب.

(٦) سقطت هذه الكلمة من ب.

(٧) المريرة: عزة النفس والعزيمة.

ثم أنا ابنُ معاويةَ، وارثُ كلّ فضيلةٍ، ومصطنعُ كلّ جميلة، ومفرِّجُ كلّ جليلة، ومُسيل كلّ جزيلة. ثم لعبد اللّهِ مشتري الحمدَ بنوَالِه، والمؤثِرِ على نفسِه بماله، والمروّي الظِماءَ بسِجاله. مَنْ أنجد ذكرُه[1] وغار، وغمرَ جودُه البحار، وعمَّ عَطاؤه الأمصارَ. سلك سبيلَ المروةِ وأخذ[2] بأخلاقِ النبوّةِ، وتقبَّلَ سُنَّةَ الأبوّةِ.

ثم لجعفر الطيّار مع الحِسانِ، والمصارعِ للأقران والمظهرِ للبرهان، والقائِم (١٨٩ ظ /) بطاعةِ الرحمٰن، أشبهِ الناسِ بنبيّهِ خَلقاً وخُلقاً[3] وأقدمِهم في الإسلام سَبْقاً، وأحقِّهم بكلِّ سَناءٍ حقّاً.

ثم لأبي طالبٍ مَدره قريشٍ إذا حشدوا، ورئيسِهم إذا عَقدوا، وعميدِهم إذا اعتمدوا، وفارج كربهم إذا جَهدوا، ولَدَ الكرامَ وولدوه. وأشبَه أباه، وأشبَهَهُ بنوه.

ثم لعبدِ المطّلب الواري الزّناد الرفيع[4] العِماد، المُرغم للأعادي، القائل بالسَّدَادِ، مُحتفِرِ زمزمَ خير الحفائر، وساقي الحجيجَ فيه بالمفاخر. جمعَ قريشاً بعدما تفرّقوا، وقادَهم حتى استوسقوا[5]، وبذّهم حين نطقَ ونطقوا.

ثم لهاشمٍ مُطعِمِ الناس في الشتاء، والأصياف، ومُحلِّ الوفود والأضياف. ومَلجأ كلِّ هاربٍ ومَضاف، والسابقِ إلى غايات الأشراف.

أطعمَ قريشاً حين أسنَتت[6]، وجاد بماله حين أمسكت، وساهم[7] المهمّة لمّا أضلعت، وقهرَ بناؤه بناءَها لمّا ابتنت.

فأنا خيرُ العالمين أشياخاً، وأكرمُهم أرومةَ وأسناخا[8] وأعزّهم سيّداً بذّاخاً

---

(١) مكان (ذكره) بياض في ب.

(٢) مكان (المروة وأخذ) بياض في ب.

(٣) مكان قوله (الناس بنبيه خلقاً وخلقاً) بياض في ب.

(٤) مكان هذه الكلمة بياض في ب.

(٥) استوسقوا: اجتمعوا.

(٦) أسنتت: أجدبت.

(٧) الكلمة غير واضحة في النسختين ورسمها كما أثبته.

(٨) أسناخ: واحدها سنخ بالكسرة وهو الأصل.

وأخصبُهم محلّةً ومُناخا. عليهم تنزلُ الأنباءُ، وبهم ولّفت قريشٍ الأحياء[1]، وأقرّت بفضلها الأمَلاء، وأذعنت الرؤساء. أنا ابنُ الأعلام للأعلام وابنُ سادة الإسلام، ومعدِنِ النبوّة والأحكام، وأكرمَ الإسلامُ أسلافَنا، وأطهرَ الأطرافَ أطرافُنا، وأعزّ الأحلافَ أحلافُنا، يضمَحلُّ[2] الفخرُ عند فخرنا، ويُنسىٰ كلُّ ذكرٍ مع ذكرنا، ويصغرُ كلُّ قَدْرٍ عند قدرنا.

قال: فلما فرغا من كلامهما تفرّقا[3].

هذا آخر الخامس من أجزاء أبي الحسن الدمشقي. وهو آخر الموفقيات.

وهو آخر الجزء التاسع عشر من أجزاء أبي عبد الله بن الكاتب.

وهو آخر الكتاب

وفرغ من نسخه في أواخر جمادى الأولى من سنة أربع وتسعين وخمسمائة[4].

** * **

---

(١) في ب: وبهم دانت لقريش الأحياء.

(٢) في الأصل: يضحك. تحريف.

(٣) في ب: انصرفا.

(٤) ختمت نسخة ب بالعبارة الآتية: تمت الأخبار الموفقيات والحمد لله رب العالمين. وخط (سنة أربع وتسعين) غير واضح في المصورة التي بين يديّ، وقد رجّحت هذه القراءة لورودها في المجلة أيضاً.

الضائع من الموفقيات

● ٣٧١ ـ حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي والطوسيّ وغيرهما في كتاب الأخبار المعروف بـ(الموفقيات) عن الزبير بن بكار قال[١]: حدّثنا محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن يزيد عن عتبة بن أبي لهب قال: حجّ عبد الملك في بعض الأعوام، فأمر الناس بالعطاء فخرجت بدرةٌ مكتوب عليها (من الصدقة) فأبىٰ أهل المدينة من قبولها وقالوا: أفما كان إعطاؤنا من الفيء؟ فقال عبد الملك وهو على المنبر: يا معشر قريش، مِثلنا ومثلكم، إنّ أخوين خرجا في الجاهلية مسافرَين، فنزلا في ظلّ شجرة تحت صفا[٢]، فلما دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفا حيّةٌ تحمل ديناراً، فألقته إليهما فقالا: إنّ هذا لمن كنزٍ، فأقاما عليها ثلاثة أيام، كلّ يوم تخرج إليهما بدينار. فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحيّة؟ ألا نقتلها فنحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه وقال له: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال. فأبىٰ عليه، فأخذ فأساً معه ورصد الحيّةَ حتى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها، ولم يقتلها. فثارت الحيّةُ فقتلته ورجعت إلى حجرها. فقام أخوه فدفنه، حتى إذا كان من الغد خرجت الحيّة معصوباً رأسها، ليس معها شيء، فقال لها: يا هذه، إني ـ والله ـ ما رضيت ما أصابكِ، ولقد نهيتُ أخي عن ذلك، فهل لكِ أنْ نجعل الله بيننا، لاَ تضرّيني ولا أضرك، وترجعين إلى ما كنتِ عليه؟ قالت الحيّة: لا. قال: ولمَ ذلك؟ قالت: إني لأعلم أنّ نفسك لا تطيب أبداً، وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً، وأنا أذكر هذه الشجّة، وأنشدهم شعراً للنابغة:

فقالت أرى قبراً تراه مقابلي ... وضربة فأسٍ فوق رأسي فاغره[٣]

(١) مروج الذهب ٥/٢٧٩.
(٢) صفا: صخرة.
(٣) البيت في ديوانه ص ٢١٠ من قصيدة طويلة وروايته:

فيا معشر قريش، وليكم عمر بن الخطّاب، وكان فظًا غليظاً مضيّقاً عليكم فسمعتم له وأطعتم. ثم وليكم عثمان، فكان سهلاً ليّناً كريماً فعدوتم عليه فقتلتموه، وبعثنا عليكم مُسلماً يوم الحرّة فقتلتموه. فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبداً، وأنتم تذكرون يوم الحرّة، ونحن لا نحبّكم أبداً، ونحن نذكر مقتل عثمان.

● ٣٧٢ ـ روى الزبير بن بكار[١]، ورواه جميع الناس ممن عُني بنقل الآثار والسير عن الحسن البصري:

أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم يكن فيه إلاّ واحدة منهن لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه بعده ابنَه يزيد، سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير. وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: الولد للفراش وللعاهر الحَجر.

● ٣٧٣ ـ روى الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٢] أيضاً الخبر الذي رواه المدائني، وقد ذكرناه آنفاً في كلام ابن عباس لأبي موسى. وقوله:

إنّ الناس لم يرتضوك لفضلٍ عندك لم تشارك فيه[٣] . . . وذكر في آخره: فقال

= أبـى لـيَ قبـر لا يـزال مقـابلـي وضـربـة فـاس فـوق رأسـي فـاقـره

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ٤٥٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) تكملة الخبر في شرح نهج البلاغة ١/ ٤٥٤ روى المدائني في كتاب صفين قال: أتاه عبد الله بن العباس، وعنده وجوه الناس وأشرافهم فقال له: يا أبا موسى، إن الناس لم يرضوا بك، ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشارك فيه، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمتقدمين قبلك! ولكن أهل العراق أبوا إلاّ أن يكون الحكم يمانياً، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانٍ، وأيم الله، إني لأظن ذلك شراً لك ولنا، فإنه قد ضمّ إليك داهية العرب، وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة، فإن تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه، وإن يطمع باطله في حقك يدرك حاجته منك. واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وانه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة، فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق، استعمله عمر وهو الوالي عليه، بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي، ويوجره ما يكره، ثم استعمله عثمان برأي عمر، =

بعض شعراء قريش:

والله مـا كلَّـم الأقـوام مـن بشـرٍ بعـد الـوصـيِّ علـيٍّ كـابـن عبّـاس
أوصـى ابـن قيـسٍ بـأمـرٍ فيه عصمته لو كان فيها أبو موسى من الناس
إنـي أخـاف عليـه مكـر صـاحبـه أرجـو رجـاءً مخـوفـاً شيـب بـاليـأس

● ٣٧٤ ـ وذكر الزبير أيضاً في (الموفقيات)[١]:

أنّ يزيد بن حُجيّة التيميّ[٢] شهد الجمل وصفّين ونهروان مع علي ـ عليه السلام ـ ثم ولّاه الريّ ودستبىٰ[٣]، فسرق من أموالهما ولحق بمعاوية، وهجا علياً ـ عليه السلام ـ وأصحابه، ومدح معاوية وأصحابه، فدعا عليه عليّ ـ عليه السلام ـ ورفع أصحابُه أيديهم فأمّنوا، وكتب إليه رجل من بني عمّه كتاباً يقبّح إليه ما صنع، وكان الكتاب شعراً. فكتب يزيد بن حُجيّة إليه: لو كنت أقول شعراً لأجبتك ولكنْ قد كان منكم خِلال ثلاث لا ترون معهنّ شيئاً مما تحبون: أما الأولى فإنكم سرتم إلى أهل الشام، حتى إذا دخلتم بلادهم وطعنتموهم بالرماح، وأذقتموهم ألم الجراح، رفعوا المصاحف فسخروا منكم وردّوكم عنهم، فوالله ووالله لا دخلتموها بمثل تلك الشوكة والشدّة أبداً. والثانية: أن القوم بعثوا حَكماً، وبعثتم حَكماً، فأما حكمهم فأثبَتهم، وأمّا حكمكم فخلعكم، ورجع صاحبهم يُدعى أمير المؤمنين، ورجعتم متضاغنين.

والثالثة: أن قرّاءكم وفقهاءكم وفرسانكم خالفوكم، فعدوتم عليهم فقتلتموهم.

= وما أكثر من استعملا ممن لم يدّع الخلافة. واعلم أن لعمرو مع كل شيء يسرّك خبيئاً يسوؤك. ومهما نسيت فلا تنس أنّ علياً بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان. وإنها بيعة هدى، وإنه لم يقاتل إلا العاصين الناكثين.

فقال أبو موسى: رحمك الله. والله ما لي إمام غير عليّ، وإني لواقف عندما رأى، وإن حق الله أحب إلي من رضا معاوية وأهل الشام، وما أنت وأنا إلاّ بالله.

(١) شرح نهج البلاغة ١/٤٥٦.

(٢) هو يزيد بن حجيّة بن ربيعة التيمي، له شعر في البيان والتبيين ٢/٢٩٢. وانظر أخباره مع معاوية في الطبري ٥/٢٧٢.

(٣) دستبى: كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمدان.

ثم كتب في آخر الكتاب بيتين لعفّان بن شرحبيل التميمي:

أحببتُ أهل الشام من بين الملا ... وبكيتُ من أسفٍ على عثمان
أرضاً مقدّسة وقوماً منهمُ ... أهل اليقين وتابعو الفرقان

● ٣٧٥ ـ وروى الزبير بن بكار في (الموفقيات)[١]: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة:

دخلتُ مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدّث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمًّا فانتظرته ساعةً، وظننت أنه لأمرٍ حدث فينا فقلت: ما لي أراك مغتمًّا منذُ الليلة؟ فقال: يا بنيّ، جئت من أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوتُ به: إنك قد بلغت سنًّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلتَ أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه؟ فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك، حتى هلك ذكره إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عديّ، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر.

وإنّ ابن أبي كبشة ليُصاح به كلَّ يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمداً رسول الله) فأيّ عمل يبقىٰ؟ وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك؟ لا والله إلاّ دفناً دفناً.

● ٣٧٦ ـ وروى الزبير بن بكار في (الموفقيات) قال[٢]:

لما بايع بشير بن سعد أبا بكر، وازدحم الناس على أبي بكر فبايعوه، مرّ أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ فوقف وأنشد:

بني هاشم لا تطمِعوا الناس فيكمُ ... ولا سيّما تيم بن مرّة أو عديّ
فما الأمرُ إلا فيكمُ وإليكمُ ... وليس لها إلاّ أبو حسنٍ عليّ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ١٧٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٧١.

أبـا حسـن فـاشـدُد بهـا كـفَّ حـازمٍ ۝ فـإنـكَ بـالأمـر الـذي يُـرتَّجـى ملـي
وأيّ امـرىء يـرمـي قصيّـاً ورأيهـا ۝ منيع الحمى والناس من غالب قصيّ

فقال علي لأبي سفيان: إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه، وقد عهد رسول الله ـ ﷺ ـ عهداً فأنا له.

فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله فقال: يا أبا الفضل، أنت أحقّ بميراث أخيك، امدد يدك لأبايعك، فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك. فضحك العباس وقال: يا أبا سفيان، يدفعها عليّ ويطلبها العبّاس!

فرجع أبو سفيان خائباً.

● ٣٧٧ ـ قال الزبير بن بكار: وذكر محمد بن إسحق[(١)]:

أن الأوس تزعم أنّ أول مَنْ بايع أبا بكر بشير بن سعد. وتزعم الخزرج أنّ أول مَنْ بايع أسيْد بن حُضير.

● ٣٧٨ ـ قال الزبير بن بكّار[(٢)]:

فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفّه زفًّا إلى مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم، فاجتمع قوم من الأنصار، وقومٌ من المهاجرين، فتعاتبوا فيما بينهم فقال عبد الرحمٰن بن عوف: يا معشر الأنصار، إنكم وإن كنتم أولي فضل ونصر وسابقة، ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا عليّ ولا أبي عبيدة.

فقال زيد بن أرقم: إنا لا ننكر فضلَ مَنْ ذكرت يا عبد الرحمٰن، وإنّ منا لسيد الأنصار سعد بن عبادة، ومَنْ أمر الله رسوله أن يقرئه السلام وأن يأخذ عنه القرآن أبيّ بن كعب، ومن يجيء يوم القيامة إمام العلماء معاذ بن جبل، ومن أمضى رسول الله ـ ﷺ ـ شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت، وإنا لنعلم أنّ ممن سمّيت

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٧١.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٧٢.

من قريش مَنْ لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد: علي بن أبي طالب.

● ٣٧٩ ـ قال الزبير[(١)]:

فلما كان من الغد، قام أبو بكر فخطب الناس، وقال:

أيها الناس، إني وُلِّيتُ أمرَكم ولستُ بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني، وإنْ أسأتُ فقوّموني.

إنّ لي شيطاناً يعتريني فإياكم وإياي إذا غضبت، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قويّ حتى أردّ إليه حقه، والقويّ ضعيف حتى آخذ الحق منه.

إنه لا يدَع قومٌ الجهاد إلا ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيع في قوم الفاحشة إلا عمّهم البلاء.

أطيعوني ما أطعتُ الله، فإذا عصيتُ فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم اللّهُ.

قال ابن أبي عزة القرشيّ[(٢)]:

شكرا لمن هو بالثناء حقيق ... ذهب اللَّجاجُ وبويع الصدِّيق

من بعد ما زلت بسعدٍ نعله ... ورجا رجاءً دونه العَيّوق[(٣)]

حقّت به الأنصار عاصب رأسه ... فأتاهمُ الصدِّيقُ والفاروق

وأبو عبيدة والذين إليهمُ ... نفسُ المؤمِّل للّقاء تتوق

كنا نقول لها عليٌّ والرضا ... عمرٌ وأولاهم بذاك عَتيق

فدعت قريش باسمه فأجابها ... إنّ المنوّه باسمه الموثوق

قل للأُلى طلبوا الخلافة زلّةٌ ... لم يخطُ مثل خطاهمُ مخلوق

إنّ الخلافة في قريشٍ مالكم ... فيها وربّ محمد معروق

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٧٣.

(٢) الأبيات في كتاب الردة ٢٨ منسوبة إلى رجل من المهاجرين.

(٣) العيّوق: من الكواكب العالية النيّرة.

● ٣٨٠ ـ وروى الزبير بكار قال: روى محمد بن إسحاق[١]:

أنّ أبا بكر لمّا بويع افتخرت تيْمُ بن مرّة.

قال: وكان عامة المهاجرين وجلّ الأنصار لا يشكّون أنّ علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني تيْم، إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوّة. ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الأمرَ الذي نحن أهلُه لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسَداً منهم لنا وحِقداً علينا، وإنّا لنعلم أنّ عند صاحبنا عهداً هو ينتهي إليه.

وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم شعراً:

ما كنت أحسَب أنّ الأمر منصرف   عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل مَنْ صلّى لقبلتكم   وأعلم الناس بالقرآن والسُّنَن
وأقرب الناس عهداً بالنبيّ ومَنْ   جبريل عونٌ له في الغسل والكفَن
ما فيه ما فيهمُ لا يمترون به   وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردّهم عنه فتعلمه   ها إنّ ذا غبننا من أعظم الغبَن

قال الزبير: فبعث إليه عليٌّ فنهاه وأمره ألاّ يعود، وقال: سلامة الدين أحبّ إلينا من غيره.

● ٣٨١ ـ قال الزبير[٢]:

وكان خالد بن الوليد شيعةً لأبي بكر، ومن المنحرفين عن علي فقام خطيباً فقال: أيها الناس، إنّا رُمينا في بدء هذا الدين بأمر، ثقُل علينا ـ والله ـ محملُه، وصعب علينا مرتقاه، وكنا كأنّا فيه على أوتار، ثم ـ والله ـ ما لبثنا أنْ خفّ علينا ثقله، وذلّ لنا صعبُه، وعجبنا ممن شك فيه بعد عُجبنا ممن آمن به حتى أمرنا بما كنا ننهىٰ عنه، ونُهينا عمّا كنا نأمرُ به، ولا والله ما سبقنا إليه بالعقول ولكنه التوفيق.

ألا وإنّ الوحي لم ينقطع حتى أحكم، ولم يذهب النبي ـ ﷺ ـ فنستبدل بعده نبيّا

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٧٤.

ولا بعد الوحي وحياً، ونحن اليوم أكثر منا أمسِ ونحن أمسِ خيرٌ منا اليوم. مَنْ دخل في هذا الدين كان ثوابه على حسَب عمله، ومَن تركه رددناه إليه، وإنه ـ والله ـ ما صاحب الأمر ـ يعني أبا بكر ـ بالمسؤول عنه ولا ليختلف فيه، ولا الخفيّ الشخص ولا المغموز القناة، فعجب الناس من كلامه.

ومدحه حزن بن أبي وهب المخزوميّ، وهو الذي سمّاه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ «سهلاً»[1] وهو جد سعيد بن المسيب الفقيه، وقال:

وقامت رجالٌ من قريش كثيرةٌ ... فلم يك منهم في الرجال كخالد[2]
ترقّى فلم يزلقْ به صدرُ نعله ... وكفَّ فلم يعرض لتلك الأوابد
فجاء بها غرّاء كالبدر ضوءها ... فسمّيتُها في الحسن أمّ القلائد
أخالد لا تعدم لؤيُّ بن غالب ... قيامك فيها عند قذف الجلامد[3]
كساك الوليدُ بن المغيرة مجدَه ... وعلّمك الأشياخ ضرب القَماحِد[4]
تقارع في الإسلام عن صُلب دينه ... وفي الشِّرك عن أحساب جَدٍّ ووالد
وكنت لمخزوم بن يقظة جُنّةً ... يعدّك فيها ماجداً وابن ماجد[5]
إذا ما سما في حربها ألفُ فارسٍ ... عدلت بألفٍ عند تلك الشدائد
ومن يكُ في الحرب المثيرة واحداً ... فما أنت في الحرب العَوّان بواحد
إذا ناب أمرٌ في قريشٍ مخلّج ... تشيب له رؤوس العذارى النواهد
تولَّيتَ منه ما يُخافُ وإن تغب ... يقولوا جميعاً حظّنا غير شاهد

---

(١) ترجمته في الإصابة ١/ ٣٢٤ ونقل فيها عن الموفقيات أيضاً نص هذا الخبر والشعر. ١، ٤، ٥، ٧ وذكر عن تسمية الرسول ﷺ له باسم سهل ما يأتي: روى البخاري وأبو داود من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أنه أتى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال له: «ما اسمك»؟ قال: حزن. قال: «أنت سهل ـ الحديث ـ».

(٢) في الإصابة: وقام رجال . . . فلم يك في القوم القيام كخالد.

(٣) في الإصابة: يقاتل فيها عند قذف الجلائد.

(٤) في الإصابة: وعلّمك الشيخان.

القماحد: جمع قمحدوة، وهي الهنة الناشرة فوق القفا.

(٥) في الإصابة: كذا اسمك فيها ماجد وابن ماجد.

● ٣٨٢ ـ قال الزبير[1]: وحدّثنا محمد بن موسى الأنصاري المعروف بابن مخرمة قال: حدّثني إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري قال:

لمّا بويع أبو بكر واستقرّ أمره، نَدِم قومٌ كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً، وذكروا علي بن أبي طالب وهتفوا باسمه. وإنه في داره فلم يخرج إليهم، وجزع لذلك المهاجرون، وكثر في ذلك الكلام، وكان أشدّ قريشٍ على الأنصار نفرٌ فيهم، وهم: سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان، وهؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ثم دخلوا في الإسلام، وكلهم موتور قد وتره الأنصار.

أما سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر، وأما الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر، وهو فارٌّ عن أخيه. وأما عكرمة بن أبي جهل فقتل أباه ابنا عفراء، وسلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيد، وفي أنفسهم ذلك.

فلما اعتزلت الأنصار تجمّع هؤلاء، فقام سهيل بن عمرو فقال: يا معشر قريش، إن هؤلاء القوم قد سمّاهم الله الأنصار، وأثنى عليهم في القرآن فلهم بذلك حظّ عظيم وشأن غالب، وقد دَعَوا إلى أنفسهم وإلى علي بن أبي طالب، وعليٌّ في بيته لو شاء لردّهم، فادعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته، فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم، فوالله إني لأرجو الله أن ينصركم عليهم كما نُصرتم به.

ثم قام الحارث بن هشام فقال: إن يكن الأنصار تبوّأت الدار والإيمان من قبلُ، ونقلوا رسول الله ﷺ إلى دورهم من دورنا، فآووا ونصروا، ثم ما رضوا حتى قاسمونا الأموال، وكفوْنا العمل، فإنهم قد لهجوا بأمرٍ، إن ثبتوا عليه، فإنهم قد خرجوا مما وُسِموا به، وليس بيننا وبينهم معاتبة إلا السيف، وإنْ نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم، والمظنون معهم.

ثم قام عِكرمة بن أبي جهل فقال: والله لولا قولُ رسول الله ﷺ: «الأئمة من

(١) شرح نهج البلاغة ٢/٢٧٥.

قريش»[1] ما أنكرنا إمرة الأنصار ولكانوا لها أهلاً، ولكنه قولٌ لا شكّ فيه ولا خيار، وقد عجلت الأنصار علينا، والله ما قبضنا عليهم الأمر ولا أخرجناهم من الشورى، وإن الذي هم فيه من فلتات الأمور ونزغات الشيطان، وما لا يبلغه المنى ولا يحمله الأمل، أعذِروا إلى القوم فإن أبوا فقاتلوهم، فوالله لو لم يبقَ من قريش كلّها إلا رجل واحد لصيّر الله هذا الأمر فيه. قال: وحضر أبو سفيان بن حرب فقال:

يا معشرَ قريش، إنه ليس للأنصار أن يتفضّلوا على الناس حتى يقرّوا بفضلنا عليهم، فإن تفضّلوا فحسبنا حيث انتهى بها، وإلا فحسبهم حيث انتهى بهم، وأيمُ الله لئن بَطروا المعيشة وكفروا النعمة، لنضربنّهم على الإسلام كما ضربوا عليه، فأما عليّ بن أبي طالب فأهلٌ ـ والله ـ أن يسوّد على قريش وتطيعه الأنصار.

فلما بلغ الأنصارَ قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال:

يا معشر الأنصار، إنما يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهلُ الدين من قريش، فأما إذا كان من أهل الدنيا لا سيما من أقوام كلّهم موتور فلا يكبُرنّ عليهم، إنما الرأي والقول مع الأخيار المهاجرين. فإن تكلّمت رجال قريش الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء، فعند ذلك قولوا ما أحببتم وإلا فأمسكوا.

وقال حسّان بن ثابت يذكر ذلك:

تنادى سُهيلٌ وابنُ حربٍ وحارثٌ ... وعكرمة الشّاني لنا ابن أبي جهل
قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه ... فأصبح بالبطْحاء أذلَّ من النعل
فأما سهيلٌ فاحتواه ابن دخشم ... أسيراً ذليلاً لا يُمِرُّ ولا يُحلي
وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله ... غداة لوا بدرٍ فمِرجله يغلي
وراكضنا تحت العجاجة حارثٌ ... على ظهر جرداء كباسقة النخل
يقبّلها طوراً وطوراً يحثّها ... ويعدلها بالنفس والمال والأهل
أولئك رهطٌ من قريش تبايعوا ... على خطّة ليست من الخطط الفُضل
وأعجب منهم قابلو ذاك منهمُ ... كأنّا اشتملنا من قريشٍ على ذَحْل

---

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ٦.

وكلّهـمُ ثـانٍ عـن الحـقّ عِطفـه ... يقـول اقتلـوا الأنصـار بئسَ من فِعـل
نصـرنـا وآوينـا النبـيَّ ولـم نخـف ... صـروف الليـالـي والبـلاء على رَجْـل
بـذلنـا لهـم أنصـاف مـال اكفّنـا ... كقسمـة أيسـار الجَـزور مـن الفضَـل
ومـن بعـد ذاك المـال أنصـاف دورنـا ... وكنّـا أنـاسـاً لا نعيَّـر بـالبخـل
ونحمـي ذمـار الحيّ فهـر بـن مالـك ... ونوقد نارَ الحرب بالحطب الجزل
فكـان جـزاء الفضـل منّـا عليهـمُ ... جهـالتهـم حمقـاً ومـا ذاك بـالعـدْل[1]

فبلغ شعر حسّان قريشاً، وأمروا ابن أبي عزّة شاعرهم أن يجيبه فقال:

معشـر الأنصـار خـافـوا ربّكـم ... واستجيـروا الله مـن شـرِّ الفِتَـن
إننـي أرهـب حـربـاً لاقحـاً ... يشـرق المـرضـعُ فيهـا بـاللَّبـن
جـرّهـا سعـدٌ وسعـدٌ فتنـةٌ ... ليـت سعـد بـن عبّـادة لـم يكـن
خلـف بـرهـوت خفيّـاً شخصُـه ... بيـن بُصـرى ذي رعيـن وجَـدَن
ليـس مـا قـدّر سعـدٌ كـائنـاً ... مـا جـرى البحـر ومـا دام حَضَـن
ليـس بـالقـاطـع منّـا شعـرة ... كيـف يُـرجـى خيـرُ أمـرٍ لـم يحِـن
ليـس بـالمـدرك منهـا أبـداً ... غيـر أضغـاثِ أمـانـي الـوسَـن

● ٣٨٣ ـ قال الزبير[2]:

لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر أكرمت قريش معن بن عديّ[3] وعويم بن ساعدة[4]، وكان لهما فضلٌ قديم في الإسلام.

فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس ودعوهما، فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما، فعيّروهما بانطلاقهما إلى المهاجرين، وأكبروا فعلهما في ذلك. فتكلم معن

---

(١) النص مما أخل به ديوانه.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٧٧.

(٣) هو معن بن عدي بن الحبر بن العجلان البلوي حليف الأنصار، شهد أحداً، وقتل شهيداً يوم اليمامة وكان طليعة لخالد بن الوليد في مائتي فارس. (الإصابة ٣/ ٤٢٩).

(٤) هو عويم بن ساعدة بن عابس بن قيس بن النعمان الأنصاري الأوسي، شهد العقبة، قيل مات في خلافة عمر. (الإصابة ٣/ ٤٥).

فقال: يا معشر الأنصار، إن الذي أراد الله بكم خيرٌ مما أردتم بأنفسكم، وقد كان منكم أمرٌ عظيم البلاء وصغّرته العاقبة، فلو كان لكم على قريش ما لقريش عليكم ثم أردتموهم لما أرادوكم به، لم آمنْ عليهم منكم مثل ما آمن عليكم منهم، فإن تعرفوا الخطأ فقد خرجتم منه وإلاّ فأنتم فيه.

ثم تكلّم عُويم بن ساعدة فقال: يا معشر الأنصار، إنّ من نعم الله عليكم أنه ـ تعالى ـ لم يُردْ ما أردتم بأنفسكم، فاحمدوا الله على حسن البلاء وطول العافية وصرف هذه البلية عنكم، وقد نظرت في أول فتنتكم وآخرها فوجدتها جاءت من الأماني والحسد، واحذروا النِّعَم، فوددتُ أنّ الله صيّر إليكم هذا الأمر بحقه فكنا نعيش فيه: فوثبت عليهما الأنصار، فأغلظوا لهما وفحشوا عليهما، وانبرى لهما فروة بن عمرو[1] فقال: أنسيتما قولكما لقريش: «إنا قد خلّفنا وراءنا قوماً قد حلّت دماؤهم بفتنتهم» هذا ـ والله ـ ما لا يغفر ولا يُنسى، وقد تُصرَف الحيّة على وجهها وسمّها في نابها.

فقال معن في ذلك:

وقالت ليَ الأنصارُ إنك لم تُصِب ... فقلت: أما لي في الكلام نصيب
فقالوا: بلى قل ما بدا لك راشداً ... فقلت: ومثلي بالجواب طبيب
تركتُكم والله لمّا رأيتكمْ ... تُيوساً لها بالحرّتين نبيب[2]
تنادون بالأمر الذي النجم دونه ... ألا كلّ شيء ما سواه قريب
فقلتُ لكم قول الشفيق عليكمُ ... وللقلب من خوف البلاء وجيب
دعوا الركض واثنوا من أعنّة بَغيكمْ ... ودبُّوا فسيُر القاصدين دبيب
وخلّوا قريشاً والأمور وبايعوا ... لمن بايعوه تُرشدوا وتُصيبوا
أراكم أخذتم حقّكم بأكفّكمْ ... وما الناسُ إلاّ مخطئٌ ومصيب
فلما أبيتمْ زُلتُ عنكم إليهمُ ... فلي فيكم بعد الذنوب ذنوب
فلا تبعثوا مني الكلام فإنني ... إذا شئت يوماً شاعرٌ وخطيب

---

(١) هو فروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري البياضي، شهد بدراً والعقبة، وكان من أصحاب علي يوم الجمل. (الإصابة ٣/١٩٩).

(٢) النبيب: صياح التيس عند الهياج.

وإنـي لحلـوٌ تعتـريني مـرارةٌ   وملـحٌ أجـاج تـارةً وشـروب(١)
لكلّ امرىء عندي الذي هو أهله   أفـانيـن شتـى والـرجـال ضـروب

وقال عويم بن ساعدة في ذلك:

وقالت لي الأنصار أضعاف قولهمْ   لمعنٍ وذاك القولُ جهلٌ من الجهل
فقلـت: دعـونـي لا أبـاً لأبيكـمُ   فإني أخوكم صاحب الخطر الفَصل
أنا صاحب القول الذي تعرفونه   أقطّع أنفاس الرجال على مهل
فإن تسكتوا أسكت وفي الصمت راحةٌ   وإن تنطِقُوا أصمُتْ مقالتكم تبلي
وما لُمتُ نفسي في الخلاف عليكمُ   وإن كنتمُ مستجمعين على عَذلي
أريـدُ بـذاك الله لا شـيءَ غيـره   وما عند ربّ الناس من درَج الفضل
ومـا لـيَ رِحْـمٌ فـي قـريـش قـريبـةٌ   ولا دارها داري ولا أصلها أصلي
ولكنهـم قـومٌ علينـا أئمـةٌ   أدينُ لهم ما أنفذت قدمي نعلي
وكان أحقّ الناس أن تقنعوا به   ويحتملوا مَن جاء في قوله مثلي
لأني أخفُّ الناس فيما يسركم   وفيما يسؤكم لا أمرُّ ولا أحلي

وقال فروة بن عمرو ـ وكان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله، وقاد فرسين في سبيل الله، وكان يتصدّق من نخله بألف وَسْق في كل عام، وكان سيّداً، وهو من أصحاب عليّ، وممن شهد معه يوم الجمل ـ قال: فذكر معناً وعويماً، وعاتبهما على قولهما:

ألا قـل لمعـنٍ إذا جئتَـه   وذاك الـذي شيخـه سـاعِـدَه
بـأنّ المقـال الـذي قلتمـا   خفيـفٌ علينـا سـوى واحـده
مقـالكـمُ إنّ مَـن خَلْفنـا   مـراض قلـوبهـمُ فـاسـده
حـلال الـدمـاء علـى فتنـةٍ   فيـا بئسمـا ربّـتِ الـوالـده
فلـم تـأخـذا قَـدْر أثمـانهـا   ولـم تستفيـدا بهـا فـائـده
لقـد كـذب اللّـهُ مـا قلتمـا   وقـد يكـذب الـرائـد الـواعِـده(٢)

(١) الأجاج: الماء المالح. والشروب: الماء دون العذب ولكنه يصلح للشرب مع بعض كراهة.
(٢) الواعدة: يقال سحاب واعد أي يعد بالمطر.

● ٣٨٤ ـ قال الزبير[1]:

ثم إن الأنصار أصلحوا بين هذين الرجلين وبين أصحابهما، ثم اجتمعت جماعة من قريش يوماً وفيهم ناس من الأنصار وأخلاط من المهاجرين، وذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة. فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه، فجاء إليهم فأفاضوا في ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الأمر، فقال عمرو بن العاصّ: والله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة، ولما دفع الله عنهم أعظم، كادوا ـ والله ـ أن يحلّوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه، ويخرجوا منه مَن أدخلوا فيه. والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله ـ ﷺ ـ: «الأئمة من قريش» ثم ادّعوها لقد هلكوا وأهلكوا، وإنْ كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين، ولا سعد كأبي بكر، ولا المدينة كمكة، ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء، ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة.

فلم يجبه أحد وانصرف إلى منزله وقد ظفر فقال:

ألا قل لأوسٍ إذا جئتها ... وقل إذا ما جئت للخزرجِ
تمنيتمُ الملك في يثربٍ ... فأنزلت القِدْر لم تنضج
وأخدجتمُ الأمر قبل التما ... مِ وأعجب بذا المعجَل المخدَج[2]
تريدون نَتج الحِيال العشا ... رَ ولم تلقحوه فلم ينتج
عجبتُ لسعدٍ وأصحابه ... ولو لم يهيجوه لم يَهتج
رجا الخزرجيّ رجاء السراب ... وقد يخلف المرءَ ما يرتجي
فكان كمُنْحٍ على كفّه ... بكفٌ يقطّعها أهوج

فلما بلغ الأنصارَ مقالته وشعره بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان، وكان رجلاً أحمر قصيراً تزدريه العيون، وكان سيّداً فخماً، فأتى عمراً وهو في جماعة من قريش فقال: والله يا عمرو ما كرهتم من حربنا إلا ما كرهنا من حربكم،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٧٩.
(٢) المخدج: الناقص.

وما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه. إن كان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «الأئمة من قريش» فقد قال: «لو سلك الناسُ شِعباً، وسلك الأنصارُ شِعباً، لَسلكتُ شِعبَ الأنصار»[1]. والله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا: منا أميرٌ ومنكم أمير. وأمّا من ذكرتَ، فأبو بكر لعمري خيرٌ من سعد، لكنّ سعداً في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش.

فأما المهاجرون والأنصار فلا فرق بينهم أبداً، ولكنك يا ابن العاص، وَترتَ بني عبد مناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه، ووترتَ بني مخزوم بإهلاك عُمارة بن الوليد، ثم انصرف فقال[2]:

فقل لقريشٍ: نحن أصحاب مكة ... ويوم حُنين والفوارس في بدر
وأصحاب أحْدٍ والنضير وخيبرٍ ... ونحن رجعنا من قُريظةَ بالذكر
ويوم بأرض الشام أدخل جعفر ... وزيد وعبد الله في عَلَقٍ يجري
وفي كل يوم ينكر الكلبُ أهله ... نطاعنُ فيه بالمثقّفةِ السُّمْر
ونضرب في نقع العجاجة أرؤساً ... ببيضٍ كأمثال البروق إذا تسري[3]
نصرنا وآوينا النبيَّ ولم نخف ... صروف الليالي والعظيمَ من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا قبلُ: مرحباً ... وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وبيوتنا[4] ... كقسمة أيسار الجزور على الشّطر
ونكفيكمُ الأمر الذي تكرهونه ... وكنّا أناساً نُذهبُ العُسر باليُسر
وقلتم: حرامٌ نصب سعد ونصبكمْ ... عتيق بن عثمان حلالٌ أبا بكر
وأهلٌ أبو بكر لها خير قائمٍ ... وإنّ علياً كان أخلق بالأمر
وكان هواناً في عليّ وإنه ... لأهلٌ لها يا عمرو من حيثُ لا تدري[5]

---

(١) الحديث في البخاري ٥/٣٨ ونصّه فيه: لو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم.

(٢) القصيدة في الاستيعاب ٣/٥٢١ والأبيات ١ و ٦ و ٧ و ٨ في الإصابة ٣/٥٣٢.

(٣) في الاستيعاب: في يوم ... على الكفر.

(٤) في الاستيعاب: وديارنا.

(٥) في الاستيعاب: لأهل لها من حيث ندري ولا ندري.

فـذاك بعـون الله يـدعـو إلـى الهـدى ‏ وينهى عن الفحشاء والبغي والنُّكر
وصـيُّ النبـيّ المصطفـى وابـنُ عمّـه ‏ وقـاتـلُ فـرسـان الضـلالـة والكفـر
وهـذا بحمـد الله يَهـدي مـن العمـى ‏ ويفتـح آذانـاً ثقلـن مـن الـوَقـر
نجـيُّ رسـول الله فـي الغـار وحـده ‏ وصاحبه الصدِّيق في سالف الدهر
فلـولا اتقـاء الله لـم تـذهبـوا بهـا ‏ ولكـنّ هـذا الخيـر أجمـع للصبـر
ولـم نـرضَ إلاّ بـالـرضـا ولـربمـا ‏ ضـربنـا بـأيـدينـا إلـى أسفـل القِـدر

فلما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثيرٌ منها، وألفى ذلك قدوم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن، وكان رسول الله استعمله عليها، وكان له ولأخيه أثر عظيم في الإسلام، وهما من أوّل من أسلم من قريش، ولهما عبادة وفضل.

فغضب للأنصار، وشتم عمرو بن العاص وقال: يا معشر قريش، إن عمراً دخل في الإسلام حين لم يجد بدًّا من الدخول فيه، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه، وإنّ من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار.

والله ما حاربناهم للدين ولا للدنيا، لقد بذلوا دماءهم لله ـ تعالى ـ فينا وما بذلنا دماءنا لله فيهم، وقاسمونا ديارهم وأموالهم وما فعلنا مثل ذلك بهم، وآثرونا على الفقر وحرمناهم على الغنى، ولقد وصّى رسول الله بهم، وعزّاهم عن جفوة السلطان، فأعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيّع، والسلطان الجاني.

● ٣٨٥ ـ قال الزبير(١):

وقال خالد بن سعيد بن العاص في ذلك:

تفـوّه عمـرو بـالـذي لا نُـريـده ‏ وصـرّح لـلأنصـار عـن شنـأة البغـض
فـإن تكـن الأنصـار زلّـت فـإننـا ‏ نقيـل ولا نجـزيهـم القَـرض بـالقـرض
فـلا تقطعـنْ يـا عمـرو مـا كـان بيننـا ‏ ولا تحملنْ يا عمرو بعضاً على بعض
أتنسـىٰ لهـم يـا عمـرو مـا كـان منهـمُ ‏ ليالِيَ جئناهم ـ من النّفل والفرض
وقسَمتَنـا الأمـوال كـاللحـم بـالمـدي ‏ وقسمتَنـا الأوطـان كـلٌّ بـه يقضـي

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٨١.

لياليَ كلُّ الناس بالكفر جهرة ... ثِقالٌ علينا مجمعونَ على البغض
فساووا وآووا وانتهينا إلى المنى ... وقرَّ قرارنا من الأمن والخفض

● ٣٨٦ ـ قال الزبير(١):

ثم إنّ رجالاً من سفهاء قريش ومثيري الفِتن منهم، اجتمعوا إلى عمرو بن العاص فقالوا له: إنك لسانُ قريش ورجلُها في الجاهلية والإسلام، فلا تدَع الأنصار وما قالت، وأكثروا عليه من ذلك، فراح إلى المسجد، وفيه ناس من قريش وغيرهم، فتكلّم وقال: إنّ الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها، وأيمُ الله لوددت أن الله خلّى عنا وعنهم، وقضى فيهم وفينا بما أحبّ، ولنحنُ الذين أفسدنا على أنفسنا، أحرزناهم عن كل مكروه، وقدّمناهم إلى كل محبوب حتى أمنوا المخوف، فلما جاز لهم ذلك صَغروا حقّنا ولم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم.

ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب، وندم على قوله، للخؤولة التي بين ولد عبد المطلب وبين الأنصار، ولأن الأنصار كانت تُعظّم عليًا، وتهتف باسمه حينئذ، فقال الفضل: يا عمرو، إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك، وليس لنا أن نجيبَك وأبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل.

ثم رجع الفضل إلى عليّ فحدّثه، فغضب وشتم عمراً وقال: آذى الله ورسوله، ثم قام فأتى المسجد، فاجتمع إليه كثيرٌ من قريش وتكلّم مغضباً فقال:

يا معشر قريش، إن حبّ الأنصار إيمان وبغضَهم نفاق، وقد قضّوا ما عليهم وبقي ما عليكم. واذكروا أن الله رغب لنبيّكم عن مكة فنقله إلى المدينة، وكره له قريشاً فنقله إلى الأنصار، ثم قدِمنا عليهم دارهم، فقاسمونا الأموال وكفونا العمل، فصرنا منهم بين بذل الغنيّ وإيثار الفقير، ثم حاربَنا الناس فوقَونا بأنفسهم، وقد أنزل الله ـ تعالى ـ فيهم آية من القرآن، جمع لهم فيها بين خمس نِعَم فقال: ﴿والذينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ والإيمانَ مِن قَبلِهم يُحبُّونَ مَنْ هاجَرَ إليهِمْ ولا يجدونَ في صدورِهِم حاجَةً ممّا أوتوا، ويُؤْثِرونَ على أنفُسِهمْ ولو كانَ بهِمْ خَصَاصَةٌ ومن يُوقَ شُحَّ نَفسِه فأولئكَ همُ

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٨١.

المُفلِحونَ﴾[1].

ألا وإنّ عمرو بن العاص قد قام مقاماً آذى فيه الميّت والحيّ، ساء به الواتر وسرّ به الموتور فاستحقّ من المستمع الجواب ومن الغائب المقْت، وإنه مَن أحبّ الله ورسوله أحبّ الأنصار، فليكفف عمرو عنّا نفسه.

● ٣٨٧ ـ قال الزبير[2]:

فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص فقالوا: أيها الرجل، أما إذ غضب علي فاكفُف.

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري يخاطب قريشاً:

أيا لَ قريش أصلحوا ذات بيننا ... وبينكمُ قد طال حبلُ التماحك[3]
فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا ... ولا خير فينا بعد فهر بن مالك
كلانا على الأعداء كفّ طويلة ... إذا كان يوم فيه جَبُّ الحوارك[4]
فلا تذكروا ما كان منّا ومنكمُ ... ففي ذِكر ما كان مشيُ التساؤك[5]

● ٣٨٨ ـ قال الزبير[6]:

وقال عليّ للفضل: يا فضل، أنصر الأنصار بلسانك ويدك، فإنهم منك وإنك منهم، فقال الفضل:

قلتَ يا عمرو مقالاً فاحشاً ... إن تعد يا عمرو والله فلك
إنما الأنصار سيفٌ قاطع ... مَن تصبه ظُبَة السيف هلك[7]
وسيوفٌ قاطع مضرَبُها ... وسهام الله في يوم الحلَك

---

(١) سورة الحشر آية ٩.
(٢) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٨٢.
(٣) التماحك: اللجاج.
(٤) الحوارك: واحدها الحارك وهو عظم على الظهر. أي شديد.
(٥) التساؤك: المشي الضعيف.
(٦) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٨٣.
(٧) ظبة السيف: حدّه.

نصــــروا الـــديـــن وآووا أهلـــه　　منـــزلٌ رحْـــبٌ ورِزق مشتـــرك
وإذا الحـــربُ تلظّـــت نـــارُهـــا　　بـــركـــوا فيهـــا إذا المـــوت بـــرَك

ودخل الفضل على عليّ فأسمعه شعره، ففرح به وقال: وريْتُ بك زنادي يا فضل، أنت شاعر قريش وفتاها، فأظهر شعرك وابعث به إلى الأنصار.

فلما بلغ ذلك الأنصار قالت: لا أحد يجيبُ إلاّ حسّان الحسام. فبعثوا إلى حسّان بن ثابت، فعرضوا عليه شعر الفضل فقال: كيف أصنع بجوابه! إن لم أتحرَّ قوافيه فضحني، فرويداً حتى أقفو أثره في القوافي. فقال له خزيمة بن ثابت: اذكر علياً وآله يكفِك عن كلّ شيء، فقال[1]:

جــزى الله عنّــا والجــزاء بكفّــه　　أبـا حسـنٍ عنّـا ومَـنْ كـأبـي حسَـن
سبقــتَ قـريشـاً بـالـذي أنـت أهلـه　　فصـدرك مشـروح وقلبـك ممتَحـن
تمنّـت رجـالٌ مـن قـريـش أعـزّةٌ　　مكانك، هيهات الهزال من السّمَن
وأنـت مـن الإسـلام فـي كـلّ مـوطـن　　بمنـزلـة الـدَّلـو البَطيـن مـن الـرّسَـن
غضبـت لنـا إذ قـام عمـرٌو بخطبـةٍ　　أمـات بهـا التقـوى وأحيـا بهـا الإحَـن
فكنتَ المرجّىٰ من لؤيّ بن غالب　　لما كان منهم والذي كان لم يكن
حفظــت رســول الله فينــا وعهــده　　إليك ومَنْ أولى به منك مَنْ ومَن
ألســتَ أخــاه فــي الهــدى ووصيّــهُ　　وأعلـمَ منهـم بـالكتـاب وبـالسُّنَـن
فحقــك مــا دامــت بنجــد وشيجــةٌ　　عظيـم علينـا ثـم بعـد علـى اليمـن

قال الزبير: وبعثت الأنصار بهذا الشعر إلى عليّ بن أبي طالب، فخرج إلى المسجد وقال لمن به من قريش وغيرهم: يا معشر قريش، إن الله جعل الأنصار أنصاراً، فأثنى عليهم في الكتاب، فلا خير فيكم بعدهم. إنه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتَره الإسلام ودفعه عن الحق وأطفأ شرفه وفضل غيره عليه، يقوم مقاماً فاحشاً فيذكر الأنصار، فاتقوا الله وارعوا حقهم، فوالله لو زالوا لزلتُ معهم لأن رسول الله قال لهم: «أزول معكم حيثما زُلتم» فقال المسلمون جميعاً: رحمك الله يا أبا الحسن،

(١) النص مما أخل به ديوانه.

قلت قولاً صادقاً.

● ٣٨٩ ـ قال الزبير[١]: وترك عمرو بن العاص المدينة، وخرج عنها حتى رضي عنه عليٌّ والمهاجرون.

● ٣٩٠ ـ قال الزبير[٢]: ثم إن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ـ وكان يبغض الأنصار، لأنهم أسروا أباه يوم بدر، وضربوا عنقه بين يدي رسول الله ـ قام يشتم الأنصار وذكرهم بالهُجْر، فقال:

إن الأنصار لترى لها من الحق علينا ما لا نراه، والله لئن كانوا آووا لقد عزّوا بنا، ولئن كانوا آسوا لقد منّوا علينا، والله ما نستطيع مودتهم لأنه لا يزال قائل منهم يذكر ذلّنا بمكة وعزّنا بالمدينة، ولا ينفكّون يعيّرون موتانا ويغيظون أحياءنا. فإن أجبناهم قالوا: غضبت قريش على غاربها ولكن قد هوّن عليٌّ ذلك منهم حرصُهم على الدين أمس، واعتذارهم من الذنب اليوم، ثم قال:

تباذخَت الأنصار في الناس باسمها ... ونسبتُها في الأزد عمرو بن عامر
وقالوا: لنا حقٌّ عظيمٌ ومِنَّة ... على كلّ بادٍ من مَعدٍّ وحاضر
فإن يك للأنصار فضلٌ فلم تنلْ ... بحرمته الأنصار فضل المهاجر
وإن تكن الأنصار آوتْ وقاسمتْ ... معايشها مَنْ جاء قسمة جازر
فقد أفسدت ما كان منها بمنّها ... وما ذاك فعلُ الأكرمين الأكابر
إذا قال حسّانٌ وكعب قصيدةً ... بشتم قريش غُنّيت في المعاشر
وسار بها الركبان في كل وجهة ... وأعملَ فيها كلُّ خُفٌّ وحافر
فهذا لنا مبن كل صاحب خطبة ... يقوم بها منكم ومن كل شاعر
وأهلٌ بأن يُهجَوا بكل قصيدة ... وأهلٌ بأن يُرمَوا بنبل فواقر

قال: ففشا شعره في الناس، فغضبت الأنصار وغضب لها من قريش قومٌ، منهم

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٨٤.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

ضرار بن الخطاب الفهريّ وزيد بن الخطاب، ويزيد بن أبي سفيان، فبعثوا إلى الوليد فجاء.

فتكلم زيد بن الخطاب فقال: يابن عُقبة بن أبي معيط، أما والله لو كنتَ من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، لأحببتَ الأنصار، ولكنك من الجُفاة في الإسلام البطآء عنه الذين دخلوا فيه بعد أن ظهر أمرُ الله وهم كارهون.

إنا نعلم أنا أتيناهم ونحن فقراء فأغنونا، ثم أصبنا الغنى فكفّوا عنا. ولم يرزءونا شيئاً. فأما ذكرهم ذلّة قريش بمكة وعزّها بالمدينة فكذلك كنا. وكذلك قال الله تعالى: ﴿واذكُرُوا إذْ أنتُم قليلٌ مستضعَفونَ في الأرضِ تخافُونَ أنْ يتخطّفكُمُ الناسُ﴾[1] فنصرنا الله ـ تعالى ـ بهم، وآوانا إلى مدينتهم.

وأما غضبك لقريش فإنا لا ننصرُ كافراً، ولا نوادّ ملحداً ولا فاسقاً. ولقد قلت وقالوا فقطعك الخطيب وألجمكَ الشاعر.

وأما ذكرك الذي كان بالأمس، فدع المهاجرين والأنصار فإنك لست من ألسنتهم في الرضا، ولا نحن من أيديهم في الغضب.

وتكلم يزيد بن أبي سفيان فقال: يابن عُقبة، الأنصار أحقُّ بالغضب لقتلى أحد، فاكفف لسانك فإن مَنْ قتله الحق لا يغضب له. وتكلم ضرار بن الخطاب فقال: أما ـ والله ـ لولا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الأئمة من قريش» لقلنا: الأئمة من الأنصار، ولكن جاء أمر غلَب الرأي، فأقمع شِرّتك أيها الرجل ولا تكن امرأ سَوْء، فإنَّ الله لم يفرق بين الأنصار والمهاجرين في الدنيا، وكذلك الله لا يفرّق بينهم في الآخرة.

وأقبل حسان بن ثابت مغضَباً من كلام الوليد بن عُقبة وشعره، فدخل المسجد وفيه قوم من قريش فقال: يا معشر قريش، إن أعظم ذنبنا إليكم قتلُنا كفارَكم، وحمايتنا رسول الله ﷺ وإن كنتم تنقمون منّا منّةً كانت بالأمس فقد كفى الله شرها، فمالنا ومالكم. والله ما يمنعنا من قِتالكم الجبنُ، ولا من جوابكم العِيّ. إنا لحيّ فِعال

(١) سورة الأنفال آية ٢٦.

ومقال ولكنا قلنا: إنها حرب، أولها عار وآخرها ذلٌّ، فأغضينا عليها عيوننا، وسحبنا ذيولنا حتى نرى وتَروا، فإن قلتم قلنا وإن سكتّم سكتنا.

فلم يجبه أحد من قريش، ثم سكت كلٌّ من الفريقين عن صاحبه، ورضيَ القوم أجمعون، وقطعوا الخلاف والعصبية.

● ٣٩١ - وذكر الزبير بن بكار في «الموفقيات»[(١)]: أن سرية كانت لعبد الرحمٰن أو لعبيد الله بن عمر بن الخطاب جاءت إليه تشكوه فقالت: يا أمير المؤمنين، ألا تعذرني من أبي عيسى؟ قال: ومَن أبو عيسى؟ قالت: ابنك عبيد الله، قال: ويحك! وقد تكنّى بأبي عيسى! ثم دعاه فقال: إيهاً، اكتنيت بأبي عيسى! فحذر وفزع، وأخذ يده فعضّها، ثم ضربه وقال: ويلك! وهل لعيسى أب؟ أتدري ما كُنى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عرفطة، أبو مرّة..

قال الزبير: وكان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعضَّ يده عضّاً شديداً. وكان عبد الله بن الزبير كذلك. ولقوة هذا الخُلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته إبطال القول بالعوْل[(٢)] وأظهره بعده، فقيل له: هلا قلت هذا في أيام عمر! فقال هبتُه، وكان أميراً مَهيبا.

● ٣٩٢ - وروى الزبير بن بكار في كتاب «الموفقيات»[(٣)] عن عمه، عن عيسى بن داود عن رجاله قال: قال ابن عباس رحمه الله: لما بنى عثمان داره بالمدينة، أكثر الناس عليه في ذلك، فبلغه فخطبَنا في يوم جمعة ثم صلى بنا، ثم عاد إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: أما بعدُ فإن النعمة إذا حدثت حدث لها حُسّاد حَسْبُها وأعداء قَدْرها، وإن الله لم يحدِث لنا نعماً ليحدث لها حسّاد عليها ومنافسون فيها، ولكنه قد كان من بناء منزلنا هذا، ما كان إرادة جمع المال فيه وضمّ القاصية إليه، فأتانا عن أناس منكم أنهم يقولون: أخذ فيئنا وأنفق شيئنا، واستأثر بأموالنا، يمشون خَمَرا، وينطقون سِرًّا كأنا غيْب عنهم، وكأنهم يهابون

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٩٧.
(٢) العول: ارتفاع الحساب في الفرائض.
(٣) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٣١.

مواجهتنا معرفةً منهم بدحوض حجتهم، فإذا غابوا عنا يروح بعضهم إلى بعض يذكرنا. وقد وجدوا على ذلك أعواناً من نظُرائهم ومؤازرين من شبهائهم، فبعداً بعداً ورغماً رغماً! ثم أنشد بيتين كأنه يومىء فيهما إلى علي عليه السلام:

تـوقّـد بنـار أينمـا كنـتَ واشتعـل فلسـتَ تـرى ممـا تعـالـج شـافيـا
تشُـطّ فيقضـي الأمـر دونـك أهلُـه وشيكـاً ولا تُـدعـى إذا كنـت نـائيـا

مالي ولفيئكم وأخذ مالكم! ألستُ من أكثر قريش مالاً، وأظهرهم من الله نعمة! ألم أكن على ذلك قبل الإسلام وبعده! وهبوني بنيتُ منزلاً من بيت المال، أليس هو لي ولكم! ألم أقِمْ أمورَكم وإني من وراء حاجاتكم؟ فما تفقدون من حقوقكم شيئاً، فلمَ لا أصنع في الفضل ما أحببتُ؟ فلمَ كنتُ إماماً إذاً؟ ألا وإن من أعجب العجب، أنه بلغني عنكم أنكم تقولون: لنفعلنّ به ولنفعلنّ. فبمن تفعلون؟ لله آباؤكم! أبنقَد البقاع أم بفقع القاع؟ ألستُ أحراكم إن دعا أن يُجاب؟ وأقمنَكم إن أمر أنْ يُطاع؟ لهفي على بقائي فيكم بعد أصحابي، وحياتي فيكم بعد أترابي، يا ليتني تقدمت قبل هذا، لكني لا أحبُ خلاف ما أحبَّه الله لي عز وجل. إذا شئتم فإن الصادق المصدّق محمداً ـ ﷺ ـ قد حدّثني بما هو كائن من أمري وأمركم، وهذا بدء ذلك وأوله، فكيف الهرب مما حتّم وقدّر! أما إنه ـ عليه السلام ـ قد بشّرني في آخر حديثه بالجنة دونكم، إذا شئتم فلا أفلح من ندِم.

قال: ثم هم بالنزول فبصر بعليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ومعه عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ وناسٌ من أهل هواه يتناجوْن فقال: إيهاً إيهاً! أسِراراً لا جهاراً! أما والذي نفسي بيده ما أحنِق على جِرّة ولا أوتي من ضعف مِرّة، ولولا النظر لي ولكم، والرفق بي وبكم لعاجلتكم فقد اغتررتم وأقلتم من أنفسكم.

ثم رفع يديه يدعو ويقول: اللهم قد تعلم حبّي للعافية فألبسنيها، وإيثاري للسلامة فآتينها.

قال: فتفرّق القوم عن علي ـ عليه السلام ـ وقام عديّ بن الخيار فقال: أتمّ الله عليك يا أمير المؤمنين النعمةَ، وزادك في الكرامة، والله لأنْ تُحسَد أفضل من أن تحسُد، ولأن تنافَس أجل من أن تنافِس. أنت ـ والله ـ في حسبنا الصميم ومنصبنا

الكريم، إن دعوت أجبت، وإن أمرت أُطعت، فقل نفعل وادعُ تُجب، جُعلت الخيَرة والشورى إلى أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ليختاروا لهم ولغيرهم، وإنهم ليرونَ مكانك ويعرفون مكان غيرك فاختاروك منيبين طائعين غير مكرهين ولا مجبَرين، ما غيّرت ولا فارقت ولا بدّلت ولا خالفت، فعلامَ يقدمون عليك وهذا رأيهم فيك! أنت والله كما قال الأول:

اذهب إليك فما للحسو د إلاّ طلابك تحت العشار
حكمت فما جُرتَ في خَلّةٍ فحكمك بالحق بادي المنار
فإن يسبَعوك فسِرًّا وقد جهرت بسيفك كل الجهار[1]

قال: ونزل عثمان فأتى منزله، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس، فلما أخذوا مجالسهم، أقبل على ابن عباس فقال: ما لي ولكم يا ابن عباس! ما أغراكم بي، وأولعكم بتعقب أمري! أتنقمون عليَّ أمر العامة؟ أتيتُ من وراء حقوقهم، أم أمركم، فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم! لا والله لكن الحسد والبغي وتثوير الشر وإحياء الفتن، والله لقد ألقى النبي ـ ﷺ ـ إليّ ذلك وأخبرني به عن أهله واحداً واحداً! والله ما كذَبت ولا أنا بمكذوب.

فقال ابن عباس: على رسْلِك يا أمير المؤمنين، فوالله ما عهدتك جهراً بسرّك، ولا مظهراً ما في نفسك، فما الذي هيّجك وثوّرك؟ إنا لم يولعنا بك أمر، ولم نتعقب أمرك بشيء، أتيت بالكذب وتُسوّق عليك بالباطل. والله ما نقمنا عليك لنا ولا للعامة، قد أوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم، وقضيتَ ما يلزمك لنا ولهم، فأما الحسد والبغي وتثوير الفتن وإحياء الشر فمتى رضيت به عِترة النبي وأهل بيته؟ وكيف وهم منه وإليه، على دين الله يثورون الشر، أم على الله يحيون الفتن؟ كلا ليس البغي ولا الحسد من طباعهم.

فاتئدْ يا أمير المؤمنين وأبصرْ أمرك، وأمسك عليك فإنّ حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى. لعمري إن كنت لأثيراً عند رسول الله، وإن كان ليفضي إليك بسره ما يطويه عن غيرك، ولا كذبت ولا أنت بمكذوب، أخْسَ الشيطان عنك لا يركبك،

---

(١) يسبعونك: يشتمونك.

واغلب غضبك ولا يغلبك، فما دعاك إلى هذا الأمر الذي كان منك؟

قال: دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب. فقال ابن عباس: وعسى أن يكذبَ مبلّغك. قال عثمان: إنه ثقة. قال ابن عباس: إنه ليس بثقة مَنْ بلّغ وأغرى. قال عثمان: يا ابن عباس آلله إنك ما تعلم من علي ما شكوتُ منه؟ قال: اللهم لا إلاّ أن يقول كما يقول الناس، وينقم كما ينقمون، فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم؟ فقال عثمان: إنما آفتي من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر وهو علي ابن عمك، وهذا والله كله من نكده وشؤمه. قال ابن عباس: مهلاً استثنِ يا أمير المؤمنين، قل: إن شاء الله. فقال: إن شاء الله. ثم قال: إني أنشدك يا ابن عباس الإسلام والرحم، فقد والله غُلِبت وابتليت بكم، والله لوددت أن هذا الأمر كان صار إليكم دوني فحملتموه عنّي، وكنتُ أحدَ أعوانكم عليه إذاً. والله لوجدتموني لكم خيراً مما وجدتكم لي، ولقد علمت أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم، فوالله ما أدري أدفعوه عنكم أم دفعوكم عنه؟

قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنا ننشدك اللّهَ والإسلامَ والرحمَ، مثل ما نشدتنا، أن تُطمع فينا وفيك عدوّاً، وتُشمِت بنا وبك حسوداً. إن أمرك إليك ما كان قولاً، فإذا صار فعلاً فليس إليك ولا في يديك. وإنا والله لنخالفنّ إن خولفنا، ولننازعنّ إن نوزعنا، وما تمنّيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلاّ أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ويعيب كما عابوا! فأما صرف قومنا عنّا الأمر فعن حسدٍ قد والله عرفته، وبغي قد والله علمته، فاللّهَ بيننا وبين قومنا! وأما قولك: إنك لا تدري أدفعوه عنّا أم دفعونا عنه؟ فلعمري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هذا الأمر ما زدنا به فضلاً إلى فضلنا ولا قدراً إلى قدرنا، وإنا لأهلُ الفضل وأهل القدر، وما فضَل فاضلٌ إلا بفضلنا، ولا سبَق سابق إلا بسبقنا، ولولا هدينا ما اهتدى أحد ولا أبصروا من عمىً ولا قصدوا من جور.

فقال عثمان: حتى متى يا ابن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني؟ هبوني كنتُ بعيداً أما كان لي من الحقّ عليكم أنْ أراقب وأن أناظر. بلى. وربّ الكعبة، ولكنّ الفرقة سهّلت لكم القول في وتقدمت بكم إلى الإسراع إليّ. والله المستعان.

قال ابن عباس: مهلاً حتى ألقى عليًّا ثم أحمل إليك على قدر ما رأى. قال عثمان: افعل فقد فعلت، وطالما طلبت فلا أطلَب[1]، ولا أجاب ولا أعتب.

قال ابن عباس: فخرجت فلقيتُ عليًّا وإذا به من الغضب والتلظّي أضعاف ما بعثمان، فأردتُ تسكينَه فامتنع، فأتيتُ منزلي وأغلقت بابي واعتزلتهما.

فبلغ ذلك عثمان فأرسل إليّ، فأتيته وقد هدأ غضبه، فنظر إليّ ثم ضحك وقال: يا ابن عبّاس، ما أبطأ بكَ عنّا؟ إن تركك العوْد إلينا لدليلٌ على ما رأيت عند صاحبك، وعرفت من حاله، فالله بيننا وبينه، خذ بنا في غير ذلك.

قال ابن عباس: فكان عثمان بعد ذلك إذا أتاه عن عليّ شيءٌ فأردتُ التكذيب عنه يقول: ولا يوم الجمعة حين أبطأتَ عنا وتركت العوْد إلينا؟ فلا أدري كيف أردّ عليه.

● ٣٩٣ ـ وروى الزبير بن بكار أيضاً في (الموفقيات)[2] عن ابن عباس رحمه الله قال:

خرجتُ من منزلي سَحَراً أسابق إلى المسجد وأطلب الفضيلة، فسمعت خَلفي حِسًّا وكلاماً، فتسمّعتُه فإذا حسُّ عثمان وهو يدعو ولا يَرى أنّ أحداً يسمعه، ويقول: اللهمّ قد تعلم نيّتي فأعنّي عليهم، وتعلم الذين ابتليتُ بهم من ذوي رحِمِي وقرابتي، فأصلحني لهم وأصلحهم لي.

قال: فقصّرت من خطوتي وأسرع في مشيته، فالتقينا فسلّم فرددت عليه فقال: إني خرجت ليلتّنا هذه أطلب الفضلَ والمسابقة إلى المسجد، فقلت: إنه أخرجني ما أخرجك، فقال: والله لئن سابقت إلى الخير، إنك لمن سابقين مباركين، وإني لأحبّكم وأتقرّب إلى الله بحبّكم، فقلت: يرحمك الله يا أمير المؤمنين، إنا لنحبّك ونعرف سابقتك وسنّك وقرابتك وصهرك. قال: يا ابن عباس، فما لي ولابن عمّك وابن خالي! قلت: أيّ بني عمومتي وبني أخوالك؟ قال: اللهم اغفر. أتسأل مسألة

---

(١) أطلب: أجاب إلى طلبي.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٣٤.

الجاهل؟ قلت: إن بني عمومتي من بني خؤولتك كثير، فأيّهم تعني؟ قال: أعني عليًّا لا غيره. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعلم منه إلا خيراً ولا أعرف له إلا حسناً. قال: والله بالحريّ أن يستردونك ما يظهره لغيرك، ويقبض عنك ما ينبسط به إلى سواك. قال: ورمينا بعمار بن ياسر، فسلّم فرددت عليه سلامه، ثم قال: مَنْ معك؟ قلت: أمير المؤمنين عثمان، قال: نعم، وسلّم بكنيته، ولم يسلّم عليه بالخلافة، فردّ عليه، ثم قال عمّار: ما الذي كنتم فيه، فقد سمعت ذَرْواً منه؟[1] قلت: هو ما سمعتَ. فقال عمار: رُبَّ مظلوم غافل، وظالم متجاهل. قال عثمان: أما إنك من شُنَّائنا وأتباعهم، وأيم الله، إنّ اليدَ عليك لمنبسطة وإنّ السبيل إليك لسهلة، ولولا إيثار العافية ولمّ الشّعث لزجرتُك زجرة تكفي ما مضى وتمنع ما بقي.

فقال عمار: والله ما أعتذر من حبّي عليًّا، وما اليدُ بمنبسطة ولا السبيل بسهلة، إني لازم حجّة ومقيمٌ على سنّة.

وأما إيثارك العافيةَ ولمّ الشعث، فلازم ذلك. وأما زجري فأمسِك عنه، فقد كفاك معلّمي تعليمي.

فقال عثمان: أما والله إنك ما علمتُ من أعوان الشرّ الحاضّين عليه، الخذَلة عند الخير المثبّطين عنه. فقال عمار: مهلاً يا عثمان، فقد سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يصفني بغير ذلك، قال عثمان: ومتى؟ قال: يوم دخلتُ عليه منصرفَه عن الجمعة، وليس عنده غيرك، وقد ألقى ثيابه، وقعد في فُضُله[2]، فقبلت صدره ونحره وجبهته فقال: «يا عمّار، إنك لتحبّنا وإنا لنحبّك، وإنك لمن الأعوان على الخير المثبّطين عن الشرّ». فقال عثمان: أجل ولكنك غيّرت وبدّلت. قال: فرفع عمّار يده يدعو وقال: أمّن يا ابن عبّاس. اللهمّ مَنْ غيّر فغيِّر به. ثلاث مرات.

قال: ودخلنا المسجد، فأهوى عمار إلى مصلاه، ومضيت مع عثمان إلى القبلة، فدخل المحراب وقال: تلبّث عليّ إذا انصرفنا فلما رآني عمار وحدي أتاني فقال: أما رأيت ما بلغ بي آنفاً! قلت: أما والله لقد أصعبت به وأصعب بك، وإن له

(١) الذرو: الطرف من القول.
(٢) الفضل: الثوب يلبسه الرجل في بيته.

لسنّه وفضله وقرابته. قال: إن له لذلك ولكن لا حقّ لمن لا حقّ عليه. وانصرف.

وصلّى عثمان وانصرفتُ معه يتوكأ عليّ فقال: هل سمعت ما قال عمّار؟ قلت: نعم، فسرّني ذلك وساءني، أمّا مساءته إياي فما بلغ بك، وأمّا مسرّته لي فحلمك واحتمالك. فقال: إن عليّا فارقني منذ أيام على المقاربة، وإنّ عماراً آتيه فقائل له وقائل، فابدُره إليه، فإنك أوثق عنده منه وأصدق قولاً، فألق الأمرَ إليه على وجهه. فقلت: نعم.

وانصرفتُ أريد علياً ـ عليه السلام ـ في المسجد، فإذا هو خارج منه، فلما رآني تفجّعَ لي من فَوْت الصلاة وقال: ما أدركتها! قلت: بلى ولكني خرجت مع أمير المؤمنين، ثم اقتصصت عليه القصّة، فقال: أما والله يا ابن عبّاس، إنه ليقرف قرَحة[1]، ليحورنّ عليه ألمها.

فقلت: إنّ له سنّه وسابقتَه وقرابته وصهره. قال: إنّ ذلك له، ولكن لا حقّ لمن لا حقّ عليه. قال: ثم رهِقنا عمّار فبشّ به عليٌّ وتبسّم في وجهه وسأله.

فقال عمّار: يا ابن عباس، هل ألقيت إليه ما كنا فيه؟ قلت: نعم. قال: أما والله إذاً لقد قلت بلسان عثمان، ونطقت بهواه. قلت: ما عدوتُ الحقّ جُهدي، ولا ذلك من فعلي، وإنك لتعلم أيّ الحظين أحبّ إليّ. وأيّ الحقّين أوجب عليّ.

قال: فظنّ عليّ أنّ عند عمار غير ما ألقيتُ إليه، فأخذ بيده وترك يدي، فعلمت أنّه يكره مكاني، فتخلّفت عنهما، وانشعب بنا الطريق، فسلكاه ولم يدعُني، فانطلقتُ إلى منزلي، فإذا رسول عثمان يدعوني، فأتيتُه، فأجد ببابه مروان وسعيد بن العاص، في رجالٍ من بني أميّة فأذن لي وألطفني، وقرّبني وأدنى مجلسي، ثم قال: ما صنعت؟ فأخبرته بالخبر على وجهه وما قال الرجل، وقلتُ له ـ وكتمته قوله: إنه ليقرف قرحةً ليحورنّ عليه ألمها ـ إبقاء عليه، وإجلالاً له، وذكرتُ مجيء عمار، وبشّ عليّ له، وظنّ عليّ أن قبله غير ما ألقيت عليه، وسلوكهما حيث سلكا، قال: وفعلا؟.

قلت: نعم، فاستقبل القبلة، ثم قال: اللهم ربّ السموات والأرض، عالم

(١) قرف القرحة: قشرها بعد يبسها. ويحور: يعود.

الغيب والشهادة، الرحمٰن الرحيم، أصلح لي عليًا، وأصلحني له! أمّن يا ابن عباس، فأمّنتُ. ثم تحدثنا طويلاً، وفارقته وأتيت منزلي.

● ٣٩٤ - وروى الزبير بن بكار أيضاً في الكتاب المذكور عن عبد الله بن عباس قال[1]:

ما سمعت من أبي شيئاً قطّ في أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذره، ولا سألته عن شيء من ذلك مخافَة أن أهجُم منه على ما لا يوافقه. فإنّا عنده ليلةً ونحن نتعشّى إذ قيل: هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب، فقال: ائذنوا له. فدخل فأوسع له على فراشِه، وأصاب من العشاء معه، فلما رُفع قام مَنْ كان هناك، وثبتُّ أنا. فحمد عثمان الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا خالُ، فإني قد جئتُك استعذرك من ابن أخيك عليّ، سبّني وشهر أمري وقطع رحِمي وطعن في ديني، وإني أعوذ بالله منكم يا بني عبد المطلب، إن كان لكم حق تزعمون أنّكم غلِبتم عليه، فقد تركتموه في يديْ مَنْ فعل ذلك بكم، وأنا أقرب إليكم رحماً منه، وما لمت منكم أحداً إلا عليًا، ولقد دعيتُ أن أبسط عليه، فتركته لله والرّحِم، وأنا أخاف أن يتركني فلا أتركه.

قال ابن عباس: فحمد أبي الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد يا ابن أختي، فإن كنتَ لا تحمَد عليًا لنفسك فإني لا أحمدك لعليّ، وما عليّ وحده قال فيك، بل غيره، فلو أنّك اتّهمت نفسك للناس، اتّهم الناس أنفسهم لك، ولو أنك نزلت مما رقِيت وارتقوا مما نزلوا، فأخذتَ منهم وأخذوا منك ما كان بذلك بأس.

قال عثمان: فذلك إليك يا خال، وأنت بيني وبينهم. قال: أفأذكرُ لهم ذلك عنك؟ قال: نعم. وانصرف.

فما لبثنا أن قيل: هذا أمير المؤمنين قد رَجع بالباب، قال أبي: ائذنوا له، فدخل فقام قائماً ولم يجلس. وقال: لا تعجل يا خالِ حتى أوذنَك، فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالساً بالباب ينتظره حتى خرج، فهو الذي ثناه عن رأيه الأول، فأقبل عليَّ أبي وقال: يا بنيّ، ما إلي هذا من أمره شيءٌ، ثم قال: يا بنيّ، أملك عليك

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٣٦.

لسانك حتى ترى ما لا بد منه، ثم رفع يديه فقال: اللهم اسبق بي ما لا خير لي في إدراكه. فما مرّت جمعة حتى مات رحمه الله.

● ٣٩٥ ـ وروى الزبير بن بكار في كتابه عن رجال أسندَ بعضهم عن بعض، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال[١]:

أرسل إليّ عثمان في الهاجرة، فتقنّعت بثوبي وأتيته، فدخلت عليه وهو على سريره، وفي يده قضيب، وبين يديه مال دَثْرٌ: صبرتان من ورِق وذهب، فقال: دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحرقتَني. فقلت: وصلتْك رَحم! إن كان هذا المال ورثته أو أعطاكه معطٍ، أو اكتسبته من تجارة كنتُ أحدَ رجلين: إما آخذ وأشكر أو أوفر وأجهَد. وإن كان من مال الله وفيه حقّ المسلمين واليتيم وابن السبيل ـ فوالله ـ ما لك أن تعطينيه ولا لي أن آخذه. فقال: أبيتَ والله إلا ما أبيت. ثم قام إليّ بالقضيب فضربني، والله ما أردّ يدَه حتى قضى حاجته، فتقنّعتُ بثوبي، ورجعت إلى منزلي، وقلت: الله بيني وبينك إن كنتُ أمرتُك بمعروف أو نهيت عن منكر!

● ٣٩٦ ـ وروى الزبير بن بكار عن الزهري قال[٢]:

لما أُتي عمر بجوهر كسرى، وضع في المسجد، فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويحك! أرحني من هذا، وأقسِمه بين المسلمين فإنّ نفسي تحدّثني أنّه سيكون في هذا بلاء وفتنة بين الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، إنْ قسمته بين المسلمين لم يَسعهم، وليس أحد يشتريه لأنّ ثمنه عظيم، ولكن ندَعه إلى قابلٍ فعسى الله أن يفتح على المسلمين فيشتريه منهم مَنْ يشتريه. قال: ارفعه فأدخله بيت المال، وقُتل عمر وهو بحاله، فأخذه عثمان لما ولّي الخلافة فحلّى به بناته.

قال الزبير[٣]:

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣/١٣٨.
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) نفس المصدر والصفحة.

فقال الزهري: كلٌّ قد أحسن، عمر حين حرّم نفسه وأقاربه، وعثمان حين وصل أقاربه..

● ٣٩٧ ـ قال الزبير[1]: وحدّثنا محمد بن حرب، قال: حدّثنا سفيان بن عُيينة عن إسماعيل بن أبي خالد قال:

جاء رجل إلى عليّ ـ عليه السلام ـ يستشفع به إلى عثمان فقال: حمّال الخطايا! لا والله لا أعود إليه أبداً. فآيسه منه.

● ٣٩٨ ـ وروى الزبير عن أبي غسّان، عن عمر بن زياد، عن الأسود بن قيس، عن عبيد بن حارثة قال[2]:

سمعت عثمان وهو يخطب، فأكبّ الناس حوله، فقال: اجلِسوا يا أعداء الله! فصاح به طلحة: إنهم ليسوا بأعداء الله لكنهم عبادُه وقد قرأوا كتابه.

● ٣٩٩ ـ وروى الزبير عن سفيان بن عيينة، عن إسرائيل، عن الحسن قال[3]:

شهدتُ المسجد يوم جمعة، فخرج عثمان، فقام رجل فقال: أنشد كتاب الله. فقال عثمان: اجلس، أما لكتاب الله ناشدٌ غيرك! فجلس، ثم قام آخر فقال مثل مقالته، فقال: اجلس، فأبى أن يجلس، فبعث إلى الشُّرَط ليُجلسوه، فقام الناس فحالوا بينهم وبينه، قال: ثم تراقوْا بالبطحاء حتى يقول القائل: ما أكاد أرى أديم السماء من البطحاء. فنزل عثمان، فدخل داره ولم يصلّ الجمعة.

● ٤٠٠ ـ وروى الزبير أيضاً في (الموفقيات) عن ابن عباس رحمه الله قال[4]:

صلّيتُ العصر يوماً ثم خرجت فإذا أنا بعثمان بن عفان في أيام خلافته في بعض

---

(١) المصدر السابق ٣/١٣٩.
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) نفس المصدر والصفحة.
(٤) نفس المصدر والصفحة.

أزقّة المدينة وحده، فأتيته إجلالاً وتوقيراً لمكانه، فقال لي: هل رأيت عليًّا؟ قلت: خلّفته في المسجد، فإن لم يكن الآن فيه فهو في منزله. قال: أمّا منزله فليس فيه فابغِه لنا في المسجد. فتوجّهنا إلى المسجد، وإذا عليٌّ ـ عليه السلام ـ يخرج منه. قال ابن عباس: وقد كنت أمنس ذلك اليوم عند عليّ فذكر عثمان وتجرّمه عليه، وقال: أما والله يا ابن عباس إن من دوائه لقطع كلامه، وترك لقائه. فقلت له: يرحمك الله كيف لك بهذا! فإن تركتَه ثم أرسل إليك فما أنت صانع؟ قال: أعتلّ، وأعتلّ، فمَنْ يَقْسِرني؟ قال: لا أحد. قال ابن عباس: فلما تراءينا له وهو خارج من المسجد، ظهر منه التفلُّت والطلب للانصراف ما استبان لعثمان، فنظر إليّ عثمان وقال: يا ابن عبّاس، أما ترى ابنَ خالنا يكره لقاءنا؟ فقلت: ولم وحقّك ألزم، وهو بالفضل أعلم؟ فلما تقاربا رماه عثمان بالسلام، فردّ عليه، فقال عثمان: إنْ تدخل فإياك أردنا، وإنْ تمضِ فإيّاك طلبنا. فقال علي: أيّ ذلك أحببتَ؟ قال: تدخل. فدخلا وأخذ عثمان بيده، فأهوى به إلى القِبلة، فقصّر عنها، وجلس قُبَالتها، فجلس عثمان إلى جانبه، فنكصتُ عنهما، فدعوَاني جميعاً، فأتيتهما، فحمد عثمان الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله، ثم قال: أمّا بعد يا ابني خالي وابنيْ عمّي، فإذا جمعتكما في النداء فاستجمعكما في الشكاية عن رضايَ على أحدكما، ووجدي على الآخر. إني أستعذركما من أنفسكما، وأسألكما فيئتكما، وأستوهبكما رَجْعتَكما، فوالله لو غالبني الناس ما انتصرت إلاّ بكما، ولو تهضّموني ما تعزّزتُ إلاّ بعزّكما. ولقد طال هذا الأمر بيننا حتى تخوّفتُ أن يجوز قدرَه ويعظُم الخطر فيه، ولقد هاجني العدوّ عليكما، وأغراني بكما فمنعني الله والرحم مما أراد، وقد خلونا في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ وإلى جانب قبره، وقد أحببتُ أن تظهِرا لي رأيَكما فيّ، وما تنطويان لي عليه، وتصدُقا فإنّ الصدق أنجىٰ وأسلم، واستغفر الله لي ولكما.

قال ابن عبّاس: فأطرق عليٌّ ـ عليه السلام ـ وأطرقت معه طويلاً، أمّا أنا فأجللتُه أنْ أتكلّم قبله، وأمّا هو فأراد أن أجيب عنّي وعنه. ثم قلت له: أتتكلّم أم أتكلّم أنا عنك؟ قال: بل تكلّم عني وعنك. فحمدت الله وأثنيت عليه وصلّيت على رسوله، ثم قلت: أما بعد يا ابن عمّنا وعمّتنا، فقد سمعنا كلامك لنا، وخلطَك في الشكاية بيننا على رضاك ـ زعمتَ ـ عن أحدنا ووجْدك على الآخر، وسنفعل في ذلك،

فنذمُّك ونحمَدك، اقتداءً منك بفعلك فينا، فإنّا نذمّ مثل تهمتك إيانا على ما اتّهمتنا عليه بلا ثقة إلا ظنًّا، ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتَك، ثم نستعذرك من نفسك استعذارَك إيانا من أنفسنا، ونستوهبك فيئتَك استيهابك إيانا فيئتنا، ونسألك رجْعتك مسألتك إيانا رجعتنا، فإنا معاً أيّما حمِدت وذممت منا، كمثلك في أمر نفسك. ليس بيننا فرق ولا اختلاف، بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله. فوالله ما تعلمنا غير معذرين فيما بيننا وبينك، ولا تعرِفنا غير قانتين عليك، ولا تجدُنا غيرَ راجعين إليك، فنحن نسألك من نفسك مثل ما سألتَنا من أنفسنا. وأمّا قولك: لو غالبتْني الناسُ ما انتصرتُ إلا بكما أو تهضّموني ما تعزّزت إلا بعزّكما، فأين بنا وبك عن ذلك، ونحن وأنت كما قال أخو كنانة:

بـدا بُحتـرٌ مـا رام نـال وإنْ يُـرَم نَخُـض دونـه غمْـراً مـن الغـرِّ رائمـه
لنـا ولهـم منّـا ومنهـم علـى العـدى مـراتـب عـزٍّ مصعـدات سـلالمـه

وأما قولك في هيْج العدوّ إياك علينا، وإغرائه لك بنا، فوالله ما أتاك العدوّ من ذلك شيئاً إلا وقد أتانا بأعظم منه، فمنعنا مما أرادَ منعك من مراقبة الله والرحِم، وما أبقيت أنت ونحن إلاّ على أدياننا وأعراضنا ومروءاتنا. ولقد لَعمري طال بنا وبك هذا الأمر حتى تخوّفنا منه على أنفسنا، وراقبنا منه ما راقبت.

وأما مساءلتك إيّانا عن رأينا فيك، وما ننطوي عليه لك فإنّا نخبرك أنّ ذلك إلى ما تحبّ، لا يعلم واحدٌ منا من صاحبه إلاّ ذلك، ولا يقبل منه غيرَه، وكلانا ضامن على صاحبه ذلك وكفيل به. وقد برّأتَ أحدَنا وزكّيته، وأنطقت الآخر وأسكتّه، وليس السقيم منّا ممّا كرهت بأنطقَ من البريء فيما ذكرت، ولا البريء منا ممّا سخطتَ بأظهرَ من السقيم فيما وصفت. فإمّا جمعتَنا في الرضا، وإمّا جمعتنا في السخط لنجازيَك بمثل ما تفعل بنا في ذلك مكايلةَ الصاع بالصاع، فقد أعلمناك رأينا، وأظهرنا لك ذات أنفسنا، وصدّقناك، والصدق كما ذكرت أنجىٰ وأسلم، فأجب إلى ما دعوتَ إليه، وأجلِلْ عن النقض والغدر مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ وموضع قبره، واصدق تنجُ وتسلم، ونستغفر الله لنا ولك.

قال ابن عبّاس: فنظر إلى عليّ ـ عليه السلام ـ نظر هيبة، وقال: دعه حتى يبلغ

رضاه فيما هو فيه، فوالله لو ظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتى رآها بعينه كما يسمعُ الخبرَ عنه بأذنه، ما زال متجرّماً منتقماً، والله ما أنا ملقىً على وضَمَةٍ[1]، وإني لمانع ما وراء ظهري، وإن هذا الكلام لمخالفةٌ منه وسوء عشرة. فقال عثمان: مهلاً أبا حسن، فوالله إنك لتعلم أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ وصفني بغير ذلك يوم يقول وأنت عنده: «إنّ من أصحابي لقوماً سالمين لهم، وإن عثمان لمنهم، إنه لأحسنهم بهم ظنًّا، وأنصحهم لهم حبّا». فقال علي ـ عليه السلام ـ: فصدّق قوله ـ ﷺ ـ بفعلك، وخالف ما أنت الآن عليه، فقد قيل لك ما سمعتَ وهو كافٍ إن قبلتَ.

قال عثمان: تثق يا أبا الحسن؟ قال: نعم أثق ولا أظنّك فاعلاً.

قال عثمان: قد وثِقت وأنت ممن لا يخفِرُ صاحبه ولا يكذّب لقيله.

قال ابن عباس: فأخذت بأيديهما حتى تصافحا وتصالحا وتمازحا، ونهضت عنهما، فتشاوروا وتآمرا وتذاكرا ثم افترقا، فوالله ما مرّت ثالثة حتى لقيني كل واحدٍ منهما يذكر من صاحبه ما لا تبرك عليه الإبل. فعلمتُ أن لا سبيل إلى صلحهما بعدها.

● ٤٠١ ـ وروى الزبير بن بكار قال[2]:

مرِض عليٌّ ـ عليه السلام ـ فعاده عثمان ومعه مروان بن الحكم، فجعل عثمان يسأل عليًّا عن حاله، وعليٌ ساكتٌ لا يجيبه، فقال عثمان: لقد أصبحت يا أبا الحسن مني بمنزلة الولد العاقّ لأبيه، إن عاش عَقّه، وإنْ مات فجعه. فلو جعلت لنا من أمرك فرَجاً، إما عدوًّا أو صديقاً، ولم تجعلنا بين السماء والماء. أما والله لأنا خيرٌ لك من فلان وفلان، وإن قتلتُ لا تجد مثلي. فقال مروان: أما والله لا يُرام ما وراءنا حتى تتواصلَ سيوفُنا وتقطع أرحامنا.

فالتفت إليه عثمان وقال: اسكتْ لاسكتّ. وما يُدخلك فيما بيننا!

---

(١) الوضم: محركة خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم. يقال: تركهم لحماً على وضم أي أوقعهم فذللهم وأوجعهم.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٤٣.

● ٤٠٢ ـ وروى الزبير بن بكار في (الموفّقيات) عن عبد الله بن عباس قال[١]:

خرجتُ أريد عمر بن الخطاب فلقيته راكباً حماراً، وقد ارتسنه بحبل أسود، في رجليه نعلان مخصوفتان، وعليه إزار وقميص صغير، وقد انكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه، فمشيت إلى جانبه، وجعلتُ أجذبُ الإزارَ وأسوّيه عليه، كلّما سترتُ جانباً انكشف جانبٌ، فيضحك ويقول: إنه لا يطيعك، حتى جئنا العَاليَة[٢] فصلّينا، ثم قدّم بعض القوم إلينا طعاماً من خبز ولحم، وإذا عمرُ صائم، فجعل ينبذ[٣] إليّ طيّب اللحم ويقول: كلْ لي ولك، ثم دخلنا حائطاً، فألقى إليّ رداءه وقال: اكفنيه، وألقى قميصه بين يديه، وجلس يغسله، وأنا أغسل رداءه، ثم جفّفناهما وصلّينا العصر، فركب ومشيت إلى جانبه، ولا ثالث لنا.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إني في خِطبة فأشر عليّ. قال: ومَنْ خطبت؟ قلت: فلانة ابنة فلان. قال: النسب كما تحبّ، وكما قد علمت، ولكن في أخلاق أهلها دِقّة[٤] لا تعدمك أن تجدها في ولدِك. قلت: فلا حاجة لي إذاً فيها. قال: فلمَ لا تخطبُ إلى ابن عمّك ـ يعني عليًا ـ؟ قلت: ألم تسبقني إليه؟ قال: فالأخرى، قلت: هي لابن أخيه. قال: يا ابن عبّاس إنّ صاحبكم إن وليَ هذا الأمر أخشى عُجبه بنفسه أن يذهب به، فليتني أراكم بعدي.

قلت: يا أمير المؤمنين، إن صاحبنا ما قد علمتَ، إنه ما غيّر ولا بدّل، ولا أسخط رسولَ الله ـ ﷺ ـ أيّام صحبته له.

قال: فقطع عليّ الكلام، فقال: ولا في ابنة أبي جهل، لمّا أراد أن يخطبها على فاطمة!.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ٧٨٤.

(٢) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة. وقيل ما جاور الرّمة إلى مكة. (المغانم المطابة ٢٤٣).

(٣) ينبذ: يطرح ويرمي.

(٤) الدقة: الخساسة.

قلت: قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[1] وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله -ﷺ- ولكن الخواطر التي لا يقدر أحدٌ على دفعها عن نفسه، وربما كان من الفقيه في دين الله، العالم العامل بأمر الله.

فقال: يا ابن عباس، مَنْ ظنّ أنه يردُ بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظنّ عجزاً. أستغفر الله لي ولك خذ في غيرها. ثم أنشأ يسألني عن شيء من أمور الفُتيا، وأجيبه فيقول: أصبتَ أصاب الله بك. أنت والله أحقّ أن تُتَّبع.

● ٤٠٣ ـ وروى الزبير بن بكار في (الموفقيات) . . . عن المغيرة بن شعبة قال[2]:

قال لي عمر يوماً: يا مغيرةُ، هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ أصيبت؟ قلت: لا. قال: أما والله ليُعْوِرَنّ بنو أميّة الإسلام كما أعورت عينك هذه، ثم ليُعميِنَّه حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيء. قلت: ثم ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم يبعث الله ـ تعالى ـ بعد مائة وأربعين أو بعد مائة وثلاثين وفداً كوفد الملوك، طيّبة ريحهم، يعيدون إلى الإسلام بصره وشتاته. قلت: مَنْ هم يا أمير المؤمنين؟ قال: حجازيّ وعراقيّ، وقليلاً ما كان، وقليلاً ما دام.

● ٤٠٤ ـ وروى الزبير في (الموفقيات)[3]:

أنّ أبا بكر قال في الجاهلية لقيس بن عاصم المنقريّ: ما حملك على أنْ وأدتَ؟ قال: مخافة أن يخلف عليهنّ مثلك.

● ٤٠٥ ـ وذكر الزبير بن بكار في (الموفقيات)[4]:

أنّ علياً ـ عليه السلام ـ لما بعث جريراً إلى معاوية، خرج وهو لا يرى أحداً قد سبقه إليه. قال: فقدمت على معاوية فوجدته يخطب الناس وهم حوله يبكون حول

---

(١) سورة طه آية ١١٥.
(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ٨٠٥.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤/ ١٩٠ وانظر الخبر فيما بعد كما ورد في الإصابة ٣/ ٢٤٣ تحت رقم ٤٢٤.
(٤) شرح نهج البلاغة ٤/ ٣١٣.

قميص عثمان، وهو معلّق على رمح مخضوب بالدم، وعليه أصابع زوجته نائلة بنت الفَرافصة مقطوعة، فدفعتُ إليه كتاب عليّ ـ عليه السلام ـ وكان معي في الطريق رجل يسير بسيري، ويقيم بمقامي، فمثُل بين يديه في تلك الحال وأنشده:

إنّ بنـي عمّـك عبـد المطلـب هـمْ قتلـوا شيخكُـمُ غيـرَ كـذِبْ
وأنـت أولـى النـاب بـالـوثـب فثِـبْ

قال: ثم دفع إليه كتاباً من الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط، وهو أخو عثمان لأمه، كتبه مع هذا الرجل من الكوفة سراً أوله:

معاويَ إنّ المُلْكَ قد جُبَّ غاربُه[1]

قال: فقال لي معاوية: أقمْ فإنّ الناس قد نفروا عند قتل عثمان حتى يسكنوا. فأقمتُ أربعة أشهر، ثم جاء كتاب آخر من الوليد بن عُقبة أوّله:

الا أبلـغْ معـاويـةَ بـن حـربٍ فـإنـك مـن أخـي ثقـةٍ مُليـم[2]
قطعـتَ الـدهـرَ كـالسَّـدم المعنّـى تهـدر فـي دمشـق ولا تـرِيـم[3]
وإنـك والكتـابَ إلـى علـيّ كـدابغـةٍ وقـد حلِـم الأديـم[4]
فلـو كنـتَ القتيـل وكـانَ حيّـا لشمَّـرَ لا ألـفٌ ولا سَـؤوم

قال: فلما جاءه هذا الكتاب وصل بين طُومارين[5] أبيضين، ثم طواهما وكتب عنوانهما: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب. ودفعهما إليّ، لا أعلم ما فيهما، ولا أظنهما إلا جواباً، وبعث معي رجلاً من بني عَبْس لا أدري ما معه، فخرجنا حتى قدمنا إلى الكوفة، واجتمع الناس في المسجد، لا يشكّون أنها بيعة أهل الشام. فلما فتح عليّ ـ عليه السلام ـ الكتاب لم يجد شيئاً، وقام العبسيّ فقال: مَنْ ها هنا من أحياء قيس، وأخصّ من قيس غطفان، وأخصّ من غطفان عبساً؟ إني أحلف

---

(١) في المصدر نفسه: الأبيات التي ذكرنا فيما تقدم.
(٢) المليم: من وقع منه ما يلام عليه.
(٣) السدم: يقال فحل مسدّم هائج. أو الذي يرسل في الإبل فيهدر بينها.
(٤) حلم الأديم: أي وقعت فيه الحلمة وهي الدودة فأفسدته.
(٥) الطومار: الصحيفة.

بالله لقد تركت تحت قميص عثمان أكثر من خمسين ألف شيخ خاضِبي لِحاهم بدموع أعينهم، متعاقدين متحالفين، ليقتُلن قتَلَته في البرّ والبحر، وإني أحلف بالله ليقتحمنّها عليكم ابنُ أبي سفيان بأكثر من أربعين ألفاً من خِصيان الخيل، فما ظنّكم بعد بما فيها من الفحول. ثم دفع إلى عليّ ـ عليه السلام ـ كتاباً من معاوية ففتحه فوجد فيه:

أتاني أمرٌ فيه للنفس غُمّةٌ ... وفيه اجتداعٌ للأنوف أصيلُ
مصابُ أمير المؤمنين وهدّةٌ ... تكادُ لها صُمُّ الجبال تزول[1]

● ٤٠٦ ـ وروى الزبير بن بكار في (الموفقيات)[2]:

أن عبد الملك أجرى خيلاً، فسبقه عبّاد بن زياد، فأنشد عبد الملك:

سبَّق عبّاد وصلّت لحيته ... وكان خرّازاً تجود قربتُه[3]

فشكا عبّاد قول عبد الملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فقال له: أما والله لأنصفنّك منه بحيث يكره. فزوّجه أخته، فكتب الحجاج إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين، إن مناكح آل أبي سفيان قد ضاعت. فأخبر عبدُ الملك خالداً بما كتب به الحجاج، فقال خالد: يا أمير المؤمنين، ما أعلم امرأة منا ضاعت ونزلت إلاّ عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فإنها عندك، ولم يعنِ الحجاجُ غيرك. قال عبد الملك: بل عنى الدعيّ ابن الدعيّ عباداً، قال خالد: يا أمير المؤمنين، ما أنصفتَني، أدَّعي رجلاً ثم لا أزوّجه! إنما كنت ملوماً لو زوّجت دعيّك، فأما دعيّي فلمَ لا أزوّجه!

● ٤٠٧ ـ روى الزبير بن بكار في (الموفقيات)[4]: أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه يوماً وهو في قائلته، فأيقظه وقال له: ما يؤمّنك أن تؤتى في منامك وقد رفعت إليك مظالم لم تقضِ حق الله منها؟ فقال: يا بني إن نفسي مطيّتي إن لم أرفُق بها لم تبلّغني، إني لو أتعبتُ نفسي وأعواني لم يكن ذلك إلا قليلاً حتى أسقط ويسقطوا، وإني لأحتسب في نومتي من الأجر مثل الذي أحتسب في يقظتي، إن الله ـ

(١) في شرح نهج البلاغة: وقد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدم.
(٢) شرح نهج البلاغة ٤/ ٨١٤.
(٣) سبّق: جاء السابق وهو الأول. وصلّت: جاءت مصلية وهي الثانية.
(٤) شرح نهج البلاغة ٥/ ٧١.

جل ثناؤه ـ لو أراد أن ينزّل القرآن جملة نزله، ولكنه أنزل الآية والآيتين حتى استكثر الإيمان في قلوبهم.

ثم قال: يا بني مما أنا فيه أمر هو أهم إلى أهل بيتك، هم أهل العدَّة والعدَد، وقبلهم ما قبلهم، فلو جمعتُ ذلك في يوم واحد خشيتُ انتشارهم عليّ، ولكني أنصف من الرجل والاثنين، فيبلغ ذلك من وراءهما، فيكون أنجع له، فإن يُرد الله تمام هذا الأمر أتمه، وإن تكن الأخرى فحَسْب عبدٍ أن يعلم اللَّهُ منه أنه يحب أن ينصف جميع رعيته.

● ٤٠٨ ـ وذكر الزبير بن بكار في (الموفقيات)[١]: أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد، فأعطاه رسول الله ـﷺـ عرجون نخلة فصار في يده سيفاً يقال: إن قائمته منه، وكان يسمى العرجون، ولم يزل يُتناول حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار.

● ٤٠٩ ـ وقال الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٢]: بعد أن أنشد شعراً قال: وسمعت العتبي يصحِّفه فيقول: نفيلة (بالنون).

● ٤١٠ ـ ذكر له (الحارث بن نضر السهمي) الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٣] من طريق محمد بن إسحاق في قصة سقيفة بني ساعدة شعراً في الأنصار أوله:

يا لقومي لخفّة الأحلام وانتظاري لزلّة الأقدام
قبلُ كانوا من الدعاة إلى الله وكانوا أزمّة الإسلام
إنّ ذا الأمر دوننا لقريش وقريش همُ ذوو الأحلام

● ٤١١ ـ قال الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٤] من طريق محمد بن إسحق

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٢٦٥. وورد هذا النص في الإصابة في تمييز الصحابة أيضاً ٢/٢٧٨ نقلاً عن الموفقيات وزاد في أوله: كان يقال له المجدع في الله.

(٢) الإصابة ١/١٦٦. ترجمة بقيلة الأكبر الأشجعي من بني بكر بن أشجع.

(٣) الإصابة ١/٢٩١.

(٤) الإصابة ١/٢٩٣.

في قصة سقيفة بني ساعدة قال: فقام الحارث بن هشام وهو يومئذ سيد بني مخزوم، ليس أحد يعدل به إلا أهل السوابق مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: والله لولا قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «الأئمة من قريش» ما أبعدنا منها الأنصار ولكانوا لها أهلاً، ولكنه قول لا شك فيه، فوالله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصيَّر الله هذا الأمر فيه.

● ٤١٢ ـ وللحارث بن وهب قصة مع عمر ذكرها الزبير في (الموفقيات)[١] عن يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال: عزل عمر أبا موسى عن البصرة، وقدامة بن مظعون وأبا هريرة والحارث بن وهب أحد بني ليث بن بكر وشاطرهم أموالهم، فذكر القصة، وفيها: وقال للحارث: ما أعبد وقلاص بعتها بمائة دينار؟ قال: فخرجتُ بنفقة معي فتجرت فيها. قال: إنا والله ما بعثناك للتجارة في أموال المسلمين. ثم أمره أن يحملها. فقال: والله لا عملت لك عملاً بعدها، قال: تبدل حتى استعملك.

● ٤١٣ ـ وذكر الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٢] عن المدائني عن هشام بن الكلبي عن أبيه: أن عمر خرج تاجراً في الجاهلية مع نفر من قريش فلما وصلوا إلى فلسطين قيل لهم: إن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي يعشر من يمرّ به للحارث بن أبي شمر قال: فعمدنا إلى ما معنا من الذهب فألقمناه ناقة لنا حتى إذا مضينا نحرناها وسلم لنا ذهبنا، فلما مررنا على زنباع قال: فتشوهم ففتشونا فلم يجدوا معنا إلا شيئاً يسيراً. فقال: اعرضوا على إبلهم، فمرت به الناقة بعينها، فقال: انحروها. فقلتُ: لأي شيء؟ قال: إن كان في بطنها ذهب وإلاّ فلك ناقة غيرها وكلها. قال: فشقوا بطنها فسال الذهب. قال: فأغلظَ علينا في العشر، ونال من عمر. فقال عمر في ذلك:

متى ألقَ زنباع بن روح ببلدةٍ ... لي النّصفُ منه يقرع السنّ من ندم
ويعلم أن الحي حي ابن غالب ... مطاعين في الهيجا مضاريب في الهيم

---

(١) الإصابة ١/٢٩٤.
(٢) الإصابة ١/٥٣٣.

● ٤١٤ ـ ذكر الزبير بن بكار في (الموفقيات)[١] بغير إسناد: أن أبا موسى الأشعري عرض الخيل فمرَّ به شبيب بن حجل بن نضلة الباهلي على فرس أعجف فقال: بال على بال. فبلغه ذلك فأنشد:

رآنـــي الأشعـــري فقـــال بـــال ... علـى بـال ولـم يعلـم بـلائـي
ومثلـك قـد قضيـت الـرمـح فيـه ... فبـــاء بـــدائـــه وشفيـــت دائـــي

● ٤١٥ ـ ذكر الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٢] عن المدائني عن عوانة بن الحكم قال: دخل صعصعة بن ناجية المجاشعي، جد الفرزدق على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: كيف علمك بمضر؟ قال: يا رسول الله أنا أعلم الناس بهم. تميم هامتها وكاهلها الشديد الذي يوثق به، ويحمل عليه. وكنانة وجهها الذي فيه السمع والبصر، وقيس فرسانها ونجومها، وأسَد لسانها. فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «صدقتَ».

● ٤١٦ ـ أخـرج ابـن سعـد والبغـوي والهيثـم بـن كليـب والـزبيـر فـي (الموفقيات)[٣] والطبري وابن منده من طريق شرقي بن قطامي عن أبي طليق الغامدي عن شراحيل بن القعقاع عن عمرو بن معديكرب قال: لقد رأيتنا من قريب ونحن إذا حججنا قلنا:

لبّيـك تعظيمـا إليـك عـذرا ... هـذي زبيـد قـد أتتـك قسـرا
يقطعـن خبتـا وجبـالاً وعـرا

الحديث. وفيه: وكنا نمنع الناس أن يقفوا بعرفة ونقف ببطن محسّر يمنة عرفة فرقاً من أن يتخطفنا الجن. فقال رسول الله ـﷺـ: أجيزوا بطن عرفة فإنما هم إذ أسلموا إخوانكم. قال: فعلّمنا النبي ـﷺـ التلبية: لبيك اللهم لبيك. إلى آخرها.

● ٤١٧ ـ وذكر أبو حاتم السجستاني في كتاب الوصايا . . وهكذا ذكر الزبير

---

(١) الإصابة ١/١٦٠.
(٢) الإصابة ٢/١٨٠.
(٣) الإصابة ٣/٢٠.

في (الموفقيات)[1]:

أن حصن بن حذيفة وصّى ولده عند موته، وكانوا عشرة قال: وكان سبب موته أن كرز بن عامر العقيلي طعنه فاشتد مرضه. فقال لهم: الموت أروح مما أنا فيه فأيّكم يطيعني؟ قالوا: كلنا. فبدأ بالأكبر. فقال: خذ سيفي هذا فضعه على صدري ثم اتّكىء عليه حتى يخرجَ من ظهري. فقال: يا أبتاه، هل يقتل الرجل أباه؟ فعرض ذلك عليهم واحداً واحداً. فأبوا إلاَّ عيينة. فقال له: يا أبت أليس لك فيما تأمرني به راحة وهوى؟ ولك فيه مني طاعة؟ قال: بلى. قال: فمرني كيف أصنعُ؟ قال: ألقِ السيف يا بني، فإني أردت أن أبلوكم فأعرف أطوعكم لي في حياتي، فهو أطوع لي بعد موتي، فاذهب أنت سيد ولدي من بعدي. ولك رياستي. فجمع بني بدر فأعلمهم ذلك. فقام عيينة بالرياسة بعد أبيه وقتل كرزاً.

● ٤١٨ ـ ذكر الزبير في (الموفقيات)[2] من طريق علقمة بن حر السلمي قال: جئت إلى معاوية فوجدت عنده ابن وثيمة النضري وابن عارض الجشمي فذكر قصة فيها: فقال ابن عارض: كنت مع أبي قبل أن يموت، فوجدت في الطريق خشفاً فصدته لابنة لأبي كان يحبها. فخرجت محتضنه حتى وقفنا على دريد بن الصمة. وقد فند عقله وهو عريان يكوم بين رجليه البطحاء، فرفع رأسه فرأى الخشف فقال:

كـــأنهـــا رأس حضـــن ... فـــي يـــوم غيـــم ودخـــن
كـالخشـف هـذا المحتضـن ... أحســن مــن شــيء حســن

ثم قام فسقط فقال:

لأنهضـن فـي مثـل زمـانـي الأول ... محـدب السـاق شـديـد الأسفـل
يـا أولـى يـا أولـى يـا أولـى

● ٤١٩ ـ قال الزبير في (الموفقيات)[3] حدّثنا ابن المغيرة عن هشام بن

---

(١) الإصابة ٣/ ٥٥.
(٢) الإصابة ٣/ ٨٤.
(٣) الإصابة ٣/ ١١٣. وفيه: ما إن رأيتك . . .

الكلبي عن أبيه قال: أذن عمر للناس فدخل عمرو بن براقة، وكان شيخاً كبيراً يعرج فأنشد أبياتاً يقول فيها:

ما إن رأيت مثلك الخطابي أبرّ بالدين وبالكتاب
بعد النبي صاحب الكتاب

قال: فقال له عمر وطعنه بالسوط: فما فعل أبو بكر. قال: لا علم لي به. فقال: لو كنت عالماً به لأوجعتُ ظهرك.

● ٤٢٠ ـ قال الزبير بن بكار في (الموفقيات)[١]: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: دخل فرات بن زيد الليثي على عمر بن الخطاب، وكان ذا مال كثير، وكان يبخل، وكان من ألبَّاء العرب، وذوي العلم والرأي فوجد عمر يعطي المهاجرين والأنصار فقال له: فرات، من الذي يقول:

الفقر يزري بالفنى في قومه والعين يغضيها الكريم على القذى
والمال يبسط للئيم لسانه حتى يصير كأنه شيء يرى
والمال جد بفضوله ولتعلمن أن البخيل يصير يوماً للثرى

قال: لا أدري يا أمير المؤمنين، غير أني عرفت أن أخا بني ضبيعة أشعر الناس حيث يقول:

وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

فقال عمر: قول الله عز وجل: ﴿ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المُفْلِحُونَ﴾[٢] أفضل.

قال: يا أمير المؤمنين، إن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إن المبذرينَ كانوا اخوان الشياطين﴾[٣] قال عمر: فبين ذلك قواماً. يا فرات اتق اللَّهَ وإنما لك من مالك ما

---

(١) الإصابة ٣/ ٢٠٥.
(٢) سورة الحشر آية ٩.
(٣) سورة الإسراء آية ٢٧.

أنفقتَ. يا فرات أطعم السائل وكن سريعاً إلى داعي الله، إن الله جواد يحب الجود وأهله، وإن البخل بئس شعار المسلم.

يا فرات أتدري من الذي يقول؟

سأبذل مالي للعُفاة فإنني رأيت الغنى والفقر سيّان في القبر
يموت أخو الفقر القليل متاعه ولا تترك الأيام مَنْ كان ذا وفر
وليس الذي جمعت عندي بنافع إذا حل بي يوماً جليلٌ من الأمر

قال: لا أدري يا أمير المؤمنين.

قال: هذا شعر أخيك قسامة بن زيد. قال: ما علمته. قال: بلى هو أنشدنيه، وعنه أخذته، وإن لك فيه لعبرة.

قال: يا أمير المؤمنين، وفّقك الله وسدّدك، أمرت بخير وحضضتَ عليه. وترك فرات كثيراً مما كان عليه.

● ٤٢١ ـ قال الزبير بن بكار في (الموفقيات)[١]: حدَّثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب: أن مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس، فلما قُتل أمر خالد برأسه فنصب أُثفيّة لقدر فنضج ما فيها قبل أن يخلص النار إلى شؤون رأسه.

● ٤٢٢ ـ وفي (الموفقيات)[٢] للزبير بن بكار: أن المغيرة بن الأخنس هجا الزبير بن العوّام فوثب عليه المنذر بن الزبير فضرب رجله، فبلغ ذلك عثمان فغضب وقام خطيباً فذكر قصة.

● ٤٢٣ ـ ذكر الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٣] عن حبيب بن زيد الطائي أو غيره قال: مرّ المنهال (التميمي) على أشلاء مالك بن نويرة هو ورجل من قومه حين قتله خالد بن الوليد، فأخرج من خريطة له ثوباً فكفنه فيه ودفنه. وفي ذلك يقول

---

(١) الإصابة ٣/٣٣٧.
(٢) الإصابة ٣/٤٣١.
(٣) الإصابة ٣/٤٧٨.
والبيت في شعره ص ١٠٦. وروايته: كفّن المنهال.

متمم:

لقد غيّب المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

● ٤٢٤ ـ ذكر الزبير بن بكار في (الموفقيات)[١] عن عمه عن عبد الله بن مصعب قال: قال أبو بكر لقيس بن عاصم: ما حملك على أن وأدت؟ ـ وكان أول من وأد ـ فقال: خشيت أن يخلف عليهن غير كفء. قال: فصف لنا نفسك. فقال: أما في الجاهلية، فما هممتُ بملامة، ولا حمت على تهمة، ولم أرَ إلا في خيل مغبرة أو نادي عشيرة أو حامي جريرة. وأما في الإسلام فقد قال الله تعالى: ﴿فلا تُزكُّوا أنفسَكم﴾[٢] فأعجب أبو بكر بذلك.

● ٤٢٥ ـ وأخرج الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٣] عن محجن الخزاعي قال: كان معاوية يفضّل مُزينة في الشعر ويقول: كان أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سُلمى، وكان أشعر أهل الإسلام ابنه كعب ومعن بن أوس.

● ٤٢٦ ـ أخرج الزبير بن بكار في (الموفقيات)[٤] عن الكلبي قال: لما هلك حنظلة بن نهد بن زيد[٥] لم يُدفن ثلاثة أيام حتى أتاه من كل أوب، وأتاه من كل حي وجوههم، فقامت الخطباء بالتعزية، وقيلت فيه الأشعار حتى عُدَّ ذلك اليوم من بعض مواسم العرب. فلما ووري في حفرته قام جديلة بن أسد بن ربيعة[٦] فقال:

أيها الناس هذا حنظلة بن نَهد فكّاك الأسير، وطارد العسير، فهل منكم اليوم مجاز بفعله، أو حامل عنه من ثقله، كلا وأجل، إن مع كل جرعة لكم شرقاً، وفي كل أكلة لكم غصصاً، لا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل معمَّرٌ يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا يجد لذة زيادة في أكله إلا بنفاد ما قبله من رزقه، ولا

---

(١) الإصابة ٣/ ٢٤٣.
(٢) سورة النجم آية ٣٢.
(٣) شرح شواهد المغني ص ١٣٤.
(٤) المصدر السابق ص ٢٤٥.
(٥) كان أحد حكام العرب: انظر البيان والتبيين ١/ ٢٨١.
(٦) انظر جمهرة أنساب العرب ٢٩٣ والاشتقاق ٣٢٠.

يحيي له أثرٌ إلا مات أثر، إن في هذا لعِبراً ومزدجراً لمن نظر، لو كان أصاب أحد إلى البقاء سلما، ووجد إلى المرحل عن الفناء سبيلاً، لكان ابن داود المقرون له النبوة بملك الجن والإنس، ثم أنشأ يقول:

وهـذا صـاحـبُ الملكيْـن أضحـى ... تُخـرّقُ فـي مصـانعـه المنـونُ
فكـان عليـه لـلأيّـام دَيْـنٌ ... فقـد قُضيَـت عـن المـرء الـديـون
وخـانتـه العصـا مـن بَعـدِ مـا قـدْ ... أتـى مَيْتـاً لـه حِيـنٌ فحيـن
علـى الكـرسـيّ معتمـداً عليـه ... تحـارُ الشمـسُ فيـه والعيـون
وتضحـى الجـنُّ عـاكفـة عليـه ... كمـا عكفـت علـى الأُسْـد العـريـن
وسخـرت العيـونُ لـه جميعـا ... عليـه الطيـر عـاكفـةً عـريـن
فلـم أرَ مثلـه حيـاً وميْتـا ... علـى الأيـام كـان ولا يكـون
فـدانَ لـه الخـلائـق ثـم هبّـوا ... ودانَ فيمـا قـدْ يـديـن
بنـى صـرحـاً لـه دون الثـريـا ... وأجـريَ تحتـه المـاء المعيـن
تـراه متقنـاً لا عيـب فيـه ... يخـال بصـرحـه الـذهـنُ الـذهيـن
وقـد ملـكَ الملـوكَ وكـل شـيء ... تـديـنُ لـه السهـولـةُ والحـزون
فـأفنـى ملكـه مـرُّ الليـالـي ... وخَـونُ الـدهـر فيمـا قـد يخـون
وكـلُّ أخـي مكـاثـره وعـزٌّ ... إلـى رَيـب الحـوادث مستكيـن
كـذاكَ الـدهـر يُفنـي كـل حـيٍّ ... ويَعقِـبُ بعـد قـوّتـه اليقيـن

ثم قام ابن كثير بن عُذرة بن سعد بن تميم فقال:

أيها الناس هذا حنظلة بن نهد معدن الحكماء، وعز الضعفاء، ومعطي اليانع، ومطعم الجائع، فهل منكم له مانع؟ أو لِما حلّ به دافع!.

أيها الناس، إنما البقاء بعد الفناء، وقد خلقنا ولم نكُ شيئاً، وسنعود إلى ذلك. إن العواري اليوم والهبات غداً. ورثنا من قبلنا ولنا وارثون، ولا بد من رحيل عن محل نازل، ألا وقد تقارب سلب فأحسن أو أهبط أجوى، وقد أصبحتم في منزل لا يستتب به سرور بيسر إلا تبعه حصير عسر، ولا تطول فيه حياة مرجوة إلا اخترمها موت مخوف، ولا يوثق فيه بخلف باق إلا ويستتبعه سابق ماض، فأنتم أعوان

للحتوف على أنفسكم، لها بكل سبب منكم صريع مجتزر، ومعازب منتظر، فهذه أنفسكم تسوقكم إلى الفناء، فلمَ تطلبونَ البقاء! اطلبوا الخير ووليه، واحذروا الشرَّ ووليه، واعلموا أن خيراً من الخير معطيه، وأن شراً من الشر فاعله، ثم أنشأ يقول:

يـا قلـبُ إنـك مـن أسمـاء مغـرورُ | فـاذكـر وهـل ينفعـك اليـوم تـذكيـر
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد | حتى جرت بك إطلاقاً محاضير[1]
تبغـي أمـوراً فمـا تـدري أعـاجلهـا | أدنـى لـرشـدك أم مـا فيـه تـأخيـر
فـاستقـدر الله خيـراً وارضيـنَّ بـه | فبينمـا العسـر إذ دارت ميـاسيـر[2]
وبينمـا المـرء فـي الأحيـاء مغتبـطٌ | إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
يبكـي الغـريـبُ عليه ليس يعـرفـه | وذو قـرابتـه فـي الحـي مسـرور
حتـى كـأن لـم يكـن إلا تـذكُّـره | والـدهـرُ أينمـا حـالٍ دهـاريـرُ

● ٤٢٧ ـ وأخرج الزبير بن بكار في (الموفقيات)[3] عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

ما سمعتُ بأحد أجرأ ولا أسرع شعراً من عبد الله بن رواحة يوم يقول له رسول الله ﷺ:

قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظرُ إليك، ثم أبدّه بصره، فانبعث عبد الله بن رواحة يقول:

إنـي تفـرّسـتُ فيـكَ الخيـرَ أعـرفـه | واللّـهُ يعلـم مـا إن خـانـنـي بصـرُ[4]
أنـت النبـيُّ ومَـنْ يُحـرَم شفـاعتـه | يـوم الحسـاب فقـد أزرى بـه القـدرُ

(١) في شرح الشواهد: إطلاق. جمع طلق. بفتحتين. يقال: جرى الفرس طلقاً أو طلقين، أي شوطاً أو شوطين. والمحاضير: جمع محيضر بكسر الميم، وهو الفرس الكثير العدو.

(٢) المياسير: جمع ميسور، بمعنى اليسر.

(٣) شرح شواهد المغني ص ٢٩٣.

(٤) الخبر والشعر في ابن هشام ٤/١٦ والمؤتلف والمختلف ١٢٦ وابن سلام ١٨٨ وسير أعلام النبلاء ١/١٦٩ وعجزه في ابن سلام وسير أعلام النبلاء:
فراسة خالفتهم في الذي نظروا.

فثبّت اللّهُ ما أتاك من حَسَنٍ كالمرسلين ونصراً كالذي نصروا[1]

فقال رسول الله ﷺ: وأنت فثبتك الله[2].

قال هشام بن عروة: فثبته الله أحسنَ ثبات، فقتل شهيداً، وفتحت له أبواب الجنة فدخلها.

● ٤٢٨ ـ أخرج الزبير بن بكار في (الموفقيات)[3] عن مصعب بن عبد الله: أن ابن عبد الملك بن مروان حج فقال له أبوه: إنه سيأتيك بالمدينة الحزين[4] الشاعر، وهو ذرب اللسان، فإياك أن تحتجب عنه وارضِهِ. فلما قدم المدينة أتاه، فلما دخل عليه ورأى جماله، وفي يده قضيب خيزران وقف ساكتاً، فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح. ثم قال له: السلام ـ رحمك الله ـ أولاً، فقال: عليك السلام، وجه الأمير، أصلحك الله، إني قد كنتُ مدحتك بشعر، فلما دخلت عليك ورأيتُ جمالك وبهاءك رهبتُك، فأنسيتُ ما قلت، وقد قلت في مقامي هذا بيتين. قال: ما هما؟ فقال:

في كفه خيزَرانٌ ريحُها عبِقٌ من كف أروعَ في عرينه شمَمُ[5]

يُغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابته فلا يُكلّم إلاّ حين يبتسمُ

● ٤٢٩ ـ قال الزبير بن بكار في (الموفقيات)[6]: حدّثني موسى بن زهير بن

---

(١) في ابن سلام وسير أعلام النبلاء:
تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا.

(٢) في سير أعلام النبلاء: فأقبل بوجهه مستبشراً وقال: وإياك فثبّت الله.

(٣) شرح شواهد المغني ص ٧٣٤.

(٤) الحزين هذا اسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك، حجازي من شعراء الدولة الأموية، يكنى أبا الحكم. (شرح شواهد المغني ص ٧٣٥).

(٥) البيتان في حماسة أبي تمام ٢/٢٨٦ (عسيلان) وفيها مصادر تخريجهما. وانظر زهر الآداب ١/١٠٥. في شرح الشواهد: الأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه. والعرنين (بالكسر) الأنف. وفي الحماسة: بكفه .. ريحه .. بكف ..

(٦) شرح شواهد المغني ص ٨٧٦.

منظور الفزاري قال[1]:

كان رماح بن أبرد المعروف بابن ميادة يتشبب بأم جحدر بنت حسان المريّة إحدى نساء بني جذيمة بن غيظ، فحلف أبوها ليُخرجنَّها إلى رجل من عشيرته ولا يزوجها بنجد.

فقدم عليه رجل منهم بالشام، فزوجه إياها، فلقي عليها ابن ميَّادة شدّة، فرأيته وما لقي عليها، فلما خرج بها زوجها نحو بلاده اندفع يقول[2]:

ألا ليت شعري هل إلى أم جحدر سبيلٌ فأما الصبرُ عنها فلا صبرا
وهل تأتينّي الريحُ تدرُج موهِنا بريَّاكِ يعروري بها دِنِفا ضُرّا[3]
ألّما على تيماء يسألْ يهودَها فإنَّ على تيماء من ركبها خُبرا
وبالغمر قد جازت وجاز مطيُّها فأهلُكِ روضاتٍ ببطن اللوى خضرا[4]

● ٤٣٠ ـ الزبير في (الموفقيات)[5] عن عبد الله بن مصعب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً على المنبر:

ألا لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، ولو كانت بنت ذي الغصة، يعني يزيد بن الحصين الحارثي، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقامت امرأة من صف النساء طويلة فقالت: ليس ذلك لك. قال: ولم؟ قالت:

لأن الله عز وجل يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ فقال

---

(١) النص في الأغاني ٢/ ٢٧٠ (الدار).
(٢) الأبيات من قصيدة في شعر ابن ميادة ص ٤٦.
(٣) في الأغاني: بها جرعاً عفرا.
ويعروري: يركب.
(٤) في الأغاني:
وبالغمر قد جازت وجاز مطيها عليه فسل عن ذاك نيّان فالغمرا
ويا ليت شعري هل يحلن أهلها وأهلك روضات ببطن اللوى خضرا
(٥) تحفة العروس ص ٨٢.

عمر رضي الله عنه: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

● ٤٣١ ـ أبو الفرج في الأغاني والزبير في (الموفقيات)[١]، يدخل حديث بعضهما في حديث بعض، قال:

تزوج مصعب بن الزبير سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، فأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم.

قال الزبير: فقال فيه عبد الله بن همام:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل ... وتبيت حراس الثغور جياعا

● ٤٣٢ ـ قال الزبير في (الموفقيات)[٢] عن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن قال: أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه إليك وهو يقوم بطاعة الله عز وجل. فقال لها: جزاك الله خيراً من مثنية على زوجها. فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، وكان كعب بن سور الأزدي حاضراً فقال له: اقض يا أمير المؤمنين بينها وبين زوجها.

قال: وهل فيما ذكرت قضاء؟!

فقال: إنها تشكو مباعدة زوجها عن فراشه وتطلب حقها في ذلك.

فقال له عمر: أما إن فهمت ذلك فاقض بينهما.

فقال كعب: علي بزوجها.

فأحضر فقال: إن امرأتك هذه تشكوك.

فقال: هل قصرت في شيء من نفقتها؟

قال: لا. فقالت المرأة:

---

(١) تحفة العروس ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٣. والقصة في الاستيعاب ٣/٢٨٨.

يا أيها القاضي الحكيم أرشده ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله ما يرقده فلست في حكم النساء أحمده
زهده في مضجعي تعبده فاقض القضا يا كعب لا تردده

قال: فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفي الحجل إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

إن لها حقاً عليك يا رجل تصيبها في أربع لمن عقل
قضية من ربنا عز وجل فاعطها ذاك ودع عنك العلل
إن خير القاضين من عدل وقضى بالحق جهراً وفصل

ثم قال: إن الله تعالى قد أباح لك من النساء أربعاً فلك ثلاثة أيام ولياليها تعبد فيها ربك ولها يوم وليلة.

فقال له عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب؟ أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

● ٤٣٣ ـ الزبير في (الموفقيات)[١] قال: زوج مسعود بن قيس بن مسعود بن خالد ابنته من لقيط بن زرارة بن عدس على مائة من الإبل ليس فيها ناب ولا مصرمة ولا مدابرة، قال ثم دخل على ابنته فقال لها:

(اي بنية: إني زوجتك غلاماً عزيز النفس فلا تدني منه كل الدنو فيملك، ولا تبعدي عنه كل البعد فينساك، واغلبي أحماءك بالخير ولا تغلبيهم بالشر، وكوني له أمة يكن لك عبداً، وتتبعي من الطيب مواقع أنفه، واعلمي أن طيب النساء الماء).

ثم خرج وقال: جهزوها إلى زوجها، فلما أهديت إليه قالت: (مروا بي على

(١) تحفة العروس ص ١٥٥.

أبي أسلم عليه). فمروا بها عليه فسلمت عليه وانصرفت، فقال لها: (أي بنية اذهبي فلا أيسرت ولا اذكرت).

فقالت: (أي أبت: أهنتني صغيرة، وغربتني كبيرة. زودتني عند الفراق أسوا الزاد).

فقال: (إنك لتأتين البعداء، وتلدين الأعداء، وتذهبين بالقلاد، وتحلين في غير الصديق). ثم ذهبت عنه.

انتهى ما ذكره الزبير في الموفقيات.

● ٤٣٤ ـ الزبير في (الموفقيات)[١] قال: بلغ الحارث بن عمرو بن حجر الكندي عن الحسناء بنت عوف بن محلم الشيباني جمال وكمال، فأرسل إليها امرأة من كندة يقال لها عصام، فقال لها: اذهبي فاعلمي علم الجارية، قالت: فأتيت فإذا امرأة كأنها المهاة الوحشية، وإذ حولها بنات لها كأنهن الغزلان فأعلمتها بالذي جئت له فأرسلت إلى ابنتها: أي بنية هذه خالتك جاءت لتنظر بعض شأنك فلا تستري عنها شيئاً من أوصافك، وناطقيها إن استنطقتك، قال: فأذنت لها فلما دخلت عليها وتوسمت خلقها رأت أحسن الناس وجهاً وجسماً، ثم خرجت وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع، حتى دخلت على الحارث، فقال: ما وراءك يا عصام؟

قالت: أصلح الله الأمير، أقول حقاً وأخبرك صدقاً، رأيت وجهاً كالمرآة الصقيلة يزينه حالك كذنب الحسيلة، فيه حاجبان كأنما خطا بقلم أو سودا بحمام تقوسا على مثل عيني الظبية المعبهرة يبهتان المتوسم أن ينعتهما ويجللان بأشفارهما ما تحتهما، بينهما أنف كحد السيف الصقيل، لم يزر به قصر، ولم يعبه طول، حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجمان، شق فيه فم لذيذ المتبسم، فيه ثنايا ذات أشر وأسنان، كالدر ينطق فيه لسان ذو فصاحة وبيان، ركب ذلك على عنق بض فوق صدر غض، نتأفى ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يحرفان عنهما ثيابها ويمنعانها

(١) تحفة العروس ص ٢٣١.

من تقلد سخابها، تحت ذلك بطن كالقباطى المدبجة كسا عكنا كالطوامير المدرجة، أحاطت تلك العكن بسرة لها كمدهن العاج، ينتهي ذلك إلى خصر لطيف تحته كفل ينهضها إذا قامت ويقعدها إذا نهضت، كأنه دعص رمكة، وتحته فخذان لفاوان متصل بهما ساقان أبيضان يحمل ذلك كله قدمان كجدار اللسان، فتبارك الله مع صغرهما كيف يطيقان حمل ما فوقهما، وأما ما سوى ذلك فإني تركت وصفه لوقت مشاهدته، قال: فأرسل الحارث إليها فتزوجها وهي أم أولاده المتوجين.

انتهى ما ذكره الزبير.

● ٤٣٥ ـ الزبير في (الموفقيات)[١] قال: كان لابن أبي عتيق جارية فارهة تقبل وتدبر، وكان الفتيان يتبعونها، فجاء ابن أبي عتيق ذات يوم ليدخل منزله فوجد مقابل الباب فتياناً فقال لأحدهم: كم تجامع يا ابن أخي في اليوم والليلة فقال: واحد وربما لم أفعل، فقال للآخر: كم تجامع أنت في اليوم والليلة؟ فقال: عشرين مرة، فقال للأول: إياك أن تمر بمنزلي، وقال للثاني: أما أنت فأقبل وأدبر متى شئت.

مراده بذلك أن الذي قال أجامع مرة واحدة في اليوم والليلة وربما لم أفعل، فكلامه كلام عارف مجرب، فلذلك أبعده وزجره عن القرب من داره والمرور بمنزله، وأما الثاني الذي أجابه أنه يجامع في اليوم والليلة عشرين مرة، فكلامه كلام من لا يعرف للنكاح حقيقة، ولو عرف حقيقته لم يقل ما قال.

● ٤٣٦ ـ الزبير في (الموفقيات)[٢] قال: قال علي ـ رضي الله عنه ـ لولده: يا بني إياك والغيرة في غير موضعها فإنها تدعو الصحة إلى السقم، ولكن أحكم أمرهن، فإن رأيت ذنباً فاجعل النكير على الكبير والصغير، وإياك أن تعيرهن الذنب فيهون عليهن العيب.

● ٤٣٧ ـ الزبير في (الموفقيات)[٣] عن عبد الله بن نافع عن عبد الله بن

---

(١) تحفة العروس ص ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٦٩.

مصعب قال: شكا إليّ هارون الرشيد وهو ولي عهد أن زوجته زبيدة أم جعفر لا تحمل، فقلت له: أغرها، وحدثته حديث إبراهيم - عليه السلام - مع زوجته سارة أنها كانت لا تحمل فاتخذ هاجر فحملت بإسماعيل فغارت سارة فحملت بإسحاق قال: فاتخذ هارون الرشيد مراجل فحملت بالمأمون وحملت زبيدة بالأمين. انتهى ما ذكره الزبير.

قال: وكانت تقول له: إياك أن تجعلني في منزلة إمائك اللاتي تريد التلذذ والتمتع بهنِ - قال: وكنت أهاب الجلوس على فراشها مع جليل موقعها من قلبي إعظاماً لها.

● ٤٣٨ - الزبير في (الموفقيات)[١] عن عمه قال: أتى موسى بن مصعب امرأة مدنية لها قينة مغنية يعترضها فإذا امرأة بارعة الجمال لها هيئة وحال. ورأى في الدار شاباً ذميماً يأمر وينهى ويذهب ويجيء. فسألها موسى عنه فقالت: هو بعلي وأنا له الفداء. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. مصيبة ما أعظمها ورزية ما أفظعها. أهذا الجمال وهذه الهيئة الحسنة لهذا الرجل الذي أرى. فقالت له: يا ابن أم أما والله لو استدبرك بما يستقبلني به لبعت طارفك وتالدك عليه. ولعظم في عينيك حسناً فقال لها: بارك الله لك فيه.

● ٤٣٩ - الزبير في (الموفقيات)[٢] عن سليمان بن عباس قال: أخبرني أبي قال: مررت في أرض بني عقيل فرأيت جارية بيضاء تدافع في مشيها تدافع الفرس المخيال تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النسر لم أر أكمل جمالاً منها فوقفت لأكلمها فقالت لي عجوز بفناء مدلها: مالك ولهذا الغزال النجدي الذي لاحظ لك فيه. فقالت لها الفتاة: دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة[٣]:

وإلاّ تكـــن إلا تعلّـــل ســـاعـــة   قليـــلاً فـــإنـــي نـــافـــع لـــي قليلهـــا

---

(١) تحفة العروس ص ٣٩٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٥.

(٣) البيت في شرح ديوان ذي الرمة ٨٥ وفيه:
وإن لم يكن . . .

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ الاحتجاج ـ الطوسي، مط المرتضوية، النجف ١٣٥٠ هـ.

٢ ـ الأحكام السلطانية ـ الماوردي، مط البابي الحلبي. مصر.

٣ ـ أخبار النساء ـ ابن قيم الجوزية، تـ نزار رضا. بيروت.

٤ ـ أخبار القضاة ـ القاضي وكيع، تـ عبد العزيز المراغي. مصر.

٥ ـ أدب الدنيا والدين ـ الماوردي، مصر. ط ٩.

٦ ـ أسرار البلاغة ـ الجرجاني، تـ ريتر. استانبول.

٧ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر الأندلسي، مط مصطفى محمد. مصر.

٨ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير، مط الإسلامية. طهران.

٩ ـ الاشتقاق ـ ابن دريد، القاهرة ١٩٥٨.

١٠ ـ الأصمعيات ـ الأصمعي، تـ عبد السلام هارون وأحمد شاكر. مصر.

١١ ـ إعجاز القرآن ـ الباقلاني ـ تـ السيد أحمد صقر. مصر.

١٢ ـ الأعلام ـ الزركلي، ط ٢ ١٩٥٥.

١٣ ـ الأغاني ـ الأصفهاني، ط بولاق. ودار الكتب المصرية.

ـ الأقيشر الأسدي. أخباره وأشعاره. بقلم الطيب العشاش حوليات الجامعة التونسية ع ٨ سنة ١٩٧١.

١٤ ـ الأمالي ـ أبو علي القالي، مركز الموسوعات العالمية. بيروت.

١٥ ـ الإمامة والسياسة ـ ابن قتيبة ـ مط مصطفى محمد. مصر.

١٦ ـ الإمتاع والمؤانسة ـ أبو حيان التوحيدي، تـ أحمد أمين والزين. مصر.

١٧ ـ إنباه الرواة ـ القفطي، تـ أبو الفضل إبراهيم. مصر.

١٨ ـ الإنباه على قبائل الرواة ـ ابن عبد البر الأندلسي، القاهرة ١٣٥٠ هـ.

١٩ ـ الانتقاء في فضائل مالك والشافعي وأبي حنيفة ـ ابن عبد البر الأندلسي، القاهرة ١٣٥٠ هـ.

٢٠ ـ أنساب الأشراف ـ البلاذري، حـ ٢ تـ حميد الله. مصر حـ ٤ ـ ٥. ط القدس.

٢١ ـ بلاغات النساء ـ أحمد بن أبي طاهر، مط الحيدرية. النجف.

ـ بلوغ الإرب ـ الألوسي. ط الرحمانية ١٩٢٤.

٢٢ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ، تـ عبد السلام هارون. القاهرة.

٢٣ ـ تاج العروس ـ الزبيدي، مط بولاق. القاهرة.

٢٤ ـ تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان، ترجمة المرحوم عبد الحليم النجار.

٢٥ ـ تاريخ الإسلام ـ الذهبي مط القدسي. مصر.

٢٦ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي، مط السعادة. مصر ١٩٣١.

٢٧ ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري، تـ أبو الفضل إبراهيم. مصر.

ـ تحفة العروس ونزهة النفوس ـ محمد بن أحمد التجاني مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة ١٩٨٧.

ـ التذكرة السعدية في الأشعار العربية ـ العبيدي تـ د. عبد الله الجبوري بغداد ١٩٧٢.

٢٨ ـ التعازي ـ المدائني، تـ ابتسام الصفار وبدري محمد فهد. بغداد.

٢٩ ـ التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ـ الأشعري، تـ د. محمود يوسف زايد. بيروت.

٣٠ ـ تهذيب ابن عساكر ـ عبد القادر بدران، ١ ـ ٧ دمشق ١٣٢٩.

٣١ ـ تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلاني، حيدر آباد.
٣٢ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي، القاهرة ١٩٠٨.
٣٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي، دار الكتب المصرية.
٣٤ ـ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ـ السيوطي، مط الخيرية. مصر ١٣٢١ هـ.
ـ الجليس الصالح الكافي. معافىٰ بن زكريا. تـ د. محمد مرسي الخولي. عالم الكتب بيروت. ١٩٨٣.
٣٥ ـ جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم، تـ عبد السلام هارون. مصر.
٣٦ ـ جمهرة خطب العرب ـ أحمد زكي صفوت، ط ٢ مصر.
٣٧ ـ جمهرة رسائل العرب ـ أحمد زكي صفوت، ط ١ مصر.
٣٨ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ـ الزبير بن بكار، تـ محمود محمد شاكر. مصر.
٣٩ ـ الحماسة البصرية ـ ابن البصري، تـ د. مختار الدين أحمد. حيدر آباد.
٤٠ ـ الحماسة ـ أبو تمام، ط ٢. مط صبيح. مصر.
وطبعة السعودية بتحقيق د. عبدالله عسيلان ١٩٨١.
٤١ ـ الحماسة ـ البحتري، تـ كمال مصطفى. مصر.
٤٢ ـ الحيوان ـ الجاحظ، تـ عبد السلام هارون. مصر.
٤٣ ـ خزانة الأدب ـ البغدادي، مط السلفية، مصر.
٤٤ ـ الخصائص ـ ابن جني، تـ محمد علي النجار، مصر.
٤٥ ـ الدرر اللوامع على همع الهوامع ـ الشنقيطي، القاهرة ١٩١٠.
٤٦ ـ الديارات ـ الشابشتي، تـ كوركيس عواد. بغداد.
٤٧ ـ ديوان إبراهيم بن هرمة ـ تـ محمد جبار المعيبد. النجف ١٩٦٩.
٤٨ ـ ديوان الأفوه الأودي ـ تـ عبد العزيز الميمني. مجموعة الطرائف الأدبية.
٤٩ ـ ديوان الإمام علي ـ الشركة الحديثة للطباعة والنشر. بيروت.

٥٠ ـ ديوان جرير ـ تـ الصاوي. مصر.
٥١ ـ ديوان حاتم الطائي ـ خمسة دواوين العرب. مط الأهلية بيروت ط لندن ١٨٧٢.
تـ فوزي عطوي. بيروت. تـ كرم البستاني. مكتبة صادر. بيروت.
٥٢ ـ ديوان حسان بن ثابت ـ تـ عبد الرحمٰن البرقوقي. مصر.
٥٣ ـ ديوان زهير بن أبي سلمى ـ دار الكتب المصرية ط ٢.
٥٤ ـ ديوان زيد الخيل ـ تـ د. نوري القيسي. بغداد.
٥٥ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ـ تـ د. محمد يوسف نجم. بيروت.
٥٦ ـ ديوان عدي بن زيد العبادي ـ تـ محمد جبار المعيبد. بغداد.
٥٧ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ـ بيروت ١٩٦١.
٥٨ ـ ديوان عمرو بن معديكرب ـ تـ هاشم الطعان. بغداد.
٥٩ ـ ديوان ليلى الأخيلية ـ تـ خليل وجليل العطية. بغداد.
٦٠ ـ ديوان كثير عزة ـ تـ د. إحسان عباس. بيروت.
٦١ ـ ديوان كعب بن مالك الأنصاري ـ تـ سامي مكي العاني. بغداد.
٦٢ ـ ديوان مسكين الدارمي ـ تـ عبد الله الجبوري. بغداد.
٦٣ ـ ديوان النابغة الذبياني ـ تـ د. شكري فيصل. دار الفكر. بيروت.
٦٤ ـ ديوان الهذليين ـ ط دار الكتب المصرية ١٩٦٥.
٦٥ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ـ المحب الطبري مط القدسي. مصر ١٣٥٦ هـ.
ـ ربيع الأبرار ـ الزمخشري. تـ الدكتور سليم النعيمي. بغداد.
٦٦ ـ رغبة الآمل من كتاب الكامل ـ المرصفي ط ٢. دار البيان.
٦٧ ـ الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ـ السهيلي، مط الجمالية مصر ١٩١٤.
٦٨ ـ روضة المحبين ـ ابن قيم الجوزية، تـ أحمد عبيد. مصر.

٦٩ ـ زهر الآداب ـ الحصري، مصر ١٩٥٣.
٧٠ ـ الزهرة ـ ابن داود الظاهري، مخطوطة مكتبة المتحف العراقي.
٧١ ـ سمط اللآلیء في شرح أمالي القالي ـ البكري، تـ الميمني. القاهرة ١٩٠١.
٧٢ ـ السنن (الجامع الصحيح) ـ الترمذي، تـ أحمد محمد شاكر. مصر.
٧٣ ـ السنن ـ ابن ماجه، تـ محمد فؤاد عبد الباقي. مصر.
٧٤ ـ سير أعلام النبلاء ـ الذهبي، تـ المنجد والأبياري. مصر.
٧٥ ـ سيرة عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزي، القاهرة.
٧٦ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام، تـ السقا وجماعته ط ٢. مصر.
٧٧ ـ شاعرات العرب ـ عبد البديع صقر، بيروت.
٧٨ ـ الشافية ـ ابن الحاجب، مصر.
٧٩ ـ شرح ألفية ابن مالك ـ ابن عقيل، تـ محمد محيي الدين عبد الحميد. مصر.
٨٠ ـ شرح ديوان الحماسة ـ المرزوقي، القاهرة ١٩٥١.
٨١ ـ شرح شواهد المغني ـ السيوطي، دمشق.
٨٢ ـ شرح الشواهد الكبرى ـ العيني، القاهرة ١٢٩٩.
٨٣ ـ شرح ديوان أبي العتاهية ـ دار التراث ـ بيروت.
٨٤ ـ شرح الشافية ـ الأسترأبادي، تـ محمد محيي الدين عبد الحميد وجماعته. مصر.
٨٥ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد، دار مكتبة الحياة. بيروت.
٨٦ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ابن العماد الحنبلي، مط القدسي. مصر ١٣٥٠.
٨٧ ـ شعب الإيمان ـ البيهقي، مصر.
٨٨ ـ شعر الأخطل ـ صنعة السكري، تـ د. فخر الدين قباوة. حلب.

٨٩ ـ شعر عبد الرحمٰن بن حسان ـ تـ د. سامي مكي العاني. بغداد.
٩٠ ـ شعر يزيد بن مفرغ الحميري ـ تـ د. داود سلوم. بغداد.
٩١ ـ الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة. دار الثقافة. بيروت ٩٦٤.
ـ شعراء أمويون ق ٣ دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القيسي. المجمع العلمي العراقي ١٩٨٢ (شعر ابن البرصاء).
٩٢ ـ شعراء النصرانية ـ الأب لويس شيخو، دار المشرق. بيروت ٩٦٧.
٩٣ ـ شمائل الرسول ﷺ ـ ابن كثير، مصر.
٩٤ ـ الصبح المنير في شعر أبي بصير الأعشى والأعشين الآخرين ـ تـ جاير. بيانه.
٩٥ ـ صبح الأعشى ـ القلقشندي، دار الكتب المصرية.
٩٦ ـ الصحاح ـ الجوهري، تـ أحمد عبد الغفور العطار. مصر.
٩٧ ـ صحيح البخاري ـ البخاري، مط صبيح. مصر.
٩٩ ـ صفة الصفوة ـ ابن الجوزي، ط حيدر آباد.
١٠٠ ـ الصناعتين ـ العسكري، تـ البجاوي وأبو الفضل إبراهيم. مصر.
١٠١ ـ طبقات الشعراء ـ ابن المعتز، تـ عبد الستار فراج. مصر.
١٠٢ ـ الطبقات الكبير ـ ابن سعد، ط ليدن. ودار صادر بيروت.
١٠٣ ـ طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام، تـ محمود محمد شاكر. مصر ط ١.
ـ عبد الله بن همام السلولي د. نوري القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي ح ٤ م ٣٧ سنة ١٩٨٦.
ـ عبيد الله بن عبد الله المسعودي. وما بقي من شعره. مهدي عبد الحسين النجم مجلة البلاغ ع ٦ و ٧ سنة ١٩٨٠ بغداد.
١٠٤ ـ العبر في خبر من غبر ـ الذهبي، تـ المنجد. الكويت.
١٠٥ ـ عصر المأمون ـ رفاعي، دار الكتب المصرية ١٩٢٨.
ـ العفو والاعتذار ـ الرقام البصري تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح. الرياض

١٩٨١ .
١٠٦ ـ العقد الفريد ـ ابن عبد ربه الأندلسي، مصر. بولاق.
١٠٧ ـ العمدة ـ ابن رشيق القيرواني، تـ محيي الدين عبد الحميد. مصر.
١٠٨ ـ عيون الأثر في المغازي ـ ابن سيد الناس اليعمري، مط القدسي. مصر ١٣٥٦ هـ.
١٠٩ ـ عيون الأخبار ـ ابن قتيبة، دار الكتب المصرية.
١١٠ ـ غرر الفوائد ودرر القلائد (الأمالي) ـ الشريف المرتضى، تـ أبو الفضل إبراهيم. مصر.
١١١ ـ الفاخر ـ المفضل بن سلمة، ط بريل. ليدن ١٩١٥ .
١١٢ ـ فتوح البلدان ـ البلاذري، تـ صلاح الدين المنجد. مصر.
١١٣ ـ الفخري في الآداب السلطانية ـ ابن الطقطقي. مصر.
١١٤ ـ الفرق بين الفرق ـ البغدادي، تـ محيي الدين. مصر.
١١٥ ـ الفهرست ـ ابن النديم، مط الاستقامة. مصر.
١١٦ ـ فهرست ابن خير ـ ابن خير الإشبيلي، مط قومش. إسبانية. ١٨٩٤ .
١١٧ ـ فوات الوفيات ـ ابن شاكر الكتبي، القاهرة ١٩٥٣ .
١١٨ ـ القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي، مط البابي الحلبي. مصر ط ٢ .
١١٩ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير، دار صادر ـ بيروت.
١٢٠ ـ الكامل في اللغة والأدب ـ المبرد، تـ أحمد محمد شاكر. القاهرة.
١٢١ ـ الكتاب ـ سيبويه، بولاق ١٣٧٠ .
ـ كتاب الردة ـ الواقدي. اعتنىٰ بتهذيبه محمد حميد الله. المؤسسة العالمية، باريس ١٩٨٩ .
١٢٢ ـ لباب الآداب ـ أسامة بن منقذ، تـ أحمد محمد شاكر. القاهرة ١٩٣٥ .
١٢٣ ـ اللباب في تهذيب الأنساب ـ ابن الأثير، مط القدسي. القاهرة ١٣٥٧ .

١٢٤ ـ لسان العرب ـ ابن منظور، بولاق.

١٢٥ ـ لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلاني، حيدر آباد ١٣٣٠ هـ.

١٢٦ ـ مالك ومتمم ابنا نويرة ـ ابتسام الصفار، بغداد ١٩٦٨.

١٢٧ ـ مجمع الأمثال ـ الميداني، تـ محي الدين عبد الحميد ١٩٥٩.

١٢٨ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ـ الراغب الأصبهاني مكتبة الحياة. بيروت.

١٢٩ ـ المحاسن والمساوىء ـ البيهقي، بيروت ١٩٦٠.

١٣٠ ـ المجسّر ـ محمد بن حبيب، حيدر آباد.

١٣١ ـ المحكم والمحيط الأعظم ـ ابن سيدة، مط الحلبي. مصر.

١٣٢ ـ المختار من شعر بشار ـ الخالديان، تـ محمد بدر الدين العلوي. القاهرة.

١٣٣ ـ مختصر التاريخ ـ ابن الكازروني، تـ د مصطفى جواد بغداد ١٩٧٠.

١٣٤ ـ المختصر في الشمائل والسير للترمذي ـ محمود سامي. مط مصر ١٩٥٠.

١٣٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي. طهران.

١٣٦ ـ المستقصى في أمثال العرب ـ الزمخشري، تـ محمد عبد المعيد خان. حيدر آباد.

١٣٧ ـ المستدرك على نهج البلاغة ـ هادي كاشف الغطاء. النجف.

١٣٨ ـ المسلسل ـ التميمي، تـ محمد عبد الجواد. مصر.

١٣٩ ـ المسند ـ التميمي، تـ محمد عبد الجواد. مصر.

١٤٠ ـ المشتبه ـ الذهبي، تـ البجاوي القاهرة ١٩٦٥.

١٤١ ـ المعارف ـ ابن قتيبة، تـ د. ثروة عكاشة. مصر.

١٤٢ ـ معاهد التنصيص ـ العباسي، مصر ١٩٤٧.

١٤٣ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت، ط مرغليوث. مصر.

١٤٤ ـ معجم القاب الشعراء ـ الدكتور سامي مكي العاني، بغداد ١٩٧٢ .

١٤٥ ـ معجم الشعراء ـ المرزباني، تـ عبد الستار فراج. مصر.

١٤٦ ـ معجم المؤلفين ـ كحالة، ط ٣. مط الترقي. دمشق.

١٤٧ ـ معجم البلدان ـ ياقوت، طهران ١٩٦٥ .

١٤٨ ـ مغازي رسول الله ـ الواقدي، تـ مارسدن. اكسفورد.

١٤٩ ـ المغانم المطابة في معالم طابة ـ الفيروز آبادي، تـ حمد الجاسر. دار المعرفة.

١٥٠ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ ابن هشام، القاهرة ١٩٥٩ .

١٥١ ـ المفضليات ـ المفضل الضبي، تـ عبد السلام هارون وأحمد شاكر. مصر.

١٥٢ ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ـ السخاوي، تـ عبد الله الصديق. دار الأداب.

ـ مقامات العلماء ـ الغزالي. تـ محمد الحديثي. بغداد ١٩٨ .

١٥٣ ـ المقتضب ـ المبرد، تـ محمد عبد الخالق عضيمه. مصر.

١٥٤ ـ الملل والنحل ـ الشهرستاني، ط الكيلاني. القاهرة.

١٥٥ ـ من عاش بعد الموت. الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا. الدار العربية. بغداد.

١٥٦ ـ الموشح ـ المرزباني، ط القاهرة ١٣٢٥ هـ.

١٥٧ ـ الموفقي في النحو ـ ابن كيسان. مخطوطة المغرب ومصورة لدى الدكتور عبد الحسين الفتلي.

١٥٨ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ الذهبي، تـ البجساوي القاهرة ١٣٨٢ هـ.

ـ نثر الدرر ـ أبو سعد منصور بن الحسين الأبي بتحقيق محمد علي قرنة القاهرة دار الكتب المصرية.

ـ النجاشي الحارثي. أخباره وشعره. جمعها وحققها وقدمها صالح البكاري والطيب العشاش حوليات الجامعة التونسية. العدد ١٢ سنة ١٩٨٢ .

١٥٩ ـ نسب قريش ـ مصعب الزبيري، تـ بروفنسال. مصر.

١٦٠ ـ نكت الهميان في نكت العميان ـ الصفدي، مصر ١٩١١ .
١٦١ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري، دار الكتب المصرية ١٩٢٩ .
١٦٢ ـ نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار ـ الشبلنجي. مط مكتبة الجمهورية العربية ١٩٥١ .
١٦٣ ـ نور القبس المختصر من المقتبس ـ اليغموري. بيروت ١٩٦٤ .
١٦٤ ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع ـ السيوطي، مط السعادة مصر ١٣٢٧ هـ.
١٦٥ ـ الوحشيات ـ أبو تمام، دار المعارف مصر.
١٦٦ ـ الوزراء والكتاب ـ الجهشياري، تـ السقا وجماعته. مصر.
١٦٧ ـ وفاء الوفا بإخبار دار المصطفى ـ السمهودي، مط السعادة مصر ١٩٥٥ .
١٦٨ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان، مط النهضة، مصر.
١٦٩ ـ وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم، تـ عبد السلام هارون. مصر.

الفهارس العامة

- ثبت الآيات القرآنية
- ثبت الخبر عن رسول الله ﷺ
- ثبت الأعلام والأقوام
- ثبت الرواة
- ثبت الأماكن والمواضع الجغرافية
- ثبت الشواهد الشعرية

١ ـ ثبت الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وآتيتم إحداهن قنطارا	النساء	٢٠	٥٠٧
وإن أحد من المشركين استجارك	التوبة	٦	٤٤
إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم	التغابن	١٤	٦٤
فأكله الذئب	يوسف	١٨	١١٦
أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين	الأعراف	١٢	٧٦
ألم تر كيف فعل ربك بعاد. . . إن ربك لبالمرصاد	الفجر	٦ـ١٤	١٣٠
ألا لعنة الله على الظالمين	هود	١٨	١٣٧
وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى	النجم	٣٧ـ٣٨	٢٥٤، ٢٥٨
ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله	الأحزاب	٥	٢٦٧
وامرأته حمالة الحطب	المسد	٤	٢٧٧
وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به	النحل	١٢٦	٢٧٩
كأنما يساقون إلى الموت	الأنفال	٦	٢٨٨
وانتقوا مما رزقناكم	المنافقون	١٠	٣٠٩
واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون	الأنفال	٢٦	٧٩
إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين	الإسراء	٢٧	٥٠١
تبت يدا أبي لهب	المسد	١	٢٧٧
جعلوا أصابعهم في آذانهم	نوح	٧	١١٦
حتى إذا جاء أحدهم الموت قال	المؤمنون	٩٦	٣٠٩

٢ ـ ثبت الخبر عن رسول الله ﷺ

٣ ـ ثبت الأعلام والأقوام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

حرف الهاء

حرف الياء

٤ ـ ثبت الرواة

- غ -

- ف -

- ق -

- م -

- ن -

- هـ -

٥ ـ ثبت الأماكن والمواضع الجغرافية

- ن -

- هـ -

- ي -

٦ ـ ثبت القوافي والأرجاز

محتويات الكتاب

الرقم	الخبر	الصفحة

الرقم	الخبر	الصفحة
٣٤	بلاغة امرأة	٨٤
٣٥	من قضاء الإمام علي (رضي الله عنه)	٨٥
٣٦	من خطب يوسف بن عمر	٨٧
٣٧	عبد الملك يولّي الحجاج على العراق	٨٨
٣٨	كلمات الحجاج تقذ مالك بن دينار	٩٥
٣٩	من خطب الحجاج	٩٦
٤٠	من خطب الحجاج	٩٧
٤١	الحسن البصري يصف الحجاج	٩٨
٤٢	من خطب الحجاج بالكوفة	٩٨
٤٣	إسحاق بن إبراهيم التميمي والواثق	٩٩
٤٤	وصية عبد الله بن الأهتم لابنه	٩٩
٤٥	عبد الله بن معاوية يكتب إلى صديق له	١٠٠
٤٦	من أقوال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)	١٠١
٤٧	الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه إليه أحد	١٠١
٤٨	لا تهتكوا ستراً	١٠٢
٤٩	من قضاء الإمام علي (رضي الله عنه)	١٠٤
٥٠	بين تميمي وباهلي	١٠٥
٥١	أنت ومالك لأبيك	١٠٥
٥٢	معاوية يسأل ما يصنع بعهده	١٠٦
٥٣	المنصور يذكر ماضيه ويشكر حاضره	١٠٧
٥٤	سلم بن قتيبة ينصح المدائني	١٠٨
٥٥	حبر العرب عبد الله بن عباس	١٠٨
٥٦	رؤيا المنصور	١١١
٥٧	مفاخرة خالد بن صفوان وإبراهيم بن مخرمة	١١٢
٥٨	عبد الملك بن حنظلة يرشح لهشام من يتولى خراسان	١١٨
٥٩	السيدة عائشة واستشهاد علي (رضي الله عنه)	١٢١

الرقم	الخبر	الصفحة